

# المصباح

مجلة علمية فضلية محكمة

تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

(٣٦)





العتبة الحسينية المقدسة

# المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة  
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

العتبة الحسينية المقدسة

العدد السادس والثلاثون - شتاء (٢٠١٩هـ - ١٤٤٠هـ)

المسقة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq  
Ministry Of Higher Education &  
Scientific Research  
Research and Development



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
دائرة البحث والتطوير

No :  
Date:

العدد: ب ت ٤ / ٢٨٢  
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابتنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد 'مجلة المصباح' الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية •  
....مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير  
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.  
- الصادرة:  
١٠/٦/١٣

Website: [www.rddiraq.com](http://www.rddiraq.com)

mail : [gd\\_office@rddiraq.com](mailto:gd_office@rddiraq.com) [scientificdep@rddiraq.com](mailto:scientificdep@rddiraq.com)

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُهْدِيِّ الْكِرْبَلَائِيِّ

المُتَوَلَّى الشَّرْعِيَّ لِلْعَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

رئيس التحرير

مُحَمَّدٌ عَلِيُّ هَدَّادٌ

مدير التحرير التنفيذي والعلاقات العامة

الدُّكْتُورُ حَمِيدٌ مُجْتَبَى هَدَّادٌ

هيئة التحرير

أ.د. علي رحيم هادي الحلوي

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.د. وائل عبد الامير الحربي

أ.د. علي عباس الاعرجي

أ.م.د. عبد الجواد البيضاني

## الريادة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. محمد علي أذرشب

جامعة طهران - إيران

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء - العراق

أ.د. حازم سليمان الحلي

جامعة الكوفة - العراق

الشيخ الدكتور منصور مندور

الازهر الشريف

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. محمد الخطيب

جامعة كربلاء - العراق

# المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة  
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

العدد السادس والثلاثون - شتاء (٢٠١٩ - ١٤٤٠هـ)

الترقيم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

٢٠١٠ / ١٤١٤

العنوان الموقعي

مجلة المصباح - مقابل باب السلام  
كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الاتصالات

مدير التحرير والعلاقات العامة

٠٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

٠٧٧٠٣٢٨٥٠٧٨

سكرتير التحرير

٠٧٨٠٣٢٠٣٩٣٣

ادارة المجلة

٠٠٩٦٤٣٢٣١٠٠٥٥

٠٠٩٦٤٣٢٣١٠٠٦٦

داخلي: ٥٦١

بدالة

سكرتير التحرير

أحمد حسين محفوظ

التحريم الإلكتروني

د.علي عباس الأعرجي

التنسيق والمتابعة والتوزيع

علي أفضيلة الشمري (العراق)

٠٧٨١٠٤٢٧١٣٠ /هـ

د.أحمد كامل الجابري (مصر)

٠٠٢٠١١١١٢٦٧٧٧٩ /هـ

مسلم البعاج (إيران)

٠٠٩٨٩٣٠٦١٨١٢٣٩ /هـ

السؤونه المالىة

رضا جواد الحائري

معمد الترجمة الانجليزية

سعد شريف طاهر

الاخراج والتصميم

قاسم سالم محمد

البريد الإلكتروني: Info@almissbah.org - almissbah@imamhussain.org

www.almissbah.org

موقعنا على شبكة الإنترنت:

## المحتويات

- ١٥ ص د. إحسان الأمين
- ٥٣ ص د. عيسى متقي زاده - على مرتضائي  
د. هادي نظري منظم
- ٨٩ ص أ. م. د. أحمد عبدالله المنصوري
- ١٠٧ ص الشيخ الدكتور منصور مندور
- ١٢٣ ص أ. د. عبد الجبار ناجي
- ١٧٧ ص الشيخ الدكتور هاشم أبو خمسين
- ٢٠٣ ص أ. م. د. كبرى روشنفكر - عدنان زماني  
يوسف غرباوي
- ٢٢٧ ص أ. م. د. علي رضا قائمي - هابيل جواني
- ٢٥١ ص د. لؤي طارق علي

- المتغير الاجتماعي  
في الخطاب القرآني
- السبب النصي في القرآن الكريم
- حجاج المفسرين والنحاة في آية الوضوء
- الإيمان الكامل
- شروط لقبول العمل الصالح
- جدل المؤرخين والمفسرين
- بشأن نزول أول سورة من القرآن الكريم
- معالم الشخصية
- بين القرآن الكريم وعلم النفس
- الدور الوظيفي للمكان
- في القصص القرآني في ضوء البنيوية التكوينية
- نقد نظرية أخلاق الحداثة
- في العقل التأسيسي من منظور القرآن الكريم
- البشارة، صورها، ودلالاتها
- في القرآن الكريم

د. أحمد الصفار  
٢٧٥  
د. حسن رضائي هفتادور  
٢٩٧  
أ. م. د عبد الجواد عبد الحسن البيضاني  
٣١٩

د. م. د. مجيب سعد أبو كليفة  
٣٤٣  
قيصر حسن قاسم  
٣٧٣  
مصطفى خالد جهاد حسن العزاوي  
٣٨٩

### نافذة المصباح

علي أحمد الكربابادي  
٤٠٢  
م. م. مقدم محمد جاسم البياتي  
٤٢٩  
الاستاذ المتمرس الدكتور  
محمد كريم ابراهيم الشمري  
٤٣٨

إِتِّقَالَ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ لِآخِرَتِهِ  
طُرُقُ اتِّهَاجِ الصَّبْرِ  
مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعِلْمِ النَّفْسِ  
دَلَالَةُ التَّرْكِيبِ الْمُنتَظِمِ  
لِسِيَاقَاتِ النَّصْرِ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ  
(قَرَبَ) وَ(عَزَلَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ  
الدَّلَالَةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي سُورَةِ نُوحٍ  
الفَهْمُ الْقُرْآنِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ

رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن  
تطبيقاً على نظرية العلامة الطباطبائي

من جديد الدراسات القرآنية

(تعقيب وتعليق)

على الدراسات القرآنية في المجلد الثاني  
(الفصل الثاني)

## ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولاتستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكا للمجلة لايجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لايتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

# كلمة الافتتاح

بقلم رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله و الصلاة على محمد رسول الله و على آله و من والاه، و بعد:  
ها هي ذي (المصباح) تقف عند انسلاخ السنة التاسعة من عمرها الحافل بكل  
كلام مفيد، يشرق على نفوس من يمتحون من الفيض الإلهي الثر الذي يحيي القلوب و  
يهذب الأرواح انه نبع القرآن الذي لا تنفد عجائبه و لا تنتهي غرائبه، كما يقول صنو  
الرسول الامام ابي الحسن علي عليه السلام.  
لقد حازت المجلة رضا و استحسان كل الحوزات العلمية و الجامعات الثقافية و  
مراجع الدين و الجامعات المعنية بعلوم القرآن و اللغة العربية، داخل العراق و  
خارجه، حتى لقد عدت من كبريات المجلات المتخصصة و اكثرها نضجا (على حد راي  
الامام الأكبر احمد الطيب شيخ الازهر الشريف).

لقد التزمت المجلة، منذ ان صدر العدد الأول منها، باعتبار البحث و رصانته  
موضوعا و أسلوبا و اثرا في رفق القارئ بالمعلومة القرآنية الجديدة او المستغلقة على  
الفهم، و تقليل اعتبار شهادة الباحث و منزلته العلمية و الاجتماعية، و لمعان اسمه  
في المحافل البحثية و غير ذلك، اي ان المجلة اخذت بمستوى البحث جوهرًا و الباحث  
عَرَضًا على الرغم مما اثارته هذه النزعة من حساسية لدى بعض من يرى الشهادة  
الأكاديمية مقياسا لأهمية البحث و الباحث، فراحوا يبحثون عن عصا يضعونها في عجلة

تقدم المجلة، حسدا من عند انفسهم للنشاط الثقافي المتميز للعبة الحسينية المقدسة، فلم يجدوا غير ان يحركوا الجهات الرسمية المعنية بالامر لتضع شروطا و ضوابط تعجيزية للاعتراف بالمجلات المحكمة و المعتمدة ابحاثها للترقية العلمية والجامعية، و منها اشتراط حصول القائمين على إصدارها على درجة علمية معينة.

لقد تابعنا كثيرا من أولئك الواصلين الى درجة الاستاذية فوجدنا انهم اعتقدوا انهم قد وصلوا الى نهاية الدنيا و ان اي نشاط علمي لهم اما هو مضيعة للوقت لانه لا يضيف لهم اية امتيازات مادية او معنوية، فيبدوون يجترونها امجادهم القديمة في البحث و التأليف، بلا شيء جديد يضعهم في صف العلماء و الاكاديميين. انهم يكتفون بالقابهم العلمية، و ليذهب النشاط العلمي الى الجحيم، فالدنيا تصبح عندهم نيل الامتيازات المادية لا غير ذلك.

والى جانب هؤلاء، راينا علماء، كلما زادت درجاتهم العلمية، نَفَرَ نشاطهم العلمي بالبحث و التأليف، وتبلورت آراؤهم و أفكارهم نحو التحديث و التجديد في نوع المعلومة و طريقة عرضها و بنوا لانفسهم كيانا يقف على صرح متين من العمل و الاجتهاد، فله في كل محفل قَدَمٌ تمشي بالعلم الى مدارك جديدة و مرامي مبتكرة لا يحدُّهم في ذلك ازدحام المشاغل و احتدام الهموم و تقدم السن و جهل المجتمع، انهم يعلمون بمقتضى القول المأثور (اطلب العلم من المهد الى اللحد)، انهم مجاهدون بحق على الرغم من كل معاناتهم المادية حتى ان احدهم لا يجد ما يَمْكُنُه من طباعة نتاجه على نفقته الخاصة. فمبتغاهم نشر العلم و المعرفة بين روادها بلا ثمن ولا عناء. و كم تمثلت بما روي عن النبي المصطفى ﷺ من حديث مؤداه: ما من رجل (او عالم) يبتغي بعلمه عرض الحياة الدنيا الا ألجمه الله بلجام من نار!! او هكذا قال عليه الصلاة و السلام.

ربنا اجعل علمنا و علمنا قرابة اليك و انت حسبنا و نعم الوكيل.

# بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كتابها



# المتغير الاجتماعي في الخطاب القرآني

د. إحسان الأمين

رئيس مجلس الأمناء-بيت الحكمة

## فحوى البحث

بحث علمي متوازن، وقف على حقيقة مهمة تذهب إلى أن القرآن الكريم قد استهدف في خطابه المعجز، الإنسان قبل كل شيء وكان لا بد من أن يفهموه ليهتدوا به، بالرغم من رصانته وبنائه المحكم وتحاشي المفردة الحوشية أو المرذولة، أو الأسلوب العُلوي المجرّد الذي لا يقترب من حاجات الناس أو يعالج أدواءهم الاجتماعية الراسخة في مجتمعهم الجاهلي، البدوي منه والمدني. لذلك فقد نحا السيد الباحث نحو دراسة واقع (الناس) الذين خاطبهم القرآن الكريم من خلال دراسة أسباب النزول وطبيعة المعالجة القرآنية للإنسان، فرداً ومجتمعاً، والذي اقتضى تطوير الأساليب وتنويعها بحسب مقتضيات الأحوال الاجتماعية، ومناسبة أوضاعها المتغيرة.

تطرق البحث إلى مسألة الثابت والمتغير في الخطاب القرآني ومظاهر هذا التغيّر في المكّي والمدني. وأثبت أن تعلق الآيات بوقائع معيّنة لا يعني محدودية المعاني. وختم البحث بخاتمة وخالصة..

مقدمة:

يعاني الخطاب الديني المعاصر من أزمة حقيقية حتى عدّه البعض سبباً من أسباب ظهور التطرف الديني، وذلك بوصفه خطاباً يجمد على الموروث من دون لحاظ الظروف المستجدة وانجازاتها العلمية والمتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية في عالمنا الحاضر، كما إنه قام باعتماد الأحكام وإطلاقها على المجتمعات المختلفة دون لحاظ نزول الأحكام وشروطها المقيّدة لها.

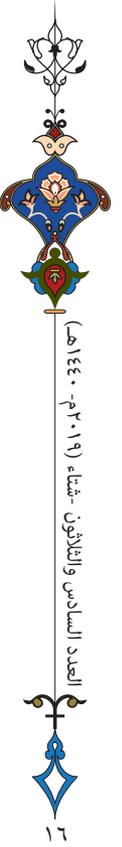
وانسحب شكل الخطاب وموضوعاته على الثقافة الدينية ولغة الوعظ والإرشاد وامتد ليشمل مناهج التعليم والتربية الدينية، والتي ظهرت فيها إشكاليات متوارثة سواء في لغة الخطاب وأشكال المقاربة مع النص، والعسر في المواد المتناولة في الكتب الدينية حجماً ومضموناً، أو في عدم تناسب بعض هذه المواد مع متطلبات العصر وجودها على الموضوعات القديمة وعدم معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر.

ولما كان القرآن الكريم، هو المرجع

الأساس في الفكر الإسلامي وكان القرآن معجزة الإسلام الخالدة بما يحمل من لغة وتعبير ومضامين عالية، كان لابد من الرجوع إليه لاستطلاع أساليب دعوته وأدوات خطابه، وكيف قارب القرآن أوضاع الناس على اختلاف ميولهم وتوجهاتهم؟. ومن ثم كيف خاطب القرآن المجتمعات التي نزل فيها وهي متباينة في أوضاعها الفكرية والاجتماعية؟. مستفيدين من تلك التجربة البكر في تطوير الخطاب الديني المعاصر واتساقه مع المجتمعات المختلفة، لغةً ومضموناً.

لقد استهدف الخطاب القرآني: الانسان، قبل أي شيء آخر فهو المحور الذي دارت حوله مباحثه، هو المخاطب بالقرآن، والمعني بآياته، وهو المرجو بغاياته: وهي الارتقاء به في طريق التكامل نحو الله، مصدر الجمال والكمال المطلق: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق: 6].

ولذا كان من الطبيعي أن تتوجه اولى آيات القرآن النازلات نحو الانسان، بالعناية وبالخطاب: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي



حَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ  
يَعْلَمُ ﴿ [سورة العلق: ١- ٥].

وإذا كان الخطاب متوجهاً الى  
الإنسان، والناس ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ  
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة ال  
عمران: ١٣٨]، فإنَّ حالات هذا الانسان  
وأولئك النَّاسِ، لها تأثير في نوع الخطاب  
ودلالاته، لأنَّه نزل إليهم ومن أجلهم.

وكانت هناك مناسبة بين الانسان  
والنَّاسِ، والوحي الذي نزل إليهم، لأنَّ  
الوحي جاء متحرِّكاً لمعالجة الاوضاع  
الاجتماعية ولم يكن خطاباً علوياً مجرداً  
من دون أن يقترب من حاجات الناس  
ويعالج أدواءهم ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ

مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [سورة  
يونس: ٥٧]. فكانت دراسة واقع الناس  
المخاطبين بالدعوة القرآنية ومعرفة شأن  
النزول ومناسباته وطبيعة المقاربة والمعالجة  
القرآنية للإنسان، فرداً ومجتمعاً، ذات  
أهمية كبيرة تساهم بشكل أو بآخر في  
تطور الخطاب الديني المعاصر، ومقاربتة  
للمجتمعات التي يتوجه لها، ومناسبتة

لأوضاعها المتغيرة.

### الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني لغةً: الكلام، ففي  
التنزيل العزيز: ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي  
الْحِطَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٣].

والخطاب أيضاً: الرسالة، ورد في  
القران الكريم: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ  
الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص: ٢٠]

وأريد به ما ينفصل الأمر من الخطاب<sup>(١)</sup>.  
وقال المفسرون: هو الكلام البين  
الذي يفهمه من يُخاطَبُ به، وقيل: الفصل  
في القضاء<sup>(٢)</sup>.

وما نريده هنا يختلف عن النص،  
فالنص قائم بنفسه، والخطاب يتقوم  
بالنص، والمخاطب، والمخاطب به،  
وأيضاً بمناسبات النص وأسباب النزول،  
وبيئة النص التي أنزل بها، والرسالة التي  
يحملها.

(١) مصطفى ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط،  
ط دار الدعوة، ص ٢٤٢.  
(٢) الزمشخري واختاره ابن عطية، انظر: محمد  
علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط المكتبة  
العصرية، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م،  
ص ١٠٤٦ في تفسيره للآية.

الذي نزلت به، والحقائق التي تحملها والرسالة التي تهدف إليها. وقد فصل الشاطبي القول في اختلاف الخطاب القرآني تبعاً لتغير مقتضيات الأصول حال الخطاب، فقال في باب: ضرورة معرفة أسباب النزول: "إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به اعجاز نظم القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب، من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطبة، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك، كالاتفهام، لفظه واحد، ويدخله معانٍ آخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الاباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على المعنى المراد إلا الأمور الخارجية وعمدتها مقتضيات الأحوال..."<sup>(٤)</sup>.

وهذا لا ينافي أن القرآن: ﴿كُتِبَ

وكل ذلك يساهم في إيصال الخطاب إلى المخاطب به بأبلغ رسالة، فكان القرآن نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكان تفسير القرآن - وتأويله أيضاً - خطاباً قرآنياً لا يدرك بمجرد فهم اللغة وأدواتها، بل لا بد فيه من النظر إلى المتكلم بالقرآن والمُنزَل عليه، والمخاطب به، فلا يكفي مجرد مراعاة اللفظ وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم، وسيق الكلام<sup>(٣)</sup>.

لذلك فإننا إذا أردنا النص فهو ثابت لا يتغير، لم تمسه يد التبديل ولا التحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

أما إذا أردنا الخطاب القرآني، من حيث مدلولاته ومناسباته، وأسباب نزوله، والمعاني المرادة فيه، والغايات المستوحاة منه، فقد تختلف من آية لأخرى بحسب الوقائع وسيق الكلام، وبالنظر إلى من حُوطب بتلك الآية، والموضوع

(٤) الشاطبي، ابو اسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ط المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج٣، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط٣، ابن كثير، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ج٢، ص ١٢٠٣.

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾  
[سورة فصلت: ٣] فهو أيضاً ﴿بَيَانٌ  
لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨]  
﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:  
١٨٥] فلا بد أن يُعْتَبَر في خطابه  
المخاطَبون به، على تفاوت منهم في الفهم  
والاستيعاب، ولذلك قيدت بعض آياته:  
﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣].

كما إنَّ من بلاغة الخطاب وقوته  
أن يلاحظ مستوى إدراك المخاطبين  
وفهمهم، ولغة الحوار والتخاطب فيما  
بينهم، ليكون أكثر أثراً فيه، وهذا ما أكده  
القران بنفسه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا  
بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ  
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ [سورة إبراهيم: ٤].

واللسان هنا وإن كان يعبر به عن اللغة  
ولكن أيضاً يراد به: الكلام، وربما يتسع  
الى التعبير اللغوي، بما يحمل من دلالات:  
الخبر والرسالة والحجة والذكر، قال تعالى:  
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ  
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [سورة  
مریم: ٩٧].

وكنموذج على تغيّر الخطاب بلحاظ  
المخاطب: قال السيوطي: صنّف ابن  
الجوزي الخطاب القرآني الى خمسة عشر  
وجهاً وقال غيره: على أكثر من ثلاثين  
وجهاً، ثم ذكر أربعة وثلاثين وجهاً من  
أنواع الخطاب في القرآن: خطاب العام  
والمراد به العموم كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ﴾ وخطاب الخاص والمراد به  
الخصوص كقوله: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾  
وقوله: ﴿النَّاسُ أَتَقْوَأ رَبَّكُمْ﴾ وخطاب  
الخاص والمراد به العموم كقوله: ﴿يَأْتِيهَا  
النِّسْيُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ افتتح الخطاب  
بالنبي والمراد سائر من يملك الطلاق...  
الى آخر ما ذكره أصناف الخطاب و ذكر  
ايضاً في وجوه الخطاب: خطاب الذم،  
خطاب الكرامة، خطاب الالهانة، خطاب  
التهمك... الخ<sup>(٥)</sup>. وكل ذلك يدل على أن  
الخطاب يوجه النص باتجاه المخاطب به،  
وكذلك يتأثر بمناسبة الخطاب.

### الثابت والمتغير في الخطاب القرآني:

النص القرآني ثابت لا يتغير ولا

(٥) السيوطي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤٤-

يتبدل، محفوظ بحفظ الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: 9]، منذ صدر الإسلام وتلقي الجيل الأول من المسلمين القرآن من لدن رسول الله ﷺ حتى يومنا الحاضر، تلقى المسلمون القرآن بالحفظ والرعاية وتعاهدوا على قراءة آياته وتدبر معانيه، حتى عدّ متواتراً بالصورة التي نجدها اليوم في المصحف الشريف.

ولم يقل بنقص القرآن أو تغير آياته إلا شواذ الناس ممن لا يعتنى بقولهم ولم يثبت ما قالوه بدليل ولا برهان، لأنه خلاف الإجماع المتوارث على تمامية القرآن وسلامته من أي نقص أو زيادة أو تحريف أو تبديل.

كما إن الإسلام بعقيدته وقيمه ومفاهيمه الكلية عن الحياة وأحكامه المثبتة في القرآن، أيضاً ثابتة بلا تغيير:

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت: ٤١ - ٤٢].

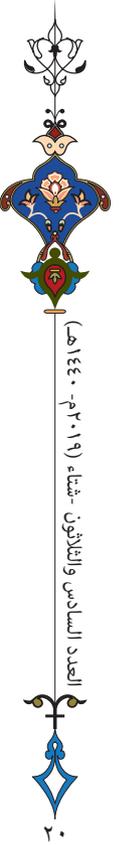
فالقرآن ثبت أسس الاعتقاد في الإسلام بآيات كثيرة، واضحة بيّنة، منها

قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

كما جاء القرآن بقيم حياتية وأخلاقية أساسية تشكل روح القرآن ونهجه القويم، حملتها آيات القرآن المبتوثة في سائر سورته، وهي تحدد هوية المسلم وبوصلة مواقفه في قضايا الحق والباطل، والعدل والظلم، والصدق والكذب، والفضيلة والرذيلة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ءَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا



وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [سورة الروم:  
٢١].

وهناك أحكام تشريعية، وهي الأحكام التي تنظم العلاقات البشرية منها ما تكفل بتنظيم العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، وهي أحكام العبادات مثل الصلاة والصوم والحج، فلا تغيير فيها ولا تبديل، ومنها أحكام أخرى تتعلق بنظام المجتمع، وعلاقاته بعبه ببعض.

وقد جاءت بعض أحكامه في القرآن مفصلة تارة كأحكام الإرث والوصية، ومجملة تارة أخرى، جاءت السنّة الشريفة بتفصيلها ككيفية الصلاة وتفصيل الحج والصيام والزكاة.

وليس في القرآن الكريم اختلاف بين آياته، وإن اختلف حكم في موضع عن حكم في موضع آخر فلتغير الموضوع الذي يستوجب تغيير حكمه، وهذا عادةً يكون في الأمور الاجتماعية.

نعم يَرِدُ التغيير في الفقه، بحسب الاجتهاد وفي مناطق الفراغ التشريعي،

مما تركها الشارع المقدس للناس لينظموا حياتهم فيها بمقتضيات زمانهم وفي إطار الأسس العامة للتشريع الإسلامي وأهدافه العامة<sup>(٦)</sup>.

فإذا كان القرآن ثابتاً بألفاظه ومعانيه، فما المراد بالمتغير فيه؟ المراد بالتغيير هنا هو التغيير في أساليب الخطاب من سورة لأخرى، ومن آية لأخرى تبعاً لتغير البيئة الاجتماعية والظروف الموضوعية، التي نزل فيها القرآن.

فالقرآن أنزل ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥] ﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة ص: ٢٩]، لذا جاء متابعاً لأوضاع الناس على اختلاف مللهم ونحلهم، ليصحح العقائد ويقوم الرؤى بما يقرب الناس إلى الله تعالى وعبادته وحده دون غيره، وبما يصلح الأوضاع المنحرفة للمجتمع، ويغير العادات والتقاليد الجاهلية إلى المساحات الإنسانية الرحبة والفضاءات الأخلاقية السامية التي

(٦) انظر للمزيد: لجنة التأليف، الثابت والمتغير في التشريع الإسلامي، مؤسسة البلاغ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٩١.

والغايات التي يتبعها القرآن، فإن قارئ القرآن من أوله الى آخره، سواء قرأ القرآن بحسب تنزيله أو بحسب جمعه في القرآن المحفوظ بين الدفتين، لا يجد تفاوتاً ولا تناقضاً بين آياته، ولا اختلافاً في غاياته لأنه صدر عن مصدر واحد، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢]. وإنما الاختلاف في لغة الخطاب وأدواته، وإلا فالقرآن "ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله"<sup>(٨)</sup>، ومن هذا المنطق اعتبر تفسير القرآن بالقرآن، لاتحاد غاياته وتكامل معانيه، من أصح الطرق في تفسيره، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر<sup>(٩)</sup>.

### من مظاهر التغيير في الخطاب القرآني:

يمكن ملاحظة التغيير في الخطاب القرآني ومعالجته للواقع الاجتماعي من

(٨) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

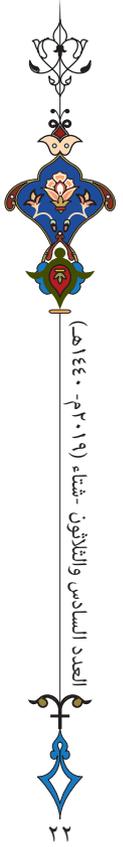
(٩) الدمشقي، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط دار الاندلس، بيروت، ج ١، ص ٧.

جاءت بها الشريعة الإسلامية، كما قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>(٧)</sup>.

ولأن القرآن كتاب هداية ورسالة إصلاح، ولا بد لمن يريد الإصلاح أن ينتقد الأوضاع القائمة وقيّم ويقوم أوضاع الناس المختلفة، فإن خطاب القرآن يأتي متابعاً ومقارناً للبيئة التي نزل فيها وللناس المخاطبين به، فكان متغيراً من حال إلى حال، بحسب الأوضاع الفكرية والاجتماعية ليكون خطابه في مكة مختلفاً عنه في المدينة، وخطابه للمشركين مختلفاً عن خطابه لأصحاب الكتاب، لغةً وأدوات خطابٍ ومقارباتٍ فكرية ووسائلٍ تعبيرية... وان كانت الفكرة واحدة وهي التوحيد والغاية أيضاً واحدة وهي التبعّد لله تعالى الواحد الأحد.

فالتغيير في أسلوب الخطاب القرآني ومضامينه، بتغيير البيئة الاجتماعية والناس المخاطبين به، لا يعني ابدأً تغيير الأهداف

(٧) الليثي، يحيى بن يحيى، موطأ الامام مالك، اعداد احمد راتب عرموش، ط ١٠، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٦٩١.



خلال ظاهرتين أساسيتين هما:

الأولى: تنزيل القرآن منجماً وتدرجياً:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [سورة البقرة: ۱۸۵] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة القدر: ۱].

والآيتان الكريمتان وغيرها من الآيات الكريمة، وكذلك الروايات تشير إلى أن القرآن نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وإن اختلفت الآراء في كيفية نزوله، ومن ثم كانت آياته تنزل متفرقة إلى الرسول الكريم في مدة استمرت نحو ثلاثة وعشرين عاماً<sup>(۱۰)</sup>.

فقد أخرج الحاكم والبيهقي أيضاً، والنسائي من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ

(۱۰) انظر اختلاف الآراء في كيفية انزال الوحي، السيوطي، المصدر السابق، ج ۱، ص ۱۳۸ فما بعدها.

وَأَحْسَنَ تَقْسِيمًا﴾ [سورة الفرقان: ۳۳] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَفٍ وَزَلَّاتُ نَزِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ۱۰۶].

وما نريده هنا أن هذا التنزيل التدريجي إنما كان بحسب حاجة الرسالة والمتغيرات في بيئة النزول والإشكاليات المطروحة في ساحة المخاطبين، فكان الوحي ينزل حيناً مبتدئاً بالوعظ والهداية، وأخرى مستجيباً لمتطلبات الموقف الذي يواجهه الرسول وتتطلبه مهام الرسالة، فيكون التغير في الخطاب تبعاً لتغير الواقع وموضوعاته.

فقد أخرج ابن أبي حاتم الرواية السابقة وجاء في آخرها: ((فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً))<sup>(۱۱)</sup>.

أي أن القرآن كان ينزل متفرقاً بحسب الحوادث الواقعة على الأرض: يبين للناس، مؤمنين وغيرهم، الموقف الإلهي منها، وينير للرسول الكريم ﷺ ولمن تبعه الطريق الذي عليهم اتباعه.

قال ابن شامة: "إن الحكمة الإلهية (۱۱) السيوطي، المصدر السابق، ص ۱۳۰.

ونقل السيوطي عن غيره: إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً، ومنه ما هو جواب لسؤال، وما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل، وقال: "وقد تقدم ذلك في قول ابن عباس: ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم" (١٤).

وقول ابن عباس، هو بيت القصيد، وهو الوحي الكريم، كان ينزل بما يناسب الحالة الفكرية والاجتماعية التي يعيشها الناس بما يصلح حالهم ويقربهم للإسلام. وقد يراد من التدرج في التنزيل مراعاة وضع الناس واليسر بهم في تكليفهم، إذ يتم تهيئتهم لقبول الأحكام بتفاصيلها، بتقوية عقيدتهم وترسيخ إيمانهم بالله تعالى، مما يخلق فيهم قوة الوازع والدافع للالتزام بالأمر الإلهي، حتى إذا استسلموا لأمر الله ونبيه، نزلت عليهم الأحكام التي تحرّم ما حرّم عليهم وتوجب ما وجب عليهم، فإن نزول القرآن مفرقاً وبالتدرج أدعى إلى قبوله لو نزل جملة واحدة، فإنه كان ينفر من

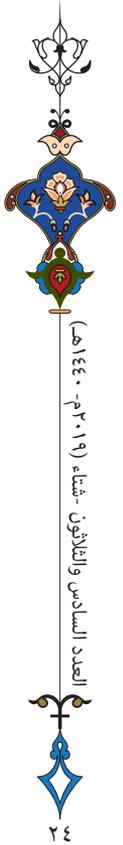
اقتضت وصوله إليهم منجماً<sup>(١٢)</sup> بحسب الوقائع فإن قيل: ما السرّ في نزوله منجماً؟. وهلاً نزل كسائر الكتب جملة؟. قلنا: هذا سؤال قد توّلى الله جوابه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [سورة الفرقان: ٣٢]

يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقاءه جبريل<sup>(١٣)</sup>.

(١٢) نجم الشيء: قسّطه اقساطاً، المعجم الوسيط: مادة النجم. والمراد ان القرآن نزل منجماً، أي نزل مفرقاً ولم ينزل إلى الناس دفعة واحدة.

(١٣) السيوطي، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(١٤) السيوطي، المصدر نفسه، ص ١٣٤.



قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي، فقد روى البخاري عن عائشة، قالت: إنما نزل أول ما نزل فيه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبداً<sup>(١٥)</sup>.

والرواية أعلاه تبين لنا المنهج في تبليغ الرسالة، وذلك بأن التكليف بالفروع، يترتب على رسوخ الاعتقاد والإيمان بالله تعالى وبرسالته واليوم الآخر، يبدأ أولاً مع الناس بالتربية الإيمانية ومن ثم آيات الأحكام، وقد ورد في القرآن الحث على العمل الصالح المترتب على الإيمان في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٧].

وكان التدرج في تشريع الأحكام ونزولها في القرآن شيئاً فشيئاً سنة إلهية، فقد ذكر أنه في ليلة الأسراء قبل الهجرة بسنة فرضت الصلاة، وفي السنة الأولى من الهجرة شرع الأذان والقتال -دفاعاً- كما شرعت أحكام من النكاح كالصداق، وفي السنة الثانية شرع الصوم وصلاة العيدين ونحر الأضاحي والزكاة، وحولت فيها القبلة وأحلت الغنائم للمجاهدين، وفي السنة الثالثة كان تشريع الموارث وأحكام الطلاق وشرع قصر الصلاة في السفر وفي الخوف، وفي السنة الرابعة شرعت عقوبة الزنا وأنزل الله أحكام اليتيم والقذف وفرض الحج<sup>(١٦)</sup>.

والمستخلص من ذلك أن القرآن نزل مفرقاً، آيات، أو آية، أو بعض آية، بما يتوافق مع حاجة الناس وأوضاعهم وما يبرز على الساحة من أسئلة وإشكالات كان يجيب عنها الوحي الكريم وينزل القرآن ليرفعها، وكان في التدرج حكمة

(١٦) الأشقر، د. عمر سليمان، المدخل إلى الشريعة والفقه، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار النفائس، عمان، ص ١١٥م.

(١٥) البخاري، فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم ٤٧٠٧.

الهيئة بالغة لتعليم المسلمين مبادئ الدين الحنيف بما يناسب طاقتهم واستيعابهم ويأخذ بأيديهم نحو الهداية والصلاح باليسر وعدم التكليف بما لا يطاق.

فكان التنزيل المتدرج والتنوع في أساليبه وموضوعاته أحد مظاهر التغيير في الخطاب القرآني، بلحاظ أوضاع المخاطبين به ومراعاة حالهم، مع الحفاظ على المبادئ التي بنى عليها الدين والقيم التي جاء من أجل إحياؤها.

والتنظيم في نزول القرآن يبين لنا المنهج التربوي القيم للإسلام كما يبين في نفس الوقت الحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي تنص بأعبائها.

فان الوحي الذي نزل خلال ثلاثة وعشرين عاماً سير النبي وأصحابه خطوة خطوة نحو الهدف وهو يحوطهم في كل لحظة بال العناية الالهية المناسبة، إذ

كان الوحي ينتزل بالدرس الضروري في المثابرة والصبر والإقدام والإخلاص، لأولئك الأبطال الحاملين للواء الإسلام، وما كان لديه أن يجد طريقه الى قلوبهم لو لم يكن نزوله تبعاً لأمثلة الحياة نفسها

والواقع المحيط بهم (١٧).

ويستفاد أيضاً من حكمة نزول القرآن متفرقاً، المنهج في تعليمه أيضاً، فلا يُحْمَلُ مُتَعَلِّمَهُ والطالب لعلومه، الآيات جملة، أو كثرة، بل يعلم شيئاً فشيئاً، تدريجياً، وبحسب قدرة الطالب وقوة استيعابه، وهو ما يستفاد من الروايات التي تعرضت لذلك، من أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة: خمس آيات وعشراً، وأكثر وأقل، وأحياناً نزول آية واحدة، أو آيتين، أو ثلاثة...

وقد صحَّ نزول العشر آيات في قصة الأفك جملة.

وصحَّ نزول عشر آيات من أول (المؤمنون) جملة.

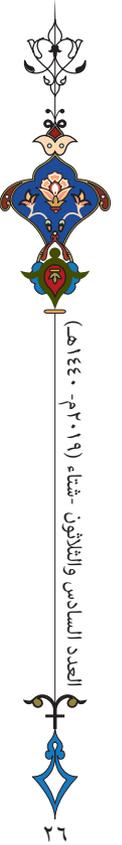
وصحَّ نزول غير أولي الضرر (النساء: ٩٥) وحدها وهي بعض آية.

وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ

عِيْلَةً...﴾ [سورة التوبة: ٢٨] الى آخر

الآية، نزلت بعد نزول أول آية... وذلك

(١٧) بن بني، مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط دار الفكر، دمشق،



بعض آية.

وهو نهج لم تسر عليه الكثير من كتب التربية الإسلامية التي عمدت إلى تكديس الآيات على الطالب، مع اختلاف هذه الآيات في شأن النزول ومناسباتها، مما يجعل أمر تعلّمها على الناشئة صعباً ويثقل كاهلهم.

وقد وردت روايات تدعو إلى تعليم القرآن، خمس آيات، خمس آيات، على أساس نزولها كذلك، منها ما أخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة، قال: كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالعادة وخمس آيات بالعشي، ويخبر أنّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات<sup>(١٨)</sup>.

والمتحصل من ذلك كله أن القرآن الكريم تدرّج في نزول آياته، مراعاةً لحال الناس الذين نزل عليهم وقدرتهم على الالتزام بأحكامه، ولغرض إعدادهم والتيسير عليهم من جهة، ومن جهة أخرى نزل متفرقاً بحسب الأحداث المعاصرة لنزوله والوقائع الجارية في مجتمع نزوله، فهو كالطبيب الذي يعالج مريضه بالدواء الذي يناسبه ويتدرج معه في العلاج من حال إلى حال، وبالتالي فإن المنهج القرآني يدعونا إلى التدرّج والتيسير وملاحظة حال الناس المخاطبين واستعدادهم لقبول التكليف، فلا يحملونها جملة ومرة واحدة.

وروى الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً<sup>(١٩)</sup>.

(١٨) السيوطي، المصدر السابق، ص، ١٣٧-١٣٨.

(١٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، ط ٤ دار الكتب العلمية بيروت،

الثانية: التغيير في الخطاب المكي

والمديني:

المخاطب بالوحي، والذي يشكل أحد مقومات الخطاب الأساسية، وبالتالي فإن الخطاب يتشكل وربما يتغير في أساليبه وحتى مدلولاته تبعاً للبيئة الاجتماعية التي يتعامل معها.

وبشكل عام فإن ما نزل من القرآن بالمدينة بحدود سبع وعشرين سورة بحسب رواية ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بسنده عن ابن عباس، قال: سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة؟ فقال: نزل بها سبع وعشرون - وقيل تسع وعشرون - سورة، وسائرهما بمكة<sup>(٢١)</sup>.

إن لدراسة المكي والمدني من الآيات وما يترتب على ذلك من موضوعات آثار مهمة على مستوى معرفة تاريخ التشريع، من حيث سنّ القوانين والاحكام وتدرجها، ولذلك أثر كبير في التفسير من حيث فهم الآيات على أساس زمان النزول، كما إن لذلك أهمية بالغة في

ط دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ -

٢٠٠٦م، ص ١٢٣.

(٢١) انظر للمزيد: السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥ - ٢٧.

ابتداءً نزول القرآن الكريم على الرسول الكريم ﷺ بمكة، ثم استمر نزول الوحي بعد هجرة الرسول حتى وفاته بالمدينة المنورة، فكان منه المكي والمدني.

فالمكي يراد به ما نزل على الرسول الكريم ﷺ قبل هجرته من المدينة. والمدني: ما نزل على الرسول الكريم ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

هذا التعريف عام وهو أدق من تعاريف أخرى فسرت المكي بما نزل بمكة، وإن كان بعد الهجرة، والمدني ما نزل بها، وما نزل غيرهما فهو ليس مكياً ولا مدنياً، لأن التعريف الأول يفصل بين مرحلتين للدعوة كانت لكل منهما خصائصها المكانية والزمانية، والاجتماعية، وتبعاً لذلك كان لها خطاب ديني متميز.

وهناك تصنيف ثالث يقوم على أساس أن ما وقع خطاباً لأهل مكة كان مكياً وما وقع خطاباً لأهل المدينة كان مدنياً<sup>(٢٠)</sup>، ويقوم هذا التصنيف على أساس

(٢٠) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: ابي الفضل الدمياطي،



فهم حكمة التشريع وسنة التدريج في التكليف، بالانتقال من الأصول الى الفروع ومن الأحكام الميسرة الى الأكثر كلفة، وهو أمر ترتب عليه معرفة السياسة العامة في التعامل مع الفرد والجماعة، مما له ميسر علاقة ببحثنا.

ومن آثار دراسة المكي والمدني أيضاً معرفة سيرة الرسول ﷺ في مكة والمدينة ومنهج في التعامل مع اصناف الناس من المؤمنين وغيرهم من الكافرين والمنافقين ومواقفه من الإحداث المختلفة مما جاء ذكرها في القرآن الكريم، وهو المنهج الرائد والأسوة الحسنة للمسلمين في العمل الاجتماعي والديني على مرّ الأزمان.

والأمر الآخر، من محاور بحثنا هو يتعلّق بما يسمى بيئة النص، أو بيئة الخطاب والتي تدخل في تشكيلها عوامل الزمان والمكان والثقافة وما يعتبر من مكونات الحضارة التي يحيا فيها الخطاب، إذ تتغير الأسئلة التي يثيرها الخطاب والاجابة عنها بتغير البيئة الاجتماعية<sup>(٢٢)</sup>.

فالخطاب جاء متفاعلاً مع مخاطب يعيش في بيئة معينة وله حاجاته واشكالياته وتطلعاته، ومهما كان الخطاب علوياً ومتسامياً إلاّ أنّه نزل الى الارض ليأخذ بيد الانسان نحو أهدافه، فكان لابد أن يقارب واقعه ويخاطبه بالأدوات المعرفية التي يتفاعل معه، لتحرك عقله وتثير عواطفه نحو الحق والخير ومكارم الأخلاق.

لذلك فأنا نستطيع من خلال معرفة بيئة الخطاب معرفة تناسب الافكار والتشريعات التي جاء بها الوحي الكريم من زاوية نظر اجتماعية، لتستوعب بذلك مناسبة بعض التشريعات للواقع الاجتماعي في مكة أو المدينة أو كلاهما، وكيف أن بعض الاحكام، كأحكام الرّق مثلاً، جاءت لمعالجة واقع قائم لا يمكن إلغاؤه مرة وجملة واحدة لأنه سيصطدم بجدار التكوين الاجتماعي والبناء الاقتصادي الحاكم آنذاك، فجاءت الاحكام متدرجة ومتوافقة مع الواقع،

منير، ط المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، (١٤١٨ - ١٩٩٧) ص٧ فما بعدها.

(٢٢) انظر مقدمة أ. د. طه جابر العلواني لكتاب: النص القرآني من الجملة الى العالم، د. وليد

ولكنها تنحو نحو معالجة جذوره وآثاره، وفعلاً نجحت ولو بعد حين في ازاحة ظاهرة الرق من الواقع الاسلامي.

وما يهمننا في هذا البحث هو التغير في لغة الخطاب ومناسبته للبيئة الاجتماعية والذهنية العامة للمخاطبين بالقرآن، وبالتالي معرفة أبعاد هذا التغير وإمكانية استعارته في خطاب المجتمعات المعاصرة تبعاً لثقافتها وأوضاعها الاجتماعية ومستواها المعرفي والجدل الفكري الذي تعيشه.

والملاحظ في الآيات المكية يجدها أنها تختلف في لغة الخطاب وأدواته المعرفية عن الآيات المدنية، تبعاً للاختلاف بين بيئة مكة الثقافية والاجتماعية البسيطة وبيئة المدينة المعقدة والمتطورة نسبياً.

وكان من المفيد هنا أن نطلع إجمالاً على أحوال مكة والمدينة قبل الاسلام والاضاع الفكرية والاجتماعية فيها، خصوصاً العقائد السائدة وماله من أثر في اختلاف الخطاب الموجه لكل منها.

### مكة:

بلد في وادٍ غير ذي زرع، تشرف عليها

جبال جرد فتزيد في قسوة مناخها، ليس بها ماء غير ماء زمزم، وهي بئر محفورة وآبار أخرى حفرها أصحاب البيوت، من غير ماء جارية ولا عيون غزيرة، لذلك لم تصلح أرض مكة لأن تكون أرضاً ذات نخيل وأعشاب وزرع وحب، فاضطر سكانها إلى شراء ما يحتاجون إليه من الأطراف والخارج وأن يكتفوا في حياتهم بالعيش مما يكسبونه من الحجاج وأن يضيفوا إلى ذلك تجارة تسعفهم وتغنيهم وتضمن لها معاشهم وأماناً وسلاماً يحفظ لهم حياتهم، فلا يطمع فيهم طامع ولا يُنْغص عيشهم مُنْغص: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٦].

وكان لموقعها الجغرافي دور في بقاء مكة وأهلها في عقدة تجتمع فيها القوافل التي ترد من المناطق العربية الجنوبية، إلى بلاد الشام وبالعكس، فكانت تستريح بمكة وتتزود فيها،... وهذا بدوره جعل أهل مكة يزاولون التجارة ويسيرون



القوافل باتجاه اليمن والشام، وكان لوجود البيت الحرام فضل كبير على مكة، إذ بفضلها قصده الناس للحج إليه من بلاد مختلفة إلى يومنا الحاضر (٢٣).

عند ظهور الاسلام، كانت قريش هي القبيلة التي تحكم مكة، وهي من القبائل العدنانية وقد اشتهرت بالتجارة، والسفر طلباً لها، وانعكس ذلك على طبيعة الحياة بمكة، لأن يميل أهلها الى العيش مسالمين حتى يأمن الحجاج والوافدون إليها.

وكانت قريش من أفصح العرب لساناً وقد شهد لهم العرب بفصاحة اللسان حتى أن الشعراء كانوا يعرضون عليهم شعرهم، وقد ذكر الثعالبي أن قريشاً صاروا: أدهى العرب وأعقل البرية وأحسن الناس بياناً، لاختلاطهم بغيرهم واختلاطهم بكثير من القبائل فأخذوا عن كل قوم شيئاً، ثم انهم كانوا تجاراً، ولأن التجار هم أصحاب التريب والتكسب والتنقيق والتدقيق، وكانوا

متشددين في دينهم حمساً، (فتركوا الغزو كراهة السبي واستحلال الأموال) الى غير ذلك من أمور جلبت لهم الشهرة والمكانة، وقد أشير ايضاً بصحة أجسامهم وبجمالهم حتى ضرب المثل بجمالهم فقيل: (جمال قريش) (٢٤).

وقد ذكرت لأهل مكة خصال حسنة تناسب مع ما حضوا به من مكانة تجارية، منها دفع الإساءة بالحسنة والشر بالصر والحلم والكلام السيئ البذيء بالكلام الحسن المقنع المخجل، فتغلب حلمهم على جهل الجاهلية وجاءت نجدتهم في نصره الغريب والذنب عن المظلوم والدفاع عن المستجير بهم (٢٥) ... إلا إن كل ذلك لم يمنع من سيطرة التعصب والكبر على أغلب زعمائهم وقد يستثنى من ذلك بنو هاشم، حتى وصفهم القرآن بالجاهلية.

قال تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

(٢٤) علي، د. جواد، المصدر السابق، ج ٤،

ص ١٦-١٧.

(٢٥) المصدر السابق: ص ١٦.

(٢٣) علي، د. جواد، الفصل في تاريخ العرب

قبل الاسلام، ط ١، أونداناش للطباعة،

ج ٤، ص ٥.

وفي القرآن آيات مباركات أشارت الى أوضاع مكة المعيشية وحالة الأمن التي يعيشونها والنعم التي أنعم الله بها عليهم مع التأكيد على مركزية البيت باعتباره النواة التي تشكلت مكة حوله ونمت وتباركت به.

يقول تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكْرًا ءَامِنًا وَبِئَحْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ءَأَفِيَائِلَ بَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ **لِيَلَيْفَ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾ [سورة قريش: ١ - ٤].

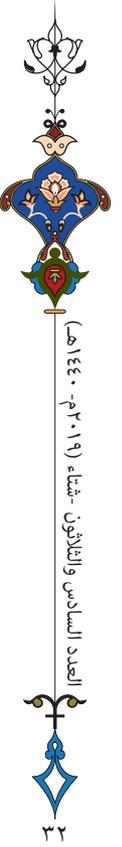
والإشارة الى أن أول بيت بني الله تعالى كان بمكة وفي ذلك دلالات رمزية ومعنوية: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة ال عمران: ٩٦].

وقد نقل أنه كان من عهد آدم إلا أنه خرب بطوفان نوح ومن ثم أعاد بناءه إبراهيم عليه السلام بعد هجرته اليها واستقرار

﴿ **وَأَرْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [سورة الفتح: ٢٦].

وقد تسمى حالة الكبر والفخر بالعبية، وعبية الجاهلية: نخوتها، وفي الحديث ((إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بابائها)) يعني الكبر<sup>(٢٦)</sup>. وهذه هي التي جعلتهم يعاندون ويرفضون دعوة الرسول الكريم ﷺ ويصرون على عقائدهم الموروثة: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا ءَأَوْلُو كَآءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

ومن عاداتهم السيئة قبل الإسلام، إهانتهم للمرأة واستحقارهم لها حتى أن منهم من كان يقتل الأنثى بعد ولادتها، قال تعالى ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ءَأَيْمَسُّكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ءَأَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ءَأَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [سورة النحل: ٥٨ - ٥٩].



ولده إسماعيل به ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ  
أَفْقَاعَهُ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا  
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة:  
١٢٧].

وهما اللذان شرعا المناسك والمشاعر  
من الطواف والسعي فيها.  
إلا أن ذلك كله لم يمنع ظهور الشرك  
فيها وانتشار الوثنية وعبادة الأصنام (٢٧).

### يشرب (المدينة):

كان ليثرب مكانة مهمة عند ظهور  
الإسلام، وفيها وفي أطرافها سكنت  
جاليات من اليهود، وهي من المواضع التي  
يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد، وقد قدم  
إليها الأوس والخزرج، ويذكر المؤرخون  
أن أصولهم ترجع إلى أزد قحطان من  
اليمن، وسرعان ما تقاسموا مع اليهود  
المدينة، الأوس في شعاب والخزرج في  
شعاب واليهود في شعاب.

وعرفت في الأخبار التاريخية القديمة  
قبل الإسلام بيشربة تارة كما في جغرافيا

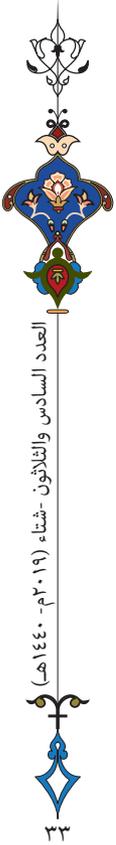
(٢٧) الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل  
والنحل، تحقيق ابراهيم شمس الدين، ط١،  
مؤسسة الإعلامي، بيروت، ١٤٢٧هـ -  
٢٠٠٦م، ص ٤٩٢.

بظلموس، وتارة أخرى ب (المدينة) ويدل  
ذلك على أنها كانت معروفة بصفقتها  
المدينة.

وجو يثرب المدينة على العموم خير  
من جو مكة فهو أطف وأفرح ولم يعان  
أهلها ما عاناه أهل مكة من قحط في الماء  
ومن شدة في الحصول عليه، فالماء متوفر  
بعض الشيء فيها وهو غير بعيد عن سطح  
الأرض ومن السهولة الحصول عليه بحفر  
آبار في البيوت، مع كثرتها في البساتين،  
ولهذا صار في امكان أهلها زرع النخيل  
وإنشاء البساتين والحدائق والتفسيح فيها  
والخروج إلى أطراف المدينة للنزهة، فأثر  
ذلك في طباع أهلها فجعلهم أئين عريكة  
وأشرح صدراً من أهل البيت الحرام (٢٨).

ورغم أن الأوس والخزرج أولاد عم،  
فالخزرج، وهو جدّ الخزرج، هو شقيق  
أوس، فيبينهم صلة رحم قريبة، إلا أنه  
وقعت حروب متعددة بين الطرفين، هلك  
فيها خلق كثير، وأكثر أسبابها ترجع الى  
العصبية القبلية، والأخذ بالثأر، ولأسباب  
تافهة.

(٢٨) علي، د. جواد، المصدر السابق، ص ٩٩.



ويظهر من روايات أهل الأخبار أن الأوس والخزرج لم يكونوا كأهل مكة من حيث الميل إلى الهدوء والاستقرار، بل كانوا أميل إلى حياة البداوة القائمة على الخصومة والتقاتل، وقد بقي الحيان يتخاصمان حتى جاء الرسول ﷺ إليهما، فأمرهما بالكف عنه ووجهها وجهه أخرى أنستهما الخصومة العنيفة التي كانت بينهما.

وكان أهل يثرب تجاراً يخرجون إلى أسواق الشام فيتجرون بها، وكذلك كان يهودها يتاجرون أيضاً<sup>(٢٩)</sup>.

ولعل الكثير من الخصومات، كانت ترجع إلى محاولة السيطرة على السلطة وبسط النفوذ، إضافة إلى استعارة روح العصبية المتوارثة فيهم رغم تحضرهم واستقرارهم، وقد كان المجتمع المدني قبل الإسلام، أكثر تطوراً وتنوعاً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، من حيث تعدد مصادر الدخل، كالزراعة والتجارة، ومن حيث تنوع البيئة الاجتماعية، لوجود قبائل الأوس والخزرج واليهود، فهي بيئة

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٤ - ١٠٥.

متعددة الأعراق والأديان. ولعل السبب في أن أهل المدينة كانوا أكثر حضرية من أهل مكة، يرجع إلى أصولهم اليمنية: إذ إن: "مجتمع اليمن... نجد فيه صفات المجتمع الحضري أكثر مما نراه في أي مجتمع حضري آخر في جزيرة العرب، مجتمع يختلف حتى (عربه) إلى بدوه، وهم الطبقة الثابتة من هذا المجتمع عن أعراب بقية جزيرة العرب"<sup>(٣٠)</sup>.

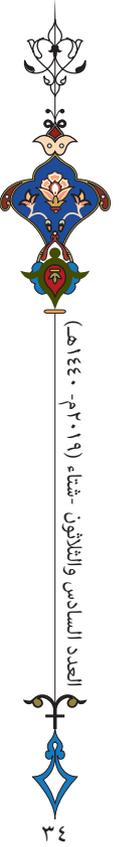
وعلى أي حال فقد بادر أهل يثرب لمساعدة الرسول ﷺ ومناصرتهم للمهاجرين، حتى عرفوا بـ (الأنصار) في الإسلام، وصاروا يفتخرون بهذه التسمية، حتى غلبت عليهم وصارت في منزلة النسب.

وسنجد لاختلاف السلوك المدني عن المكي واختلاف البيئة بينها آثاره في الخطاب القرآني، وتميز المكي منه عن المدني، كما سيأتي..

### أديان العرب وعقائدهم قبل الإسلام:

كانت مكة موئل البيت العتيق، وهو رمز التوحيد الذي وصفه رب العزة

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢١٠.



بقوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

بَبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة

ال عمران: ٩٦]، وكانت بذلك محط ومقصد الموحدين والعابدين، من لدن آدم وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، إلى يومنا الحاضر.

وكان العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب: كان منهم من آمن بالله وآمن بالتوحيد، وكان منهم من آمن بالله وتعبد الأصنام، إذ زعموا أنها تقر بهم إليه، وكان منهم من تعبد للأصنام معتقدين أنها تنفع وتضر، وكان منهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف ولم يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق، وكان منهم أيضاً من آمن بتحكم الالهة في الانسان في هذه الحياة وببطلان كل شيء بعد الموت، فلا حساب ولا نشر ولا كتاب، فلا يؤمنون بالقيامة ويوم الدين.

والأصل في العرب، كما يذهب الى ذلك أهل الأخبار، أنهم كانوا على دين واحد، هو دين إبراهيم، دين الحقيقة والتوحيد، إلا أنهم ضلّوا وانحرفوا وغوا

عبادة الأصنام<sup>(٣١)</sup>.

فظهر الشرك في جزيرة العرب، بل غلب عليها ونصبت الأصنام في بيت الله وقصدت وعبدت، وقد ذكر أن أول من وضع فيه الأصنام عمرو بن لحي بن غالوثه بن عامر، لما سار قومه الى مكة واستولى على أمر البيت، ثم صار الى مدينة البلقاء بالشام فرأى هناك قوماً يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى ونستشفى بها فنشفى، فأعجبه ذلك وطلب منهم صنماً من أصنامهم فدفعوا إليه "هبل" فسار به الى مكة ووضعها في الكعبة، وكان معه أساف ونائلة على شكل زوجين فدعا الناس الى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل الى الله تعالى، وكان ذلك في أول ملك شابور ذي الأكتاف الى أن ظهر الله تعالى الإسلام فأخرجت وأبطلت<sup>(٣٢)</sup>.

وكانت قبل الاسلام قد كثرت

(٣١) علي، د. جواد، المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٨.

(٣٢) الشهرستاني، المصدر السابق، ص ٤٩٢.

وانتشرت، فقد روى الأزرقى بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال دخل رسول ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطحنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وما يبدئ الباطل وما يعيد (٣٣).

وقد صنف الشهرستاني العرب من حيث أوضاعهم وعقائدهم إلى أصناف شتى فمنهم معطلة، ومنهم محصلة نوع تحصيل.

وذكر من الأصناف معطلة العرب وأراد بهم غير المتعلمين وغير المثقفين من أنكروا الخالق والبعث والإعادة ومالوا بالطابع المحيي والدهر المنفي، وهم الذين أخبر القرآن المجيد عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤].

وصنف منهم أقرّوا بالخالق وابتداء

(٣٣) الأزرقى محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: د. علي عمر، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الجزء الأول، ص ٩١.

الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَوَسَّى خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس: ٧٨].

وصنف منهم أقرّ بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وتعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر وأحلّوا وحرّموا، وهم الدهماء - عامة الناس وسوادهم - من العرب، إلا شردمة منهم، وهم الذين أخبر عنهم التنزيل: ﴿ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٧] إلى قوله: ﴿ ... إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رِجَالًا مَسْحُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٨].

وكانت شبهات العرب تتركز على شبهتين، أحدهما: إنكار البعث، بعث الأجسام، والثانية: إنكار البعث، بعث الرسل.

ومن العرب من كان يميل إلى



اليهودية، ومنهم مَنْ كان يميل إلى النصرانية، ومنهم من كان يصبوا إلى الصابئة.. ومنهم من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم أنهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٣٤)</sup>.

أما المحصلة، وأراد بهم الشهرستاني، المثقفين والمتعلمين منهم، وكانوا أصحاب علوم، وذكر ثلاثة أنواع منها، هي علم الأنساب والتواريخ والأديان، يروونه نوعاً شريفاً، خصوصاً معرفة أنساب أجداد النبي ﷺ... والثاني: علم الرؤيا والثالث علم الأنواء..

وقد كان في العرب -المحصلة -: من يؤمن بالله واليوم الآخر و ينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع...

ومنهم مَنْ كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر وحقيقة الدين الحنيفي و ينتظر المقدم النبوي: كزَيد بن عمرو بن نفيل، كان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول: أيها الناس هلموا إليّ فإنه لم يبق على دين

(٣٤) الشهرستاني، المصدر السابق، ص ٤٩٥-

إبراهيم أحد غيري، وسمع أمية بن أبي الصلت يوماً ينشد:

كل دين يوم القيامة عند الله

إلا دين الحنيفة زورٌ

فقال له: صدقت...<sup>(٣٥)</sup>.

وكان سيد بني هاشم، عبد المطلب، جدّ النبي ﷺ متميزاً بالنور الذي يحمله في صلبه -نور النبي -والبركة التي خُصَّ بها ذلك، حتى دفع الله به شرَّ أبرهة: ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّرًا أَبَابِيلَ﴾ [سورة الفيل: ٣].

وأهمه النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده، وبه افتخر النبي ﷺ حين قال: انا ابن الذبيحين، وأراد بالذبح الأول: اسماعيل عليه السلام، والثاني: عبد الله بن عبد المطلب.

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيا الأمور... وكان يقول في وصاياهم: "انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة" إلى أن هلك رجل ظلوم حتف

(٣٥) الشهرستاني، المصدر نفسه، ص ٥٠١.

المطر (٣٧).  
ولكن العرب رغم وجود بعض الأحناف وبعض أصحاب الديانات السماوية، إلا أن الوضع الديني، كان يغلب عليه المشركون وعبدة الأوثان، حتى بعث الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ لينهي عهد الجاهلية ويبدأ عهد الإسلام، وليجتمع الناس على عبادة الله الواحد دون سواه.

وإنما فصلنا القول في أوضاع العرب واعتقاداتهم قبل الإسلام ليعلم منه الحال الذي كانوا عليه أو ان نزول الوحي الشريف، وحالات الانحراف العقائدية والاجتماعية التي قاربها وعالجها الخطاب القرآني، فهو لم ينزل إلى فراغ ولم يكن خطابه عاماً مجملاً، بل نزل من عند الحق تعالى مفصلاً ومبيناً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم سبل الرشاد.

(٣٧) علي، د. جواد، المصدر السابق، ٤٩٠، ص ٥٧، نقلاً عن السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٤ وما بعدها.

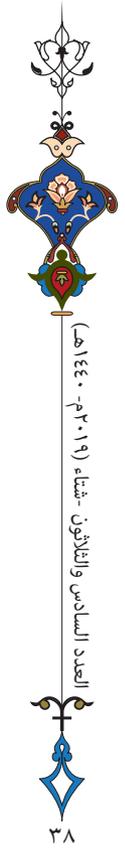
أنفه لم تصبه عقوبة، فقبل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال "والله إن وراء هذه الدار داراً يُجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته".

وأورد الشهرستاني أدلة على إثبات عبد المطلب للمبدأ والمعاد ومعرفة بحال الرسالة وشرف النبوة (٣٦).

وكان عبد المطلب مفرغ قريش في النوائب وملجأهم في الأمور ومن حلماء قريش وحكائها، ومن حرم الخمر على نفسه، وهو أول من تحنث بغار حراء، والتحنث والتعبد في الليالي ذات العدد، وكان اذا دخل شهر رمضان، صعده وأطعم المساكين، وكان صعوده للتخلي من الناس ليتفكر في جلاله الله وعظمته. وروي: أنه وضع سنناً جاء القران بأكثرها وجاءت السنة بها، منها: الوفاء بالندر، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان...

ويذكرون إن قريشاً كانت إذا ما أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب، فتخرج به إلى جبل ثبير، تستسقي

(٣٦) الشهرستاني، المصدر السابق، ص ٤٩٩.



## اختلاف الخطاب القرآني

### بين المكي والمدني:

اختلف الخطاب القرآني المكي عن المدني في الشكل والمضمون، سواءً من ناحية لغة الخطاب وأدبياته وأساليب بيانه وأشكال الجدل والحوار أو من جانب الموضوعات التي ركز عليها كل منهما والحقول الفردية والاجتماعية التي تم تناولها.

ولم يكن الاختلاف بين الآيات التي نزلت بمكة عن اخواتها النازلات بالمدينة اختلافاً مبدئياً وأصولياً، فهي نزلت من معين واحد، والقرآن الكريم يتحدث عن نفسه من دون تفريق بين ذي وتلك، وإنما الكلام في اختلاف المخاطب والموضوع الذي يترتب عليه تغير أساليب الخطاب وتنوعه، رغم أن المرسل والمخاطب نفسه، والرسالة نفسها، يقول تعالى:

﴿الرَّكَابُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّي حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [سورة هود: 1].

كانت مكة، كما أسلفنا، تعيش الشرك والانحراف عن جادة التوحيد، وكان الرسول ﷺ وقد نزل عليه الوحي يعيش

الغربة عن عالم الجاهلية البعيد بأخلاقه وعاداته عن خلق الرسالة ومنهجها السامي، لذا انطلق ينطق بالوحي الكريم داعياً الى الله ومبلغاً لرسالاته، صادقاً وصادعاً بآياته المشركين وطغاة قريش، ليزلزل الفكر البالي الموروث ويحرك الأجواء نحو الايمان بالله تعالى ونفي الشرك والجهروت...

فهو كان يؤسس لهذا الدين على أنقاض ما يهدم من فكر الجاهلين، وكان لا بد له من بيان أسس دعوته وقواعد رسالته، وأن يدعو الى مكارم الأخلاق واحترام كرامة الانسان المهدورة في ذلك العالم المكي الذي تشوه باستعباد الناس وتحقير الفقراء ووأد البنات وغيرها من السلوكيات الذميمة، كان لا بد أن يذكرهم بما جرى على الأمم من قبلهم والعبر في قصصهم في نفس الوقت الذي يذكرهم بنعم الله عليهم من العيش الرغيد في البلد الأمين، في وقت افتقد الناس من حولهم الى الأمن والامان، ومن ثم أن يثبت الصبر والصمود في الفئة القليلة التي آمنت برسالته وحملت

والميزان، والفساد في الارض، والزنى، والقتل، والوآد، وغير ذلك مما كان شائعاً في دين الجاهلية.

فكانت الأصول الكلية في النزول والتشريع هي السائدة في الآيات المكية، فيما كانت الآيات المشرعات والمبيّنة لتفاصيل والجزئيات قليلة.

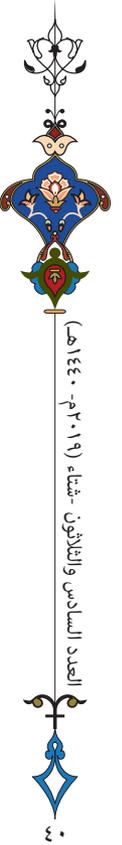
أما في المدينة فقد دخلت الدعوة النبوية مرحلة جديدة، كثر فيها الانصار الذين آووا المهاجرين ونصروا الدعوة ليشكلوا معاً مجتمعاً اسلامياً فتياً اجتمعت عناصر القوة والمنعة فيه، فنزلت التشريعات تترى لتثبت أركان هذا المجتمع الاسلامي الوليد والجديد، وما يتطلبه من أحكام تفصيلية تخص بناءه الذاتي والداخلي، فالمؤمنون آمنوا وقد آن لهم أن يتعلموا علوم الشريعة ويتقدموا بمزيد من الالتزام بالعبادات الفردية والاجتماعية.

ومن جهة أخرى فان تحديات مجتمع المسلمين في المدينة توسعت باتجاه عدّة جهات داخلية وخارجية شكل المنافقون ممن أظهروا الإيمان وضمروا الكفر

مشعل دعوته والتي جوبت بأقسى أنواع الاضطهاد على يد طغاة قريش وزبائيتها: إنها مرحلة التأسيس والتشييد لمعالم الدين الجديد والصمود بوجه أعاصير النكران وقوى الاستكبار التي واجهها.

ومن هنا كان ما ميز الآيات النازلة على النبي ﷺ في مكة كونها: اكدت على الاحكام الكلية والقواعد الاصلية في الدين غالباً، من الإيمان بالله تعالى ورسوله واليوم الآخر، وما يتبع ذلك من الاصول العامة، كالصلاة وانفاق المال والنهي عن كل كفر أو تابع للكفر، كمظاهر الشرك والعبادة الزائفة او ما حرّموه على أنفسهم أو أوجبوه من غير أصل مما يخدم أصل عبادة غير الله.

ومن ثم جاء في الآيات المكية الأمر بمكارم الاخلاق كلها، كالعدل، والاحسان، والوفاء بالعهد، وأخذ العفو، والأعراض عن الجاهل، والدفع بالتي هي احسن، والخوف من الله وحده، والصبر والشكر، ونحوها، والتنحي عن مساوى الأخلاق من الفحشاء والمنكر، والبغي، والقول بغير علم، والتطفيف بالمكيال



وهجمات المشركين في مكة ومؤامرات اليهود في المدينة وحوّلها لزرع الفتنة فيها.. جهات معادية متعددة، فكان لا بد من مواجهتها بالدفاع عن النفس وجهاد الأعداء الذي أسست وشرعت آيات القرآن المدنية له.

وهكذا عندما خرج الرسول الى المدينة واتسعت خطة الاسلام كملت هناك الأصول على تدريب دون اغفال ما نزل بمكة من أصول والتذكير بها والتأكيد عليها كإصلاح ذات البين، والوفاء بالعقود، وتحريم المسكرات، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور الضرورية وما يكملها ويحسنها، ورفع الحرج بالتخفيفات والرخص، وما أشبه ذلك، مما نزل تكميلاً للأصول الكلية، وبما يقويها ويحكمها ويحصنها<sup>(٣٨)</sup>، وهذا المجمل العام سنفصله فيما يلي من بيانات وملاحظات:

١. غالب الخطاب المكي يتوجه الى عامة

(٣٨) الشاطبي، ابو اسحاق، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، ط المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ج ٣، ص ٦٨-٦٩.

الناس، إذ إن أهل مكة كان أكثرهم غير مؤمنين، والمؤمنون قلة، لذا كان الخطاب المكي يردد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أو (يَا بَنِي آدَمَ)، أما الخطاب المدني، وبعد أن كثر المؤمنون في المدينة المنورة وكونوا مجتمعاً ثم دولة لهم، فإن غالب الخطاب المدني يتوجه لهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

ولا يعني ذلك عدم ورود (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) في المدني و (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) في المكي، وإنما هو في الأكثر وليس بعام، فقد أتفق على أن سورة النساء مدنية وأولها: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وعلى أن سورة الحج مكية وفيها: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج: ٧٧].

ولما لم يكن في مكة من أهل الكتاب، وإنما كانوا بالمدينة، فإن السور التي وقع فيها الخطاب لأهل الكتاب نزلت بالمدينة، دون مكة.

٢. ونزل بمكة ذكر الأمم والقرون - لدراسة أخبارهم والاعتبار بها،

المدينة ذكر الحدود والفرائض، ويراد بها أحكام الميراث (٣٩).

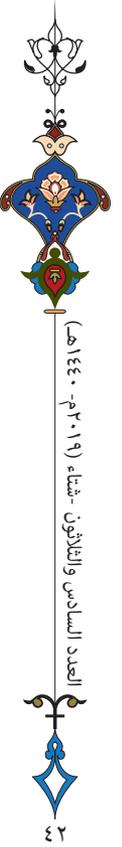
٣. ولما كان المجتمع المدني، مجتمعاً اسلامياً في ظاهره وغالبه، فقد ظهرت في المدينة ظاهرة المنافقين وهم الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، وكان لهم دور خبيث وخطير، أثروا سلباً على كثير من الحوادث، لذا تعرض القرآن لهم في سورة (المنافقون) وفي سورة التوبة بآيات مفصلة تفضح المنافقين وتبرأ منهم، وفي سور مدنية أخرى متفرقة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْلِبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

قال مكّي: كل سورة فيها ذكر

وفيها أخبار الأنبياء وقصص ملهم وما جرى على الطغاة، والجبابرة، والكافرين من الهلاك والعذاب، وبيان سنن الله تعالى في خلقه، والمكذبين ونجاة المؤمنين، إذ إن الغالب على أهل مكة هو الشرك وعبادة الاصنام ونكران البعث والنشور والطغيان، فكان لابد من دعوتهم الى توحيد الله ونفي الشرك عنه وتذكيرهم بما حلّ بالأمم السابقة لظغيانهم من العذاب، حتى يستكينوا ويستجيبيوا لنداء الله واتباع رسوله..

أما في المدينة فإن من الطبيعي أن الأمر بالتكاليف الشرعية، الفردية والاجتماعية، يأتي بعد رسوخ الايمان وعقد الفرد والجماعة، على الالتزام بالفروض المترتبة على الاسلام، لذا نزلت أكثر أحكام الفرائض والسنن بالمدينة.

وقد سنت في المدينة أغلب التشريعات- عدا الصلاة - مثل الصوم وفريضة الحج وتحريم الخمر وتحريم الربا أو التشريعات الاجتماعية كأحكام الجهاد، وكذلك كان في السور



(٣٩) اسماعيل، أد. محمد بكر، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ط ١ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٥٩٠.

المنافقين فمدنية<sup>(٤٠)</sup>.

٤. ولم يقتصر الاختلاف - كما سبق - في المضمون ومحتوى الخطاب وكذلك المخاطبين به: كفاراً أو مشركين، أو أهل كتاب، أو مؤمنين، وإنما سرى الاختلاف إلى شكل الخطاب وأدواته اللغوية، فقد نقل السيوطي عن العريني رحمه الله:

"وما نزلت كلاًّ يبشر فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى.

وقال: وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود، لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم"<sup>(٤١)</sup>.

والواقع أن نظرة كلية إلى السور القرآنية المكية وإلى الأخرى المدنية تعطينا فروقاً أساسية أخرى في التعبير اللغوي، فالسور المكية يغلب عليها قصر الآيات

(٤٠) انظر: السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢ - ٥٣، وقد نقلنا الأقوال المذكورة عنه.

(٤١) السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤.

وصغر السور وكثرة السجع وقوة الأسلوب وشدة الخطاب - بما يناسب حال أهل مكة ولغتهم وما عرفت به قريش من الفصاحة وحسن البيان، فكان يناسبهم الإيجاز دون الإسهاب والإطناب.

أما السور المدنية، فيغلب عليها لين الأسلوب وسهولة الخطاب وطول الآيات وعمق الجدل وسعة الاحتجاج، وهي لغة المجتمعات المدنية التي تميل إلى البساطة في الأسلوب والتفصيل في الموضوعات، بما يتناسب مع وضعها المعرفي، فكان يناسبهم الشرح والايضاح، وذلك يتتبع كثيراً من البسط والإسهاب.. لأن "دستور البلاغة لا يقوم إلا على رعاية مقتضيات الأحوال"<sup>(٤٢)</sup>.

وقد تحدث الجاحظ في رسائله عن أثر المحيط في تكوين اللغة، كالاختلاف بين المكي والمدني وغيره<sup>(٤٣)</sup>.

(٤٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٩١.

(٤٣) علي، د. جواد، المصدر السابق، ص ٥٢٥.

٥. لسنة الرسول الكريم ﷺ وما جاء في القرآن من مواقف وأحكام. ولذا نجد في القرآن آيات مكية تؤكد على عقيدة التوحيد و الايمان بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، ومحاججة المشركين وردّ شبهاتهم ودعوتهم إلى الاسلام وإرساء أسس بناء شخصية المسلم من حيث صبره وصموده في وجه تحديات وعقبات المجتمع الجاهلي الذي واجه المؤمنين بأقسى أنواع الأذى الفردي والجماعي، كما أكدت الآيات القرآنية على التزام المسلم الرسالي وسلوكه الأخلاقي الرفيع والتعامل مع الاخرين بالعفو والصفح، وبالتالي إعداد الإنسان المسلم كلبنة أساسية في بناء المجتمع المسلم. أما في المدينة فإنّ المسلمين عاشوا تجربة أخرى ليكونوا من جهة ضمن مجتمع متعدد الأديان ولأتباعها أفكارهم وحججهم ومشكلاتهم وتقاطعاتهم، إضافة الى نقاط اتفاقهم وكلمتهم المشتركة مع المسلمين، فكان لابد من الحوار العقائدي والجدل الفكري مع الاخر ومحاولة الوصول الى كلمة سواء معهم،

و الفارق الأهم بين المكي والمدني، هو أن الخطاب المكي تغلب عليه الشؤون الفردية، عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً، لأنّ المسلمين كانوا قلائل ويعيشون أفراداً ضمن مجتمع جاهلي، أما الخطاب المدني فقد جاء والمسلمون قد تشكلوا كمجتمع، بل دولة، ولهذا المجتمع أعرافه وتقاليده ومفاهيمه ومعاملاته التي ينبغي أن تبنى على أساس الدين الجديد وأحكامه.. كما إنّ لهذه الدولة شؤونها ومناسبتها في الحرب والسلام و الموثيق والعهود مما يتطلبه فقه دولة وأحكام علاقات وقيم سياسية، وجاء القرآن ليُنظّر هذه الأوضاع الجديدة ويرسم لها حدوداً ويعطيها أفقاً جديداً في الأخلاق والقيم قد تلتقي هنا وتختلف هناك مع القيم والمعايير السائدة، وهذه الأحكام الاجتماعية قد تبدو وكأنها متغيرةً ومتحولة تبعاً لتغيّر وتحرك الأوضاع الاجتماعية السائدة فتكون فيها مساحةً مفتوحة لأولى الأمر ليتخذوا القرار المناسب فيها تأسياً

والتعايش السلمي ضمن مجتمع متعدد الأديان والأعراق.

وهناك من جهة أخرى الجماعة المسلمة التي انفتحت على الناس فدخل فيها كثيرون، منهم المؤمنون ومنهم المنافقون، وتخوض هذه الجماعة صراع الوجود مع كثرة ما يحاك ضدها من مؤامرات وحروب من قريش وحلفائها ومن يتآمر معهم من مجتمع المدينة، بذلك بحاجة ماسة الى فكر الجهاد للدفاع عن نفسها و الحفاظ على تجربتها الفتية، التي كانت بين حدين البقاء أو الفناء.

من هنا غلب على المكي الفكر الفردي، العقائدي، والأخلاقي، وغلب على المدنية الفكر الاجتماعي والسياسي وفقه الدولة وأحكام الجهاد.

### المستشرقون ومسألة المكي والمدني:-

أخذ موضوع المكي والمدني حيزاً كبيراً من الاهتمام لدى المستشرقين الذين درسوا القرآن والسيرة النبوية، وكان جلّ اهتمامهم هو في العلاقة بين النص وتاريخ نزوله والواقع الاجتماعي الذي نزل فيه، والذي قد يسمى بيئة النص.

وقد لقي هذا البحث اهتماماً كبيراً من لدى المستشرق الألماني نولدكة والذي تحدث بتفصيل عن خصائص المكي والمدني وعلاقتها بتاريخ الدعوة النبوية<sup>(٤٤)</sup>، ومن ثم تبعه مستشرقون بارزون آخرون اقتفى معظمهم أثره، وزاد بعضهم عليه أو غير، إلا أن نظرياته بقيت هي الأساس الذي بنوا عليه، فكان من أبرز هؤلاء المستشرق فارل بروكلمان، والمستشرق الانكليزي مونتجمري واط، وكانوا سيل، ومن ثم المستشرق البارز كولد زيهير وغيرهم<sup>(٤٥)</sup>.

تقوم نظرية نولدكة على قبول التقسيم المكي والمدني والتمايز بينهما في الأساليب اللغوية والمضامين تبعاً للتغير في المحيط وبيئة النزول ولكنه يتميز عن سبقه ولحقه من الباحثين المسلمين وغيرهم بأمرين:

الأول: تقسيم العهد المكي الى ثلاث

(٤٤) نولدكة، ثيودور، تاريخ القرآن، ترجمة وتحقيق: جورج تامر، ط١، مؤسسة كونراد، بيروت ٢٠٠٤م، ص ٥٣-٢١٠.  
(٤٥) انظر: النصر اوي، د. عادل عباس، إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين، ط، الرافدين، ٢٠١٦م، ص ١٥٢ وما بعدها.

الامر الثاني: هو محاولة نولدكه اقتراح اعادة ترتيب زمني للسور القرآنية يختلف عن الترتيب المتوارث لدى المسلمين وذلك بالاعتماد على تحليل نصي - تاريخي، وهو ما اعتمده ايضاً في دراسته للسور المكية بفتراتها الثلاث والمدنية (٤٦).  
والواقع الذي لا بد من تقريره أن نولدكه وبالرغم من الملاحظات على بعض استنتاجاته هنا وهناك، إلا أنه كان مبدعاً في التحليل النصي - التاريخي، الذي حاول أن يحلل ويقارب النص، من خلال الوقائع والأحداث التي رافقت ظهوره، وبالتالي يدرس التفاعل المتقابل بين النص وبيئته، وهو أمر علمي ومنهج يستحق التوقف عنده بالدراسة والتأمل والفحص والتدقيق، وينبغي أن لا تتأثر دراستنا تلك بما قد يفهم من نولدكه وغيره على بشريسة الوحي (٤٧)، فتلك مسألة أخرى، لا يمكن أن نتوقع خلافها

(٤٦) انظر: نولدكه، المصدر السابق، ص ٦١ - ٢١٠.

(٤٧) انظر ما اخذ به على نولدكه وغيره هذا المآخذ: النصراوي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

فترات، تحمل كل منها خصائص متميزة عن غيرها، مع تأكيد على اختلاف اسلوب الخطاب المكي خصوصاً في جانب اللغة ومفردات الخطاب بين فترة وأخرى إذ تميزت الفترة الاولى بقوة الحماس الذي يحرك النبي و النبوة الخطابية التي تحتفظ بلونها الشعري الكامل، والآيات القصيرة التي تحمل تعاليم بسيطة وهادئة لكنها زاخرة بالقوة وذات تحريك ايقاعي وجرس عفوي جميل...

أما سور الفترة الثانية، فليس لها طابع مشترك فبعضها يشبه سوره الفترة الأولى وبعضها يشبه سور الفترة الثالثة، ولكن يلاحظ عليها الانتقال من الحماس العظيم الى قدر أكبر من السكينة في السور المتأخرة التي يغلب عليها الطابع الثري، مع استشهادات قرآنية بواسطة أمثلة كثيرة مأخوذة من الطبيعة والتاريخ...

أما الفترة الثالثة، فإن اللغة تصبح فيها: مطبنة، واهية (!!)، نثرية، مع تكرار لا نهاية له وترديد للكلمات... مع طول للآيات، واختفاء للقلاب الشعري، مع كثرة الخطاب: (يا أيها الناس).

من باحث غير مسلم، فلنا أن ندرس منهجه وإبداعاته العلمية، وله عقيدته وأفكاره التي لا تناسب أفكارنا.

نعم، يؤخذ على المستشرقين قولهم بتغير شخص النبي ﷺ في المدينة عما كان عليه في مكة، وبالتالي التغير في النص القرآني، المكي عن المدني، في الجوهر والمبادئ التي تحكمه، كما ذهب إلى ذلك جولد تسيهر والذي يرى أن خطاب الرسول ﷺ قد تغير بعد هجرته إلى المدينة، فيرى أنه في الوقت الذي كان محمد وقرآنه في مكة يدعو إلى التقوى والزهد والتذكير بالدار الآخرة فإنه في المدينة حمل طابع الوطن الجديد ليكون مجاهداً وغازياً ورجل دولة ومنظم جماعة جديدة... ويرى أن العصر المدني أدخل تعديلات جوهرية في الفكرة التي كونها محمد عن طابعه الخاص إذ كان في مكة نبياً يتم برسالته سلسلة رسل التوراة ويقوم بإنذار أمثاله في الإنسانية وإنقاذهم من الضلال... أما في المدينة فقد تغيرت مقاصده وظروفه الخارجية واتجهت اتجاهات آخر بحكم الظروف

الخارجية.. (٤٨).

ويستمر جولد تسيهر في التأكيد على أن صورة النبي وسيرته قد تحولت بعد هجرته من مكة مستشهداً بآيات القرآن التي تدعو إلى الاعراض عن المشركين (الحجر: ٤٠) والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (النمل: ٢٥) إلى الآيات المدنية التي تدعو إلى قتال المشركين (التوبة: ٥) و (البقرة: ٢٤٤) ليصفه بأنه "نبي القتال والحرب" ..

أما السير أرنولد، فإنه ينقل عن الكتاب الأوربيين تأكيدهم أن النبي سلك مسلكاً جديداً عام الهجرة منذ هجرته إلى المدينة ومنذ أن تغيرت ظروف حياته هناك، فلم يعد البشير النذير المرسل إلى الناس الذين كانوا قد أقنعهم بالحق بصدق الدين الذي أوحى إليه، وإنما ظهر الآن أقرب إلى أن يكون متعصباً مندفعاً يستغل كل ما في سلطته من قوة ومهارة

(٤٨) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: د. محمد يوسف موسى وآخرون، ط، دار الكتب الحديثة بمصر، ص ١٦- ١٧.

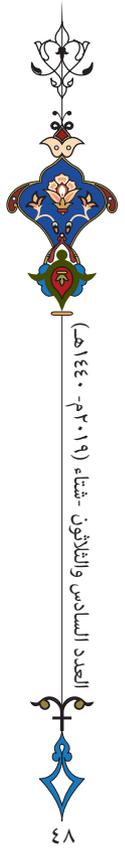
سياسية في فرض نفسه وفرض آرائه (٤٩).

هذه الصورة المتغيرة عن النبي ﷺ في المدينة عن مكة، وتبعاً لذلك تغير لهجة الآيات القرآنية من الصفح والسلم الى الحرب والقتال تكاد تجدها عند الكثير من المستشرقين الذين لم يتعرضوا - بقصد أو بغير قصد- إلى تأثير تغير ظروف وأحوال الدعوة المحمدية من الحالة الفردية التي يحملها أفراد قلائل يتعرضون للاضطهاد والأذى دون أن يملكوا فرصة الدفاع عن أنفسهم إلى حالة مجتمع ودولة تتعرض لأقسى أنواع الحرب والمهجوم من أعدائها الذين يريدون تناوشها من كل جانب لقتل المسلمين وإبادة مجتمعهم فلا يملكوا إلا خيار الدفاع عن النفس والقتال المشروع لصد العدوان: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠].

ولكن ذلك الجهاد والقتال لم يغير شيئاً من أخلاقية النبي ﷺ السامية ولا من منهجه في التعامل مع الآخرين، كما لم تختلف آيات القرآن في المدينة في خطها الرسالي عما كانت عليه في مكة، فإن الأمر بالعتو والصفح تكرر في المدينة - كما جاء في مكة - فنقرأ في السور المدنية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩].

وقوله عن اليهود: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].. وقد وردت مفردة "الصفح" ومشتقاتها ثمانية مرات في القرآن كانت منها أربعة في السور المكية وأربعة في السور المدنية، أما مفردة "العتو" ومشتقاتها فقد وردت في القرآن خمساً وثلاثين مرة، وقد تكررت ثلاثون منها في السور المدنية. أما منهج النبي الكريم فهو نفسه،

(٤٩) الدعوة الى الاسلام، ص ٥٣، انظر: النشمي، د. عجيل جاسم، المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي، ط ١. المجلس الاعلى للثقافة والفنون والادب، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص ٥٥.



أيضاً، ويمكن معرفة ذلك من دراسة سيرته بعد هجرته من مكة، ولعل من ابرز الشواهد هو نداءه يوم فتح مكة وغلبة المسلمين على مشركيها الذين آذوا المسلمين وأوغلوا في دمائهم وأموالهم، ولكن النبي عفا عنهم وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، وقد رفع نداءه فيهم: (اليوم يوم الرحمة)<sup>(٥٠)</sup> من دون أي روح للثأر أو الانتقام، فكانت أخلاق الرسالة ذاتها فرداً وجماعة، وإن اختلفت ظواهر المواقف باختلاف الساحات والميادين ومتطلباتها: سلماً وحرباً، مما تفرضه الأحداث على أية جماعة تتعرض للإبادة وأية دولة تتعرض لمخاطر الأعداء.

تعلق الآيات بوقائع لا يعني محدودية المعاني:

بقي أمر وهو أن تعلق آية أو آيات من القرآن الكريم بوقائع أو أشخاص في زمان أو مكان معينين لا يعني بحال محدود محدودية معاني الآيات وتعلقها بالماضي،

(٥٠) البخاري، محمد بن سماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، ط دار ابن كثير، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣، ص ٥٩٧.

لأن تلك الوقائع وإن كانت تدخل في تفسير معنى هذه الآيات وفهم معانيها فهماً اجتماعياً للنص، ولكن يبقى التأويل وما وراء المعنى، من معانٍ ومفاهيم ذات بعد مطلق ورسالة خالدة تعلق على الزمان والمكان، فإذا قرأنا في القرآن: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمِيمٍ﴾ [سورة المسد: ١ - ٥].

فإن معرفة أبي لهب وامراته وسلوكهما العدواني تجاه الرسول والرسالة رغم قرابتهما منه، وما كان يكيدان ويمكران وما يحملان من أحقاد واضغان... كل ذلك يساعد في فهم أجواء النص والمعنى المراد منه ووقائع الحدث، كما يقولون، ولكن ما وراء هذا المعنى والمفهوم الذي يحمله، أي تأويله، يبقى خالداً وعماماً، لأنه ليس المراد هنا ذم أبي لهب، وهو عم الرسول ﷺ لجانبه الشخصي الفردي، ولكن المراد منه ذم سلوك الأشخاص الذين يعادون الحق وأهله، وذهاب جهودهم سدىً، وأن ما يملكون من



## المتغير الاجتماعي في الخطاب القرآني ..... (الصَّبَاح)

المجتمع ومدى استعداده للتغيير، فلا يتجاوز التكليف حدود الطاقة ومجال الإمكان.

واختلف القرآن في لغة خطابه ومضامين أحاديثه من مجتمع لآخر، لأنه جاء لهداية هذه المجتمعات وعلاج أمراضها الاجتماعية، فلم يكن نداء السماء غريباً ولا بعيداً عن الناس، بل كان يقترب منهم في الأساليب ولغة الخطاب، محاولاً إسعافهم وانقاذهم، من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور.

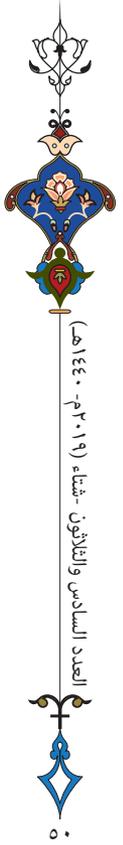
وهذا التدرج والتنوع في الخطاب القرآني يعطينا مثلاً رائعاً لكيفية التعامل مع الناس ويؤكد على ضرورة التسامح والتسامح في الخطاب والمرونة والواقعية في المقاربة الدينية لأفكارهم ولأوضاعهم، وملاحظة عنصري الزمان والمكان وتغيرهما، وكذلك التطور الحاصل في الأوضاع الفكرية والاجتماعية، وصولاً إلى خطاب ديني مرن ومنفتح ومتسامح ومتعايش مع الإنسان المعاصر، وملاحظة تغير الظروف واختلاف المجتمعات والذي يتطلب معالجة جديدة وواقعية،

عناصر القوة، مالأً وجهاً وقرابة وغيرها، سوف لن تنفعهم ولا تنقدهم من عذاب الله وسوء العواقب بل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [سورة الانفال: ٣٠].

وهذا سارٍ في سائر آيات القرآن والتي تجري في من لم تنزل عليهم، كمن نزلت عليهم، كما تجرى الأمثال والحكم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٢٧].

### الخاتمة:

نزل القرآن متدرجاً في آياته واحكامه، مراعاة لظروف المجتمعات التي نزل عليها، ولغرض تهيئتها لقبول دعوته وعدم المواجهة الشاملة مع عاداتهم وتقاليدهم، وإنما أكد على عقيدته الأساسية في الايمان بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، ومن ثم تعميق وتوسيع التشريعات بمرور الزمان واتساع رقعة قبوله لدى الأفراد والمجتمع، فلم يكن متسرعاً ولا شمولياً منذ بدء دعوته، بل كان حركياً وواقعياً، يراعي تطور



لتبقى مقاصد الشريعة حيّة وشاخصة، أما مجالات التشريع والتطبيق فيؤخذ فيها بنظر الاعتبار المجتمع المستهدف بالخطاب كما أخذ التشريع الأول بنظر الاعتبار مجتمع زمانه، سواء كان في مكة أو المدينة أو الجزيرة العربية أو عالم ذلك الزمان، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِئُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة ابراهيم: ٤].

#### الخلاصة:

يتأثر الخطاب بعوامل أساسية أهمها: المخاطب، والمخاطب، وبيئة الخطاب، والخطاب القرآني الكريم جاء مقارياً لأوضاع الناس، متوجهاً إليهم ببيانه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولذا كان خطاباً متحركاً ومتغيراً في لغة خطابه وأساليب دعوته، وكانت تلك من سمات القوة والحيوية فيه، رغم ما يحمل من دلالات عظيمة وأفكار متعالية. يتناول البحث مفردتين من مظاهر مراعاة الأوضاع الاجتماعية والفكرية للناس

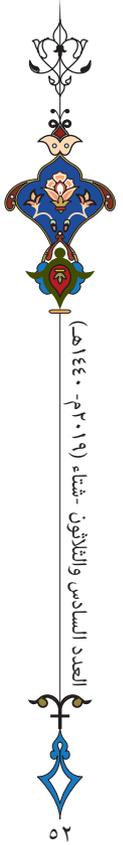
المخاطبين بالقرآن ومخاطبتهم باللغة التي يفهمونها والأساليب التي يأسوا بها، وكانت تلك المفردتان هما: التدرج في نزول القرآن، وتغيّر الخطاب المكّي والمدني، وأريد من ذلك كله الاستفادة من هذه التجربة القرآنية الفريدة في منهجيات الخطاب الديني المعاصر.

#### أهم المصادر:

القران الكريم.

١. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢. تفسير القران العظيم، ابن كثير الدمشقي، ط دار الاندلس، بيروت.
٣. البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي، تحقيق: ابي الفضل الدمياطي، ط دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٤. الاتقان في علوم القران، السيوطي، ط ٣، دار ابن كثير، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٥. الموافقات في أصول الشريعة، ابو

- النصراوي، ط. الرافدين، ٢٠١٦م.
١٢. الموسوعة القرآنية المتخصصة، أد. محمد بكر إسماعيل، ط ١ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
١٤. المستشرقون ومصادر التشريع الاسلامي، د. عجيل جاسم، ط ١، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والادب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٥. تاريخ القرآن، ثيودور نولدكه، ترجمة وتحقيق: جورج تامر، ط ١، مؤسسة كونراد، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٦. العقيدة والشريعة في الاسلام، جولد تسيهر، ترجمة: د. محمد يوسف موسى وآخرون، ط، دار الكتب الحديثة بمصر.
- اسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد عبد القادر، الفاضلي، ط المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٦. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٢٧-٢٠٠٦م.
٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي، ط ١، اوند دانش للطباعة.
٨. أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، محمد بن عبد الله الازرقى، تحقيق: د. علي عمر، ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٩. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط المكتبة العصرية لبنان، ٢٠٠٦.
١٠. المعجم الوسيط، مصطفى ابراهيم وآخرون، ط دار الدعوة.
١١. إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين، د. عادل عباس



# السَّبْكُ النَّصِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

## (سورة طه أنموذجاً)

د. عيسى متقي زاده د. هادي نظري منظم على مرتضائي  
قسم اللغة العربية وادابها - جامعة تربيت مدرس - طهران  
جمهورية ايران الاسلامية

### فحوى البحث

بحث لغوي استدلاي قيّم يبرز وبجلاء وجدارة إعجاز القرآن في  
موضوعة (السبك النصي) في الخطاب. ويتخذ من سورة (طه) أنموذجاً  
لذلك، للوقوف على مدى توفر السبك النصي في القرآن الكريم عموماً.  
لقد حدّد الباحثون أولاً، وبعد مقدمة تمهيدية، أهداف البحث،  
العامّة والخاصة والتي ترمي جميعاً الى بيان مدى عظمة الكتاب  
الكريم، كما اجروا إحصاءاً شاملاً للأبحاث السابقة له من كتب  
ودراسات عالجت الموضوع نفسه، ثم شرعوا في بسط البحث  
بتفصيلات مجزية معززة بالجداول الاحصائية الدقيقة، وذيلوا البحث  
بخاتمة لخصوا فيها ما توصلوا اليه من نتائج، ثم وضعوا مسرداً بمصادر  
البحث وروافده.

## الملخص:

إن السبك أو التماسك أو إتساق النص من الإتجاهات الحديثة في دراسة النصوص الأدبية، وقد تبلورت ماهيته وأسسها في الربع الأخير من القرن المنصرم على يد هاليداي و رقية حسن، ومن تبعهما في هذا المجال. ولا يتأتى السبك النصي إلا بتوافر أدوات الإتساق. والقرآن الكريم بوصفه كتاباً أدبياً تتوافر فيه عناصر السبك والإتساق. وهذا البحث بإعتماده المنهج الوصفي - التحليلي يحاول الكشف عن عناصر السبك النصي في سورة طه، التي أدت إلى تماسكه الشكلي وإنسجامه النصي مستنداً إلى الإثبات والكشف عن عناصر السبك النحوي: الإحالة، الحذف، الربط وعناصر السبك المعجمي: المصاحبة اللغوية والتكرار.

وإخترنا سورة طه أنموذجاً عشوائياً لنرى مدى توفر السبك النصي في القرآن الكريم ورأينا أن عناصر السبك النصي بأنواعه النحوي والمعجمي قد ورد في فضاء النص بكثافة لتحكيم بنية النص القرآني وإنسجامه. من هذه العناصر،

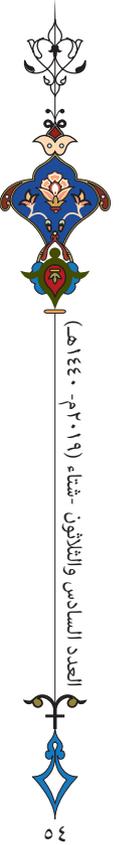
الإحالة القبلية الأكثر شيوعاً في النص القرآني التي تحيل في معظم الأحيان على لفظة الله وهذا الأمر يعالج قضية الألوهية والعبودية وأيضاً الربط إلى داخل النص يتحقق بحرف العطف (الواو) الذي يؤدي وظيفته السبكية بالربط بين الجمل والقرينة اللفظية للحذف في سورة طه أقوى وأكثر من قرينة السياق لإختصار الآيات والإحتراز من العبث وأدى تكرار لفظ الجلالة والألفاظ الدالة على صفات الذات المقدسة وظيفه دلالية فضلاً عن وظيفته في سبك النص.

## الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم،

## سورة طه، السبك النصي، الإتساق.

## ١. مقدمة:

إن الله تعالى أنزل القرآن الكريم بأفصح لسانٍ وأقوم تركيبٍ وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣] هذا الأمر يقودنا إلى البحث عن وجود الأساليب الأدبية المختلفة



و ستتحدث فيما يلي عن السبك النصي و عناصر الإتساق في سورة طه و الباحث في دراسته للنصّ القرآني لا يهدف إلى أن يثبت أنه نصٌّ أم لا، بل يهدف إلى الكشف عن عناصر السبك النصي التي أدت إلى تماسكه الشكلي و إنسجامه.

#### ١-١. أهداف البحث:

- الهدف الكلي: إثبات توافر العناصر السبكية في القرآن الكريم من خلال دراسة سورة طه.
- الأهداف الجزئية.
- معرفة السبك النصي و ما يشتمل عليه من المفاهيم و المصطلحات.
- معرفة عناصر السبك النحوي و ما يشتمل عليه من الإحالة المتبادلة و الحذف و الربط.
- معرفة عناصر السبك المعجمي الذي يشتمل على علاقتي التكرار و المصاحبة اللغوية أو التضام.
- رصد عناصر السبك النحوي و المعجمي في سورة طه بصورة إحصائية.

في القرآن الكريم الذي يُسبب عجز الناس من الإتيان بمثله؛ و من أبرز هذه الأساليب الأدبية وجود السبك النصي الفريد و المتمايز في هذا الكتاب الخالد، و يمكن القول إن السبك جزء لا ينفك عن النص و كل نص يتميز بسبك خاص.

وللنص معايير و خصائص و قد أجمل دى بوجراند خصائص النص في تعريفه حيث قال: «إنه حدث تواصلى يلزم- لكونه نصاً - أن تتوافر فيه سبعة معايير للنصية مجتمعة، و يزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

١. السبك أو الربط النحوي.
٢. الحيك أو التماسك الدلالي.
٣. القصدية أو هدف النص.
٤. القبول أو المقبولية و تتعلق بموقف المتلقى من قبول النص.
٥. الإخبارية أو الإعلام أى توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
٦. المقامية و تتعلق بمناسبة النص للموقف.
٧. التناص (دى بوجراند، ١٩٩٨م: ١٠٣ - ١٠٤).

هي في حقيقة الأمر مستوى واحد، فالمتلقى عند سماعه تلاوة القرآن لا يميز بين هذه المستويات لكن عملية الاستيعاب تمرّ بمراحل لترسم الصورة أو الفكرة التي تحملها الجملة في ذهن المتلقى.

صوالحية، كريمة (٢٠١١م) في رسالتها لنيل الماجستير تحت عنوان «التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي - دراسة أسلوبية» بعد تناول مفهوم النص و تمييزه من الخطاب، تتطرق إلى الإتساق وأدواته مثل الإتساق الصوتي والنحوي والمعجمي والإنسجام ووسائله مثل السياق و الربط و البنية. ساهمت وسائل الاتساق الصوتي من وزن و قافية في إتساق قصائد الديوان من خلال تسهيل عملية التلقي والاستيعاب والحفظ. ساهمت وسائل الإتساق المعجمي من تكرار وتضام في إتساق قصائد الديوان وإبراز المخزون اللغوي لدى الشاعر. ساهمت وسائل الاتساق النحوي من وصل وحذف وإحالة في إتساق قصائد الديوان فالوصل بتعدد أشكاله يساهم في بناء الوصف

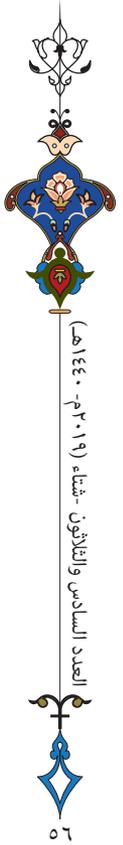
١-٢. أسئلة البحث:

١. أي عنصر من عناصر السبك النحوي أكثر شيوعاً في سورة طه؟.
٢. أي عنصر من عناصر السبك المعجمي أكثر شيوعاً في سورة طه؟.

١-٣. خلفية البحث:

نادية، رمضان النجار (٢٠٠٦م) في دراسته المعنونة بـ«علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق (الخطبة النبوية أنموذجاً)» في مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الثاني، حيث أشار فيها إلى مكونات النص و ما يرتبط بالنص و السبك.

لخلف، نوال (٢٠٠٧م) في اطروحته لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان «الانسجام في القرآن الكريم - سورة النور أنموذجاً» حيث تناول في أطروحته الإنسجام الموجود في سورة النور من ناحية الإنسجام الصوري، الإنسجام الدلالي، الإنسجام و تداولية الخطاب. ويصل إلى أن مستويات التحليل يكمل بعضها ببعض، صورياً، دلالياً و تداولياً. ذلك أن هذه المستويات



والحوار، وبالتالي يسهم في بناء مواضيع القصائد والحذف يسهم في تحقيق الإيجاز أو الإختصار، ممايسهل عملية القراءة والحفظ، أم الإحالة فقد ساهمت في ربط قصائد الديوان بالسياق.

حيال، احمد (٢٠١١م) حسين في رسالته «السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام» حيث درس فيها النص و مكونات النصية وطبقها على سورة الأنعام. ويصل إلى أن وسائل السبك بنوعيتها النحوي والمعجمي أدت وظيفة دلالية في سورة الأنعام، تمثلت في التأكيد على الموضوع الأساسي الذي نزلت من أجله السورة وهو موضوع الألوهية والتوحيد وحجاج الأنبياء والمؤمنين للمشركين والكافرين.

العزالي قواوة، الطيب (٢٠١٢م) في مقالته «الانسجام النصي و أدواته» في مجلة المخبر، العدد الثامن حيث تطرق إلى الانسجام النصي أحد المعايير الديبوجراندية المهمة في تحقيق تماسك النص على مستوى البنية العميقة ويستنتج

أن التماسك النصي لا يتحقق إلا بوجود أدوات الانسجام النصي المختلفة كالسياق والتأويل المحلي وعلاقة الإجمال... مقالته «التماسك النصي بين التراث و الغرب» في المجلد ٢٢ و العدد ٢، حيث تناول التماسك النصي بين العلماء العرب و الغرب ويستنتج أن التماسك النصي ليس حديثاً، لكن الجديد هو الكشف عنه ومحاولة توظيفه بشكل علمي.

سعدون هنون العارضي، هادي (د. ت) في مقالته «الانسجام النصي في وصية الإمام الكاظم عليه السلام بن الحكم البغدادي» حيث تناول في مقالته الانسجام الموجود في وصية الامام الكاظم من خلال تقصى بعض تجليات النص وتحليلها على وفق الركنين الأساسين هما المتلقى - المنشئ وبنيتان هما البنية الداخلية والخارجية.

الباحث في هذه المقالة يحاول رصد العناصر السبكية بنوعها النحوي و المعجمي، تلك العناصر التي أدت إلى الانسجام في القرآن الكريم من الناحية



لتكوّن النص بأية حال. لكن العلاقات الإِتساقية هي ذاتها سواء أكانت عناصرها في الجملة واحدة أم لا» (بلحوت، ٨٣: ٢٠٠٦) و أن «السبك يشمل الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة. (نادية رمضان، ٢٩٤: ٢٠٠٦).

#### ٢-٢: مفهوم النص:

أكثر علماء اللغة قبل الولوج في مبحث السبك، يبدأون بتعريف النص أولاً ومن هولاء دى بوجراند الذى عرفه بأنه: «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الإِتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (أى النص) عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معينة. وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الإِتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يوهلها لأن تكون خطاباً (دى بوجراند، ٩٨: ١٩٩٨) ويرى هاليداي و

السبكية خاصة في سورة طه. وهذا الأمر سيتم بشكل إحصاء للأشكال المختلفة للعناصر السبكية. وأخيراً إثبات توفير هذه العناصر السبكية في القرآن الكريم من خلال دراسة سورة طه نموذجاً لهذا الأمر.

#### ٢. المفاهيم النظرية:

#### ٢-١. السبك لغةً واصطلاحاً:

السبك لغةً من «سَبَكَ يَسْبِكُ و يسبِكُ سَبْكَاً فهو سَابِكٌ و المفعول مسبوك و سبيك و السَّبْكُ مصدر سَبَكَ. قالب السبك: أرضيةٌ رمليةٌ يلقى فيها حديد الصب» (مختار عمر، ١٠٣٠: ٢٠٠٨) وقال صاحب العين «السبك عملية إذابة الذهب، أو الفضة، ووضعها في قالب من حديد؛ حتى تخرج متماسكة متلاصقة، وتسمى حينئذٍ سبيكة» (الفراهيدى، ١٩٨٤؛ مادة سبك).

ومفهومه عند النصيين هو «علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكونة للنص، يتعرض بعضها لقيود حين يندمج في بنية الجملة لأن الشرط النحوى لوجود الجملة يتضمن بلا شك إنسجام أجزاء النص



رقية حسن «أن كلمة النص تستخدم فى علم اللغة للإشارة إلى أى فقرة منطوقة أو مكتوبة، مهما طالت أو قصرت. والنص هو وحدة اللغة المستعملة و ليس محمداً بحجمه وهو يرتبط بالجملة بالطريقة التى ترتبط بها الجملة بالعبارة. وأفضل نظرة إلى النص أنه وحدة دلالية وهذه الوحدة ليست شكلاً ولكنها معنى لذا فإنه أى النص يتصل بالعبارة أو الجملة بالإدراك لا بالحجم (عفيفى، ٢٢: ٢٠٠١) أما لرينكر فيرى «أن النص هو تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل (بحيرى، ١٠٩: ١٩٩٧) والنص هو مجموع الاشارات الاتصالية التى ترد فى تفاعل تواصلى (هانیه من وفيهيجر، ٩: ١٩٩٩).

نلاحظ أن النص يستخدم للإشارة إلى فقرة معينة لإيجاد الإتصال بين الأشخاص وهذه الفقرة إما أن تكون منطوقة أو مكتوبة وأنها تتكون من كلمات مفردة أو جمل أو مجموعة لغوية مهما طالت أو قصرت.

٢-٣: السبك النصى، وظيفته وأنواعه: من المتفق عليه عند علماء اللغة النصيين أن «السبك النصى يعد من أهم المعايير النصية؛ وذلك لكونه هو السياج والرابط الذى يجمع بين المتفرقات فيجذب بعضها بعضاً فيكون النص» (نادية رمضان، ٣٠٧: ٢٠٠٦)؛ وبذلك يصفونه بأنه «عنصر جوهري فى تشكيل النص و تفسيره» (بحيرى، ١٤١: ١٩٩٤) «والحق أن هذا المفهوم لم يكن بعيداً عن تناول القدماء فقد ألمحوا إلى أن الكلمات والجمل يعلق بعضها ببعض حتى تفيد معنى؛ ولذلك ذهبوا إلى أن الكلام لا يكون مفيداً إذا كان مجتمعاً بعضه مع بعض دون ترابط» (عبد اللطيف، ٨٢: ١٩٩٦) لأنه إذا أصبح الكلام خالياً من السبك «أصبح الكلام فى حكم الأصوات التى ينطق بها (نادية رمضان، ٣٠٧: ٢٠٠٦) «ويُعَدُّ السبك العنصر الجوهري فى تشكيل النص و تفسيره، فيعمل السبك على جعل الكلام مفيداً ويعمل على استقرار النص و ثباته، بعدم تشتت الدلالة الواردة فى النص

والتلقى للنص. (صلاح فضل، ٢٤٧: ١٩٩٢) و«يتحقق السبك من خلال عناصره النحوية والمعجمية التي تؤدي إلى إتصاف النص بسمة الإستمرارية أى تعاقب الأحداث اللغوية التي نطق بها أو نسمعها في تتابعها الزمني وتنظم هذه الأحداث تبعاً لمبانيها النحوية ويجمع هذه الوسائل مصطلح مهم هو «الاعتماد النحوي»<sup>(١)</sup>. ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من أنواع هي: في الجملة، فيما بين الجمل، في الفقرة أو المقطوعة، فيما بين الفقرات أو المقطوعات، في جمل النص (سعد مصلوح، ١٥٤: ١٩٩١).

و السبك نوعان: «السبك النحوي ويشمل: الإحالة المتبادلة و الحذف و الربط وثانيهما: السبك المعجمي ويشتمل على علاقتي التكرار و المصاحبة اللغوية أو التضام. (دى بوجراند، ١٠٣: ١٩٩٨).  
٣. عناصر السبك النحوي.

٣-١. الإحالة<sup>(٢)</sup>.

من المعانى التي أثبتتها المعجمات

وتنظم بنية المعلومات داخل النص. هذا كله يساعد القارئ على فهم النص عن طريق متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النص التي تمكنه من ملء الفجوات أو معلومات ما بين السطور التي لا تظهر في النص ولكنها ضرورية» (صبحى الفقى، ٧٤: ٢٠٠٠) ويرى فان دايك «أن السمات الشكلية في النص تحدد البنية الدلالية». (فان دايك، ٢٧٥: ٢٠٠١).

تتركز وظيفة السبك النصي في مهام: أولها: «وصف النص و ثانيها: تحليل النص؛ يقصد بوصف النص توضيح مكونات النص؛ وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه و توضيح الموضوعات المتناولة في النص مع بيان الروابط التشكيلية و المعنوية الموجودة فيه، وما تودى إليه من إنسجام و سبك بين متتابعات النص حتى تصير كأنها جملة واحدة، وحينئذ يبدأ تحليل النص الذى لا يقتصر على بيان الروابط الداخلية فقط بل يهدف إلى توضيح الروابط الخارجية أيضاً. ثالثها: يراعى دور النص فى التواصل و ذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج

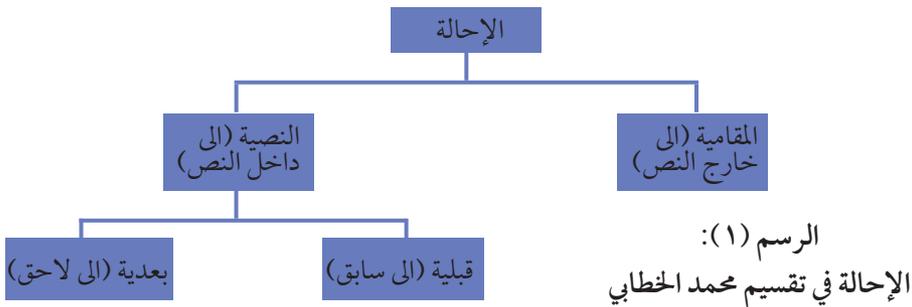
(1) Grammatical Dependency.

(2) Reference.

العربية للإحالة هو الإتياع. قال الزبيدي «أتبع فلانٌ بفلانٍ أى أحيل له عليه وأتبعه عليه» أحاله والتابع هو التالي (الزبيدي، ٢٠٠٢، ج ٢٠، مادة تبع).

يستعمل الباحثان (هاليداي و رقيه حسن) مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً، و هو «أن عناصر الجملة كيفما كان نوعها لا تكتفى بذاتها من حيث التأويل، اذ لا بد من العودة إلى ما نشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة وهى حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة و أدوات المقارنة» (الخطابى، ١٦: ١٩٩١) وقد ذكر جون ليونز المفهوم الدلالي للإحالة، فهو يرى «أن العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات هي علاقة إحالية؛ فالأسماء تحيل على مسميات و تخضع هذه العلاقة لقيّد أساسي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل و العنصر المحال عليه» (عفيفى، ١١٦: ٢٠٠١) و وظيفة الإحالة فى النص «إنها تشير إلى ما سبق، أو إلى ما سيأتى، والتعويض عنه بالضمير؛ تجنباً للتكرار فتحقق بهذا الاقتصاد فى اللغة» (صبحى الفقى، ١٢٠: ٢٠٠٠).

تقسم الإحالة عند المحدثين إلى «إحالة خارجية و فيها يحيل عنصر فى النص إلى شئ خارج النص يدركه منتج النص و متلقيه كلاهما، و أخرى داخلية فتقع داخل النص حيث تنقسم إلى إحالة قبلية و فيها يشير العنصر المحلل إلى عنصر آخر متقدماً عليه. و الإحالة البعدية و فيها يحيل العنصر المتقدم إلى عنصر آخر يلحقه». (إيناس، ٣٨: ٢٠٠٣) و بعض الباحثين يقسمونها إلى «الإحالة المقامية (إحالة إلى خارج النص) و النصية (إحالة إلى داخل النص) و تنفرع الثانية إلى: إحالة قبلية و إحالة بعدية» (الخطابى، ١٦: ١٩٩١).



### عناصر الإحالة:

١. شخصية (الضمائر): أنا، أنت، نحن، هو، هم، ... الخ.
  ٢. إشارية: هذا، هؤلاء، أولئك، ... الخ.
  ٣. مقارنة: أفضل، أكثر، ... الخ.
  ٤. الموصولات (صباحي الفقى، ١١٦: ٢٠٠٠).
- وأضاف د. محمد الخطابي عنصراً آخر وهو الملكية: كتابي، كتابه، كتابنا (الخطابي، ١٨: ١٩٩١).

وقد عدّها الدكتور تمام حسان من عناصر الإحالة مستشهداً عليها بقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِنِّجِيلٍ...﴾** [سورة الاعراف: ١٥٧] فالاسم الموصول (الذي) قد قوى المعنى، وذلك بالإحالة السابقة إلى الرسول النبي؛ لكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة». (حسان، ٣١: ١٩٩٣).

### ٣-١-١- أثر الإحالة في السبك النصي (سورة طه):

الضمائر: الضمائر عنصرٌ من عناصر الإحالة وتنقسم الضمائر في العربية إلى ثلاثة أقسام:

١. الضمائر المنفصلة مثل: أنا، أنت، هو، هي، هم و...
٢. الضمائر المتصلة مثل: الكاف في كتابك، والهاء في كتابه، والواو في يلعبون و...
٣. الضمائر المستتره مثل: أنت المستتر في (قل) وهو المستتر في (نام) ونحن المستتر في (نذهب).

### الجدول (١): إحالة الضمير في سورة طه

نوع الضمير	نوع الإحالة	رقم الآية (عدد الضمائر)

<p>٦ (مرتين) / ٧ - ٨ (٣) / ١٠ (٣) / ١١ - ١٢ (٦) /          ١٣ - ١٤ (٦) / ١٥ - ١٦ (٦) / ١٧ - ٢٠ (٧) /          ٢٤ - ٢٥ (٨) / ٢٨ - ٢٩ (٧) / ٣٦ - ٣٨ (١٠) / ٣٩ - ٤٠ (٣) /          ٤٤ - ٤٥ (١٥) / ٤٧ - ٤٩ (١٢) / ٥٣ - ٥٥ (٧) /          ٥٨ - ٥٩ (١٦) / ٦٣ - ٦٤ (١٩) / ٧١ - ٧٢ (١١) /          ٧٦ - ٧٧ (١٦) / ٨١ - ٨٥ (١٨) / ٨٦ - ٩٠ (١٢) / ٩١ - ٩٢ (١٦) /          ٩٤ - ٩٦ (١١) / ٩٧ - ٩٩ (١٤) / ١٠١ - ١٠٢ (٦) /          ١٠٨ - ١١٠ (١٢) / ١١٠ - ١١٣ (٢) / ١١٥ - ١١٦ (٦) /          ١٢٠ - ١٢٦ (١٠) / ١٢٣ - ١١٧ (١٥) / ١٢٦ - ١٢٩ (١١) /          ١٣٠ - ١٣٢ (١٢) / ١٣٣ - ١٣٥ (١١).</p>	النصيحة (قبلية)	المتصل
<p>٢ (١) / ٢ (١) / ٣٦ (١) / ١٧ (١) / ١٢ (١) / ٦٧ (١) /          ٧٤ (١) / ٨٣ (٢) / ٩٥ (١) / ١١٣ (١).</p>	النصيحة (بعديّة)	المتصل
<p>٢ (١) / ٩ (١) / ٣٩ (١) / ٨١ (١) / ١٠٩ (٢) /          ١١٠ (٢) / ١٢٤ (٢) / ١٢٨ (٣).</p>	مقامية	المتصل
<p>٨ (١) / ٩٨ (١) / ١١٢ (١) / ٦٣ (١) / ٨٤ (١) /          ١٣٤ (١) / ٤٢ (١) / ٥٨ (١).</p>	النصيحة (قبلية)	المتفصل
-----	مقامية	المتفصل
<p>٧ (٢) / ١٠ (٢) / ١٢ (١) / ١٣ (١) / ١٤ (١) /          ١٥ (١) / ١٦ (٢) / ١٨ (٢) / ١٩ (١) / ٢٠ (١) /          ٢١ (١) / ٢٢ (٢) / ٢٤ (٢) / ٢٤ - ٢٩ (٦) / ٣١ (١) /          ٣٢ - ٣٣ (٢) / ٤٣ (١) / ٤٤ (٢) / ٤٥ (٣) / ٤٦ (٣) /          ٤٧ (١) / ٥٠ (٢) / ٥٢ (١) / ٥٣ (٣) / ٥٦ (٢) /          ٥٨ (١) / ٦٠ (٢) / ٦١ (٢) / ٦٥ (٣) / ٦٦ (٢) /          ٦٨ (١) / ٦٩ (٣) / ٧١ (٢) / ٧٢ (١) / ٧٣ (٢) /          ٧٤ (٣) / ٧٧ (٣) / ٧٩ (١) / ٨٤ - ٨٤ (٦) / ٨٨ (٢) /          ٩١ (٢) / ٩٤ (٢) / ٩٥ - ٩٨ (٣) / ٩٩ (٢) / ١٠٧ (١) /          ١١٠ (١) / ١١٥ (٢) / ١١٦ - ١١٧ (٢) / ١١٨ (١) /          ١١٩ - ١٢٠ (٤) / ١٢٠ (٣) / ١٢١ - ١٢٢ (٣) / ١٢٧ (٣) /          ١٣٠ (٣) / ١٣١ - ١٣٢ (٥) / ١٣٤ (٣).</p>	النصيحة (قبلية)	المستتر

السُّبُكُ النَّصِّيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ..... الصَّبَاحُ

المستتر	النصية (بعدية)	/ (١) ٤ / (٢) ٥٢ / (١) ٦٠ / (١) ٦٧ / (١) ٦٩ / (١) ٧٢ / (١) ٧٩ / (١) ٨٩ / (٢) ٩٤ / (١) ٩٤ / (٣) ١٠٩ / (٢) ١١١ / (١) ١٢١
المستتر	المقامية	/ (١) ٢ / (١) ٣ / (١) ٧ / (١) ٤٧ / (٢) ٤٨ / (١) ٦٤ / (١) ٧٦ / (١) ٨٢ / (٤) ٨٢ / (١) ١٠٠ / (١) ١٠٢ / (١) ١٠٨ / (٢) ١١٢ / (٣) ١١٤ / (٣) ١٢٣ - ١٢٤ / (٣) ١٣٥ / (١) ١٣٥

٤. أكثر الضمائر النصية القبلية كانت

تحيل على عنصر واحد و هو لفظة الجلالة (الله).

و التحليل للعناصر الإحالية في السورة اعتماداً على الآيات الإبتدائية

﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾

تبين لنا أن ضمير «هو» قد ورد في النص وروداً واسعاً ليحكم بنية النص. فقد أحال هذا الضمير على لفظة الجلالة في معظم الأحيان وهذا الأمر يعالج قضية الألوهية والعبودية ليعرف الناس من هو الرازق و العالم و الخالق و جاعل الارض مهدياً و منزل الماء من السماء.

و من أمثلة الإحالة البعدية في السورة قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ فالضمير (الماء) يحيل على الجملة (مَنْ

ويستفاد من الجدول ما يلي:

١. إن عدد الضمائر في سورة طه (٤٨٤) ضميراً، توزعت على (٣١٨) ضميراً متصلاً، و (٨) ضمائر منفصلات، و (١٥٨) ضميراً مستتراً. كثرة الإستعمال للضمير المتصل هنا تؤكد ما ذهب إليه النحاة من أن «أكثر الضمائر استعمالاً في اللغة هو الضمير المتصل». (ابن جني، ١٩٢: ١٩٩٠).  
٢. الإحالات حسب كثرة ورودها في النص، فكانت الإحالة النصية القبلية، ثم الإحالة المقامية، ثم الإحالة النصية البعدية.

٣. معظم الضمائر ذات الإحالة المقامية كانت تحيل على متلقي النص القرآني و هو موسى ﷺ الذي يذكر اسمه صراحة في القرآن الكريم.



يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) وهذا الضمير يسمى عند النحاة بضمير الشأن وهو «على اختلاف أحواله إنما يراد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة و تفخيم شأنها و تحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً و تفسيره ثانياً لأن الشيء إذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه و لها تشوق إليه» (العلوى، ٢٠٠٢؛ ٧٦) وهذا الضمير أفاد العناية بهذا الخبر عناية التحقيق.

أكثر الضمائر المستترة ترجع إلى الفعل (قال) و مشتقاته الذي يكون جواباً لموسى عليه السلام مقابل مسأله من الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أو يكون لسرد القصة بين موسى و فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (٤٩) قَالَ

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾  
قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ ...  
٣- ١- ٢- الموصولات:

الموصول هو «الذي لا يُتِمُّ بنفسه؛ لأنه دائم الافتقار إلى كلام بعده يتصل به برابطٍ ما؛ ليتم اسماً، فإذا تمَّ بما بعده كان كسائر الأسماء، فيجوز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً به» (يعيش بن على، د. ت؛ ١٣٨) و «تودي الموصولات وظيفة السبك للنصِّ عامَّةً؛ فهي تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، أو بين الجمل المختلفة، كذلك تربط النص بسياقه المقامى الذي قيل فيه» (حسان، ٢٠٠٠: ٢٠٠٦).

الجدول (٢): إحالة الموصول في سورة طه

الموصول	نوع الإحالة	الآيات التي ورد فيها الإحالة
من	نصية	٤- ٤٠- ٤٩- ٦١- ٦٥- ٧٤- ٧٥- ٧٦- ٨١- ١٠٠
	بعدية	١٠٩- ١١١- ١٢٣- ١٣٥(٢)
	مقامية	٣- ١٦- ٤٧- ٤٨- ٨٢- ١١٢- ١٢٤- ١٢٧
ما	نصية	٦(٤)- ١٣- ١٥- ١٧- ٣٨- ٥١- ٦٩(٢)- ٧٢(٢)- ٧٨
	بعدية	٨١- ٩٢- ٩٦- ٩٩- ١٠٤- ١١٠(٢)- ١٣٠- ١٣١- ١٣٣

الذى	نصية قبلية	٥٠-٥٣-٧١-٧٢-٩٧-٩٨
------	---------------	-------------------

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ وهذا

الموصول يحيل إلى خارج النص وهو كل شخص يتبع الهداية.

وقد أحال الموصول (الذى) فى معظم الأحيان إلى الله سبحانه تعالى

كآلية: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ٥٠ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ

مَهْدًا وَسَدَّكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ

كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ وهذه الإحالة تبين

لنا من هو المعطى و من خلق الاشياء؟.

من هو جاعل الأرض مهدياً؟. ومن هو

واسع كل شىء علماً؟. والجواب هو الله

سبحانه وتعالى.

٣- ١- ٣- ضمائر الإشارة:

«أسماء الاشارة ألفاظ يجتمع فيها

الإبهام و التعريف، وهو ما يبدو من قبيل

الجمع بين المتناقضين، وهذا الجمع بين

المتناقضين يكون إذا كانت أسماء الاشارة

من خلال تطبيق الموصولات فى سورة طه لاحظنا:

١. أن الموصول المشترك (من) النصية أكثر شيوعاً مقارنة بسائر الموصولات. ثم الموصول (ما) و الموصول (الذى).

٢. غياب الموصول (التى) و (الذين) عن بنية السورة. وكذلك غياب الإحالة البعدية للموصول العام (من و ما).

و لتحليل هذه العناصر، الإحالة النصية البعدية التى تتمثل فى الآية: ﴿لَهُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا

تَحْتَ الثَّرَى﴾ تكرر أربع مرات و كلها

تحيل إلى ما بعدها لكى تفسره و هذا الأمر يقودنا إلى أن الكون كله لله تعالى.

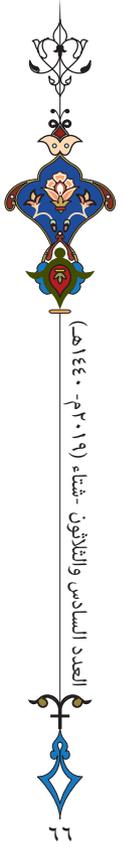
ومن أمثلة الإحالة المقامية الآية:

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ

هُوَئِلْهَا فَتَرَدَّى﴾ التى تحيل إلى خارج

النص و هو الذى لا يؤمن بيوم القيامة

و الساعة التى هى آتية. و كذلك الآية:..



مفردة غير مركبة. أما اذا رُكبت وكانت في الاستعمال اللغوى، فإنَّ هذا التناقص بين الإبهام والتعريف يزول؛ لأنَّ الإبهام الذى فيها وضعاً يرفعه الاستعمال تحقّقاً. (الشاوش، ١٠٦٦: ٢٠٠١).

جدول (٣) إحالة الضمائر الإشارية فى سورة طه

الضمائر	نوع الإحالة	الآيات
هذا	نصيّة قبلية	٦٣- ٨٨- ١١٧ -
تلك	نصيّة بعدية	١٧
ذلك	نصيّة قبلية	٥٤- ٧٦- ٨٧- ٩٦- ٩٩- ١٢٦- (٢) ١٢٧- ١٢٨-
	نصيّة بعدية	١١٣

و لتحليل هذه الضمائر أن اسم الإشارة الذى ورد فى فضاء النص هو (ذلك) الذى ورد فى أكثر صيغه متصلاً بحرف التشبيه (الكاف) و «هذا التركيب يدل على تشبيهه شىء بشىء، والمشبه به ظاهرٌ مشار إليه أو كالظاهر ادعاءً، وقد يكون المشبه به المشار إليه مفهوماً من السياق و مقام الكلام وتأخير المشار إليه عن الإشارة استعمال بليغ فى مقام التشويق» (ابن عاشور، ١٩٨٤؛ ١٦) كما فى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۚ ﴿١١﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۚ ﴿١٢﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَتْنَا فَنَسِينَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي ۚ ﴿١٣﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِتَابِتِ رَبِّهِ ۖ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ ﴿١٤﴾ و هذه الضمائر الإشارية بهذا الحضور أدى إلى تماسك النص فى أبلغ بيان و أقوم تركيب فضلاً عن وظيفتها السبكية داخل النص فى إختصار الآيات القرآنية.

يُستعمل اسم الإشارة (هذا) للإشارة إلى شىء محسوس يمكن إدراكه من الحواس الخمس كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهٗ مُوسَىٰ

للقواعد» (أبوالكارم، ٢٠٠: ٢٠٠٧) و  
يحدد الباحثون الحذف بأنه «علاقة داخل  
النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر  
المفترض في النص السابق. وهذا يعنى  
أن الحذف عادة علاقة قبلية (الخطابي،  
٢١: ١٩٩١) حيث «يميل المستعملون  
لإسقاط بعض العناصر من الكلام  
اعتماداً على فهم المخاطب تارة ووضوح  
قرائن السياق تارة أخرى» (حمودة، د.  
ت؛ ١٤٤).

### فائدة الحذف:

قال عبد القاهر الجرجاني في فائدة  
الحذف: «هو باب دقيق المسلك، لطيف  
المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر،  
فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر،  
فالصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة و  
تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتمّ ما  
تكون بياناً إذا لم تُبّن» (الجرجاني، ١٤٦:  
١٩٩٢).

على أن الحذف في هذا المستوى  
«غير مهم من حيث الاتساق، وذلك لأن  
العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية  
لايقوم فيها الحذف بأى دور إتساقى،

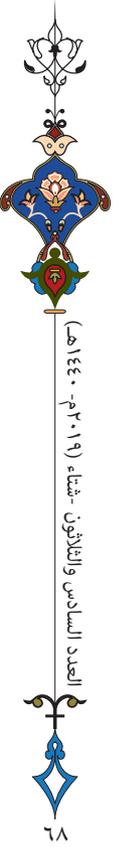
فَنَسِيَ ﴿﴾ الذى يشير الى العجل يمكن  
إدراكه بحاسة البصر واللمس. وقد يكون  
الإشارة إلى شىء غير محسوس كقوله:  
﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ  
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ الذى يشير  
إلى الشيطان الرجيم. وهذا الضمير أدى  
وظيفته السبكية بهذين الإستعمالين فى  
هذه السورة للإشارة إلى شىء محسوس و  
غير محسوس.

لاحظنا أن عنصر الإحالة أدى وظيفة  
السبكية بإشارتها إلى ما سبق، أو إلى ما  
سيأتى، والتعويض عنه بالضمير؛ تجنباً  
للتكرار فتحقق بهذا الاقتصاد فى النص  
القرآنى.

### ٣-٢. الحذف (٣):

الحذف فى معناه اللغوى كما جاء فى  
معجم الوسيط هو من «حذف الشىء  
حذفاً: قطعه من طرفه» (حسن الزيات،  
١٦٢: ٢٠٠٤) «وهو إسقاطٌ لصيغ  
داخل النص التركيبى فى بعض المواقف  
اللغوية و هذه الصيغ يُفترض وجودها  
نحوياً؛ لسلامة التركيب و تطبيقاً

(3) Ellipsis.



وبناء عليه فإن أهمية دور الحذف في الإتساق ينبغى البحث عنه في العلاقة بين الجمل و ليس داخل الجملة الواحدة (الخطابي، ٢٢: ١٩٩١).

و يشترط في الحذف «إحاطة متلقى النص بمكونات السياق اللغوى و الاجتماعى المصاحب له؛ ليتمكن من تقدير النص المحذوف تقديراً صائباً. كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس المادة المذكورة قبلاً». (المصدر السابق: ٢٢) وكذلك اشترطوا أيضاً «وجود الدليل على المحذوف». (صباحى الفقى، ١٩٢: ٢٠٠٠).

الجدول (٤): بنية الحذف في سورة طه

نوع المحذوف	الآية	المحذوف	نوع الإحالة
	إِلَّا تَذَكَّرَةٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾	أنزلناه	قبلية
	تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾	خَلَقَ	قبلية
	وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾	يَعْلَمُ مَا	قبلية
	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾	نريك	قبلية
	قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَنَّ أَيَّدِيكُمْ وَارْجُلَكُمْ... ﴿٧١﴾	أقطعن	قبلية
	قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾	تاخذ	قبلية

ق

قبلية	ترى	لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا <b>↓</b> أَمْتًا ﴿١٠٧﴾	
قبلية	يعلم	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ <b>↓</b> مَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾	
قبلية	سبح	فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ <b>↓</b> قَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾	
نوع المحذوف	المحذوف	الآية	نوع المحذوف
قبلية	موسى	قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾	ك
قبلية	آياتنا	وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ <b>↓</b> وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾	
قبلية	الله	قَالَ <b>↓</b> أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾	
قبلية	يدك	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ <b>↓</b> بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾	
قبلية	موسى	قَالَ <b>↓</b> رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾	
قبلية	نحن: موسى و هارون	كُنْ نَسِيحَكَ <b>↓</b> كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرْ <b>↓</b> كَثِيرًا ﴿٣٤﴾	

قبليّة	آياتنا	إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ ↓ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾
قبليّة	موسى - كل شى	قَالَ ↓ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ↓ ﴿٥٠﴾
قبليّة	عصاك - العصا	قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى ↓ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ↓ ﴿٦٥﴾
قبليّة	له	لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ ↓ مَا فِي الْأَرْضِ وَ ↓ مَا بَيْنَهُمَا وَ ↓ مَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦٦﴾
قبليّة	على من	إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَ ↓ تَوَلَّى ﴿٤٨﴾
قبليّة	فيها	إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ↓ ﴿٧٤﴾
قبليّة	لمن	وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ ↓ آمَنَ وَ ↓ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾
قبليّة	لا ترى فيها	لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا ↓ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

حروف العبارات

يتمثل حذف الإسم فى الآيات الأخرى: ﴿ فِقُولًا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْسَنُ ﴿٤٤﴾ ﴾  
 قد حُذفت كلمة الجلالة «الله» / ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ ﴾  
 حذفت كلمة «فرعون» / ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٦﴾ ﴾ حذفت كلمة «فرعون» /  
 ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ حذفت كلمة «ربى» / ﴿ الَّذِي  
 جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ  
 شَتَّى ﴾ حذفت كلمة الجلالة ثلاث مرآت / ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

## السُّبْكُ النَّصِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ..... الصَّبَاحُ

التي تكون حواراً بين الله تعالى و  
موسى عليه السلام.

و لتحليل هذه العناصر السبكية،  
فان حذف الإسم فى قوله تعالى:  
﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾  
فالمحذوف فى هذه الآية كلمة (آياتنا)  
والدليل على حذفها كلمة (آياتنا) السابقة  
التي تكررت بلفظها و معناها و إحالتها  
تكون قبلية.

ومن أمثلة حذف الفعل قوله تعالى:  
﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾  
فالمحذوف هنا الفعل (خَلَقَ) والدليل  
عليه الفعل (خَلَقَ) السابقة و إحالته  
تكون قبلية. ويرتبط الحذف هنا بالعطف  
و يتحقق بحرف (واو).

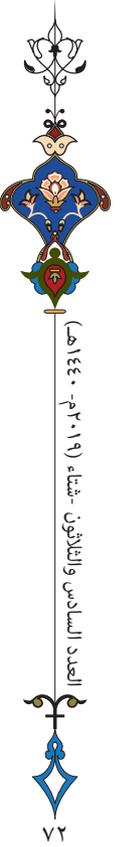
ومن أمثلة حذف الحرف قوله تعالى:  
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ والحرف المحذوف  
هنا (له) التي حُذِفَ ثلاث مرات من  
النص و لم تتكرر. وإحالته تكون قبلية و  
ترتبط بالعطف.

لاحظنا أن عنصر الحذف قد ورد فى  
فضاء النص بكثافة بالغة إما فى حذف

يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ حذف كلمة «فرعون»/  
﴿يَبْنُومَ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنْ  
خَشَيْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٤﴾ حذف كلمة  
«هارون»/ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ  
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ حذف  
كلمة «الرحمن»/ ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ  
مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾  
حذفت كلمة «العهد».

و من خلال الجدول نلاحظ أموراً  
عدّة:

- يرتبط الحذف فى أغلب الآيات  
بالعطف و يتحقق فى أغلبه بالحرف  
(واو).
- الحذف فى كلام النحويين و البلاغيين  
يكون خلافاً للأصل «وهو لمجرد  
الإختصار و الإحتراز عن العبث بناءً  
على وجود قرينة تدل على المحذوف»  
(الهاشمى، ٢٠٧: ١٣٩١) وفى هذا  
النص يفهم قرينة الحذف من السياق  
أو من العطف.
- يفهم من الجدول أن أكثر الحذف  
يتحقق بعد الفعل (قال) فى الآيات



الإسم أو الفعل أو الحروف و العبارات. وهذا الحذف فضلاً عن أداء وظيفته السبكية في إختصار الآيات و الإحتراز عن العبث، أدى وظيفته البلاغية لأن الحذف في معظم الأحيان أبلغ من الذكر. ٣-٣. الربط<sup>(٤)</sup>:

الربط هو «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم. معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص». (الخطابي، ٢٣: ١٩٩١) وفي تعريف آخر «لما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقياً، ووجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصاً متماسكاً». (نادية رمضان، ٣٢٢: ٢٠٠٦).

أقسام الربط لدى علماء اللغة النصيين:

الإضافي: «يتم الربط الإضافي بواسطة الأدوات «و» و «أو»، وتندرج

(٤) Junction

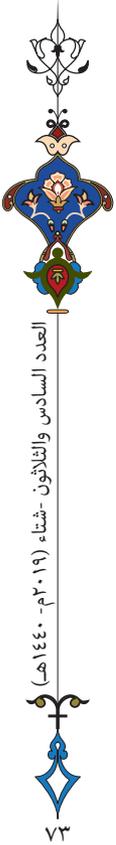
ضمن المقولة العامة للربط الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل، وعلاقة الشرح ويتم بتعابير مثل: أعنى، وعلاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً، نحو» (الخطابي، ٢٣: ١٩٩١).

السببي: «ويراد به الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر ويمثله العناصر (لذلك، من أجل، لأن، ل، لكي).

الزمني: هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً، ويمثلها في الإنجليزية لفظ (Then) ويمثلها في العربية الأدوات (فـ، ثم، و، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما، و...).

العكسي: ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويمثله في الإنجليزية (yet & but) ويمثله في العربية حرف الاستدراك (لكن و اخواتها) (بيد أن، غير أن، أما) والتعابير (خلاف ذلك، على العكس و...)). (نادية رمضان، ٣٢٢: ٢٠٠٦).

«فإذا كانت وظيفة هذه الانواع



## السبب النصي في القرآن الكريم ..... البصباح

- المختلفة من الوصل متماثلة (نقصد  
بالوظيفة هنا الربط بين المتواليات المشكلة  
للنص) فإن معانيها داخل النص مختلفة،  
فقد يعنى الوصل تارة معلومات مضافة  
إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة  
للسابقة أو معلومات مترتبة عن السابقة،  
إلى غير ذلك من المعانى. و لأن وظيفة  
الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل  
وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنه  
لا محالة تعدّ علاقة اتساق أساسية في  
النص». (الخطابي، ٢٤: ١٩٩١).
- جدول (٥): بنية الربط في سورة طه:
- ويستفاد من الجدول:
- الربط الإضافي بأدواته (أو - واو)  
أكثر شيوعاً في النص القرآني و من بعده  
الربط الزمني بأدواته (الفاء و ثم) و بعد  
ذلك الربط العكسي بأدواته (لكن و بل).  
- غياب حروف الربط (حتى، لا، لكن)  
العاطفات من النص.  
- و لتحليل هذا النعصر، أن الربط  
بالواو في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ فقد ربطت ثلاث  
جمل في بنية الآية و«أنها تدلُّ على

حروف العطف	الآيات التي ورد فيها العطف
الواو	٤ / ٦(٣) / ٧(٢) / ٩ / ١٣ / ١٤ / ١٦ / ١٧ / ١٨(٢) / ٢١ / ٢٢ / ٢٦
	٢٧ / ٢٩ / ٣٢ / ٣٤ / ٣٧ / ٣٩(٣) / ٤٠(٣) / ٤١ / ٤٢(٢) / ٤٦
	٤٧(٢) / ٤٨ / ٥٢ / ٥٣(٢) / ٥٥(٢) / ٥٦(٢) / ٥٨(٢) / ٥٩ / ٦١
	٦٢ / ٦٣ / ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ / ٦٩(٢) / ٧٠ / ٧١(٤) / ٧٤ / ٧٥ / ٧٦
	٧٧(٢) / ٧٩(٢) / ٨٠(٣) / ٨١(٢) / ٨٢(٣) / ٨٣ / ٨٤ / ٨٥ / ٨٨
	٨٩(٢) / ٩٠(٣) / ٩٤(٢) / ٩٦ / ٩٧(٢) / ٩٩ / ١٠١ / ١٠٢ / ١٠٥
	١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠(٢) / ١١١(٢) / ١١٣(٢) / ١١٤(٢) / ١١٥(٢)
	١١٦ / ١١٧ / ١١٨ / ١١٩(٢) / ١٢٠ / ١٢١(٢) / ١٢٢ / ١٢٣
	١٢٤(٢) / ١٢٥ / ١٢٦ / ١٢٧(٣) / ١٢٩(٢) / ١٣٠(٤) / ١٣١(٣)
	١٣٤(٢) / ١٣٥

الفاء	٧ / ١٠ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٦ (٢) / ٢٠ (٢) / ٣٩ (٢) / ٤٠ (٥) / ٤٤ / ٤٧ (٢) / ٤٩ / ٥١ / ٥٣ / ٥٦ / ٥٨ (٢) / ٦٠ (٢) / ٦١ / ٦٢ / ٦٤ / ٦٦ / ٦٧ / ٧٠ / ٧١ / ٧٢ / ٧٤ / ٧٥ / ٧٧ / ٧٨ (٢) / ٨١ (٢) / ٨٥ / ٨٦ (٢) / ٨٧ (٢) / ٨٩ / ٩٠ / ٩٥ / ٩٦ (٢) / ٩٧ (٢) / ١٠٠ / ١٠٥ / ١٠٦ / ١٠٨ / ١١٢ / ١١٤ / ١١٥ / ١١٦ / ١١٧ (٣) / ١٢٠ / ١٢١ (٣) / ١٢٢ / ١٢٣ (٣) / ١٢٤ / ١٢٦ / ١٢٨ / ١٣١ (٢) / ١٣٤ / ١٣٥ (٢)
ثم	٤٠ / ٥٠ / ٦٠ / ٦٤ / ٨٢ / ٩٧ / ١٢٢
أو	١٠ / ٤٤ / ٤٥ / ١١٣
بل	٦٦
أم	٨٦
لكن	٨٧

من أمثلة الربط بـ(ثم) قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ

أَنَّىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ يفيد (ثم) للربط الزمني بين

أجزاء النص لأن الهداية وقعت بعد الخلق،  
و الإتيان وقع بعد الجمع و تدبير الأمور .

والربط بـ(أو) قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَىٰ

نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي

ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هَدَىٰ ﴾ قد

ثبت عند النحاة أن(أو) للدلالة على أحد

الشيئين أو الأشياء، قال ابن جني: «إنما

أصل وضعها أن تكون لأحد الشيئين أين

كانت و كيف تصرفت. فهي عندنا على

مطلق الجمع و لا دليل فيها على تقدّم

أحدهما على الآخر» (سيبويه، ٢١٦):

(١٩٨٨) يعني وظيفة (السواو) هنا

الربط بين المعطوف و المعطوف عليه.

و (الواو) هنا أدت إلى سبك النصّ

عن طريق ربط جملة بعضها ببعض .

ومن أمثلة الربط بالفاء قوله تعالى:

﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ

الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ

عَلَيْكَ حَبَّةَ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْهُ وَلِئُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ و(الفاء)

هنا لمجرد الربط الزمني بين الجملات.

وحفظ (الفاء) الترتيب و التعقيب معاً في

النص القرآني.



ذلك». (ابن جنى، ٤٥٧: ١٩٩٠) ومن سياق الآية تبين أن (أو) للدلالة على أحد الشئيين يعنى بين الإتيان بقبس من النار و بين الإهتداء بالنار.

لاحظنا أن الربط فى هذه السورة المباركة أدى وظيفته السبكية لإرتباط الجمل و لحفظ الترتيب و التعقيب و أيضاً ترتيب الزمنى بين أجزاء النص و بهذا الإرتباط المعتاد تحقق التماسك بين أجزاء النص القرآنى.

#### ٤. عناصر السبك المعجمى:

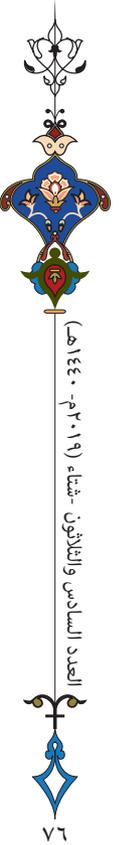
السبك المعجمى «يعد آخر مظهر من مظاهر إتساق النص إلا أنه مختلف عنها جميعاً إذ لا يمكن الحديث فى هذا المظهر عن العنصر المفترض والعنصر المفترض كما هو الأمر سابقاً، ولا عن وسيلة شكلية(نحوية) للربط بين عناصر فى النص». (الخطابى، ٢٤: ١٩٩١) وقد إتخذت دراسة السبك المعجمى لدى اللغويين النصيين محورين أساسيين تدور حولهما: «التكرار وثانيهما: المصاحبة اللغوية، حيث أفرد لهما اللغويون مجالاً واسعاً للدراسة و التصنيف». (إيناس،

٧٤: ٢٠٠٣).

#### ٤-١. التكرار<sup>(٥)</sup>:

التكرار هو «شكل من أشكال الإتساق المعجمى يتطلب إعادة عنصر معجمى، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً». (الخطابى، ٢٤: ١٩٩١) روقال سعيد بحيرى فى تعريفه للتكرار: «الإحالة التكرارية هى الإحالة بالعودة وتتمثل فى تكرار اللفظ أو عدد من الألفاظ فى بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دوراناً فى الكلام». (بحيرى، ١٥١: ١٩٩٤) ويرى علماء اللغة النصيون أنها أوثق أنواع التكرار حيث يقول دريسلر: «إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطى منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر» (نادية رمضان، ٣٣٥: ٢٠٠٦ نقلاً عن دريسلر).

ويرى د. الزنّاد أن التكرار هو نوع من أنواع الإحالة القبلية و سّمَاهُ بـ(الإحالة



التكرارية) وهي تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد (الزناد، ١٩٩: ١٩٩٣) ولا يرى دي بوجراند كبير أثر للتكرار في سبك النص وتماسكه ويقول: «تعد إعادة اللفظ في العبارات السطحية التي تتحد محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام» (دي بوجراند، ٣٠٣: ١٩٩٨) في حين بعض الباحثين يرونه أكثر فائدة للربط وإنه «خير وسيلة للتذكير بما سبق، وإنه حين يعدل عنه إنما يكون ذلك توجيهاً لمبدأ الاختصار» (حسان، ١٩٥: ٢٠٠٦).

ويذكر النصيون خمسة أنواع للتكرار وهي:

«الأول: التكرار المحض أو التام (يقصد به تكرار الكلمة نفسها).

الثاني: التكرار الاشتقائي: يقصد به تكرار عنصر سبق استعماله ولكن بصيغ وأشكال مختلفة.

الثالث: التكرار بالترادف أو شبه الترادف: ويسمى أيضاً التكرار غير الصريح ويعمد إليه المتكلم لأن الكلام يقتضى وجود حركة بين عناصر الخطاب لا تتكرر أسماءهم بذات الصيغ بل بصيغ مماثلة نحوياً ومغايرة شكلاً.

الرابع: الإسم الشامل: ويقصد به اسم يحمل أساساً مشتركاً بين عدة أسماء ومن ثم يكون شاملاً لها.

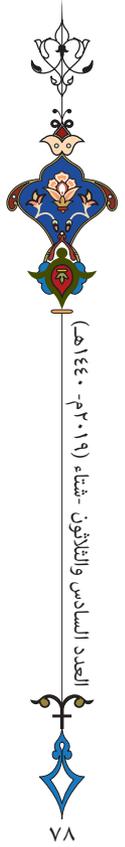
الخامس: التكرار القسوى: وهو تكرار قضية ما بجمل و عبارات مختلفة عن بعضها، فتكرر القضية أكثر من مرة بكلمات مختلفة». (الخطابي، ٢٤: ١٩٩١).

جدول (٦): بنية التكرار في سورة طه

نوع التكرار	اللفظ أو العبارة	الآية
التكرار التام	الله	٨ / ١٤ / ٦١ / ٧٣ / ٩٨ / ١١٤
	موسى	٩ / ١١ / ١٧ / ١٩ / ٣٦ / ٤٠ / ٤٩ / ٥٧ / ٦١ / ٦٥ / ٦٧ / ٧٠ / ٧٧ / ٨٣ / ٨٦ / ٨٨ / ٩١



٧/٧٠ / (٢)٥٢ / ٥٠ / ٤٩ / (٢)٤٧ / ٤٥ / ٢٥ / ١٢ ١ / ١٢١ / ١١٤ / ١٠٥ / ٩٠ / (٢)٨٦ / ٨٤ / ٧٤ / ٣ ١٣٤ / ١٣٣ / ١٣١ / ١٣٠ / ١٢٩ / ١٢٧ / ١٢٥ / ٢٢	رب	
/ ١٢٧ / ١٢٦ / ٥٦ / ٥٤ / ٤٧ / ٤٢ / ٢٣ / ٢٢ ١٣٤ / ١٣٣ / ١٢٨	آية	
١٢١ / ١٢٠ / ١١٧ / ١١٦ / ١١٥	آدم	
/ (٢)٩٨ / ٩٧ / (٢)٨٨ / ١٤ / ٨	اله	
٧٩ / ٧٨ / ٦٠ / ٤٣ / ٢٤	فرعون	
/ ٩٢ / ٩٠ / ٧٠ / ٣٠	هارون	
٩٨ / ١٤ / ٨	لا اله الا	
/ ٤٩ / ٤٦ / ٤٥ / ٣٦ / ٢٥ / ٢١ / ١٩ / ١٨ / ١٠ / ٦٦ / ٦٥ / ٦٣ / ٦١ / ٥٩ / ٥٧ / ٥٢ / ٥١ / ٥٠ / ٨٩ / ٨٨ / ٨٧ / ٨٦ / ٨٥ / ٨٤ / ٧٢ / ٧١ / ٧٠ / ١٢٠ / ٩٧ / ٩٦ / ٩٥ / ٩٤ / ٩٢ / ٩١ / ٩٠ / ٤٠ / ٢٨ / ٧ / ١٣٤ / ١٣٣ / ١٢٦ / ١٢٥ / ١٢٣ / (٢)٤٤ / ٤٧ / (٢)٩٤ / ٨٩ / ٤٧ / (٢)٤٤ / ١٣٠ / ١٠٩	مادة قول	التكرار الإشتقافي
/ ١٦ / ٨٢ / ٧٣ / ٧١ / ٧٠	مادة آمن	
/ ١٢٢ / ٧٩ / ٥٠	مادة هدى	
/ ٦٣ / ٧٣ / ٧١ / ٧٠ / ٦٦ / ٦٣ / ٥٨ / ٥٧ ٧٠ / (٢)٦٩	مادة سحر	
١١٧ / ٨٨ / ٦٣ / ٥٧ / ٥٥ / ٢٢ / ٥٣	مادة خرج	
الرحمن (٥ / ٩٠ / ١٠٨ / ١٠٩)، الحى (١١١)، الرازق (٨١ / ١٣٢)، العالم (٧ / ٥٢ / ٩٨ / ١٠٤ / ١١٠)، الغفار (٧٣ / ٨٢)	تكرار صفات الله سبحانه وتعالى	شبه التكرار المترادف
/ ٢١ / ٢٠ / ١٩ / ١٨ / ١٧ / ١٤ / ١٣ / ١٢ / ١٠ ٤٠ / ٣٩ / ٣٨ / ٣٧ / ٢٣ / ٢٢	قصة موسى قبل النبوة ومعجزاته	تكرار قضية أو قصة



٧٥ / ٧٦ / ٩٩ / ١٠٠ / ١٠١ / ١٠٢ / ١٠٣ ١٠٤ / ١٠٥ / ١٠٦ / ١٠٧ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ ١١١ / ١١٢ / ١١٣	قصة اليوم الآخر
١١٥ / ١١٦ / ١١٧ / ١١٨ / ١١٩ / ١٢٠ / ١٢١ ١٢٢ / ١٢٣	قصة آدم وهبوطه من الجنة
١٢٨ / ١٢٩ / ١٣٣ / ١٣٤ / ١٣٥	قصة الأمم السابقة

و يستفاد من الجدول:

- أن لفظة (رَبِّ) قد تكررت بكثافة واضحة في النص (٢٨) مرة. «وكلمة (رَبِّ) تعنى أنه تولى تربية الخلق إلى غاية و مهمة، والتربية تحتاج إلى مقومات مادية ومقومات معنوية، روحية و منهجية؛ فهو سيد كلِّ العالمين ومالكهم و مربيهم، وهو الذى ينشئهم التنشئة التى تجعلهم صالحين لأداء مهمتهم فى الحياة». (الشاوش، ٧٥٧: ٢٠٠١) وهذه الكلمات المتكررة فى النص تسهم فى الربط بين المحتوى القضىو للجمل، وتسهم أيضاً فى التأكيد على القضية الأساسية فى النص؛ فالتكرار لا يكون تأكيداً إلا اذا توفر

أصل التوكيد وهو جعل الشيء ثابتاً فى ذهن المخاطب. كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ۗ ٥٠ ﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۗ ٥١ ﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ۗ

- كذلك تكررت كلمة (موسى) داخل النص (١٧) مرة. والدليل على هذا الأمر هو كون سورة طه تشرح قصة موسى ﷺ عندما يقابل فرعون كذلك تشرح قصة موسى ﷺ قبل النبوة و بعدها وكيفية مقابلته بالساحرين ونجاته من البحر. وهذه السورة تمثل حواراً بين الله تعالى و موسى ﷺ.
- و المواد اللغوية قد وردت فى فضاء

## السَّبْكُ النَّصِّيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ..... السَّبْكُ النَّصِّيُّ

الناس من القبور يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۗ ﴾ (٥٥) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ ۗ ﴿٥٤﴾

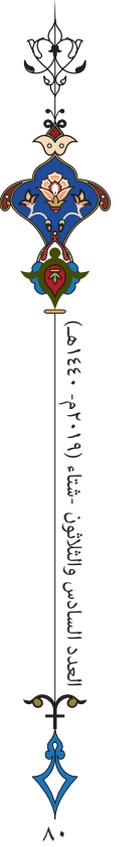
- والقضية الأكثر حضوراً في النص هي قضية اليوم الآخر، كما في قوله: ﴿ يَوْمَ يُفْخِحُ فِي الصُّورِ وَيَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۗ ﴾ (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۗ ﴾ (١٠٣) تَخُنُّ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۗ ﴿١٠٤﴾ ويفيد التكرار هنا «التأكيد على أهمية القضية و أثرها في مصير الإنسان على مدى تاريخه، ففي التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن عناية المتكلم بها و هو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية ثمينة». (نازك الملائكة، ٢٣٦: ١٩٦٧) وعلى ذلك يحتمل ما ورد من التكرار المواعظ والوعيد؛ «لأن الإنسان مجبول من الطباع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات

النص بكثافة، و أغلبها يدور حول المحاوره ومنها مادة (قول) التي وردت بكثافة في السورة وأبرز لفظة في هذه المادة هي (قال) التي تحيل إلى المتلقى النص القرآني موسى عليه السلام في أكثر مواضعه وتكررت في السورة (٥٤) مرة ومن هذا قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۗ ﴾ (١٢) أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ۗ ﴿١٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِإِحْتِي وَلَا بِرَأْسِي.. ۗ ﴿١٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ۗ ﴿١٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ.. ۗ ﴿١٦﴾

- ومن المواد اللغوية الواردة في السورة مادة (السحر) التي تكررت (١١) مرة وتمثل قضية مقابلة موسى عليه السلام بالساحرين وغلبته كقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۗ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ.. ۗ ﴿٧١﴾

وكذلك مادة (خرج) فقد ورد (٧) مرات في النص القرآني وتمثل خروج النبات من الأرض وخروج



و لا يجمع ذلك إلا تكرار المواضع و القوارع (الزركشى، د. ت؛ ٩).

- القضية الأخرى التى تكررت فى النص، هى قصة موسى ﷺ قبل النبوة و كيفية مشاهدة النار من الشجرة و كلامه مع الله تعالى: ﴿ وَهَلْ

أَتَدَّكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتَنكَ فَاستَمِعْ لِمَا يُوحَى

﴿١٣﴾ و قد تكررت فى السورة قضايا أخرى كقضية آدم ابوالبشر و كيفية هبوطه من الجنة مع زوجه بعد وسوسة الشيطان لهما كقوله

تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرٍ الْخَلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٤﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رَّوْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى ﴿١٥﴾

و التكرار فى هذه السورة القرآنية

أدى وظيفته السبكية فى تكرار اللفظ أو عدد من الألفاظ فى بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد و هذه التكرار و إعادة اللفظ يعطى منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر. ٤- ٢. المصاحبة اللغوية أو المعجمية<sup>(٦)</sup>:

لقد رسخ فى الدراسات اللغوية الحديثة مفهوم (المصاحبات المعجمية) بأنه: «الإرتباط الإعتيادى لكلمة ما فى لغة ما بكلمات أخرى معينة». (مختار عمر، ١٩٩٨: ٧٤) و قد إرتبط هذا المفهوم باللغة الإنكليزية (firth) ونظريته السياقية، الذى يرى أن المنهج السياقى يبعد عن الحالات العقلية الداخلية للنص التى تحتاج إلى ما يفسرها، ويختص بدراسة الكلمات بعدها أحداثاً و أفعالاً و عادات تقبل الموضوعية و الملاحظة فى حياة الجماعة المحيط بها». (كنوش المصطفى، ١٩٧: ٢٠٠٧).

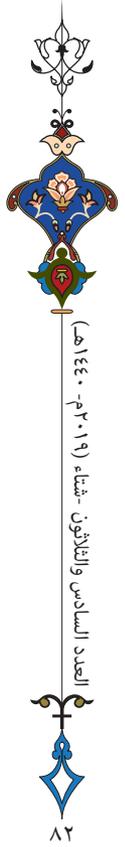
المصاحبة اللغوية فى تعريف العلماء النصيين هى «الورود المتوقع أو المعتاد

(6) Collocation.

## السبك النصي في القرآن الكريم ..... التصانيع

- لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلائم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوى ما، مثل البقرة مع اللبن، والليل مع الظلمة». (ابو زيد، ٢٨٩: ٢٠١٠).
- تنقسم وسائل المصاحبات إلى:
١. «الارتباط بموضوع معين وسماه د. محمد الخطابي بـ(التلازم الذكري) ويتم الربط بواسطته بين العناصر المعجمية لظهورها في سياقات متشابهة.
  ٢. التضاد: تترابط الكلمات بعضها مع بعضها الآخر عن طريق أشكال التقابل بأنواعها المختلفة مثل المكملات (ولد- بنت)، والمتعارضات (يجب- يكره)، (يرد-
  ٣. علاقة الجزء بالكل مثل (صندوق- غطاء الصندوق).
  ٤. علاقة الجزء بالجزء مثل (فم- أنف).
  ٥. الاشتغال المشترك مثل (كرسى- منضدة) فهما كلمتان تشتمل عليهما كلمة أثاث.
  ٦. الإنتهاء إلى مجموعة منتظمة مثل (السبت - الأحد - الإثنين... الخ).
  ٧. الانتهاء إلى مجموعة غير منتظمة مثل (أحمر - أزرق - أخضر...)). (حسين حيال، ٢٣٥: ٢٠٠١).
- جدول (٧): بنية المصاحبات المعجمية في سورة طه:

نوع المصاحبة	الألفاظ المتصاحبة وموضعها في السورة
التلازم الذكري	السموات و الأرض(٤ - ٦)/ الليل و النهار(١٣٠)/ القرآن -وحى(١١٤)/ رزق -أكل(٨١)/ مجرم -جهنم(٧٤)/ جنة -جري الأنهار (٧٦)/
التضاد (المقابلات الثنائية)	جهر -السر(٧)/ قرُّ العين -الحزن(٤٠)/ خلقناكم -نعيدكم(٥٥)/ تولى -أتى(٦٠)/ لا يموت -لا يجيا(٧٤)/ ضراً -نفعاً(٨٩)/ تبعن -عصيت(٩٣)/ بين أيديهم -خلفهم(١١٠)/ أعمى -بصير(١٢٥)/ طلوع -غروب(١٣٠)/



علاقة الجزء بالكل	صلاة - ذكر (١٤) / ضحى - يوم (٥٩) / جباهم - سحر (٦٦) / عمل صالحاً - اهتدى (٨٢) / حشر - يوم القيامة (١٢٤)
علاقة الجزء بالجزء	بعضكم - ببعض (١٢٣)
الانتماء إلى مجموعة غير منتظمة	أدوات السحر: جباهم، عصيهم (٦٦) مراحل الهداية: تاب، آمن، عمل صالحاً (٨٢) الأزمة لتسيب الله: قبل طلوع الشمس، بعد غروبها، آناء الليل، اطراف النهار (١٣٠)

عند المتلقى، «لأن التضاد محصلة علاقة تقابلية لمعنى عنصرين لغويين على نطاق محور دلالي مشترك». (غارى بريور، ٢١: ٢٠٠٧) زيادة على سبك النص الذي تم بتجاور اللفظين المتضادين.

ومن علاقة الجزء بالكل قوله تعالى:  
﴿ وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَصَلِحًا ﴾  
﴿ ثُمَّ أَهْتَدَى ﴾ حيث حصلت علاقة الجزء بالكل في ثلاثة ألفاظ (تاب، آمن، عمل صالحاً) لأن الهداية سيحصل بعد التوبة والإيمان بالله و أداء العمل الصالح وهذه الكلمات الثلاث تعدُّ جزءاً من الهداية الكلية.

ومن علاقة الجزء بالجزء قوله تعالى:  
﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ

و لتحليل هذا النعصر، أن بداية السورة يمثل لنا تلازماً بين بعض الألفاظ المتلازمة: ﴿ تَزِيدًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ فالتلازم بين لفظتي (السموات) و(الأرض) أدى إلى سبك النص عن طريق تجاور هاتين اللفظتين، «فالسبك هنا يزداد كلما كانت المسافة بين المصاحبات أقصر، وقد حصلت المصاحبة بين اللفظتين باعتبار اشتغالها على المكان الذي يشعره الناس، و العلاقة بينهما هي علاقة اشتغال ايضاً». (حسين حيال، ١٦١: ٢٠١١).

وفى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ ﴾  
﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ نرى علاقة التضاد بين لفظتي (تولى) و (أتى) وبهذا الإيراد المتضاد بين اللفظتين إتسعت دائرة الدلالة

فى بناء النص و سبكه بالإرتباط بالموضوع الأساسى للسورة وهى دعوة المشركين لعبادة إله واحد و هو الله سبحانه و تعالى .  
٥ . النتائج :

١- الإحالة التى تؤدى إلى سبك النصِّ فى سورة طه هى الإحالة النصية القَبَلِيَّةُ و هى أكثر شيوعاً فى النصِّ القرآنى مقارنة بالإحالة المقامية و الإحالة النصية البعدية تقوم بتفسير المبهات أو ربط النص بالسياق .

٢- أغلب الربط الذى يؤديه الموصول، هو الربط إلى داخل النص . والموصول العام (من) قد ورد بكثافة فى داخل النصِّ القرآنى لإعطاء الهداية على كل من يتبعها .

٣- القرينة اللفظية للحذف فى سورة طه أقوى و أكثر من قرينة السياق و هو يتحقق بحرف العطف (الواو) فى أغلب الأحيان . و يؤدى الحذف هنا إلى سبك النص عن طريق إفادة الكلام مختصراً أو الإحتراز عن العبث .

٤- الحذف الإسمى أكثر شيوعاً فى

أَتَّبِعْ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١﴾ ورد فى كتاب العين فى معنى كلمة بعض: «بعض كل شىء: طائفة منه، وبعضته تبعيضاً إذا فرّقتة أجزاء» (خليل ابن احمد، ١٩٨٤، مادة بعض) و يمكن القول «إن العلاقة بين الجزأين أو القسمين من الناس التى مثلت نواة الصراع فى الجمل التى وردت فيها، أدت إلى سبك النصِّ عن طريق تلاحم ألفاظه مع كل قسم من القسمين» (حسين حيال، ١٦٧: ٢٠١١) فجميع ألفاظ القضية المذكورة ترتبط باللفظتين منفصلتين عن بعضهما من جهة، و ترتبط بهما مجتمعين من جهة أخرى .

وأبرز الألفاظ التى تنتمى إلى مجموعة غير منتظمة قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ ﴿١﴾ هنا قد تبين لنا أن

الأزمة الواجبة لتسبيح الله سبحانه و تعالى هى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها، آناء الليل و أطراف النهار . فى هذه الأزمة قد وجبت الصلاة على المسلمين . هنا نلاحظ أن هذه المجموعات غير المنتظمة ساهمت



سورة طه و تمثلت في التأكيد على الموضوع الأساس الذي نزلت من أجله السورة.

السورة مقارنة بالحذف الفعلي و الحرفي و يتحقق هذا الحذف في أغلب الأحيان بعد فعل (قال).

٥- نرى كثرة إستعمال حروف العطف

في السورة للربط بين عناصر الجملة وهنا يتحقق سبك النص عن طريق

هذا الربط والربط الإضافي أكثر دوراناً في النص القرآني يليه الربط الزمني فالربط العكسي.

٦- المصادر والمراجع:

• الكتب.

القرآن الكريم.

١. ابن جنى، ابو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد على النجار، دارالشؤون الثقافية العام، ط ٤، بغداد، ١٩٩٠ م.

٦- أدى تكرار لفظة الجلالة و الألفاظ

الدالة على صفات الذات المقدسة وظيفه دلالية فضلاً عن وظيفته في سبك النص، مما يؤدي إلى تجسيد معنى الألوهية و سيطرة الله على كل

٢. ابو غزالة، الهام، على خليل حمد: مدخل الى علم اللغة النص، تطبيقات نظرية روبرت دي بوجراند و لفجانج دريسلر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١ م.

شئ. و كذلك تكرار كلمة (موسى) لكونه المتلقى للنص القرآني في سورة طه.

٣. ابو المكارم، على: التراكيب الاسنادية، الجمل (الظرفية، الوصفية، الشرطية)، مؤسسة المختار

٧- إن المصاحبات المعجمية لها أثر في

تحديد دلالة كثير من الألفاظ و التراكيب القرآنية فالقارئ لا يحتاج إلى النظر خارج النص.

نشر والتوزيع، ط ١؛ ٢٠٠٧ م.

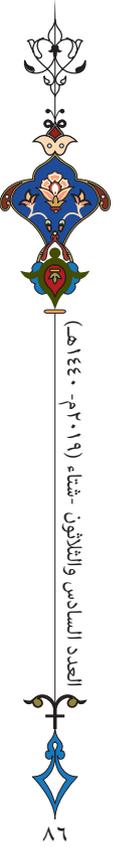
٤. ابو زينيد، عثمان: نحو النص إطار نظري و دراسات تطبيقية، عالم الكتب الجديد الاردن، ٢٠١٠ م.

٨- إن وسائل السبك بنوعها النحوى

و المعجمي أدت وظيفه دلالية في

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر،

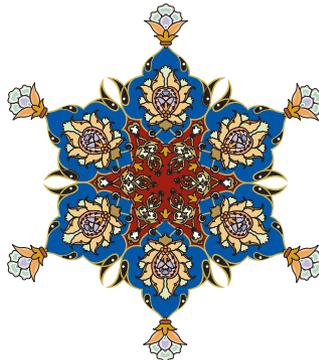
١٢. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج  
العروس من جواهر القاموس،  
تحقيق مجموعة من الاساتذة، طبعة  
الكويت، ٢٠٠٢م.
١٠. الزنّاد، الازهر، نسيج النص بحث  
فى ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز  
الثقافى العربى، ط١؛ ١٩٩٣م.
١١. الزركشى، محمد بن عبدالله: البرهان  
فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو  
الفضل إبراهيم، مكتبة دارالترث  
القاهرة، (د.ت).
١٢. الراجحى، عبده: فقه اللغة فى  
كتب العربية، دارالمعرفة الجامعية،  
الاسكندرية، ١٩٩٠م.
١٣. كنوش المصطفى، عواطف: الدلالة  
السياقية عند اللغويين، دارالسياب  
للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
١٤. حميدة، مصطفى: اساليب العطف  
فى القرآن الكريم، الشركة المصرية  
العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٩م.
١٥. حسن الزييات، احمد و تبراھيم  
مصطفى: معجم الوسيط، مكتبة  
الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
- ١٩٨٤م.
٦. بحيرى، سعيد حسن: علم اللغة  
النص المفاهيم و الاتجاهات، مكتبة  
لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م.
٧. الباقلانى، ابوبكر محمد بن الطيب:  
إعجاز القرآن، تحقيق احد صقر، دار  
المعارف، مصر.
٨. الجرجانى، عبدالقاهر: دلائل  
الاعجاز، قرأه و علق عليه ابوفهر  
محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى،  
١٩٩٢م.
٩. سيويه، ابوبشر عمرو بن عثمان بن  
قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام  
هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة،  
ط٣؛ ١٩٨٨م.
١٠. الشاوش، محمد: أصول تحليل  
الخطاب فى النظرية النحوية العربية  
تأسيس نحو النص، جامعة منوبة،  
تونس، ٢٠٠١.
١١. دى بوجراند، روبرت: النص و  
الخطاب و الاجراء، ترجمة د. تمام  
حسان، ط عالم الكتب، القاهرة،  
١٩٩٨م.



١٦. حسان، د. تمام، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط١؛ ٢٠٠٦م.
١٧. حسان، د. تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط٢؛ ٢٠٠٠م.
١٨. حمودة، طاهر سليمان: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، الاسكندرية، د. ت.
١٩. الخطابي، محمد: لسانيات النص- مدخل الى انسجام الخطاب، ط المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١م.
٢٠. خليل بن احمد: العين، تحقيق محمد المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٤.
٢١. فولفجانج هانية من، ديتر فيهفيجر: مدخل الى علم اللغة النصي، ترجمه د. فالح بن شبيب العجمي، ط جامعه الملك السعود، ١٩٩٦م.
٢٢. فضل، صلاح: بلاغة الخطاب و علم النص، ط علم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.
٢٣. صبحي الفقي، ابراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق-دراسة تطبيقية على السور المكية، ط دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٤. صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.
٢٥. عبد اللطيف، حماسة: بناء الجملة العربية، ط دارالشروق، مصر، ١٩٩٦م.
٢٦. العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (ت ٧٤٩هـ) تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٧. عفيفي، احمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء، ٢٠٠١م.
٢٨. نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط٣؛ ١٩٦٧م.
٢٩. نحلة، محمود أحمد: التعريف و التنكير بين الدلالة و الشكل، ط دارالتونى



٣. فان دايك: «من نحو النص الى تحليل  
الخطاب النقدي»، ترجمة أحمد صديق  
الواصي، مجلة فصول، ٢٠٠١م
٤. مصلوح، سعد: «نحو أجرومية للنص  
الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية»،  
مجلة فصول، ط١، عدد ١ و٢،  
١٩٩١م.
٥. نادية رمضان، النجار: «علم اللغة  
النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة  
النبوية انودجاً)» مجلة علوم اللغة،  
المجلد التاسع، العدد ٢؛ ٢٠٠٦م.
٦. الوعر، مازن: «نظرية تحليل الخطاب  
و استقلالية نحو الجملة»، مقال من  
شبكة المعلومات.
- للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.
٣٠. الهاشمي، إحمد: جواهر البلاغة،  
ترجمة حسن عرفان، النشر بلاغة،  
قم: ١٣٩١ش.
٣١. يعيش بن علي بن يعيش: شرح  
المفصل، المطبعة المنيرية، مصر، د.ت.
- الرسائل و الأطاريح:
١. ايناس، حسين محمد: «الخصائص  
اللغوية في الخطابة الدينية في  
العقدين الاخيرين»، بحث دكتوراه،  
الاسكندرية، ٢٠٠٣.
٢. حسين حيال، أحمد: «السبك النصي  
في القرآن الكريم؛ دراسة تطبيقية في  
سورة الأنعام»، رسالة ماجستير، كلية  
الآداب، جامعة المستنصرية.



# حجاج المفسرين والنحاة في آية الوضوء

## دراسة في دلالة الخطاب القرآني

أ. م . د. أحمد عبدالله المنصوري  
كلية التربية- جامعة البصرة

### فحوى البحث

بحث استدلالي يتناول الآية السادسة من سورة (المائدة) الشريفة وهي قوله -تعالى-: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ... ﴾ ووجه الخلاف في نصب أو خفض اللام في (ارجلكم) ويثبت الباحث أن الخلاف مفتعل ملفق جاء بحكم التعصب غير المبرر لطائفة على طائفة، وعلى لسان مفسرين ونحاة يعتد بعلمهم.

وكانت مجلة المصباح قد نشرت سلسلة أبحاث من ثلاث حلقات للعلامة المحقق السيد علي الشهرستاني حول الموضوع في أعدادها الثالث والرابع والخامس، بيد أن هذا البحث فصل ما أوجزه الشهرستاني و أوجز ما فصله، كما انه ذكر حالتي (النصب) و (الجر) وأهمل حالة (الرفع) لشذوذها وناقش الآراء مناقشة علمية رصينة ونعى على أولئك العلماء تجاهلهم الذوق العربي في الحكم على الاسلوب المعجز للقرآن الكريم.

وتعليل الظواهر والأحكام، وجدل العلماء في اختلاف أوجه الإعراب في اللفظ الواحد، وتأويلها وتخريجها، وغير ذلك عما هو معروف من الدراسات النحوية التي ظهرت منذ بدء التأليف النحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري. إذ لم يكن غائباً عن أذهان النحويين القدامى ما يؤديه النحو من وظيفة في الكشف عن المعنى، وتحديد دلالاته من خلال المواقع الإعرابية للكلمات، وعلاقة بعضها ببعض من سوابق ولواحق لها من الكلمات الممتدة معها في السياق.

لذلك تعدّ التخريجات النحوية للألفاظ القرآنية من أهم الآليات اللغوية التي لها أثرها الفاعل في تحديد قصدية الخطاب القرآني، وتوجيه دلالاته؛ ذلك بأنّها تؤكد الصلة بين التركيب ودلالاته على المعنى.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ [سورة المائدة: ٦].

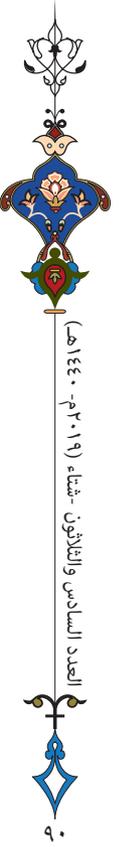
### ملخص البحث:

تتعدد الوجوه الدلالية لمعاني المفردات والتراكيب بتعدد الوجوه الإعرابية، مما تمخض عن ذلك تعدد في فهم دلالة الخطاب القرآني على المستويين الإفرادي والتركيبى ما أدى إلى اختلاف الفقهاء في مستوى التشريع الفقهي واستنباط الأحكام الشرعية التي لا تخفى على ذي نظر في كتب التفسير أو الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، وقد أرجع الأستاذ محمد عبد الخالق عزيمة ذلك إلى أمرين:

((أسلوب القرآن المعجز، لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيراً من المعاني وكثيراً من الوجوه.

١. يحتفظ النحويون لأنفسهم بحرية الرأي، وانطلاق الفكر، فلا يعرفون الحجر على الآراء، ولا تقديس رأي الفرد، مهما علت منزلته)).

للمعنى أثر ملموس في توجيه التركيب وسلامته، ويظهر هذا الأثر واضحاً في منهجية البحث النحوي، وصياغة الأصول النحوية وفروعها،



الخطاب القرآني موجّه إلى طائفة المؤمنين الذين شرفهم الله تعالى بالانتساب إلى الدين و منّ عليهم بالهداية و الإيمان، ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحُجُرَات: ١٧]، و

تُعَدُّ هذه الآية المباركة من آيات الأحكام المحكمة غير أنّها أصبحت فيما بعد من المتشابهات على علماء الدين و اللغة؛ ذلك بأنّها وردت بقراءتين سبعيتين متواترتين لا مزية لإحدهما على الأخرى من جهة التواتر و صحّة القراءة و غير ذلك، و قد قرئت بثالثة و صمّت بالشذوذ<sup>(١)</sup>، إذ قال ابن مجاهد: ((و اختلفوا في نصب اللام فقرأ ابن كثير و حمزة و أبو عمرو: «و أرْجَلِكُمْ» خفضاً، و قرأ نافع و ابن عامر و الكسائي: «و أرْجَلِكُمْ» نصباً، و روى أبو بكر عن عاصم: «و أرْجَلِكُمْ» خفضاً، و روى حفص عن عاصم: «و أرْجَلِكُمْ» نصباً))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢٢٨.

(٢) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ٢٤٣-٢٤٢.

و قال أبو عليّ الفارسيّ: الحجّة لمن جرّ، فقال: ((و أرْجَلِكُمْ)) أنّه وُجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، و الآخر: الباء الجارّة، و وجه العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن تُحمّل على الأقرب منهما دون الأبعد))<sup>(٣)</sup>.

و قد نسب الأزهريّ قراءة الخفض إلى الكسائيّ أيضاً على غير المشهور عنه بقراءة النصب<sup>(٤)</sup>، و قد كاد يجمع المعربون و المفسّرون على توجيه القراءتين المتواترتين بأن ((حجّة من خفضه أنّه حمّله على العطف على (الرؤوس)؛ لأنّها أقرب إلى الأرجل من الوجوه، و الأكثر في كلام العرب أن يُحمّل العطف على الأقرب من حروف العطف و من العاملين، و حجّة من نصب أنّه عطفه على الوجوه و الأيدي، و كان ذلك أولى عنده))<sup>(٥)</sup>.

و سيكون كلامنا في القراءتين المتواترتين و ما تمخض من تعدّد أوجه

(٣) الحجة في علل القراءات السبع، أبو عليّ

الفارسي، ج ٢: ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) ينظر: معاني القراءات: ١٢٩.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات و عللها و

حججها: ٤٠٦-٤٠٧.

قواعد العرب و مشهور لغتهم من عدم إمكان الفصل بين المتعاطفين بمفرد لا بجملة دالة غير معترضة، وقوله بإمكان ذلك و قبوله كأبي البقاء العكبري، و اختلف علماء الإسلام و أئمة المذاهب في تحديد دلالة الخطاب القرآني المبين لنوع طهارة الأرجل من أعضاء الوضوء<sup>(٧)</sup>.

و قد ذهب بعضهم مذهباً بعيداً و أركب النصّ مركباً و عراً و وجهه توجيهاً صعباً - إن لم يكن قبيحاً - كما وصمه بعض المفسرين بذلك كالنحاس بتغليطه الأخفش<sup>(٨)</sup>، أو أبي حيّان الأندلسي<sup>(٩)</sup>، أو الفخر الرازي<sup>(١٠)</sup> و غيرهم.

و عليه فقد اختلف التوجيه الإعرابي لقراءة الخفض، و باختلافه فقد اختلف توجيه الحكم الفقهي لدى أئمة المذاهب الإسلامية تبعاً لذلك، على الرغم من وضوح دلالة الظاهر في الخطاب القرآني إذا ما أعملنا الفطرة اللغوية و الفكر السليم في قراءة النصّ و توجيهه من غير

الإعراب و أثر ذلك التعدّد الإعرابي في توجيه دلالة الخطاب الموجّه ذي الدلالة المقصودة لبيان أحكام الوضوء و كفيته، و قد حُمّل ذلك الخطاب على غير دلالته؛ نتيجة حمله على حالة إعرابية مختلفة من لدن النحويين قائمةً على مثال باردٍ فجّ صامط لا يثير في النفس اهتماماً، بل يثير اغتتماماً، ذلك المثل هو: (هذا حجر ضبّ خرب) الذي يمثّلون به للجّر بالمجاورة أو بالتوهّم<sup>(٦)</sup>.

و ذلك ما عُرف فيما بعد بقاعدة الجرّ على الجوار التي وقف منها نحاة البصرة موقف الضدّ و عد الأخذ بها أو القبول بها، كما سيأتي تفصيل ذلك.

و باختلاف إعراب كلمة (أرجلكم) بين النصب و الجرّ، أو باختلاف أهل اللغة و النحو في توجيه حالة الخفض بين عطفها على الأقرب إليها و هو الأكثر في كلام العرب، و كما هو معلوم عندهم، و قد صرّح به أكثرهم، و بين حملها على التقديم و التأخير أو محاولة بعضهم التجوّز على

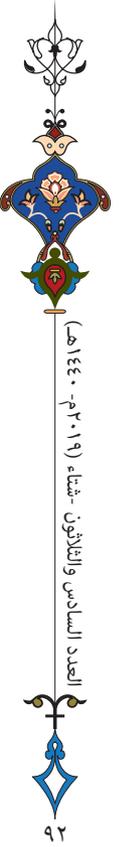
(٦) ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج ٢: ٤٤.

(٧) ينظر: البحر المحيط، ج ٣: ٦١.

(٨) ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ١: ٢٨٥.

(٩) ينظر: البحر المحيط، ج ٣: ٦١.

(١٠) ينظر: التفسير الكبير، ٦م، ١١: ١٢٧.



تعصّب أو تمذهب معيّن، وهذا ما أشار إليه غير واحد من المفسّرين والمعريين، إذ يقول المفسّر أبو حيّان الأندلسي: (و قرأ ابن كثير... ((وأرجلكم)) بالخفض، و الظاهر من هذه القراءة اندراج الأرجل في المسح مع الرأس))<sup>(١١)</sup>.

و قد احتجّ أبو عليّ الفارسيّ لمن جرّ ((وأرجلكم)) بأنّه ((وَجَدَ فِي الْكَلَامِ عَامِلِينَ أَحَدَهُمَا: الْغَسْلُ، وَالْآخِرُ الْبَاءُ الْجَارَّةُ، وَ وَجْهُ الْعَامِلِينَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي التَّنْزِيلِ أَنْ تَحْمَلَ عَلَى الْأَقْرَبِ مِنْهُمَا دُونَ الْأَبْعَدِ))<sup>(١٢)</sup>.

و إلى ذلك أشار مكّي القيسي أيضاً و ثبته بقوله: ((و حجّة من خفضه أنّه حملة على العطف على (الرؤوس)؛ لأنّها أقرب إلى الأرجل من الوجوه، و الأكثر في كلام العرب أن يُحمل العطف على الأقرب من حروف العطف و من العاملين...، لكن لما حُمِل (الأرجل) على (الرؤوس) في الخفض على (المسح) قامت الدلالة من السنة و الإجماع، و من تحديد الوضوء في الأرجل

مثل التحديد في الأيدي المغسولة على أنّه أراد بالمسح الغسل، و العرب تقول: تَمَسَّحْتُ لِلصَّلَاةِ أَي تَوَضَّأْتُ لَهَا، وَ قَدْ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: (إِنَّ الْمَسْحَ خَفِيفَ الْغَسْلِ))<sup>(١٣)</sup>.

و بغض الطرف عن المراء العقيم عند المتقدمين من العلماء و المتأخرين الذين توارثوا أقوال السلف من المفسرين و المعريين في توجيه دلالة ظاهر الخطاب القرآنيّ في هذا النصّ التشريعيّ المحكم الذي بيّن كيفية الوضوء و أجزاء أعضائه، غير أنّنا نقف عند وقفة الاستعمال النحويّ و أثره في الكشف عن دلالة ذلك الخطاب و بيان قصديّته.

تقدّم الكلام في إثبات القراءتين المتواترتين المشهورتين، أحدهما تخالف الأخرى إعراباً و حكماً - فقهياً - باختلاف تخريجات العلماء لهما، فقد خرّجت قراءة النصب (وأرجلكم) بتخريجين هما: الأوّل: أن يكون معطوفاً على الوجوه و الأيدي، أي: فاغسلوا وجوهكم و أيديكم و أرجلكم و امسحوا برؤوسكم، فيكون

(١١) البحر المحيط، ج ٣: ٦١٠.

(١٢) الحجّة في علل القراءات السبع، ج ٢:

٤٠٥-٤٠٦.

(١٣) الكشف عن وجوه القراءات و عللها و

حججها: ٤٠٦.

في الكلام تقديم وتأخير، وهذا ما أثبتته  
الفراء بقوله: ((وقوله: «وأرجلكم»...  
مردودة على الوجوه، وحدثني قيس بن  
الربيع عن عاصم عن زرّ عن عبد الله  
بن مسعود أنّه قرأ «وأرجلكم» مقدّم و  
مؤخر)) (١٤).  
وكذلك جزم الشنقيطي بعدم وجود  
إشكال في قراءة النصّ معتلاً لذلك بعطف  
الأرجل على الوجوه، إذ يقول في ذلك:  
(«أمّا قراءة النصب: فلا إشكال فيها؛  
لأنّ الأرجل فيها معطوفة على الوجوه،  
و تقرير المعنى عليها فاغسلوا وجوهكم  
و أيديكم إلى المرافق، و أرجلكم إلى  
الكعبين، و امسحوا برؤوسكم، و أنّما  
أدخل مسح الرأس بين المغسولات محافظة  
على الترتيب)) (١٥)، غير أنّه بما تواضع  
عليه علماء اللغة و النحو من منع الفصل  
بين المتعاطفين، و ليس الفاصل جملة  
اعتراض، أو مفرد، بل هو جملة تامّة منسّئة  
حكماً، و قد منعه أبو الحسن بن عصفور  
من النحاة و قال عنه: ((وأقبح ما يكون

ذلك بالجمل)) (١٦)، ((فدلّ قوله هذا على  
أنّه ينزّه كتاب الله عن هذا التخريج)) (١٧).  
وقد حكى العكبري جوازه في العربية  
بلا خلاف (١٨)، وهذا غير دقيق؛ ذلك بأنّ  
الخلاف حاصل و ثابت بين أهل اللغة في  
قبول الفصل بين المتعاطفين من عدمه، و قد  
رفضه ابن عصفور و أبو حيّان الأندلسي و  
ابن هشام الأنصاري و غيرهم، و قد وجّه  
الأخفش قراءة النصب توجيهاً واحداً  
ليس غير، إذ قال: (وقال: ((وامسحوا  
بوجوهكم و أرجلكم)) فردّه إلى الغسل؛  
لأنّه قال: ((فاغسلوا وجوهكم)) (١٩)،  
ولذلك أيضاً احتجّ مكّي القيسي لقراءة  
النصب بقوله: ((وحجّة من نصب أنّه  
عطف على الوجوه و الأيدي و كان ذلك  
أولى عنده، لما ثبت من السنّة و الإجماع على  
غسل الأرجل... و أيضاً فإنّ الخفض يقع  
فيه إشكال من إيجاب المسح أو الغسل، و

(١٦) شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور  
الاشبيلي، تح: د. صاحب أبو جناح، ١:  
٢٥٩.

(١٧) البحر المحيط، ٣: ٦١.

(١٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٧.

(١٩) معاني القرآن، الأخفش: ١٦٨.

(١٤) معاني القرآن، الفراء، ١: ٣٠٢.

(١٥) تفسير من أضواء البيان، الشنقيطي: ١٣٣.

عطفه على الوجوه و نصبه، ليخرجه من الإشكال، و ليحقق الغسل الذي أريد به)) (٢٠).

أمّا التوجيه الثاني، فهو أن يكون معطوفاً على موضع (برؤوسكم)؛ لأنّ موضعه النصب، و التقدير: امسحوا رؤوسكم و أرجلكم، ذكره أبو البقاء العكبري و رجّح عليه القول الأوّل (٢١).

أمّا قراءة الخفض (و أرجلكم) و هي قراءة سبعية متواترة، فقد تعدّدت توجيهات العطف فيها حتّى غدا بعضها مخالفاً لأصول اللغة و قواعد النحاة على الرّغم من دلالة ظاهر الخطاب و وضوحها و عدم مخالفتها أصول العربية و قواعد نحوها، إذ كانت ((حجّة من خفضه أنّه حملة على العطف على (الرؤوس)؛ لأنّها أقرب إلى الأرجل من الوجوه، و الأكثر في كلام العرب أن يُحمل العطف على الأقرب من حروف العطف و من العاملين)) (٢٢).

(٢٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها: ٤٠٧.

(٢١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٧

(٢٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها: ٤٠٦.

و قد أشار أبو حيّان الأندلسي إلى أنّ الظاهر الذي يُفهم من هذه القراءة هو اندراج الأرجل في المسح مع الرأس (٢٣)، و كذلك نجد المفسّر الفخر الرازي قد فصل القول في ذلك و صرّح بعدها بأنّ الأرجل معطوفة على الرؤوس في هذه القراءة (٢٤)، غير أنّ المفسّر الكبير الإمام الفخر الرازي قد وقف حيران في الرأي لا يستطيع ضرباً في الأرض و لا سلماً في السّماء، إذ تيقّن من صحّة دلالة ظاهر الخطاب القرآني بوجوب حمل (أرجلكم) بقراءة الجرّ - عطفاً على قوله (امسحوا برؤوسكم) ليس غير - بعد اعتراضه على الفصل بين المتعاطفين بحملها عطفاً على الوجوه و الأيدي، و كذلك رفضه حملها بالجرّ على الجوار الذي عدّه ضرباً من اللحن الخاص بضرورة الشعر، و كلام الله يجب تنزيهه عنه، و كذلك إقراره بأن العامل في (أرجلكم) على القراءتين - النصب أو الجرّ - هو قوله (وامسحوا) فوجب مسح الأرجل في كلا الحالين نصباً قرآنياً ظاهراً

(٢٣) ينظر: البحر المحيط، ج ٣: ٦١٠.

(٢٤) ينظر: التفسير الكبير، ٦، ١١: ١٢٧.

و موائماً لقواعد اللغة و منسجماً مع الفهم النحويّ، إلّا أنّه قد اصطدم بمخالفة الأخبار الصحيحة بنظره، و توجهه المذهبيّ فحاول الجمع بين عدم مخالفة ظاهر الخطاب القرآني، و بين عدم مخالفة الأخبار الصحيحة بنظره فقال مجيباً عن ذلك: ((و اعلم أنّه لا يمكن الجواب عن هذا إلّا من وجهين: الأول: أنّ الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل و الغسل المشتمل على المسح و لا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه، و على هذا الوجه يجب القطع بأنّ غسل الرجل يقوم مقام مسحها))<sup>(٢٥)</sup>.

و لعلّ هذا لا ينسجم والدلالة النصيّة للمكونات التركيبية في هذا السياق إذ سيرد إشكالاً واضح عليه مفاده: إذا كان الغسل مشتملاً على المسح و لا ينعكس، أيجوز لنا أن نغسل الرأس بدلاً من مسحه لتحقق المسح بذلك الغسل؟! و هذا ما لم يقل به أحد من الأولين و الآخرين - حسب اطلاعي -، و عليه فسيكون الجواب بالنفي و النفي القاطع؛

لعدم جواز غسل الرأس بدلاً من مسحه؛ لظهور وجوب المسح من صيغة الأمر. و كذلك لا يمكننا قبول ما قاله بعض المفسرين و اللغويين أو المعربين: إنّ المسح هنا العامل في الأرجل غير المذكور بمعنى الغسل؛ ذلك بأنّ المسح هو خفيف الغسل كما قال بذلك أبو زيد الأنصاري الذي توارث أهل اللغة و التفسير قوله فيما بعد، إذ يقول الأزهريّ: ((و أخبرني أبو بكر بن عثمان عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري أنّه قال: المسح عند العرب يكون غسلًا، فلا بدّ من غسل الرجلين إلى الكعبين))<sup>(٢٦)</sup>، و إلى ذلك أشار مكّي القيسي أيضاً بقوله: ((على أنّه أراد بالمسح الغسل، و العرب تقول: تمسّحت للصلاة، أي توضّأت لها، و قد قال أبو زيد: إنّ المسح خفيف الغسل))<sup>(٢٧)</sup>.

و كذلك حاول المفسّر الآلوسي أن يستعين بقول أبي زيد الأنصاري في تأمله في تينك القراءتين، إذ يقول في

(٢٦) كتاب معاني القراءات: ١٤٠.

(٢٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع و

عللها و حججها: ٤٠٦.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٢٧-١٢٨.

ذلك: ((فلما تأملنا في هاتين القراءتين في الآية وجدنا التطبيق فيهما بقواعدا من وجهين: الأول: أن يُحمل المسح على الغسل كما صرح به أبو زيد الأنصاري و غيره من أهل اللغة...))<sup>(٢٨)</sup>، و غيرهم كثير.

و هذا يعني التجزئة في دلالة الكلمة الواحدة، فتارة تدلّ على حقيقة معناها، و تارة أخرى تدلّ على مجازها، إذ سيكون المسح مع الرؤوس على حقيقته، و مع الأرجل على مجازه على الرغم من عدم ظهوره و ذكره؛ و هذا يستلزم الجمع بين الحقيقة و المجاز لذات الكلمة، و هذا غير معقول؛ ذلك بأنّ المورد لا يتحمّل تعدّد دلالة الكلمة الواحدة، إذ الجمع بينهما بواو العطف دلالة على شيئين: أحدهما الجمع، و الآخر العطف، فواو العطف لا تضارع العامل الذي دلّت عليه و قامت مقامه لفظاً و لا معنى<sup>(٢٩)</sup>.

و لو كان القول كما قالوا لأجزأ غسل

(٢٨) روح المعاني، ٦: ٣٣٧.

(٢٩) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جنّي:

الرأس عن مسحه؛ ذلك بأنّ الغسل هو المسح و زيادة، و به يتحقّق المسح و لا عكس، و ليس القول كما قالوا؛ ذلك بعدم إمكان دلالة الكلمة الواحدة على الحقيقة و المجاز في مورد واحد، و كذلك للتفريق المقصود بين المسح و الغسل في الآية المباركة، هذا ما أشار إليه الطاهر ابن عاشور بقوله: ((وزعموا أنّ العرَبَ تسمّي الغسل الخفيف مسحاً، و هذا الإطلاق إن صحّ لا يصحّ أن يكون مراداً هنا؛ لأنّ القرآن فرق بين التعبير بين الغسل و المسح))<sup>(٣٠)</sup>.

و عليه فإنّنا نجد من المفسّرين من استعان ببعض القرائن الخارجية لفهم دلالة الخطاب القرآني و التدليل عليها، من ذلك مثلاً ما نجده عند المفسّر السيد الطباطبائي الذي دلّل على صحّة عطف الأرجل على الرؤوس لا على الوجوه و الأيدي بالفطرة اللغوية و الطبع السليم بقوله: ((و أنت إذا تلقّيت الكلام تحلّى الذهن غير المشوب الفهم لم يلبث دون أن تقضي أنّ (أرجلكم) معطوف على موضع

(٣٠) التحرير و التنوير، ٦: ١٣١.

(الشريعة) (٣٣).  
فردّ عليه المفسّر أبو حيان الأندلسي بقوله: ((أو تأوّل على أنّ الأرجل...، وهو كما ترى في غاية التلفيق و تعمية الأحكام)) (٣٤).

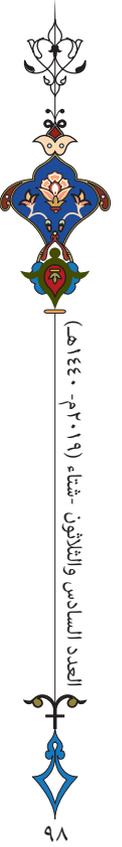
و لي أن أقف مع الزمخشري بقوله: ((الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبّ الماء عليها))، لأستفهم منه كيف كانت الأرجل على حدّ قوله من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة يُصبّ الماء عليها؟! أو لم تكن الأيدي تُغسل بصبّ الماء عليها؟! أو لم تكن الوجوه تُغسل بصبّ الماء عليها؟! و هل تغسل برمسها بالماء و تُفرد الأرجل بصبّ الماء عليها؟! فهذا كلام ظاهر في الوهن، ضعيفٌ في الاستدلال، ملفّقٌ تليفاً كما وصفه الأندلسي لتعمية الأحكام!.

أمّا التوجيه الآخر لقراءة الخفض، فهو الجرّ على الجوار و هذا ما قال به ثلّة من المفسّرين و المعربين، و أنكـره آخرون، فمن أوائل من قال به الأخفش

(رؤوسكم) و هو النصب، و فهمت من الكلام و جوب غسل الوجه و اليدين، و مسح الرأس و الرجلين، و لم يخطر ببالك أن تردّ (أرجلكم) إلى (وجوهكم) في أوّل الآية مع انقطاع الحكم... فإنّ الطبع السليم يأبى حمل الكلام البليغ على ذلك)) (٣١).

و كذلك نجد السيد السبزواري قد استعان بالعرف و فهمه في التفريق بين المسح و الغسل (٣٢).

و قد حاول الزمخشري تعمية الأحكام و تليق الكلام في توجيه دلالة الخطاب القرآني بقوله: ((الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبّ الماء عليها، فكانت مظنة الإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث المسوح لا لتمسح و لكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها، و قيل: (إلى الكعبيين) فجيء بالغاية إمطة لظنّ ظانّ يحسبها مسووحة؛ لأن المسح لم تُضرب له غاية في



(٣٣) الكشاف، ١: ٢٨٠.

(٣٤) البحر المحيط، ٣: ٦١٠.

(٣١) الميزان في تفسير القرآن، ٦: ٢٢٧.

(٣٢) ينظر: مواهب الرحمن، ١١: ١٨.

في معانيه: ((ويجوز الجرّ على الإتيان وهو في المعنى (الغسل)، نحو هذا حجرٌ ضبٌّ خربٍ))<sup>(٣٥)</sup>.

و قد أخذه أبو جعفر النحاس على ذلك و غلّطه بقوله: ((و هذا القول غلط عظيم؛ لأنّ الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه و إنّها هو غلط، فلا يجوز أن يُعرب شيء على الجوار في كتاب الله عزّ وجلّ، و لا في شيء من الكلام، و إنّها وقع في شيء شاذّ، و الدليل على أنّه غلط قول العرب في التثنية: هذان حجرا ضبٌّ خربان، و إنّها هو بمنزلة الإقواء))<sup>(٣٦)</sup>.

و كذلك قال به أبو البقاء العكبري و دافع عن وجوده في القرآن و اللغة و تفنّن في إثباته<sup>(٣٧)</sup>، و قد ردّ السمين الحلبيّ على العكبريّ، و تتبّع شواهد بالتضعيف، و التوجيه<sup>(٣٨)</sup>.

و كذلك رفضه الفخر الرازي و

(٣٥) معاني القرآن، الأخفش: ١٦٨.

(٣٦) إعراب القرآن، النحاس، ١: ٢٨٥.

(٣٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٨-٢٩٠.

(٣٨) ينظر: الدرّ المصون، السمين الحلبي، ٤:

٢١٢-٢١٦.

عدّه من اللحن الذي قد يُتحمّل لأجل الضرورة في الشعر، و كلام الله يجب تنزيهه عنه، و كذلك فإنّ الكسر بالجوار أينما يكون بدون حرف العطف، أمّا مع حرف العطف فلم تتكلّم به العرب<sup>(٣٩)</sup>.

و قد وصفه أبو حيّان الأندلسي بأنّه تأويل ضعيف جدّاً، و لم يرد إلّا في النعت مع أمن اللبس<sup>(٤٠)</sup>.

و نستطيع أن نُجمل آراء علماء العربية في الجرّ على الجوار بالآتي:

الرأي الأول: يرى النحاس<sup>(٤١)</sup>، و ابن خالويه<sup>(٤٢)</sup>، و أبو البركات الأنباري<sup>(٤٣)</sup>، أنّ ذلك مقصور على السماع، و لا يقاس عليه فلا يُفضّض على الجوار إلّا ما استعملته العرب كذلك.

الرأي الثاني: يرى السيرافي<sup>(٤٤)</sup>، و ابن

(٣٩) ينظر: التفسير الكبير، ٦م، ١١: ١٢٧.

(٤٠) ينظر: البحر المحيط، ٣: ٦١٠.

(٤١) ينظر: إعراب القرآن: ٢٢٥.

(٤٢) ينظر: إعراب القراءات السبع، ابن خالويه، ١٤٣: ١.

(٤٣) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ١: ٢٩٦.

(٤٤) ينظر: ارتشاف الضرب، أبو حيّان الأندلسي، ٤: ١٩١٤.

في النفس اهتماماً، بل يثير فيها اغتماماً<sup>(٥٤)</sup>، وكذلك نجد ابن الحيدرة اليميني، قد جعله في باب الضرورات الشعرية و صنفه تحت صنف المنتهي في الرداءة مع جوازه، إذ قال في ذلك: ((و أما الصنف المنتهي في الرداءة مع جوازه فذلك ثمان عشرة ضرورة وهي... و الجرّ على الجوار))<sup>(٥٥)</sup>.

وهكذا نجد أثر الاستعمال النحوي و توجيهه الإعرابي كيف أسهم في الكشف عن دلالة الخطاب القرآني بشقيها، و عليه حتّى لو تنزّلنا جدلاً و قبلنا قراءة النصب و فضلناها على غيرها على الرغم من عدم وجود أيّ مسوّغ لهذا التفضيل، لا لغة و لا نقلاً عن القرّاء كما تقدّم الكلام في ذلك، فإنّنا نرجّح العطف على الممسوح لفظاً أو محلاً، و إن كان العطف على

اللفظ أقوى من العطف على المحل<sup>(٥٦)</sup>؛ و ذلك لما تقدّم من الاستدلال و المحاجة، و كذلك لصحّة عطف المنصوب على

(٥٤) ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ١٩٤٠-١٩٥٢: ٢.

(٥٥) كشف المشكل في النحو، ابن الحيدرة اليميني: ٢١٥-٢١٧.

(٥٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٨.

جنّي<sup>(٤٥)</sup> أنّ الجرّ على الجوار ممنوع أصلاً، و تأوّلا قول العرب: (خرّب) بالجرّ على أنّه صفة لـ(ضبّ).

الرأي الثالث: قصر أبو حيّان<sup>(٤٦)</sup>، و السمين الحلبي الجرّ على الجوار على النعت، و جعلوه ضرورة في التوكيد<sup>(٤٧)</sup>.

الرأي الرابع: يرى سيويّه<sup>(٤٨)</sup>، و الفراء<sup>(٤٩)</sup>، و أبو عبيدة<sup>(٥٠)</sup>، و الأخفش<sup>(٥١)</sup>، و أبو البقاء العكبري<sup>(٥٢)</sup>، و ابن مالك<sup>(٥٣)</sup> جواز الجرّ على الجوار مطلقاً.

و قد أجاد الإمام محمد البشير الإبراهيمي تسفيه قول النحويين و بيان سذاجة مثاهم المصنوع (هذا حجر ضبّ خرّب) و وصمه بالمثال البارد و الفجّ الصامط الذي مثاهم المصنوع الذي لا يثير

(٤٥) ينظر: الخصائص، ابن جنّي، ١: ١٩١.

(٤٦) ينظر: ارتشاف الضرب، ٤: ١٩١٣.

(٤٧) ينظر: الدر المصون، ٤: ٢١١.

(٤٨) ينظر: الكتاب، سيويّه، ١: ٤٣٧.

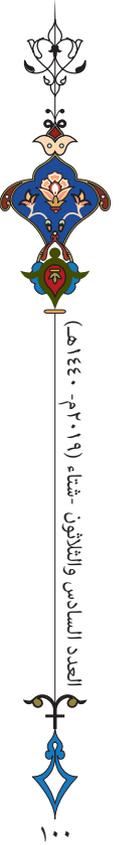
(٤٩) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢: ٧٤.

(٥٠) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١: ٧٢، ١٥٥.

(٥١) ينظر: معاني القرآن، الأخفش، ١: ٧٥.

(٥٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٨٨.

(٥٣) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، ٣: ٣٠٨.



المجرور - إذا ما كان المجرور معمولاً لفعل متعدّد بنفسه أو بالواسطة، وهذا معلوم عند النحاة، و عليه: فالصحيح ((أنّ الأرجل معطوفة على الرأس في القراءتين و نصبها على المحلّ، و جرّها على اللفظ؛ و ذلك لامتناع العطف على المنصوب للفصل بين العاطف و المعطوف بجملة أجنبية، و الأصل أن لا يفصل بينهما بمفرد، فضلاً عن الجملة، و لم يسمع في الفصيح نحو: ضربتُ زيداً و مررتُ بعمرو و بكرأ، بعطف بكر على زيد، و أمّا الجرّ على الجوار، فأينما يكون على قلة في النعت، كقول بعضهم: هذا حجر ضبّ خرب، و في التأكيد كقول الشاعر:

يا صاحٍ بلّغ ذوي الزوجاتِ كلِّهم  
أنّ ليس و ضلّ إذا انحلت عُرى الذنّبِ (٥٧)  
بجرّ (كلّهم) على ما حكاه الفراء، و أما في عطف النسق فلا يكون لأنّ العاطف يمنع المجاورة)) (٥٨)، و لا داعي للقول بنسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية

(٥٧) العجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. أميل بديع، ١: ٤٧١.

(٥٨) غنية التملّي في شرح منية المصلّي، الشيخ إبراهيم الحلبي: ٨.

المطهّرة؛ ذلك بأنّ السنة النبوية الطاهرة كاشفة لأحكام القرآن و سنته و ليست حاكمة عليه (٥٩).

و عليه فالحق أنّ الآية المباركة لو خلّيت و أصحاب السليقة اللغوية السليمة و الفطرة الصافية غير المشوبة بالعنصرية و المذهبيّة و المراء بالباطل انتصاراً لمذهبيّتهم، لتبيّن بوضوح أنّ الآية الكريمة بعيدة عن تلك الوجوه الحالكة و الاحتمالات الواهية التي سيقت ((رغمًا لأنوف الشيعة- على حدّ قول الآلوسي-)) (٦٠). بعد علمهم يقيناً بصحّة حمل الأرجل بصريح الآية خفصاً أو نصباً على المسح لا على الغسل بصريح خطاب القرآن الكريم، غير أنهم هرعوا إلى التشبّث بأذيال الخبر الواحد ليستدلّوا به - على فرض صحته - على نسخ حكم المسح القرآني بحكم الغسل الروائي، و هذا ما أثبتته غير واحد من لغويّهم و مفسّريهم، خذ الفراء مثلاً تجده يقول: ((حدّثني محمد

(٥٩) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات العشر

و عللها، ١: ٤٠٦.

(٦٠) روح المعاني، ٦: ٣٣٦.

الحديث و نسبته إلى طائفة دون أخرى من غير رويّة و تحقيق، و هذا ما وجدناه عنده في آية الوضوء التي أطال المرء فيها بغير وجه حقّ و لا إنصاف، حتّى كذب الشيعة الإماميّة في نقلهم الأحاديث و النصوص المتواترة التي وُجد مثلها عند أهل السنة و الجماعة، مما دعا الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار إلى الوقوف عند هذه الحقيقة و ردّها بعد نقله لنص الآلوسي كاملاً بقوله: ((قد أظنّب السيّد الآلوسي في -روح المعاني- في توجيه كلّ من أهل السنة و الشيعة للقراءتين، و تحويل إحداهما إلى الأخرى، و رجّح قول أهل السنة، ثمّ تكلم عن رواية الشيعة فقال: (...)) (٦٣)، و نقل كلامه بأكمله ثمّ عقّب عليه قائلاً: ((أقول: إنّ في كلامه عفا الله عنه تحاملاً على الشيعة و تكديباً لهم في نقل وُجد مثله في كتب أهل السنة كما تقدّم، و الظاهر أنّه لم يطلّع على تفسير ابن جرير الطبري، و قد نقلنا بعض رواياته و نص عبارته في الراجح عنده)) (٦٤). و كذلك نجده

بن أبان القريشي عن إسحاق الهمداني عن رجل عن عليّ أنّه قال: نزل الكتاب بالمسح، و السنة بالغسل، و قال الفراء: و حدّثني أبو شهاب عن رجل عن الشعبي قال: نزل جبرائيل عليه السلام بالمسح على محمّد و على جميع الأنبياء. قال الفراء: السنة (الغسل)) (٦١).

و قد كانت الأُمَّة في غنى عن هذا الجدل العنيف إذا رجعوا إلى كتاب الله العزيز، و طرحوا التعصّب و العناد، و لم يصل الأمر إلى الآلوسي في تأليف كتاب في الردّ على الإماميّة و التحامل عليهم و اتهامهم بالكذب حتّى قال صاحب المنار: ((إنّ في كلامه -أي الآلوسي- تحاملاً على الشيعة و تكديباً لهم في نقل وُجد مثله في كتب أهل السنة)) (٦٢).

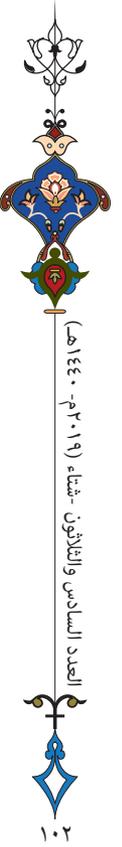
عجباً للمفسّر الآلوسي كيف يقوده الهوى و يهديه التعصّب إلى تفسير النصوص و نقل الأخبار بما تشتهيه نفسه و تميل إليه عقيدته، فنراه عادة يحاول الإيهام و تشويش الحقائق بنقل أطراف

(٦٣) تفسير المنار، ٦: ٢٣١-٢٣٣.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦١) معاني القرآن، الفراء، ١: ٣٠٢-٣٠٣.

(٦٢) مواهب الرحمن، ١١: ٢٠.



يعتمد قول أبي زيد الأنصاري في تأويل المسح بالغسل و ينتصر به لرأيه و عقيدته في غسل الأرجل؛ لأنه ينسجم و هواه، و نجده في موضع آخر لا يكثرث بقول أبي زيد و غيره من اللغويين الذين قالوا بأنّ معنى المولى هو أولى؛ ذلك بأنّه لا ينسجم و عقيدته في عدم تفضيل عليّ عليه السلام و تقديمه على غيره! (٦٥).

### الخاتمة:

تبين في مسار البحث أنّ آية الوضوء شكلت بؤرة حجاجية سلك فيها النحويون والمفسرون سلام حجاجية متنوعة ركن فيها أصحابها الى المنطلقات اللغوية تارة و الى النحوية تارة اخرى، و الى العقديّة أو المذهبية تارة ثالثة، و قد جنح بعضهم الى جعل ميوله المذهبية حاكمة على المعنى المنساق من تراكيب مفردات الآية المباركة على الرغم من نبوغه في علوم العربية و دلالة تراكيبها النحوية، بل قد ذهب بعضهم بعيداً و أركب النص القرآني مركباً و عراً، معترفاً بصحة تركيب الآية نحويّاً و رجاحة عطف الارجل (٦٥) ينظر: روح المعاني، ٦: ٣٣٧، ٤٩٤.

على الرؤوس غير أنه رفض هذا التوجيه النحوي على صحته رغماً لإنوف الشيعة على حد زعمه غير أنه بقواعد العربية و جمال دلالة تراكيبها المنساق في وحدات نصية اتسمت بالتماسك و الاتساق و الانسجام، مُكذّباً الشيعة الامامية في نقل أخبار وُجد مثلها عند اصحابهم! مما دعا الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار إلى الوقوف عند هذه الحقيقة و ردّها بعد نقله لنص الالوسي كاملاً.

### أهم المصادر و المراجع:

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم نجده د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧ م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لابي حيان الاندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني/ مصر، الطبعة الاولى: ١٩٩٨ م.
- اسرار العريسة، تأليف الامام ابي البركات عبد الرحمن بن محمد ابن ابي سعيد الانباري، عني بتحقيقه: محمد



- بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي/ دمشق، بدون ط.
- اعراب القراءات السبع وعللها، تأليف ابي عبد الله الحسين بن احمد ابن خالويه النحوي، حققه وقدم له: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى: ١٩٩٢م.
- إعراب القرآن، تأليف محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي، دار و مكتبة الهلال/ بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب/ بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
- التبيان في إعراب القرآن، تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦ هـ)، تحقيق سعد كريم الفقي، دار اليقين للنشر والتوزيع/ المنصورة: ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.
- التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر/ تونس: ١٩٨٤ م.
- تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، تأليف السيد محمد رشيد رضا، دار المنار/ مصر، الطبعة الثانية: ١٣٦٧ هـ.
- تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إعداد: د. سعيد محمد ساداتي الشنقيطي، دار الفضيلة السعودية و دار الهدى النبوي/ مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.
- الحجة في علل القراءات السبع، ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل

د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي  
المختون، هجر للطباعة والنشر  
والتوزيع والاعلان/ القاهرة.

• شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور  
الاشبيلي (٦٦٩ هـ)، تحقيق: د.  
صاحب أبو جناح، عالم الكتب/  
مصر، الطبعة الاولى (د.ت).

• غنية المتملي في شرح منية المصلي،  
الشيخ إبراهيم الحلبي، منشورات  
منتدى سور الأزبكية.

• كشف المشكل في النحو، لعلي بن  
سليان الحيدرة اليمني، تحقيق د.  
هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد/  
بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ -  
١٩٨٤ م.

• الكشف عن وجوه القراءات السبع  
و عللها وحججها، لمؤلفه أبي محمد  
مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د.  
رمضان عبد التواب، مطبوعات مجمع  
اللغة العربية بدمشق: ١٣٩٤ هـ -  
١٩٧٤ م.

• معاني القراءات، تصنيف الشيخ  
الإمام العلامة أبي منصور محمد

أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد  
معوض، د. أحمد عيسى المعصراوي،  
دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة  
الاولى: ٢٠٠٧ م.

• الخصائص، تأليف إمام العربية أبي  
الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي  
النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة  
العلمية: ١٩٥٢ م.

• الدر المصون في علوم الكتاب  
المكنون، تأليف أحمد بن يوسف  
المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق  
د. أحمد محمد الخراط، دار القلم/  
بيروت..

• السبعة في القراءات لابن مجاهد،  
تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف  
بمصر: ٢٠٠٩.

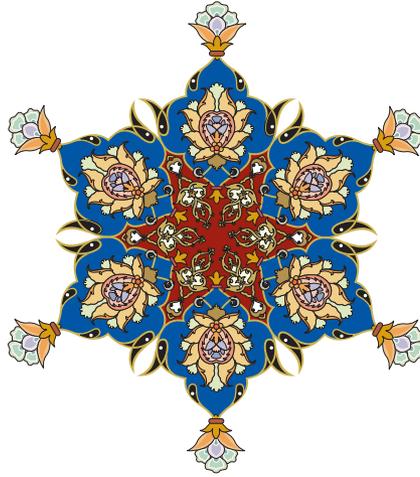
• سر صناعة الإعراب، تأليف إمام  
العربية أبي الفتح عثمان بن جني،  
دراسة وتحقيق د. حسن هندراوي،  
دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع/  
دمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٣ هـ -  
١٩٩٣ م.

• شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق:



بن أحمد الأزهرى، تحقيق: د. عيد  
مصطفى درويش، د. عوض القوزى،  
دار المعارف / مصر، الطبعة الأولى:  
١٩٩٦ م.

• الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد  
محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة  
الأعلمي للمطبوعات / بيروت،  
الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.



# الإيمانُ الكاملُ شَرْطُ لِقْبُولِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ (رُؤْيَةٌ قُرْآنِيَّةٌ)

الشيخ الدكتور منصور مندور  
من علماء الأزهر الشريف

## فحوى البحث

ماذا يعني (الإيمان) وما هي حدوده وامتعلقاته و كيف يتحقق عند الانسان الذي يقف في صف المؤمنين، وهي يكفي الإيمان بالله وحده من دون الإيمان برسله أو هل يجزيء الإيمان بالله وبالرسل عن العمل الصالح الذي يكون مظهراً جلياً لهذا الإيمان..؟.

اسئلة يطرحها السيد الباحث على من يدّعي الإيمان بالله وكتبه ورسله، ليخلص الى ان الإيمان وحدة متكاملة الحلقات يشد بعضها بعضا ويعضد احدها الآخر. ويلحظ القارئ قلة المصادر التي اعتمدها الباحث و التي لاتعدو الخمسية فقط لأن البحث عقدي استدلالي اكتفى فيه الباحث بالقرآن الكريم مصدراً رئيساً

تقديم:

شاع في الآونة الأخير بين بعض من ينتسبون إلى أهل العلم أن مفهوم (الإيمان) يقتصر على الإيمان بالله تعالى فقط دون الإيمان برسله، وأن هذا الإيمان - بهذا المفهوم - كافٍ لدخول صاحبه الجنة!!!

وسواء قالوا هذا الكلام تزلفاً وتقرباً أو مجاملةً لأحد، أو قالوه عن سوء فهم؛ أقول لهم: تعالوا لنرجع إلى القرآن المجيد ونحتكم إليه باعتباره آخر خطاب السماء إلى أهل الأرض، وأننا مطالبون - عند الاختلاف - أن نرجع إليه ونحتكم إلى حكمه ونمثل أمره ونجتنب نهيه؛ فهو القائل: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٠].

هذا هو المنهج الذي اختاره الله تعالى لعباده في حياتهم الفردية والجماعية، وفي نظام حياتهم ومعاشهم، وأخلاقهم وسلوكهم، وبيّن لهم هذا كله بياناً شافياً وافياً، وجعل هذا القرآن دستوراً شاملاً لحياة البشر فإذا اختلفوا في أمرٍ ما أو شيءٍ

ما؛ فعليهم أن يرجعوا إلى كتابه الذي أنزله شافياً كافياً مفصلاً تبياناً لكل شيء. فماذا يقول كتاب ربنا عن الإيمان الكامل؟.

بدايةً أقولُ وبالله التوفيق: تُشتقُّ كلمة (الإيمان) من الفعل آمن، ومعناه التصديق، فيقال على سبيل المثال: آمن فلانٌ بالفكرة أي صدّق بها واقنع بها اقتناعاً نابعاً من قلبه؛ وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [سورة يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدّق.

أمّا معنى (الإيمان) في الاصطلاح فهو الاعتقاد القلبيّ الجازم بالله تعالى والتصديق بالرسالات السماوية، والملائكة، والكتب السماوية، ورسول الله، والتصديق باليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتلك أركان الإيمان.

وهي التي أكدت عليها آية سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ أَسْرَأَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

فالمسلم لا يكتمل إيمانه حقيقةً بدون



أن يؤمنَ بأركان الإيمان وأصوله، وكذلك أن يربط هذا التصديق والاعتقاد القلبي بما استوجبه عليه رب العزة سبحانه من عباداتٍ وأخلاقٍ ومعاملات، فلا يصحَّ من رجلٍ أو امرأة أن يقول: إنَّ إيماني عظيم؛ وتراه في سلوكياته وأفعاله بعيداً كلَّ البعد عن معاني الإسلام وقيم الإيمان، فمن صحَّ إيمانه صحَّ عمله.

ومن ثمَّ فإنَّ الإيمان الكامل يستوجب ما يلي:

أولاً: الإيمان بأنَّ الله تعالى هو الحي القيوم الخالق المدبّر الرّازق المحيي المُميت، وأنَّه وحده سبحانه وتعالى هو المستحقُّ للعبادة والإنابة القائمة على أساس التوحيد الخالص لله تعالى؛ ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [سورة محمد: ١٩] إنه طريق العلم والمعرفة واليقين والتوكل، والشعور برقابة الله تعالى وعلمه الشامل المحيط بكل ما في الوجود، وقد لخصت سورة الإخلاص هذا المعنى فقال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ ۝ (١) فليس هناك حقيقة خالصة إلا حقيقته؛ وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي الخالص، ومن ثمَّ فإنَّ هذا المعنى يربط بين القلب البشري من ناحية وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب من ناحية أخرى؛ وصورة التوحيد في العقيدة الإسلامية تقوم الحياة على أساسها، وتبدو آثارها في التشريع كما تبدو في الاعتقاد كما تبدو في الأخلاق والسلوكيات، كما تُترجم في المعاملات.

ثانياً: الإيمان بالملائكة يستوجب التصديق بكلِّ الملائكة الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى ومحبتهم بدون تفریق بين أحدٍ منهم، وأنهم: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦] وليس الأمر كما زعم اليهود بأن جبريل عدوُّهم، وأن ميكائيل وليُّهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

(١) (قل هو الله أحد) لفظ أحد أدق من لفظ «واحد» لأنه يضيف إلى معنى «واحد» أن لا شيء غيره معه وأن ليس كمثلته شيء.

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿[سورة البقرة: ٩٧-٩٨].

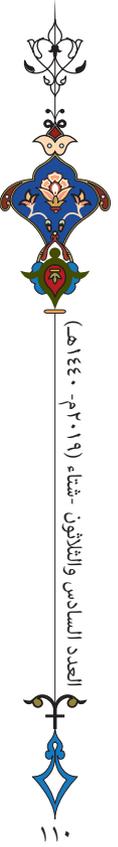
قال القرطبي في تفسيره للآية: وهذا وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم <sup>(٢)</sup>.

وقال ابن كثير في تفسيره: أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله؛ ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿[سورة النساء: ١٥٠-١٥١]؛ فَحَكَمَ عَلَيْهِم بِالْكَفْرِ الْمَحْقَقِ، إِذْ آمَنُوا بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ، وَكَذَلِكَ مِنْ عَادَى جَبْرِيلَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ جَبْرِيلَ لَا يَنْزِلُ بِالْأَمْرِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ بِأَمْرِ رَبِّهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿[سورة مريم: ٦٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنَّهٗ لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿[سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

ثالثاً: أما الإيمان بالرسل، فيقتضي التصديق بمن أرسله الله تعالى واختصه بالنبوة من البشر، والإيمان بأنهم معصومون من الخطأ، وألا يفرق بين أحد مهمم كما أشارت سورة البقرة في الآية ﴿لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ﴿[سورة البقرة: ٢٨٥] وسورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾

(٢) الجامع لأحكام القرآن (القرطبي في تفسيره للآية).



أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ  
عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ  
يُؤْتِيهِمُ أَجْرَهُمَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾  
الآيات (١٥٠-١٥٢).

قال تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه: ﴿إِنَّا  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَاللِّتِّينِ مِنْ  
بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى  
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا  
دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ  
عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ  
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾  
[سورة النساء: ١٦٣-١٦٤].

إنه موكبٌ واحد، موكبٌ فريد؛  
يضم هذه الصفوة المختارة من بين البشر  
أجمعين، وغيرهم ممن قصَّهم الله تعالى  
على نبيه الكريم ﷺ في القرآن المجيد،  
ومن لم يقصصهم عليه، إنه موكبٌ من  
شتى الأقسام والأجناس، وشتى البقاع  
والأرضين، في شتى الآونة والأزمان،  
لا يفرقهم نسبٌ ولا جنس، ولا أرضٌ  
ولا وطن، ولا زمنٌ ولا بيئة، كلهم آتٍ

من ذلك المصدر الكريم، وكلهم يحمل  
ذلك النور الهادي، وكلهم تلقى الوحي  
من الله عز وجل؛ فما جاء أحدٌ منهم  
بشيءٍ من عنده، وكلهم أدى مهمته في  
الإنذار والتبشير، وكلهم حاول أن يأخذ  
بزام القافلة البشرية التي أرسل إليها إلى  
طريق النور؛ واستمر ذلك النور حتى  
جاء للناس أجمعين الصادق الأمين: محمد  
رسول الله ﷺ خاتم النبيين.

رابعاً: والإيمان بالكتب السماوية  
يقتضي الإيمان بما أنزله الله من كتبٍ  
سماوية على رسله - صلوات الله وسلامه  
عليهم - وهي التوراة، والإنجيل،  
والزبور، والقرآن الكريم.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر يقتضي  
التصديق بهذا اليوم الذي يجمع فيه الله  
تعالى كل الخلائق الأولين والآخرين  
لحساب ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا  
كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾  
[سورة إبراهيم: ٥١]، والذي سماه الله  
تعالى بـ {يوم الدين} كما في سورة الفاتحة،  
والتصديق بما فيه من جنةٍ ونارٍ وحسابٍ  
وجزاء.

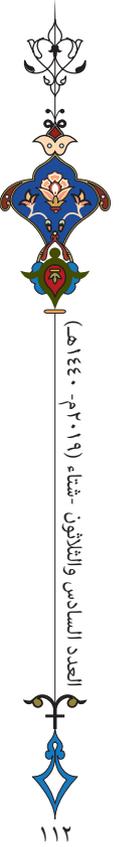
**مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿ [سورة النحل: ٩٧]. فيقرر القرآن المجيد بذلك القاعدة التالية: أن العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصيلة التي يرتكز عليها؛ إنها قاعدة (الإيمان الكامل) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، إنها القاعدة التي جاءت في قوله تعالى: **﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾** فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، ولا يقبل عمل، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتات الإيمان، وبغير هذه العقيدة لا يكون للعمل الصالح غاية.

وجاء قوله تعالى في سورة الإسراء: **﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾** (١٨) **﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾** [سورة الإسراء: ١٨-١٩] تبين الآية الكريمة نفس القاعدة التي أرساها القرآن بدايةً؛ وهي أن الذي يريد الآخرة لا بد أن يسعى لها سعيها، فيقوم بتكاليفها، وينهض بتبعاتها، ويكون سعيه لها قائماً على الإيمان؛

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره؛ ويقتضى التصديق بقدر الله الكوني وعلمه الأزلي وقضائه العادل ومشيئته النافذة في مخلوقاته؛ قال تعالى: **﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرِ ﴾** [سورة القمر: ٤٩]، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار قدره وقضاه، وقال تعالى: **﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾** [سورة الفرقان: ١]. هذا وقد ورد التأكيد على (حقيقة الإيمان الكامل) في ست آياتٍ بيناتٍ في القرآن المجيد؛ منها ما هو مكِّيٌّ ومنها ما هو مدنيٌّ.

وذلك للتأكيد على أن هذه القاعدة (ثابتة لم تتغير ولم تتبدل طوال فترة نزول القرآن)؛ ومن ثم فلا مجال فيها للنقاش أو التفاوض.

ونزول القرآن المكِّي يؤكِّد -من ناحية أخرى- أن هذا الأمر من أولويات القرآن المجيد، وأنه أرسى قاعدته منذ العهد المكِّي؛ وأنه لا مجال للمراء أو الأخذ والرد فيه؛ قال تعالى: **﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ**



وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل؛ وإذا كانت نهاية الذي يريد العاجلة إلى جهنم مذموماً مدحوراً، فإن الذي أراد الآخرة وسعى لها سعيها ينتهي إليها معزراً مكرماً مشكوراً منعماً يتلقى التكريم في الملاء الأعلى جزاءً وفاقاً، ثم يبين سبحانه أثر هذا التفاوت بين الفريقين فيقول عز من قائل: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٠-٢١].

ثم يتجلى هذا البيان يوم الدين فيقول سبحانه في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ وفي هذا الموقف الصعب المملوء بالجلال والهيبة فلا تسمع فيه إلا همساً ترى الذين آمنوا مطمئنين لا يخشون ظلمًا في الحساب ولا هضمًا لما عملوا من صالحات وفق القاعدة الثابتة في قبول الأعمال عند الله.

وإلى هذا أشارت سورة الأنبياء أيضاً؛ أن أمة الرسل واحدة تقوم على عقيدة واحدة وملة واحدة، أساسها التوحيد الذي دعا إليه كل الرسل منذ أولى الرسالات إلى آخرها دون تبديل أو تغيير؛ قال تعالى: ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلٌّ لِلنَّاسِ وَإِنَّا لَمُرِيدُونَ بِكَفَرَانِ الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كُفَرَانٌ ﴿٩٣-٩٤﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩٣-٩٤] فهذا هو قانون العمل والجزاء.. لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الإيمان؛ ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده، ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته، بل لتثبت للإيمان حقيقته.

وتأمل هذا الموقف من أعراب بني أسد بن خزيمة عندما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبسة، فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة. وجعلوا

يَمْنُونَ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٤].

فهؤلاء الأعراب يقولون: يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك؛ فأراد الله أن يعلمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم ومستقر في قلوبهم وهم يقولون هذا القول، وأنهم دخلوا في الإسلام استسلامًا، ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان، فدلّ بهذا على أن حقيقة الإيمان لم تستقر في قلوبهم، ولم تشرها أرواحهم، فجاء قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

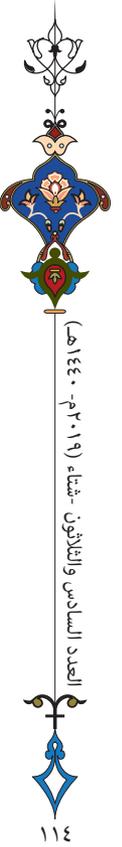
ونزل القرآن الكريم يصور هذا الحوار ويستخلص تلك الحقيقة؛ أن الإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله؛ التصديق الذي لا يَرِدُ عليه شكٌ ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا يتلجلج فيه القلب أو الشعور؛ التصديق الذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

ومع هذا فإن كرم الله تعالى اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح عملوه من غير نقصان؛ فهذا القدر من الدين - وهو الإسلام - يكفي لتُحسب لهم أعمالهم الصالحة فلا تصبح هباءً منثورًا كما هو الحال بالنسبة لأعمال الكفار، ولا ينقص من أجرهم شيء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وبالتالي تأتي أية نَعْدَها القول الفصل في موضوعنا هذا؛ فهي تحدد المعيار الحقيقي للإيمان، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

بدأت بـ (إنما) التي تفيد الحصر والقصر فهي كافة ومكفوفة و(المؤمنون) مبتدأ وخبره (الذين آمنوا بالله ورسوله...).

فالإيمان الكامل لا يكون إلا بالله ورسوله؛ (الذين آمنوا بالله ورسوله).



فعندما تطلق عبارة (الذين آمنوا) تكون شاملة لأركان الإيمان كاملة كما هو مقصد القرآن ومراد الله سبحانه وتعالى.

إن الإيمان الكامل هو قاعدة الحياة، لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وبين هذا الوجود، وهو الرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد الديان، ومن ثم كان لا بد من هذه القاعدة ليقوم هذا البناء؛ والعمل الصالح هو هذا البناء، فهو منهار من أساسه، بل هو سراب يحسبه الظمان ماءً من شدة لمعانه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً مادام لم يقم على قاعدته الثابتة الأصيلية؛ قال تعالى في سورة النور:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَبْقِعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة النور: ٣٩].

والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير؛ والإسلام بالذات عقيدة متحركة وشريعة مثمرة متى تم وجودها في الضمير تحولت إلى عمل صالح يانع هو الصورة الظاهرة للإيمان المضمّر، والثمرة اليانعة للجذور

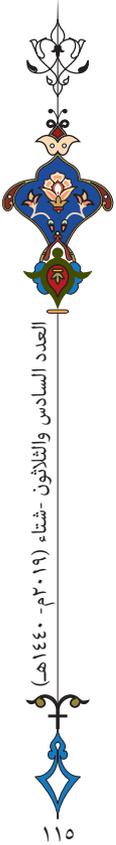
الممتدة في أعماق هذا الكائن الذي يسمى الإنسان.

ومن ثم يقرن القرآن دائماً بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء؛ فلا جزاء على إيمان عاطل خامل لا يعمل ولا يثمر، ولا على عمل منقطع مبتور لا يقوم على إيمان صادق.

وإذا صادفت ووجدت عملاً طيباً صادراً عن غير مؤمن فاعلم إنه مصادفة عابرة، لأنه غير مرتبط بمنهج مرسوم، ولا موصول برب الأرض والسماء؛ ومن ثم فهو يأخذ حقه من تكريم وشهرة وعطاء في الدنيا، وماربك بظلام للعبيد.

وحتى هذه القاعدة جاءت على لسان الدعاة إلى الله تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله؛ حكى القرآن قائلاً: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُومُ رَبُّنَا صَوَابًا أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا نَادِيًا مُنْعَمًا وَمَا يُنقُومُ إِلَّا بِرَأْيِهِ يُنقُومُ إِلَهُ الْإِنسَانِ الَّذِي يَأْتِي الْبَشَرَ لَمْ يَكُنْ لَهَا شَفِيعَةٌ وَلَا كِفَالَةٌ وَإِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافِثٌ ﴾ [سورة النازعات: ١-٤].

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْنُونِ ﴾ [سورة النور: ٣٩].



والنصارى يدعون أنهم: (أبناء الله وأحباؤه) وكانوا يقولون: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، وكان اليهود ولا يزالون يقولون: (إنهم شعب الله المختار)، ولعل بعض المسلمين كانت تراود نفوسهم كذلك فكرة أنهم خير أمة أخرجت للناس، وأن الله متجاوز عما يقع منهم؛ بما أنهم المسلمون، فقد ذكر المفسرون أن سبب نزولها أن أهل الأديان اختصموا؛ فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم الأنبياء؛ فنزلت هذه الآية (٣).

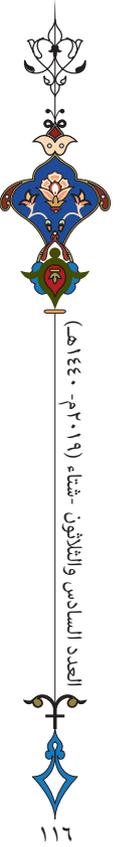
فجاء هذا النص القرآني ليرد هؤلاء وهؤلاء إلى القاعدة الأساس، ويرد الناس كلهم إلى ميزان واحد؛ هو إسلام الوجه لله تعالى، واتباع ملة إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا وهي الإسلام؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ

**حِسَابٍ**﴾ [سورة غافر: ٤٠] إنها الحقائق التي قررها القرآن؛ يعود الرجل المؤمن فيقررها وهو يواجه فرعون وملاه في تحدٍ واضحٍ وصريحٍ بكلمة الحق بلا تردد ولا تلثم لا يخشى فرعون الجبار، ولا ملأه المتآمرين معه من أمثال هامان وقارون، ويقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء في دار الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُوبَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لقد قال كلمته وبلغ رسالته وأراح ضميره... فلا يهمه ما يحدث بعد ذلك؛ غير أن كلمته أصبحت خالدة على مر الزمان.

ثم جاء القرآن في عهده المدني ليؤكد القاعدة نفسها التي أرساها في عهده المكي؛ جاء في سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُوبَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ١٢٤].

ولكن اللافت للنظر أن هذه الآية جاءت بسبب حوار حدث بين أتباع الديانات الثلاثة؛ فلقد كان اليهود

(٣) (عن ابن عباس رضي الله عنهما زاد المسير-ابن الجوزي - ج ٢ - الصفحة ١٩٧ تفسير ابن كثير - ابن كثير - ج ١).



اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١١٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ  
الضَّلِيلَةِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا  
﴿١١٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ  
لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١١٥﴾ كما أن النص  
القرآني أكد على شرط الإيهان لقبول العمل  
قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾.

وكل من سلك مسلکاً أو ذهب  
مذهباً بعيداً عن القراءة الكاملة والوحدة  
البنائية لآيات القرآن العزيز فهي قراءة  
ناقصة غير مستوفية وهي المقصودة بقوله  
تعالى ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾  
[سورة الحجر: ٩١] لأن القرآن جاء  
موضحاً ومبيناً لكل شيء، وهذه الألفاظ  
الصريحة تخالف ما ذهب إليه البعض عند  
تناوله لقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال  
ذرة خيراً يره).. إذ رأى أن عموم النص  
يشمل المسلم وغير المسلم. بينما النصوص  
الصريحة الأخرى المقيدة لهذا العموم تنفي  
هذا تماماً؛ إذ إن هؤلاء قد يقعون تحت  
طائلة قوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ  
الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ

يَعْمَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ تُقِيمَتِ الرُّدُونِ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ  
وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ  
الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ  
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ [سورة  
البقرة: ٨٥-٨٦].

وقد حذر القرآن المجيد في آيات  
أخريات أشدّ تحذير من ذلك الفكر  
المنحرف القائم على المشاقة بين الله ورسوله  
أو التفريق بين الله ورسوله؛ وفي ذلك  
يقول رب العزة سبحانه: ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبِّكَ  
إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا  
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ  
فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ  
بَنَانٍ ﴿١١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ ﴿١١٣﴾ ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١١٤﴾ [سورة الأنفال:  
١٢-١٤].

فكل هذا الجزاء بسبب أنهم شاقوا الله  
ورسوله أي اتخذوا لهم شقاً غير شق الله  
ورسوله، وصفاً غير صف الله ورسوله.  
وبذلك كانوا ممن يصدون عن سبيل الله،

ويغونها عوجا.

وإذا كان كفار مكة قد استحقوا هذه العقوبة التي سبق بيانها فإن اليهود بسبب سوء نيّتهم وبسبب كراهيتهم للنبي الخاتم وجحودهم لرسالته استحقوا أشدّ من ذلك؛ قال الله تعالى في حقهم: ﴿هُوَ

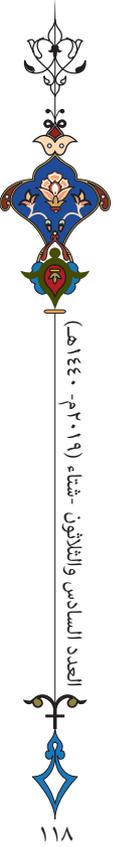
الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ [سورة الحشر: ٢ - ٤].

وقد تأمروا على الدعوة الإسلامية وأرادوا القضاء عليها في المدينة المنورة فكان منهم من سار إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحي بن أخطب، ممن ورد ذكرهم بعد ذلك في تأليب

المشركين على المسلمين في غزوة الأحزاب ووقعة بني قريظة "في سورة الأحزاب" وكان لبعضهم كذلك ذكر في فتح خيبر "في سورة الفتح".

ومن ثم نجد أن علة استحقاقهم للعذاب هي المشاقة التي تعني أنهم اتخذوا لهم شقاً غير شقّ الله، وجانباً غير جانبه؛ وقد جعل الله جانبه هو جانب رسوله وطاعة رسوله هي طاعته، وهذا المصير وما استحقه أهل الكتاب من عقاب يجعل الإنسان يفكر ألف مرة قبل التحدث حول هذه المشاقة أو الدعوة إليها تقرباً وتزلفاً لإرضاء الآخرين.

يلاحظ تسمية القرآن لليهود بني النضير بأنهم (الذين كفروا من أهل الكتاب) وتكرار هذه الصفة في السورة يؤكد حقيقة أنهم كفروا بدين الله في صورته العليا التي جاء بها النبي الخاتم محمد؛ وقد كان اليهود ينتظرونه ويتوقعونه؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ بِسْمَا أَسْرَأُوا بِهِ



أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا  
أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ فَبَاءَ وَبَعْضٍ عَلَى عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ  
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ [سورة البقرة: ٨٩-

٩٠] وهو تصرف يهودي قبيح يستحق  
الطرد والغضب لشناعته وقبحه؛ ومن  
ثم يصب عليهم اللعنة ويصممهم بالكفر  
{فلعنة الله على الكافرين}.

لهذا كله وقف اليهود من الدعوة  
الإسلامية هذا الموقف المعاند الذي تصفه  
سورة البقرة، موضحةً أن الذي حملهم  
على هذا كله هو حسدهم لرسول الله  
الخاتم؛ أن اختاره الله لحمل الرسالة التي  
انتظروها فيهم، ولا شك أن هذا يعدُّ بغياً  
منهم وظلماً؛ فباؤاً من هذا الظلم بغضب  
على غضب؛ ويوم القيامة ينتظرهم عذاب  
مهين، جزاء الاستكبار والحسد والبغي  
الذي قابلو به خاتم الأنبياء  
 والمرسلين.

ومن ثمَّ اتخذوا سبيلاً غير سبيل  
المؤمنين وسلكوا طريقاً يهديهم إلى طريق  
جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على  
الله يسيراً.

وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ  
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ (أَيُّ: يخالفه ويسلك  
طريقاً غير طريقه) مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ  
الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا  
تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ [سورة النساء: ١١٥].

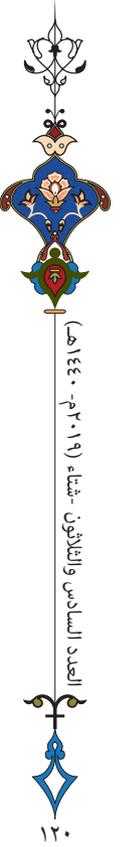
وعبارة { مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ }  
تدل على أنهم عرفوا الحق وعرفوا طريق  
الإيمان ثم حادوا واتبعوا غير سبيل  
المؤمنين، وسلكوا شقاً مقابلاً للشق الذي  
يأخذه الآخر، ومن ثم فإن الذي يشاق  
الرسول محمداً هو الذي يأخذ له شقاً  
وجانباً وصفاً غير الصف والجانب والشق  
الذي يأخذه النبي، ومعنى هذا أن يتخذ  
له منهجا للحياة كلها غير المنهج الذي  
اختاره الله لرسوله، وأن يختار له طريقاً  
غير الطريق الذي اختاره الله لرسوله.

فالرسول ﷺ جاء يحمل من عند الله  
منهجاً كاملاً للحياة يشتمل على العقيدة  
والأخلاق والشعائر التعبديّة، كما يشتمل  
على الشريعة والأحكام المنظمة لجوانب  
الحياة البشرية كلها.

ومن ثم جاءت الآية التالية لهذه الآية

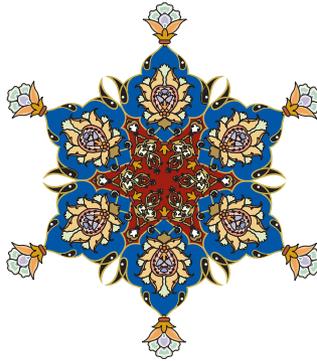
أقول هذا لمن اجتزأ آية من كتاب الله تعالى أو عبارة أو لم يُكَلِّف نفسه مؤونة البحث والتَّحري والدِّقَّة أو لم يُقَدِّر أمانة الكلمة التي يحملها أو كَلَّف بحملها من أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة فاطر: ٣٢] ولا شك أن هذا النصَّ القرآني الحكيم يوحى بضخامة التبعة الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة؛ وهي تبعة ضخمة ذات تكاليف سامية، وقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالاصطفاء للوراثة وحمل الأمانة، ولكن فضل الله شمل الأصناف الثلاثة جميعاً؛ فكلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم المقيم على تفاوت بينهم في الدرجات. ولا نعني بهم الحكام الظالمين الذين وجَّهوا القرآن إلى وجهتهم وحادوا الله في حكمه والنبى الاعظم في ذريته ونسوا قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾.

لتبين أن هذا الفعل وهذا التصرف يوقع صاحبه في الشرك الذي يورد صاحبه النار وبئس القرار؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء: ١١٦] وليس حتماً أن يكون الشرك اتخاذ آلهة مع الله بل نرى أن الاعتراف لبعض البشر بخصائص إلهية يعدُّ شركاً كإشراك اليهود والنصارى الذي حكاه القرآن من أنهم ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٣١] ولم يكونوا عبدوهم مع الله؛ ولكن كانوا فقط اعترفوا لهم بحق التشريع لهم من دون الله؛ فحرموا عليهم وأحلوا لهم، فاتبعوهم في هذا، ومنحوهم خاصية من خصائص الألوهية! فحقَّ عليهم وصفُ الشرك؛ والسبب في تعظيم جريمة الشرك وخروجها من دائرة المغفرة أن من يشرك بالله يخرج عن حدود الخير والصلاح تماماً؛ وتفسد كل فطرته بحيث لا تصلح أبداً لقبول الخير والصلاح ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾.



## الخاتمة:

تعمدتُ أن تكونَ هذه الرسالةُ  
مختصرةً حتى لا يتكاسلَ أحدٌ عن قراءتها  
والاستفادة منها؛ فجاءت هكذا واضحة  
وسريعة التناول سهلة الهضم لكل صاحب  
لبِّ سويِّ وقلب سليم  
فلا يجوز ولا يصح أن نأخذ من كتاب  
الله تعالى آيةً أو كلمةً ننتزعها من سياقها  
ومن وحدتها البنائية، ونبني عليها أحكاماً  
وتشريعاتٍ ما أنزل اللهُ بها من سلطان؛  
ومن فعل ذلك كان من المقتسمين الذين  
جعلوا القرآنَ عضيّن، أو كان ممن يؤمنون  
ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؛ وأياً  
كان الأمر فإن من يتعرض للدراسات  
الإسلامية ينبغي أن يكون ملماً بالقواعد  
والأصول؛ حتى يأتي بحثه وحكمه مطابقاً  
لمراد الشرع.





# جَدَلُ الْمُؤرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ بِشَأْنِ نَزُولِ أَوَّلِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.د. عبد الجبار ناجي  
بيت الحكمة-بغداد

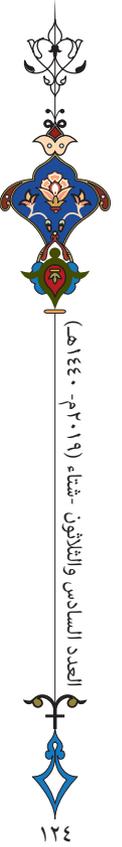
## فحوى البحث

استمر الجدل ودار بين المؤرخين وكتّاب السيرة النبوية وبين مفسري القرآن الكريم حول ماهي أول سورة نزلت على الرسول ﷺ أهي سورة العلق أم سورة القلم أم هي سورة المدثر أم هي الفاتحة...  
ويأتي هذا البحث لتقييم الروايات والأسانيد التي خاضت في هذا المضمار ومدى وثاققتها وإمكان الركون إليها.  
والسيد البحث في كل ذلك يُؤثر رواية نزول سورة (إقرأ) أولاً، ويعلّق على ذلك بتعليقات علمية مدروسة تبرز أهمية العلم بالقراءة والكتابة كوسيلة لمعرفة الله- سبحانه-.

البخاري في صحيحه وكما أورده ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، وواقعا فإن هذا الإنموزج هو المتداول بين العلماء من المؤرخين ومفسري القرآن الكريم، لكننا اخترنا ما رواه ابن كثير لأهمية هدفه ومحتواه، فيروي ابن كثير:

«قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي رِوَايَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ ثُمَّ فَرَّ الْوَحْيِ حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رَعْوَسٍ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلِمًا أَوْ فِي بَذْرَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يَلْقَى نَفْسَهُ تَبْدَى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِبَذْرَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَلْمَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًّا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى

إن الجدل الذي نعني به في هذا البحث المتواضع هو جدل يرجع أولاً وأخيراً إلى اختلاف الرواة الشفاهيين الذين أوصلوا رواياتهم بحسب سلسلة إسناد طويلة أو قصيرة، صحيحة ومتصلة أم ضعيفة ومنكرة أم متروكة أم أحادية أم منقطعة، موقوفة أم مقطوعة أم مدلسة ومضطربة عبر أكثر من أربعة أجيال بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى فترة تدوينها؛ والمهم أنها بقيت بالتصنيف نفسه والذي كانت عليه آنذاك وتروى شفاهياً قبل أن تدون كتابة. فهذه الروايات الشفاهية تعدّ السبب الرئيس في ظهور الاختلافات في أهم وأخطر مفصل من مفصلات تاريخ الإسلام، إلى درجة أن اضطرب فيه المتجادلون فيما بينهم إلى تفضيل بعضهم هذه الرواية بدلاً من تلك كذلك فإنهم اضطروا إلى التسليم بعملية تهدف إلى التوفيق بين الروايات المختلفة بخصوص أول سورة أنزلها الله تعالى على نبينا الكريم عن طريق الملك جبريل عليه السلام. والإنموزج الأمثل الذي يمثل هذا الجدل وهذا الاختلاف ما يرويه لنا



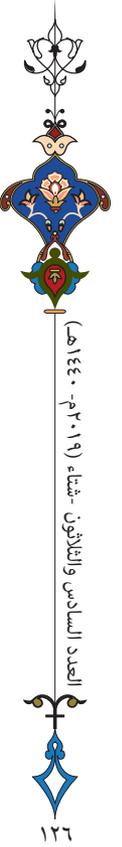
الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمُّونِي زَمُّونِي  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ  
فَكَبَّرَ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ قَالَ  
ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ وَتَتَابَعُ فَهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا  
نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ لَا مُطْلَقًا،  
ذَلِكَ قَوْلُهُ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ وَقَدْ  
ثَبَتَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ  
وَاللَّائِقُ حَمَلُ كَلَامِهِ مَا أَمَكْنَ عَلَى مَا قُلْنَا  
فَإِنَّ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ مَجِيءِ  
الْمَلِكِ الَّذِي عَرَفَهُ ثَانِيًا بِمَا عَرَفَهُ بِهِ أَوَّلًا إِلَيْهِ.  
ثُمَّ قَوْلُهُ: يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ دَلِيلٌ عَلَى  
تَقَدُّمِ الْوَحْيِ عَلَى هَذَا الْإِيخَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ  
ابْنِ الْمُبَارَكِ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ كِلَاهُمَا  
عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ  
بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلَ.  
فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَقُلْتُ وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
فَقَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ  
أَنْزَلَ قَبْلَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَقُلْتُ وَاقْرَأْ  
بِاسْمِ رَبِّكَ فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي  
جَاوَزْتُ بِحِجْرَاءِ شَهْرًا فَلَمَّا فَضَيْتُ جَوَارِي  
نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَنُودِيْتُ فَنَظَرْتُ  
بَيْنَ يَدَيَّ وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي

فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ  
عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ فَأَخَذْتَنِي رِعْدَةً-  
أَوْ قَالَ وَحْشَةً- فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرْتُهُمْ  
فَدَثَرُونِي فَاَنْزَلَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ حَتَّى بَلَغَ  
وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ- فَإِذَا الْمَلِكُ  
الَّذِي جَاءَنِي بِحِجْرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ» وَهَذَا صَرِيحٌ  
فِي تَقَدُّمِ إِتْيَانِهِ إِلَيْهِ وَإِنْزَالِهِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمِنْهُمْ زَعَمَ  
أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ سُورَةُ  
وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ  
رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِهَا. قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
إِسْحَاقَ. وَقَالَ بَعْضُ الْفُرَّاءِ: وَهَذَا كَبَّرَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوْلَاهَا فَرَحًا وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ  
يُرَدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ صَاحِبِي الصَّحِيحِ  
مَنْ أَنَّ أَوَّلَ الْقُرْآنِ نَزَّوَلًا بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ:  
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَلَكِنْ نَزَلَتْ سُورَةُ  
وَالضُّحَى بَعْدَ فِتْرَةِ أُخْرَى كَانَتْ لَيْلِي  
بِسِيرَةٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ  
حَدِيثِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَتْ امْرَأَةٌ  
مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا تَرَكَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ



وحول هذا الموضوع روى يونس بن بكير وهو راوية سيرة ابن إسحاق رواية متزامنة مع ما سبق ذكره من اختلاف بشأن السورة الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ ونصّها: «حدثنا أحمد: نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي أسمع نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فو الله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رحمه الله. وليس رسول الله ﷺ، ثم ذكرت خديجة حديثه له، فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده: فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول،

**﴿ وَالصَّحْحَى ١ ﴾ وَأَيْلَ إِذَا سَجَى ٢﴾ مَا وَدَعَكَ رَبَّكَ وَمَا قَلَى ﴿** وَبِهَذَا الْأَمْرِ حَصَلَ الْإِرْسَالُ إِلَى النَّاسِ وَبِالْأَوَّلِ حَصَلَتِ النَّبُوءَةُ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ كَانَتْ مُدَّةُ الْفِتْرَةِ قَرِيبًا مِنْ سِتِّينَ أَوْ سِتِّينَ وَنِصْفًا، وَالظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهَا الْمُدَّةُ الَّتِي أَفْتَرَنَ مَعَهُ مِيكَائِيلُ كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ [بِالْمُنَاسِبَةِ هُنَا نَحْتَاجُ إِلَى تَصْحِيحِ قَوْلِ ابْنِ كَثِيرٍ فَالَّذِي قَالَهُ عَكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيِّ وَالْمُؤَلِّفُونَ الشَّيْعَةَ أَنَّ الَّذِي أَفْتَرَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْذُ أَنْ كَانَ عَمْرُهُ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً هُوَ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ مِيكَائِيلُ. [الباحث]، وَلَا يَنْفِي هَذَا تَقَدُّمَ إِجَاءِ جِبْرِيلَ إِلَيْهِ أَوْ لَا أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثُمَّ أَفْتَرَنَ بِهِ جِبْرِيلُ بَعْدَ نَزُولِ **﴿ بِنَاتِيهَا الْمَدْيَنِيُّ ١ ﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ وَبِابِكَ فَطَهِّرْ ٤﴾ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿** ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ بَعْدَ هَذَا وَتَتَابَعُ -أَيُّ تَدَارَكَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ- وَقَامَ حِينَئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرِّسَالَةِ أَتَمَّ الْقِيَامَ وَشَمَّرَ عَنِ سَاقِ الْعَزْمِ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ»<sup>(١)</sup>.



ثم اتنتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ حتى ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قل: لا إله إلا الله» ②.

والحقيقة إن الرواية التي تشير الى أن سورة (أقرأ باسم ربك) هي أول ما أنزله الله تعالى على رسوله الكريم قد أوردتها محمد ابن إسحاق على وفق السلسلة السنديّة الآتية «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدٌ». [ويجدر ذكره أن وهب بن كيسان هو، بحسب شمس الدين الذهبي «الفقيه أبو نعيم الأسدي المدني المؤدب من موالي آل الزبير بن العوام وتوفي في سنة ١٢٧ هجرية، محدث ثقة، ولقي عدة من أصحاب النبي ﷺ ولم تكن له فتوى، وكان من سكان المدينة، بينما كان ابن إسحاق قد توفي في سنة ١٥٠ هجرية، فهو غير متعاصر مع ابن إسحاق ويسبقه بجيل تقريبا وربما هناك رواية آخر بينهما

② ينظر سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م جزء ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.

قد أغفله ابن إسحاق؛ أما عبيد فيعتقد أنه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهو من صغار التابعين. وقد سمع من سالم بن عبد الله، والزهري، ووهب بن كيسان، وتوفي في سنة ١٤٧ هجرية، أي أنه معاصر لابن إسحاق ③. ورواية وهب بن كيسان زبيرية الإتجاه والمحتوى فهو من موالي الزبير بن العوام وتذهب هذه الرواية بالاتجاه نفسه والذي ذهبت اليه رواية ابن شهاب الزهري + عروة + عائشة فجاء فيها ما نصّه «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعَمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ، إِذَا انصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ، الْكَعْبَةَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا

③ ينظر ابن عبد البر؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مكتبة ابن تيمية جزء ٢٣ ص ٩؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م جزء ص ٢٢٦؛ وعن عبيد بن عمر جزء ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

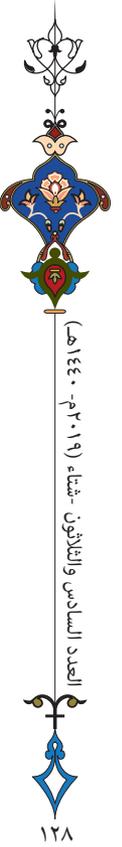


يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَّغُوا أَعْلَى مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنِّي وَأَنْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخْذِهَا مُضِيغًا إِلَيْهَا» (٤).

والغريب أن ابن إسحاق قد اعتمد الرواية الشفاهية عن وهب بن كيسان الذي حدّثه بها في حين أنه قد روى

(٤) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م جزء ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنْ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَذَلِكَ الشَّهْرُ (شَهْرُ) رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يُخْرُجُ لِحَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ، وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟. قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟. قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟. قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟. مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. قَالَ: فَفَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى فَأَنْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَيْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَاتَمْتُ كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ



مسألة «أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ» وقدّمها على تلك الرواية التي يتكرر ذكر سندها عند المؤرخين والمفسرين أي بإسناد ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة والرواية نصّها «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ [بمعنى حدثت عروة] فذهب الرواية الى: أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ، الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ. قَالَتْ: وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوةَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ»، ثم يتوقف ابن إسحاق عن ذكر ما تبقى من الرواية الأصلية التي هي في الأصل رواية السيدة عائشة وهي الى حد ما تقترب في تفصيلاتها مع الرواية التي أوردها وهب بن كيسان فلماذا فضل ابن إسحاق رواية وهب بن كيسان في سندها عن عبيد بن عمر بدلا منها ومن دون أن يذكر رواية السيدة عائشة على الرغم من أنه قد اعتمدها في روايتها الأولى وهو

قوله «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة...؟» (٥).

وعلى أية حال فهناك مسألة جوهرية في بناء السلسلة السندية التي أوردها ابن إسحاق ألا وهي إن الحلقة النهائية للرواية هو عبيد بن عمر بن الخطاب، وهو من صغار التابعين، كما تمّ ذكره، بمعنى إنه لا يتمتع بميزة الصحبة، صحبة رسول الله فلم يسمع من الرسول ولم يتحدث معه ﷺ، فهي رواية مرسلة لا يعرف مصدرها الأساس ولعل من الممكن القول هنا بأن عبيد بن عمر قد ألغى السند الأصلي للرواية الأصلية أي السند المعروف، الزهري عن عروة عن عائشة، لاسيما وإنه كان متعاصرا مع الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هجرية.

ومهما يكن فإن البخاري قد اعتمد الرواية عن السيدة عائشة مع أن سندها الذي يختلف عنده فروايتيه كانت عن طريق يحيى بن بكير الذي حسبها يبدو

(٥) [ينظر ابن إسحاق؛ سيرة ابن إسحاق (تحقيق: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م جزء ١ ص ١٣٢-١٣٣].

روايتها هذه قد جاءت عن الليث؛ ومع أن موقف ابن عدي كان، كما يبدو إيجابياً إلا أن النسائي قال عنه أنه ضعيف، وعقب الذهبي على قول النسائي قائلاً «غزير العلم، عارفا بالحديث، وأيام الناس، بصيرا بالفتوى، صادقاً، ديناً، وما أدري ما لاح للنسائي منه حتى ضعفه»، وقال مرة: ليس بثقة. وهذا جرح مردود فقد احتج به الشيخان، وما علمت له حديثاً منكراً، وقال عنه أبو حاتم «يكتب حديثه ولا يحتج به، وكان يفهم هذا الشأن». وقد روى عنه البخاري<sup>(٦)</sup>. فيحيى بن أبي بكير هذا كان جار الليث بن سعد ويعدّ أثبت الناس عند الليث. وإن الليث بن سعد هو الذي تحدث برواية الزهري إلى

(٦) ينظر النووي؛ أبو زكريا يحيى الدين؛ تهذيب الأسماء واللغات؛ عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية، بيروت - جزء ٢ ص ١٥٥؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال [ترجمته برقم ٦٨٥٨ جزء ٣١ ص ٤٠١ - ٤٠٤؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، طبعة مؤسسة الرسالة ٢٠٠٢ جزء ١٠ ص ٦١٣ - ٦١٥.

كان معاصراً للبخاري وهو الذي حدّث البخاري بها فيقول «حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة: أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة... الخ». على الرغم من أن الرواية السابقة الذكر هي رواية زبيرية ولكنها كانت مستندة في نهاية حلقتها الفاصلة إلى عبيد بن عمر بن الخطاب وكان من صغار التابعين؛ غير أن هذه الرواية قد استند فيها البخاري على يحيى بن أبي بكير الذي تحدّث مع البخاري والذي يعدّ هو الراوية الذي عمّم رواية سورة (أقرأ باسم ربك) بكونها أول سورة نزلت على النبي ﷺ. إنه أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي المتوفى في سنة ٢٣١ هجرية وهو أحد العلماء ورواة الحديث عند أهل السنّة؛ وكان فقيه القضاء بمصر في زمانه. ومن بين أقوال علماء الجرح والتعديل فيه قول لابن عدي: «كان (ابن بكير) جار الليث بن سعد، وهو أثبت الناس في الليث، وعنده عن الليث ما ليس عند أحد». وبالفعل فإن

يحيى بن أبي بكير، وقيل في وصف الليث بأنه «الحافظُ العالمُ أبو الحارثِ اللَّيْثُ بنُ سَعْدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْمِيِّ الْقَلْقَشَنْدِيِّ المتوفى في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) وهو فقيه ومحدث وإمام أهل مصر في زمانه»، وهو من تابعي التابعين أيضا وتعدّ رواياته عن عائشة بنت أبي بكر من أعلى روايات الحديث النبوي إسنادا، وقد سمع الزهري وهشام بن عروة بن الزبير. وعرف أنه روى عن نافع حديثا بينه وبينه فيه أربعة أنفس، وكذلك فعل في شيخه ابن شهاب، روى غير حديث بينه وبينه فيه ثلاثة رجال»، وكان ثقة كثير الحديث وصحيحه<sup>(٧)</sup>. وأما الشخصية الثانية التي وثّقها يحيى بن أبي بكير في هذه الرواية المهمة جدا في التطرق الى أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فهو عقيل بن خالد الأيلي، صاحب الزهري، وكان ثقة.

(٧) ينظر النووي؛ تهذيب الأسماء واللغات، جزء ٢ ص ٧٣ - ٧٤؛ الذهبي؛ وهناك ترجمة مفصلة عن الليث عند المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٠، جزء ٢٤ ص ٢٥٥ - ٢٧٩؛ سير أعلام النبلاء جزء ٨ ص ١٣٩.

وقد حدّث عن ابن شهاب فأكثر وجوّد، وحدّث عن غيره من الرواة والعلماء وتوفي في سنة ١٤٤ هجرية؛ وقال عباس الدُّورِيُّ، عن يحيى بن مَعِين: أثبت الناس في الزُّهْرِيِّ: مالك بن أنس، ومعمر، ويونس، وعقيل، وشعيب بن أبي حمزة، وسفيان بن عُيَيْنَةَ<sup>(٨)</sup>.

وفي الوقت نفسه فإن ابن كثير ينقل رواية البخاري حين يتحدث عن تفسير سورة المدثر فيقول ما نصّه:-

«ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير [يلاحظ إن هذا الراوي ينبغي أن لا يخلط بيحيى بن أبي بكير سالف الذكر في رواية البخاري نفسه حول نزول سورة العلق وكونها أول سورة نزلت على صدر رسول الله ﷺ]، عن أبي سلمة [وأحيانا سلمة فقط خطأ واسمه عبد الله وقيل إسماعيل أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف المتوفى في سنة ٩٤ هـ، وهو من

(٨) ينظر المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف ن مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ١٩٨٠ م. ن؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ جزء ٦ ص ٣٠٢.

يقول: أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى ﴿ **أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾. قال البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: (يا أيها المدثر) قلت: يقولون: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)؟. فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، وقلت له مثل ما قلت لي، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء

١٤٢-١٤٣؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠ (رقم ٨٧١) جزء ٤ ص ٤٤٣-٤٥٤ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء جزء ٣ ص ١٩٠-١٩٤.

التابعين، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو في الطبقة الثانية من المدنيين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، ولم تكن له صحبة، غير أن أمه تماضر بنت الأصبع بن عمرو قد أدركت حياة النبي، وكان أبو سلمة صبياً عند وفاة والده، وقد أرضعته أم كلثوم، عندئذ تكون عاتشة بنت أبي بكر خالته من الرضاعة. وهو بالفعل قد روى عن السيدة عاتشة وعن عروة بن الزبير وليس هنالك ما يؤشر إلى أنه قد روى عن الزهري والعكس صحيح فالزهري ويحيى بن أبي كثير وهشام بن عروة روى عن أبي سلمة<sup>(٩)</sup>، عن جابر [قليل إنه توفي في سنة ٧٨ هجرية عن عمر ناهز ٩٤ سنة وكان قد عمي في آخر عمره<sup>(١٠)</sup>]. أنه كان

(٩) ينظر النووي؛ أبو زكريا يحيى الدين (المتوفى: ٦٧٦هـ)؛ تهذيب الأسماء واللغات، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت- جزء ٢ ص ٢٤٠-٢٤١؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، جزء ٤ ص ٢٨٧-٢٩٢.

(١٠) النووي؛ المصدر أعلاه جزء ١ ص

باردا. قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا  
قال: فنزلت ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّةُ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾  
وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿ هكذا ساقه من هذا الوجه.

وقد رواه مسلم من طريق عقيل، عن  
ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني  
جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله ﷺ  
يحدث عن فترة الوحي: «فبينما أنا أمشي إذ  
سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري  
قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء  
قاعد على كرسي بين السماء والأرض،  
فجثت منه حتى هويت إلى الأرض،  
فجئت إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني،  
فزملوني، فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّةُ ۝١ قُرْ  
فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ إلى: (فاهجر) ثم همي الوحي

وتتابع». هذا لفظ البخاري وهذا السياق  
هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل  
الوحي قبل هذا، لقوله: «فإذا الملك الذي  
جاءني بحراء»، وهو جبريل حين أتاه

بقوله: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي  
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم إنه  
حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد  
هذا. ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد

فترة الوحي هذه السورة، كما قال الإمام  
أحمد بن حنبل (١١).

فالذي سبقت الإشارة اليه في أعلاه،  
إذن، يجعلنا أمام مجموعتين من الروايات  
المتعلقة بمسألة إنزال أول سورة على  
رسول الله ﷺ، المجموعة السننية الأولى  
تلك التي أصبحت هي السائدة والمهيمنة  
على تفكيرنا ومناهجنا وكتابتنا بشأن  
موضوع المبعث النبوي الشريف؛ وهي  
التي عبّرنا عنها بالرواية الزبيرية وبقصة  
غار حراء وبضمنها رواية الزهري +  
وهب بن كيسان + عبيد بن عمر بن  
الخطاب باعتبار أن وهبا كان من موالي  
آل الزبير وأن عبيد بن عمر كان من  
صغار التابعين ولا يصلح أن يكون هو  
الحلقة الأساسية التي تروي عن النبي ﷺ  
والواقع إنه بالفعل قد عوّل على رواية  
عروة + عائشة. تلك التي تقول أن سورة

(١١) ينظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم  
تفسير القرآن العظيم (تحقيق: محمد  
حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب  
العلمية، منشورات محمد علي بيضون -  
بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ جزء ٨  
ص ٢٧١.

المكرمة بغية التأكد من صحة أحاديث كان قد سمعها عن رسول الله ﷺ. وكان الصحابي مصدرا إذ روى عنه الكثير جدا من الرجال بحسب قائمة النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) والمزي في كتابه (تهذيب الكمال) ومن بينهم ابو سلمة بن عبد الرحمن ووهب بن كيسان ويحيى بن أبي كثير وغيرهم. وهذه المجموعة السنديّة، الثانية، هي التي تروي أن سورة (يا أيها المدثر) هي السورة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم<sup>(١٢)</sup>. وعلى الرغم من أن المجموعة السنديّة الثانية هي رواية غير زبيرية وتعدّ نقيضا للرواية الزبيرية التي تنصّ على أن سورة العلق أو الخمس آيات منها هي

(١٢) ينظر ابن الأثير؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق؛ علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلميّة، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م جزء ١ ص ٤٩٢؛ المزي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق؛ د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ رقم الحديث ٨٧١ جزء ٤ ص ٤٤٣ - ٤٥٤).

(أقرأ باسم ربك) هي السورة الأولى التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم. والمجموعة السنديّة هذه هي التي وقفت قبالة المجموعة الثانية التي سلسلة سندها ترجع الى أبي سلمة (عبد الله أو إسماعيل) بن عبد الرحمن بن عوف المتوفى سنة ٩٤ هجرية عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وفي الوقت الذي توفي فيه الصحابي جابر الذي يمثل الحلقة النهائيّة للمجموعة وصولا الى رسول الله ﷺ سنة ٧٨ هجرية عن عمر يناهز ٩٤ سنة بمعنى أن أبا سلمة وهو بالفعل كان من بين الذين رووا عن الصحابي جابر ولعله قد عاصر الصحابي، وأنه قد سأل جابر الأنصاري في المدينة المنورة وهو في آخر عمره عن أول سورة أنزلها الله تعالى على النبي الكريم. والمعروف إن الصحابي جابر قد تفرّغ للجلوس في المسجد النبوي في المدينة المنورة يعلّم الناس، وكان من الكثيرين في رواية الحديث النبوي، فكانت له حلقة في المسجد يلتفّ حولها الناس ليسمعوا منه الحديث النبوي وليستفتونه. فضلا عن ذلك فإنه قام برحلة الى مكة

الآيات الأولى التي نزلت عن طريق الملك جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله ﷺ، غير أن الزهري بروايته عن طريق روايته عقيل بن خالد الأيلي (صاحب الزهري) الذي يعدّ هو الآخر من الرواة الشفاهيين الذين رووا عن الصحابي جابر بن عبد الله، قد استثمر هذه السلسلة السنديّة في روايته التي خرجها مسلم في صحيحه تلك التي أدت إلى أن تنحرف رواية الصحابي جابر بن عبد الله التي تؤشر إلى أن سورة (يا أيها المدثر) قد سبقت سورة العلق في النزول وذلك بحسب الصيغة الآتية:-

«قال البخاري: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُلْتُ: يَقُولُونَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِي فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي

فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، فَزَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثْرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَدَثْرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَزَفَعْتُ يَأْأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» هَكَذَا سَأَلَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي [بِالْحِظِّ فِي النَّصِّ الْأَصْلِيِّ لِرِوَايَةِ الصَّحَابِيِّ جَابِرِإِنَّهُ يَقُولُ] جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ «ولم يقل فبينما أمشي» إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ [هَاهنا أَيْضًا يَخَالِفُ الزَّهْرِيُّ نَصَّ تَعْبِيرِ الصَّحَابِيِّ] فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ [وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْمَلَاخِظَةَ فِي تَعْبِيرِ الصَّحَابِيِّ إِنَّمَا أَقْحَمَهَا الزَّهْرِيُّ] قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَسَّثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فزَمِّلُونِي [فِي أَصْلِ الرِّوَايَةِ دَثْرُونِي وَليْسَ زَمِّلُونِي الَّتِي



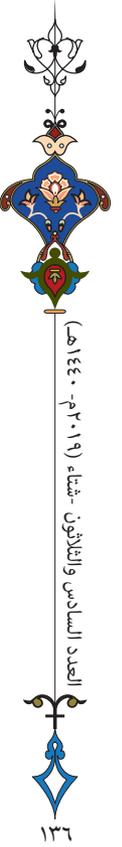
بِحِرَاءِ الْأَنْ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ فَجِثَّتْ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى  
الْأَرْضِ، فَجِثَّتْ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ زَمَلُونِي  
زَمَلُونِي فَرَمَلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا  
الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ  
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ تَتَابَع.  
أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ» (١٣).

وليّ ثمة ملاحظات على ما ورد  
في المجموعتين المشار إليهما في أعلاه  
وكالآتي:- لا شك أن ما تشير اليه  
المجموعة السندية الأولى قد احتلّ المكانة  
الأولى، كما ذكرنا، للتعبير عن الحقيقة بأن  
الآيات الخمس الأولى من سورة العلق  
هي الآيات التي نزلت في غار حراء  
على رسول الله ﷺ. وهي بالفعل تتواءم  
وما درجت عليه قصة الغار بحسب  
هذه الرواية التي مرّ ذكرها، وأقصد  
نزول الوحي والنبى ﷺ نائم وما قام  
به الملك جبرئيل عليه السلام للنبي من أنه «غطّ  
الرسول» ثلاث مرات قائلًا «أقرأ»، طبعا  
هذه المعلومة مقصورة على هذه الرواية

(١٣) ينظر ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨  
ص ٢٧١ - ٢٧٢.

تشير الى نزول سورة المزمل، فأنزل الله  
تعالى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إِلَى - فَاهْجُرْ.  
قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ الْأَوْثَانُ - ثُمَّ حَمِي  
الْوَحْيُ وَتَتَابَع، هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَهَذَا  
السِّيَاقُ هُوَ الْمُحْفُوظُ وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ  
نَزَلَ الْوَحْيُ قَبْلَ هَذَا لِقَوْلِهِ: «فَإِذَا الْمَلِكُ  
الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ» وَهُوَ جَبْرِيلُ حِينَ  
أَتَاهُ بِقَوْلِهِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ  
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ  
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ هَذَا فَتَرَةٌ ثُمَّ نَزَلَ الْمَلِكُ  
بَعْدَ هَذَا.

وَوَجْهُ الْجُمُعِ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ بَعْدَ  
فَتْرَةِ الْوَحْيِ هَذِهِ السُّورَةُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ  
أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا  
عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا  
سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ  
بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:  
«ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةٌ [ملاحظة مهمة  
أفحمها الزهري وهي «ثم فتر الوحي»  
فليس في رواية الصحابي هذا النصّ] فَبَيَّنَّا  
أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ  
بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي



فحسب ولم تذكر - أقصد ما قام به الملك من غطّ النبي ثلاث مرات - في الروايات الأخرى التي رشحت سوراً أخرى بدلاً من سورة العلق أنها نزلت أولاً على النبي ﷺ نظير: (سورة المدثر) أو سورة (ن والقلم) أو سورة (الفاتحة) أو سورة (الضحى) أو سورة (المزمل). وهي الرواية التي اتفق عليها الرواة الشفاهيون عموماً عروة بن الزبير وأخوه وابنه هشام بن عروة والموالون لعروة ولآل الزبير وابن عروة الآخر عثمان كان أيضاً من رواة السيرة وله ابن ثالث هو عبد الله الذي يكنى به كان راوية لرواية السيرة عن أبيه وإن محمداً هو أيضاً قد روى عن أبيه هذه الرواية. إما عن غير أبناء عروة فهناك محمد بن جعفر وهو ابن أخ عروة بن الزبير، وجعفر بن الزبير أخو عروة وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ويحيى بن عباد بن حمزة كذلك علينا إن لا ننسى ذكر عبد الله بن الزبير ومصعب الزبيري عمّ الزبير بن بكار مؤلف الموفقيات الكتاب المعروف الذي تضمن أخباراً كثيرة عن السيرة وهناك عمر بن عبد الله

ابن أخ عروة، وعاصم بن المنذر بن الزبير وقد سمع عن عروة وروى عنه وهناك المنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير الذي روى عن هشام بن عروة ومن موالي آل الزبير نذكر وهب بن كيسان المعروف بوهب القرشي المدني المعلم وقد روى عن أسماء بنت أبي بكر وروى أيضاً عن عروة وإن هشاماً بن عروة قد روى عنه وهناك يزيد بن رومان مولى عروة وروى عن عروة وعن عبد الله بن الزبير وروى عنه هشام بن عروة وليزيد أخ هو عبد الله رومان كان يروي عن عروة وقد قدم محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وصفاً عاماً لنفر من موالي آل الزبير في عدة أخبار تتعلق بالسيرة النبوية<sup>(١٤)</sup>.

ومع ذلك فلم يظهر أي اختلاف جوهري بينهم جميعاً في متن الرواية وتفصيلاتها الدقيقة، وأعني الرواية

(١٤) ينظر الطبقات جزء ٣ ص ١٠٢ - ١٠٣، ج ٥ ص ١٧٥؛ طبقات خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار ص ٩٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٥)، كذلك تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار بيروت ١٤١٤هـ) ص ٩٥، ١٠٣، ٢١٥.



فَقَالَ: «لئن فعل لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ»،

فقال الله تعالى ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ①**

**عَبْدًا إِذَا صَلَّى ②** نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ

اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ

البيت فوعظه تَعَالَى بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ

أَوَّلًا فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى

أَيُّ فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ

عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ أَوْ أَمَرَ

بِالتَّقْوَى، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى

صَلَاتِهِ»<sup>(١٥)</sup>. هنا نزلت على النبي عجز

سورة العلق وهو بسم الله الرحمن

الرحيم ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ③** أَنْ

**رَأَاهُ أَسْفَعًا ④** **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ⑤** **أَرَأَيْتَ**

**الَّذِي يَنْهَى ⑥** **عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑦** **أَرَأَيْتَ إِنْ**

**كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑧** **أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑨** **أَرَأَيْتَ**

**إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑩** **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑪** **كَلَّا**

**لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑫** **نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ**

**خَاطِئَةٍ ⑬** **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑭** **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**

**⑮** **كَلَّا لَا نُطِيعُ لِحَاظِهِمْ وَأَسْبُغُوا أَقْرَبَ ⑯**. وهي

آيات من الله تعالى ردًا على ما هدف

إليه أبو جهل المخزومي. بمعنى

(١٥) ينظر تفسير سورة العلق في تفسير القرآن

العظيم لابن كثير.

الزبيرية. وملاحظتي على هذه الرواية

تتركز على الآتي:-

• المتفق عليه في تاريخ المبعث النبوي

الشريف، إن كان في الروايات الزبيرية

أم في الروايات غير الزبيرية، فإن الملك

جبرئيل عليه السلام بعد أن بشر النبي بالرسالة

الالهية أوعز له بالكتمان وأن لا يبدأ

بالإعلان عنها، ولهذا فإن الدعوة

كانت سرية ومحصورة أولا في بيت

النبوة حصرا، وكان رسول الله ﷺ

مع زوجته والإمام علي ومولاه زيد

وجعفر بن أبي طالب يصلون في بيت

الرسول أو في شعاب الجبال بعيدا عن

أنظار قريش. وورد أن الرسول ﷺ

كان يصلي بعد أن يطوف بالكعبة

على عادته المعتادة يوميا، وكان يقرأ

ما تيسر له من القرآن الكريم، فهنا

كانت ردود فعل المشركين المكيين على

ما كان ليقروه ﷺ في الصلاة، فكانت

حادثة أبي جهل من أولى هذه الردود

القرشية إذ أقسم بمعبوده الوثن فقال

«لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة

لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ



آخر أن الخمس آيات من سورة العلق كانت متأخرة في نزولها وبعد أن انتشرت أخبار النبي عليه الصلاة والسلام، فكان المشركون حينها يمرّ بهم النبي ﷺ يتهامسون فيما بينهم إن «ابن عبد المطلب يكلم السماء»، أي ما أقصده أن أمر الدعوة للدين الجديد كانت لم تنزل في طيّ الكتمان.

كذلك الحالة بخصوص سورة (يا أيها المدثر) فإن عجزها وهو بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ﴾ (٩) ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾ (١٠) ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾ (١١) ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (١٢) ﴿وَنَبِينَ شُهودًا﴾ (١٣) ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (١٤) ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (١٦) ﴿سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا﴾ (١٧) ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾... الخ الآية الكريمة) فإن عجز الآية الكريمة تعدد رداً على ما كان المشركون من أهل مكة وبالأخص الوليد بن المغيرة المخزومي يتداولونه بشأن ما كان النبي يقرأه من آيات

الذكر الحكيم، فصنع الوليد لقريش طعاما، فلما أكلوا. قال: ما تقولون في هذا الرجل؟. فقال بعضهم: ساحر. وقال بعضهم ليس بساحر. وقال بعضهم: كاهن. وقال بعضهم: ليس بكاهن. وقال بعضهم: شاعر. وقال بعضهم ليس بشاعر. وقال بعضهم بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه، وتدثر، فأنزل الله ﴿بَيِّنَاتٍ﴾

﴿الْمَدِّثِرِ﴾ (١) ﴿فَرَفَّانِذِرِ﴾ (٢) ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرِ﴾ (٣) ﴿وَيَبَاكِ فَطَهِّرِ﴾ (٤) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِ﴾ (٥) ﴿وَلَا تَمَنَّ﴾ (٦) ﴿تَسْتَكْبِرُ﴾ (٦) ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِ﴾. والحقيقة فإن سورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ (٢) ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ (٣) ﴿كَلَّا سِعَامُونَ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ كَلَّا سِعَامُونَ﴾ هي السورة الأكثر قربا بما كان الوليد وقومه يتساءلون حوله بشأن الرسول ﷺ. كذلك

فإن الخمس آيات من سورة ﴿ت وَالْقَالِبِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢) ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٣) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾



عن «أي الكفن خير»، فقالت له ما يضرك. ثم قالت «إنما نزل أول ما نزل منه -أي القرآن الكريم- سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام» وهو حديث بحسب قول السيوطي قد رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ<sup>(١٦)</sup>. وهو حديث مفيد جدا في الخطاب التمهيدي لبداية نزول القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى إنما يقدّم ما كان عرب الجاهلية يغفلونه عن قدرة الخالق وعن الثواب والعقاب للذين ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى. من هنا اضطر جلال الدين السيوطي الى تبرير التناقض بين الروايتين، رواية عروة عن عائشة ورواية جابر بن عبد الله بالقول «وَقَدْ

وَيَبْصُرُونَ»، هي الأخرى مرشحة لأن تكون قد أنزلها الله تعالى للردّ على إتهامات الكفار من قريش وبضمنهم الوليد بن المغيرة وأبي جهل وغيرهما. فالآيات الخمس من سورة المدثر والآيات الخمس من سورة (ن. والقلم) كانت ردّا من الله سبحانه وتعالى على ردود فعل قريش والكفار وأجوبة ربانية على الأوصاف التي توصلوا اليها وما توصل اليه الوليد بن المغيرة بعد أن ﴿فَكَرَّ وَقَدَّرَ﴾<sup>(١٨)</sup> فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ<sup>(١٩)</sup> ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ<sup>(٢٠)</sup> ثُمَّ نَظَرَ<sup>(٢١)</sup> ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ<sup>(٢٢)</sup> ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ<sup>(٢٣)</sup> فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَبْصَرِ يُؤْتِرُهُ<sup>(٢٤)</sup> إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ»، لأن الرسول الكريم ﷺ كان أشد ما يكرهه هو أن يسمع من قومه قريش تقول أنه ساحر أو مجنون في الوقت الذي كانوا يعرفونه بالصادق والأمين.

• والملاحظة الأخرى في هذا الصدد هي في حديث ورد في صحيح البخاري برقم ٤٧٠٧ عن السيدة عائشة حين سأها عراقي سؤالا

(١٦) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، [باب تأليف القرآن] دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ص ٦٥٥-٦٥٦؛ الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، جزء ١ ص ٩٥.

اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ «اقْرَأْ»  
وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَجِيبَ  
بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَي مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ  
وَالْمُرَادُ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ  
بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ  
وَالنَّارِ فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ  
بَقِيَّةِ «اقْرَأْ»<sup>(١٧)</sup>. وهو تبرير غير منطقي  
فكيف يكون عجز سورة المدثر الذي  
يتضمن الجنة والنار، وبالأخص الآية  
رقم ٣١ من سورة المدثر تنزل أولاً  
قبل صدر السورة والتي جاء فيها  
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا جَعَلْنَا  
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا  
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ  
يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَهَدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ  
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

(١٧) ينظر الإلتقان في علوم القرآن؛ عبد الرحمن  
بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:  
٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،  
الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م، جزء ١  
ص ٩٥.

فالمسألة فيها إشكالية في الحقيقة كما  
خمنها السيوطي، ولذلك فإنه لم يكمل  
الفكرة إنما أوقف الاستشكال بهذا  
الرأي.!. وواقعا فإن على السيوطي  
 وغيره من العلماء أن يلتفتوا قليلا الى  
 الرواية الأقرب من رسول الله ﷺ  
 وأقصد رواية الإمام علي عليه السلام لأنه  
 كان ملازما للنبي إذ يروى مؤلف  
 كتاب الخرائج والجوائح رواية عن  
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال  
 فيها «كنت مع رسول الله ﷺ فخرج  
 في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا  
 حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول  
 الله»<sup>(١٨)</sup>. وإنما بعون الله تعالى سوف  
 نقف على مضامين الرواية الشيعية  
 حول هذا المطلب في أدناه.

\* \* \*

والحق يقال أن رواية الصحابي جابر  
 بن عبد الله الأنصاري هي أكثر وضوحا  
 وواقعية وأقل مبالغة في تفصيلاتها

(١٨) ينظر الخرائج والجوائح؛ قطب الدين بن  
 سعد بن هبة الله الراوندي، تحقيق ونشر:  
 مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، الطبعة: الاولى  
 ١٤٠٩هـ جزء ١ ص ٤٦.

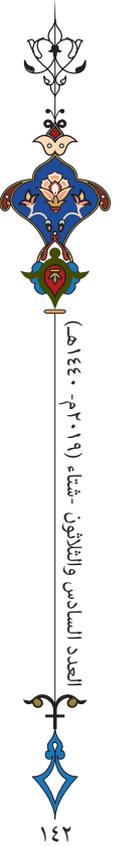
وفي هدفها من رواية السلسلة السندية المهيمنة التي سندها يرجع الى ابن شهاب الزهري+ عروة + عائشة، علما بأنها، أي رواية جابر الأنصاري، تمثل مرحلة لاحقة لنزول أول آيات القرآن الكريم لأنها تضمنت الأمر بالإنذار والتبليغ بالرسالة السماوية وهذه بدورها تمثل مرحلة لاحقة على اعتبار أن الدعوة في بدايتها وكانت ما زالت في مرحلتها السرية، وأن رسول الله ﷺ لم يعلنها بعد حتى الى عشيرته الأقربين، وأن الإنذار والتبليغ جاء على مراحل:-

- مرحلة التبليغ للمسلمين الأوائل، خديجة الكبرى عليها السلام والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب عليهما السلام. ولذلك كانت ردود فعل القريشيين الكفار لم يكن مباشرا ولم يكن قاسيا إنما كانوا يعبرون عن استيائهم مما يقوم به النبي ﷺ بترويحهم تعبيرات تنم على استهزاء وتساؤل كقولهم مثلا «ابن عبد المطلب يكلم السماء» أو كما أورد ابن كثير في تفسيره للقرآن

العظيم «سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ صَنَعَ لَقْرِيشِ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا مِنْهُ قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِسَاحِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَاهِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِكَاهِنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ سِحْرٌ يُؤَثِّرُ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤَثِّرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَزِنَ وَقَنَّعَ رَأْسَهُ وَتَدَثَّرَ،

فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرِ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرِ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرِ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنَ فَتَسْتَخْرِجُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرِ ﴿٧﴾ وقوله تعالى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرِ ﴿٨﴾ أَيُّ شِمْرٍ عَنْ سَاقِ الْعِزْمِ وَأَنْذِرِ النَّاسَ، وَبِهَذَا حَصَلَ الْإِرْسَالُ كَمَا حَصَلَ بِالْأَوَّلِ النَّبُوءَةِ﴾ (١٩).

(١٩) ينظر تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ جزء ٨ ص ٢٧٢.



وكانت المرحلة الثانية في تنفيذ أمر الله والتبليغ بالإسلام الحنيف من خلال آية إنذار عشيرة الرسول ﷺ الأقربين. ومن الطبيعي هنا أن تتخذ ردود فعل القريشيين الكفار وسائل أخرى قاسية على شكل رد فعل أبي جهل أزاء ما كان رسول الله يؤديه من واجبات كالصلاة وكذلك لاستمراره ﷺ في قراءة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم التي أنزلها الله سبحانه حتى هذه المرحلة إن كانت الخمس آيات من سورة العلق أو الآيات من سورة الأنعام آية ١٥١ بحسب رواية الإمام علي عليه السلام أو سورة الفاتحة. هنا لا بد لنا أن ندخل أوامر الله سبحانه وتعالى في الإنتقام من هؤلاء كأبي جهل المخزومي والوليد بن المغيرة المخزومي ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾

﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَمْ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَنْسَفَعْنَا بِالْناصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ

﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبْ ﴿١٩﴾

وتلت هذه المرحلة المرحلة النهائية (يا أيها المدثر [أي المدثر بعباءة النبوة وأعبائها] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتَبَّأَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

والآيات الكريبات من سورة الحجر ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾

ولذلك فإنني بتواضع لا أرى أن هنالك فتورا في الوحي بحسب إدعاء الزهري إنَّها هو أمر اقتضته طبيعة الدعوة الإسلامية للدين الجديد وردود فعل المشركين القريشيين التي تدرجت بين السلمية للتفريج والاستهزاء وبين التفكير الجدِّي بما يقرأه رسول الله ﷺ من الآيات الكريمة التي تنزل عليه باستمرار خلال هذه المرحلة التاريخية من أجل بناء شامل

قيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج و قيل أربعين يوماً عن مقاتل وقيل إن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال و كيف ينزل علي الوحي و أنتم لا تتقون براجحكم و لا تعلمون أظفاركم لما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرائيل عليه السلام ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل عليه السلام وأنا كنت أشد إليك شوقاً و لكنني عبد مأمور و ما نتنزل إلا بأمر ربك. و قيل سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين و أصحاب الكهف و عن الروح فقال سأخبركم غدا و لم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام فاغتم لشاة الأعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه. و قيل إن النبي ﷺ رمي بحجر في إصبغه فقال هل أنت إلا إصبغ رميت، و في سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قريب منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت السورة<sup>(٢٠)</sup>. و ذكر ابن كثير في (٢٠) ينظر الطبرسي؛ أبا علي الفضل بن الحسن:

وهادف للمجتمع وللشخصية المؤمنة الجديدة التي قوامها الأساس التقوى. والمهم إنه بحسب رأي ابن شهاب الزهري أن فترة فتور الوحي امتدت في ذهنه وفي روايته من يوم واحد أو ليلة واحدة إلى يومين إلى سنة واحدة إلى ستين إلى ستين ونصف أو إلى ما شاء للزهري أن يتذكر كم هي مدة فتور الوحي أصلاً إن صح ذلك!. والسؤال المنطقي الذي يواجها هو لماذا يكون هذا الخبر المهم جداً مقصوراً على الزهري في رواية أحادية لا معنى لها سوى الإضرار بطبيعة العلاقة الروحانية بين الله سبحانه وتعالى وبين نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذا قول لابن عباس بشأن الفتور، فتور الوحي، لا بد من ذكره لا بسبب الاعتقاد بصحته ولكن لتفسير المسألة كلها. والرواية وردت في تفسير الميزان للطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن، سورة الضحى «قال ابن عباس: احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال المشركون أن محمداً قد ودّعه ربه وقلاه و لو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة و

تفسير القرآن العظيم رواية عن أحمد بن حنبل يذكر فيها «قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدُبًا يَقُولُ: اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ» (٢١).

وروى ابن كثير رواية ثانية عن السبب في عدم قيام رسول الله ﷺ فقال «وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ وَعَمَرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْدِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ أَنَّهُ سَمِعَ جُنْدُبًا يَقُولُ رُمِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ فِي أُصْبَعِهِ فَقَالَ: «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتْ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ؟»

مجمع البيان في تفسير القرآن، طبعة جديدة منقحة الطبعة الأولى، طبعة دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦ جزء ١٠ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢١) ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨ ص

قَالَ فَمَكَثَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لَا يَقُومُ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ فَفَزَلْتُ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَالسِّيَاقُ لِأَبِي سَعِيدٍ، قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي هَبَبٍ، وَذُكِرَ أَنَّ أُصْبَعَهُ لَبِيَّةٌ دَمِيَّتْ «ويلاحظ إن ابن كثير قد رأى نوعاً من الاختلاف بين الروایتين فعقب على ذلك بقوله «وَقَوْلُهُ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي اتَّفَقَ أَنَّهُ مَوْزُونٌ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ هَاهُنَا جَعَلَهُ سَبَبًا لِتَرْكِهِ الْقِيَامِ وَنُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ» (٢٢). ثم أعقب هاتين الروایتين بالرواية الزيرية التي ورد ذكرها عند ابن هشام في السيرة وهي: - «فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادٍ أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا قَدْ قَلَاكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. وَقَالَ أَيُّضًا: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَبْطَأَ جِرْيَلُ

الروايات إلى حقيقة الحدث. وهناك ثمة ملاحظات على الرواية منها:-

1. هي رواية ناقصة اذ تبدأ ربما بعد نزول الرسول من جبل النور وغار حراء، علماً أنها ابتدأت بالقول نقلاً عن رسول الله ﷺ إذ «قال جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستنبتت الوادي» وقوله ﷺ هاهنا يخالف تماماً ما ورد بحسب رواية الزهري إذ روى إن النبي قال: «فبينما انا أمشي يوماً اذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء» فالروايتان لا تؤشران إلى نزول أول سورة من الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام في هذا اللقاء، فان كان مثل هذا قد حدث لما أغفل الرسول ﷺ من أن يذكره ويذكر السورة التي أنزلت عليه إن كانت الخمس آيات من سورة (اقرأ باسم ربك) أو أي سورة أخرى، في الوقت الذي نصّت الروايتان على نزول آيات من سورة (يا أيها المدثر). وقد انتبه عدد من العلماء إلى ما قد يثيره هذا التضارب والاختلاف من

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ إِنِّي أَرَى رَبَّكَ قَدْ قَلَاكَ مِمَّا نَرَى مِنْ جَزَعِكَ، قَالَ فَنَزَلَتْ وَالصُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِهَا، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ «فما كان من ابن كثير إلا القول» وَلَعَلَّ ذِكْرَ خَدِيجَةَ لَيْسَ مَحْفُوظًا أَوْ قَالَتْهُ عَلَى وَجْهِ التَّأْسُفِ وَالْحُزْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٢٣).

وفي هذه المناسبة فقد أشار الى ذلك محمد حسين الطباطبائي بقوله: «قيل: انقطع الوحي عن النبي ﷺ أياما حتى قالوا: إن ربه ودعه فنزلت السورة فطيب الله بها نفسه، و السورة تحتمل المكية والمدنية» (٢٤).

والواقع فإن رواية جابر الأنصاري قد أحرزت رضى وقبول عام من المفسرين والمؤرخين وفي إعطائها الدور الأساسي للعلاقة الروحانية بين الملك جبرئيل عليه السلام ورسول الله ﷺ، وهي ربما أقرب

(٢٣) م. ن. جزء ٨ ص ٤١١.

(٢٤) الطباطبائي، السيد محمد حسين؛ الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، جزء ٢٠ ص ٣٥٣.

تساؤلات فعمدوا إلى إيجاد حلول توفيقية وتعليلات غير قاطعة للجدل ولهذا الغموض.

٢. أغفلت رواية جابر نهائياً الدور المركزي للروايات الزبيرية لورقعة بن نوفل تلك التي جعلته المحور الأساس الذي تدور حوله قصة الغار، غار حراء، بدلاً من أن يكون تسليط الضوء على لقاء الوحي برسول الله وتبليغه رسالة الله سبحانه وتعالى. فقد ركزت رواية جابر على العلاقة الساموية بين الملك والنبى ﷺ ولم تعط أي اهتمام لورقعة. ومما لاشك فيه ان هذا الإغفال لم يكن عفويًا إنما كان واقعياً وهو يشير إلى تحجيم دور ورقعة او إلغاءه بالمرّة في حين كان هناك مجال للإشارة إليه إن كان له دور. فبعد عودة رسول الله إلى منزله وحديثه مع زوجته تدثر ثم قامت السيدة خديجة بصّب الماء عليه؛ ولم تسترسل الرواية لتذكر ان السيدة خديجة انطلقت بسرعة بعد أن رأت النبي في حالته من ارتفاع درجة

حرارته إلى ورقة عمها لاستشارته، فإنها بحسب رواية الصحابي جابر لم تفعل ذلك.

٣. والاكثر أهمية ان رواية الصحابي جابر قد قللت من أهمية ما فعلته رواية الزهري بشأن فتور الوحي والمعاناة التي حلّت برسول الله ﷺ بسبب انقطاع الوحي فترة من الزمن بحسب رواية الزهري، اذ قال الزهري في رواية عن معمر [يقصد معمر بن راشد، تباينت آراء علماء الجرح والتعديل حول مكانته في رواية الأحاديث، فقال يحيى بن معين: قال هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتابا. يعني كان يحدثهم من حفظه، وقال مؤمل بن يهاب قال عبد الرزاق: كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث. وتوفي سنة ١٥٣ هجرية] (٢٥). «فتر الوحي عن رسول الله ﷺ، فترة فحزن حزناً شديداً جعل يغدو إلى رؤوس شواهد

(٢٥) ينظر الذهبي؛ سير أعلام النبلاء جزء ٧ ص ٥-١٨.

الجبال ليرتدي منها فلما أوفى بذورة  
 جبل تبدى له جبريل فيقول انك  
 نبي الله فيسكن لذلك جأشه وترجع  
 اليه نفسه»<sup>(٢٦)</sup>. لكن رواية الصحابي  
 جابر استمرت في تسلسلها بعد  
 نزول الوحي بسورة (ياايها المدثر) إلى  
 قوله تعالى والرجز فاهجر) ثم تقول  
 ((فحمي الوحي وتتابع)) فليس  
 هنالك ما يؤكد قول الزهري هذا،  
 لذلك علينا إعادة قراءة الرواية التي  
 أدلى بها الزهري تلك التي تعكس  
 تردد الرسول ﷺ وتخوفه ومحاولاته  
 إلقاء نفسه من اعلى الجبال الشواهد؛  
 فضلاً عن إعادة قراءة الرواية الزيرية  
 التي إنتهت بقاء ورقة للرسول  
 وهو يطوف حول الكعبة وتقبيله  
 النبي من ياخوفه ﷺ وتمنياته بأنه إن  
 يبقى حياً لينصر رسول الله. فالرواية  
 الزيرية تنتهي مباشرة إلى هذا القول  
 ((ثم لم ينشب ورقة إلى ان توفي وافر

٤. تضمنت رواية الصحابي جابر  
 تعبيرات تشير إلى خوف وفزع  
 الرسول ﷺ حينما رأى الملك ومنها  
 مثلاً: فجثت منه، او فجثت منه  
 فرقاً حتى هويت إلى الأرض او  
 فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني.  
 وهذه التعبيرات تدل على عدم ثقة  
 الرسول بنفسه وعلى الخوف والفزع  
 والرعب الذي حلّ به ﷺ حينما رأى  
 الملك. غير ان الرواية قد ناقضت  
 نفسها بنفسها في القول ((فبينما انا  
 أمشي سمعت صوتاً من السماء فاذا  
 الملك الذي جاءني بحراء جالساً على  
 كرسي.. الخ)). كذلك جاء في الرواية

(٢٧) جامع المسند الصحيح المختصر من أمور  
 رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح  
 البخاري؛ البخاري، تحقيق محمد زهير بن  
 ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة  
 عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم  
 محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى،  
 ١٤٢٢هـ صحيح البخاري ج١ ص ٧.

(٢٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الناشر: دار  
 التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ  
 جزء ٢ ص ٥٢.

سَجَى ﴿٢٨﴾.

الثانية قوله ﷺ «فنوديت فنظرت فوقي فاذا انا به قاعد على العرش بين السماء والأرض» لهذا نعتقد بان تعبيرات كالحوف والهلع لا تتوافق والأقوال التي مرّت على رسول الله ﷺ في لقائه هو نفسه مع الملك، ولعل التعبير الأكثر قبولاً يكون كرد فعل طبيعي كقوله ((فخشيت منه)) بدلا من التعبيرات تلك التي تدل على فزع النبي ﷺ وتخوفه.

إذن كما رأينا في أعلاه أن رواية جابر بن عبد الله الأنصاري تعدّ دحضا لما أكدته الرواية الزبيرية تلك التي تفيد بأن الخمس آيات الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ. غير أن الطبري في روايته عدّ سورة (أقرأ باسم ربك) هي أول سورة أنزلت من القرآن الكريم فيقول «كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَقْرَأَ ﴿١﴾ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا لَأَجْرًا عَثَرَ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ﴿٧﴾ فَفَأَنْذِرْ ﴿٨﴾ وَالصُّحَىٰ ﴿٩﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا

٥. وعلى هذا الأساس فرواية الطبري هذه قد أثارت، بحدّ ذاتها، إشكالية أخرى بما له علاقة بالسورة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ إن كان هذا الإنزال قد حدث في غار حراء كالذي صورته الرواية الزبيرية عن السيدة عائشة أم في الوادي بعد أن استبطنه النبي ﷺ بعد نزوله من جبل النور وغار حراء كالذي صورته رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري أو بين شعاب الجبال بينما كان يرعى غنما لعمه أبي طالب كما صورته رواية الإمام عليّ عليه السلام أو في أي مكان آخر. ومع هذا فإن هنالك أمرا مهما جدا فيما يتعلق بأولئك العلماء الذين يرون بأن الآيات الخمس الأولى من سورة ﴿١﴾ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَثَرَ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ فهذه الآيات

(٢٨) الطبري؛ تاريخ جزء ٢ ص ٢٩٩.

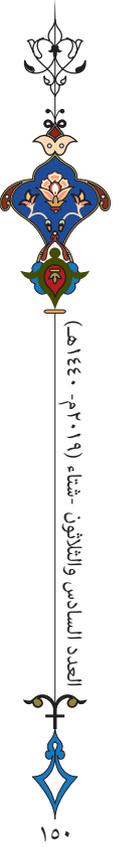
اختلاف الروايات الشفهية واختلاف الآراء بخصوص السورة الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ، وقد رتب هذه الاختلافات على الوجه الآتي (٣٠) فيقول ما نصّه: «اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوالٍ: أحدها وهو الصحيح: (اقرأ باسم ربك) روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي حرأ فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود. القول الثاني: (يا أيها المدثر) روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن [الحقيقة هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وليس سلمة] قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل قال: (يا أيها المدثر) قلت: أو (اقرأ باسم ربك) قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ: «إني

(٣٠) جلال الدين السيوطي؛ الإتيان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م) جزء ١ صفحة ٩١ الى صفحة ٩٧.

الخمس هي بالفعل آيات مكية على الرغم من أن هذه السورة قد عدت مكية -مدينية، وهي بحسب أقوال المفسرين والمؤرخين تتنافس مع الخمس آيات الأولى من سورة العلق في الأسبقية. فالبعض يراها أنها أول نازل من القرآن الكريم على الرسول ﷺ؛ ولذلك فقد رجحت السيدة عائشة بأن هذه السورة قد نزلت على النبي في مكة وبعد سورة العلق المكية مباشرة؛ في حين يرى آخرون أنها نزلت قبل سورة العلق ولاسيما الخمس آيات الأولى منها (٢٩).

وها هنا علينا أن نوجه اهتمام القارئ اللبيب الى أن جلال الدين السيوطي المتوفى في سنة ٩١١ هجرية في كتابه (الإتيان في علوم القرآن)، هو العالم الذي شخص

(٢٩) ينظر ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم جزء ٨ ص ٢٠٤؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق؛ علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ جزء ١٥ ص ٣٩٩-٤٠٠.



جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ  
فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَظَنَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي  
وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ  
فَإِذَا هُوَ يَعْنِي جِبْرِيلَ فَأَخَذْتَنِي رَجْفَةً  
فَأَتَيْتُ حَدِيحَةَ فَأَمَرْتَهُمْ فَدَثَرُونِي فَأَنْزَلَ  
اللهُ: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِرِينَ ۝١ قُرْآنًا ذِكْرًا﴾. الْقَوْلُ  
الثَّلَاثُ: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ قَالَ فِي الْكَشَافِ:  
ذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ سُورَةِ  
نَزَلَتْ «اقْرَأْ» وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ أَوَّلَ  
سُورَةٍ نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ. الْقَوْلُ الرَّابِعُ:  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَكَاهُ ابْنُ النَّقِيبِ  
فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ قَوْلًا زَائِدًا. وَأَخْرَجَ الْوِ  
احِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ قَالَا  
أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ) وَأَوَّلُ سُورَةٍ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ).  
ويعقب السيوطي على هذا القول مبينا  
فيه موقفه قائلا «وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ  
قَوْلًا بِرَأْسِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صُرُورَةِ نُزُولِ السُّورَةِ  
نُزُولِ الْبَسْمَلَةِ مَعَهَا فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ  
عَلَى الْإِطْلَاقِ». وَوَرَدَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ  
حَدِيثٌ آخَرُ: رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ  
قَالَتْ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ سُورَةٌ مِنَ الْمُفْصَلِ  
فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ

إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ.  
وَقَدْ اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ  
«اقْرَأْ» وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَجِيبَ  
بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَي مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ وَالْمُرَادُ  
سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ  
الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ  
آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ بَقِيَّةِ «اقْرَأْ» (٣١).

[أقول إن الآية المرقمة ٣٢ من سورة  
المدثر فيها ذكر للنار فيقول الله العلي  
القدير بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا  
جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ  
إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ  
مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ  
إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ﴾]. وأقول أيضا أن المتفق  
عليه عند المؤرخين وعند مفسري القرآن  
الكريم أن رواية الصحابي جابر بن عبد  
الله بخصوص نزول الآيات الخمس  
الأولى من سورة المدثر فقط ولم تذكر  
السورة كاملة، لهذا فإن ذكر النار لم تكن  
(٣١) م. ن. جزء ١ ص ٩١ - ٩٤.

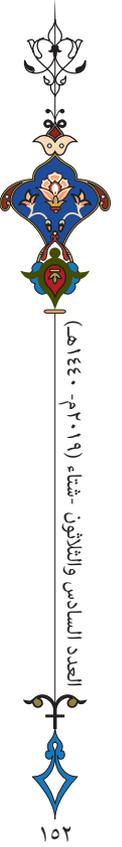
أيضا فسورة (ن والقلم وما يسطرون) كما لاحظنا في أعلاه هي سورة مكية- مدنية غير أن الخمس الآيات الأولى منها قد نزلت بحسب الروايات بعد لقاء الرسول ﷺ ورقة بن نوفل، وبحسب رواية ابن كثير إذ يقول «بعد ان سألت خديجة ورقة عن امر زوجها وَقَدْ صَدَقْتُكَ عَنْهُ، فَأَرْسِلِي إِلَيَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَسْأَلُهُ، وَأَسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ وَأُحَدِّثُهُ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جِبْرِيْلَ؛ فَإِنَّ بَعْضَ الشَّيَاطِينِ يَتَشَبَّهُ بِهِ لِيُضِلَّ بِهِ بَعْضَ بَنِي آدَمَ، وَيُفْسِدُهُمْ حَتَّى يَصِيرَ الرَّجُلُ بَعْدَ الْعَقْلِ الرَّضِيِّ مُدْهَمًا مَجْنُونًا. فَقَامَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ وَاثِقَةٌ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ بِصَاحِبِهَا إِلَّا خَيْرًا، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ وَرَقَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ر وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣٣﴾، وأن سورة المزمل إنما نزلت بعد سورة المدثر لا

(٣٣) ابن كثير؛ البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. ابن كثير البداية جزء ٤ ص ٣٦.

ضمن الخمس آيات الأولى إنما جاء ذكرها متأخرا. انتهى تعليق الباحث].  
وينتهي السيوطي من عرض هذه الآراء، آراء العلماء والرواة الشفاهيين المختلفة بشأن السورة الأولى التي أنزلها الله تعالى على نبينا الكريم، وذلك بذكره قائمة بتسلسل سور القرآن الكريم، معتمدا على ما ذكره على أبي بكر محمد بن الحارث بن أبيص في جزئه المشهور وعلى وفق التسلسل التاريخي وهي:- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِيصَ فِي جُزْئِهِ الْمَشْهُورِ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَعْيَنَ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْمَانِيُّ حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ الْأَزْدِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} ثُمَّ: {ن وَالْقَلَمِ} ثُمَّ: {يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ} ثم: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} ثُمَّ: {الْفَاتِحَةَ} ثُمَّ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}... الخ سور القرآن الكريم المذكورة في كتاب (الإتقان) (٣٢).

وهي لوحة قابلة للجدل والمناقشة

(٣٢) ينظر السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن؛ جزء ١ ص ٩٦.



قبلها وكما المقصود بها النبي ﷺ، واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه السورة من التزمل، فقال بعضهم: وصفه بأنه متزمل في ثيابه، متأهب للصلاة. وكما نعلم أن جبرئيل عليه السلام قد علم النبي الصلاة ركعتين ركعتين ولذلك يقتضي القيام بها قبل التزمل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المزمل ﴿قُرْآنٌ لَّيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نَضْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. من ذلك يمكننا القول أن سورة المدثر قد سبقت في نزولها سورة المزمل. وحول هذا الموضوع المهم يتداخل الألوسي في كتابه (روح المعاني) مستشهدا بالجدال الذي كان موجودا بين العلماء المسلمين في هذا الصدد فيقول «وروى أمية الأزدي عن جابر بن زيد وهو من علماء التابعين بالقرآن أن المدثر نزلت عقب المزمل وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس وجعلوا ذلك من أسباب وضعها بعدها والظاهر ضعف هذا القول فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وجماعة عن يحيى بن أبي كثير

قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر، قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواربي هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجلست منه رعبا فرجعت فقلت دثروني دثروني فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾. ولهذا السبب يقول الألوسي «ولو كانت يا أيها المزمل هي النازلة قبل فيها لذكرت نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أن يا أيها المدثر نزل قبل اقرأ باسم ربك والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أن ذاك أول ما نزل من قرآن وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمة حتى قال بعضهم هو الصحيح، ولصحة الخبرين احتاجوا للجواب فنقل في الإتيان

وكذلك اختلف علماء التفسير والتاريخ بخصوص سورة (الفاتحة)، إذ يرى البعض بأنها أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ، ولقد لخص الطنطاوي في كتابه الوسيط ما ذكر بهذا الشأن فقال «وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت هي «سورة الفاتحة» فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هي سورة الفاتحة. كذلك ما ورد من أحاديث في أن أول ما نزل سورة المدثر، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحي. أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك. قال الألويسي -بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في ذلك - : «وبالجملة فالصحيح - كما قال البعض وهو الذي أختاره - أن صدر هذه السورة الكريمة، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. وفي شرح مسلم: الصواب أن أول ما نزل «اقرأ» أي: مطلقاً، وأول ما نزل بعد فترة الوحي، «يا أيها المدثر»، وأما قول من قال من المفسرين، أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر». وعلى هذا الأساس فإن الطنطاوي يستتج قائلاً «والذي

خمسة أجوبة الأول أن السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكماها سورة المدثر قبل تمام سورة اقرأ فإن أول ما نزل منها صدرها الثاني أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة الثالث أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر الرابع أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم الخامس أن جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة رضي الله عنها ثم قال: وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير انتهى وفيه نظر فتأمل ولا تغفل» (٣٤).

(٣٤) ينظر الألويسي؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ جزء ١٥ ص ١٢٨.

نرجحه ونميل إليه أن أول من قرآن على الإطلاق، هو صدر هذه السورة الكريمة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك. أما بقيتها فكان نزوله متأخراً. «قال الأستاذ الإمام» أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً، وما فيه من ذكر أحوال المكذبين، يدل على أنه إنما نزل بعد شيوع خبر البعثة، وظهور أمر النبوة، وتحرش قريش لإيذائه ﷺ» (٣٥)؛ ومن بين المؤرخين الذين خاضوا في هذا الجدل ابن الأثير في تاريخه الكامل فقال «إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ) و(ن والقلم وما يسطرون) و(يا أيها المدثر)، (والضحى)» (٣٦).

إذن كما رأينا في أعلاه إن رواية جابر بن عبد الله، في واقع الحال، تعدّ دحضاً لما أكدته الرواية الزبيرية التي تفيد بأن

(٣٥) تفسير الطنطاوي؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨ جزء ١٥ ص ٤٥٣.

(٣٦) ينظر الكامل في التاريخ؛ ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م جزء ١ ٦٤٩.

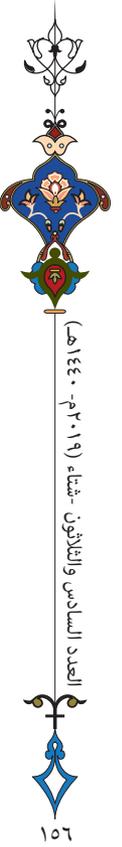
الخمس آيات الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ. غير أن الطبري قد أورد الرواية الزبيرية بصيغة أخرى وحذف منها مسألة ما قام به الملك جبرئيل بما أمر الرسول بأن يقرأ... الخ الرواية. فرواية الطبري التي استندت إلى النعمان بن راشد وهو يحدث عن ابن شهاب الزهري وعن عروة وعن عائشة، فالعهدة إذن على النعمان بن راشد وإن النعمان بن راشد الجزري الرقي، مولى بني أمية الرقي روى عن عبيد الله بن مسلم أخي الزهري وكذلك روى عن ابن شهاب الزهري، ووصف بأنه كان ضعيف الحديث وعاش في الجزيرة، الرقة وهو يعدّ من الطبقة السادسة. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: مضطرب الحديث، روى أحاديث مناكير. أدخله البخاري في كتاب «الضعفاء». وقيل إنه كان سيء الحفظ. وقال النسائي. ضعيف، كثير الغلط. وقال في موضع آخر: أحاديثه مقلوبة (٣٧).

(٣٧) ينظر المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (رقم ٦٤٤٠) جزء ٢٩ ص ٤٤٥ - ٤٥٠؛

هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، فَقَرَأْتُ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: ابْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْزِيكَ اللَّهُ ابْدَاءً، وَوَاللَّهِ أَنْكَ لِتَصِلَ الرَّحِيمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلَ الْكَلَّ وَتُقْرِئِيَ الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! قُلْتُ: أَخْرِجِيَّ هَمْ؟. قَالَ: نَعَمْ، أَنَّهُ لَمْ يَجِيءَ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُدِي، وَلَيْنَ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ اقْرَأُ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ يُبْصِرُونَ»، و «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ

فيروي النعمان بن راشد قصة غار حراء على الوفق الآتي:  
«فَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الْمُعْرُوفُ بِأَبِي الْجَوْزَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ النَّعْمَانَ بْنَ رَاشِدٍ، يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ، كَانَتْ تَجِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارَ بَحْرَاءَ يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ، [فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ!]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتِي وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ رَحَفْتُ تَرْجِفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي!. حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَبَدَّى لِي حِينَ

ينظر المعجم الصغير لرواة الإمام الطبري؛  
الشيخ أكرم بن محمد الأثري (رقم الترجمة  
٤٦٧١).



فَأَنْذِرْ» و «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى». حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ تَمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: تَمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ. فَأَهْمِيَّةُ هذه الرواية تكمن في أنها أغفلت الكثير من التفاصيل التي وردت بشأن نزول سورة (العلق) كما ذكرناها سابقاً، فضلاً عن جعلها سورة (المدثر) كونها قد نزلت بعد إنزال سورة (ن والقلم) (٣٨).

من هذا كله أقول أن المؤرخين ومفسري القرآن الكريم من السنة قد أجمعوا على صحة الرواية الزيرية بسندها ابن شهاب الزهري + عروة بن الزبير + عائشة زوج النبي ﷺ بخصوص نزول السور الأولى من الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد ﷺ، وأقصد الخمس آيات الأولى من سورة العلق؛ في الوقت الذي سعوا فيه الى تضعيف رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري وذلك

(٣٨) ينظر الطبري؛ تاريخ جزء ٢ ص ٢٩٨-

٢٩٩.

بجعلها السورة الثالثة أو الرابعة بعد نزول سورة (ن والقلم) وسورة (المزمل) وسورة (الضحى). على الرغم من أن موقف الصحابي جابر بن عبد الله عندما جوبه باستفسار من السائل الذي وجه اليه سؤالاً عن أول سورة نزلت على رسول فكان ردّه (يا أيها المدثر) فما كان من السائل سوى أن يعقب بشأن سورة أقرأ كونها أول سورة، فأجابه إنها كذلك، أي سورة (يا أيها المدثر) كما سمعها من رسول الله ﷺ، بمعنى أنه سمعها من الحلقة الأصلية والأساسية باعتباره صحابياً وكان معاصراً للنبي ﷺ وحاضراً معه في غزواته وشاهداً وسامعاً لأحاديثه ﷺ. ولكن عدداً من المؤرخين والمفسرين بهدف الدفاع عن رواية السيدة عائشة وجعلها هي الرواية المهيمنة والسائدة اتخذوا موقفاً توفيقياً لما ذكرته السيدة عائشة من أن الرسول كان غاطاً في نومه عندما جاءه الملك جبريل وبين ما ذكرته رواية الصحابي جابر من أن النبي كان واعياً بكامل وعيه تماماً إذ قال ﷺ لجابر ما نصّه «إِنِّي جَاوَزْتُ بِحِرَاءَ فَلَمَّا

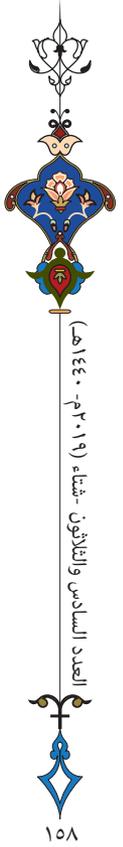


## • جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (الصحاح)

ولم يشذَّ أحد من هؤلاء الرواة الشفاهيين الزبيرين والموالين لآل الزبير والمؤرخين والمفسرين في التقليد وإتباع ذات المنهجية ولم يخطر ببالهم أن يعتمدوا ويبحثوا على حلقة أخرى توصلهم بنبي الأمة محمد ﷺ غير السيدة عائشة تلك الحلقة الأساسية في دروسنا عن السيرة النبوية مع أنها تحمل في أعماق قلبها وفي اللاشعور خزينا كبيرا جدا من الحقد والكراهية لأعزَّ شخصية عند زوجها رسول الله ﷺ ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). وواقعا فإن هؤلاء لم يحاولوا ولو مرة واحدة أن يعتمدوا على الآخر إن كان هذا الآخر هو من أقارب النبي أو من الصحابة الأجلاء الآخرين وهم كثر ناهيك عن كونهم ممن صرح رسول الله ﷺ بمعرفتهم وبعلمهم في القرآن الكريم وفي الفتيا وممن كان على مقربة منه وممن سمع وشهد ورأى وحفظ الكثير من أقواله وأحاديثه وشمالته وتجاربه ﷺ. ولناخذ مثلا فريدا من بينهم ولم يستطيعوا تغييره أو دحضه كالذي عملوه مع رواية الصحابي الجليل القدر جابر بن عبد

قَصِيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ يَعْنِي جَبْرِيلَ فَأَخَذْتَنِي رَجْفَةً... الخ».

وحقيقة الأمر فإن جميع ما تقدم من مناقشة للاختلاف والجدل بشأن السور القرآنية النازلة على النبي ﷺ إنما مصدرها الأول والأخير هو الرواة الشفاهيون الذين نقلوا الرواية وأوصلوها الى المؤرخين ومفسري القرآن الكريم من السنّة، وإن جميع هؤلاء الرواة قد اعتمدوا الرواية التي كانت حلقة وصلها الأساسية بالنبي هي زوجته السيدة عائشة. وكان هذا بعد أن وافاه ﷺ الأجل وبعد استقرارها في المدينة المنورة وسعيها الحثيث لأن تكون هي المدرسة والمصدر الأساس، وربما الوحيد، لرواية وتدوين أحاديث رسول الله ﷺ، تلك المدرسة التي كان فيها عروة بن الزبير التلميذ الأساس والمهم جدا بالنسبة الى راعيتها عائشة إذ كانت تلقنه أحاديث السيرة النبوية تلقينا وتحفظه إياها تحفيظا؛ فروايتها شفاهية وحفظتها شفاهيا الى عروة ثم دونت.



الله، إنه سيد التابعين سعيد بن المسيب المخزومي، وهو عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه بحسب ترجمة شمس الدين الذهبي، وهو الذي قال عنه علي بن المديني «لأعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب، وهو عندي أجل التابعين»، وكانت لأبيه صحبة وممن حضر بيعة الشجرة. ولسعيد بن المسيب رواية عن نزول الوحي تخالف ما جاءت به الرواية الزبيرية وقد أوردها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بخصوص لقاء الملك جبرئيل برسول الله ﷺ في غار حراء وسندها يعتمد موسى بن عقبة [أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولاهم، المولود في المدينة المنورة وبها توفي سنة ١٤١ هجرية، عالم بالسير والمغازي، ومن ثقات رجال الحديث ومؤلف كتاب المغازي<sup>(٣٩)</sup>]. وقد راجعنا كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة نفسه للتأكد من صحة النقل، والكتاب المحقق

(٣٩) ينظر ترجمته العجلي، معرفة الثقات ج ٢ ص ٣٠٥. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٠.

لموسى بن عقبة هو مجموعة رواياته جمعها ودرسها وخرّجها الأستاذ محمد باقشيش أبو مالك، في المغرب وطبع في سنة ١٩٩٤. وروايته بصفة عامة قد اعتمدت الرواية الزبيرية، لأنه، واقعا، من موالي آل الزبير، أما من موالي الزبير بن العوام أو عبد الله بن الزبير. وكانت روايته بحسب ابن كثير كالتالي:-

«وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ وَكَانَ فِيْنَا بَلَّغْنَا أَوَّلَ مَا رَأَى يَعْني رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَذَكَرَهَا لِامْرَأَتِهِ خَدِيجَةَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَنِ التَّكْذِيبِ وَشَرَحَ صَدْرَهَا لِلتَّصْديقِ فَقَالَتْ أَبَشِّرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَصْنَعْ بِكَ إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى بَطْنَهُ شَقَّ ثُمَّ غُسِلَ وَطَهَّرَ ثُمَّ أُعِيدَ كَمَا كَانَ قَالَتْ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَأَبَشِّرُ ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لَهُ جِبْرِيْلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مَجْلِسٍ كَرِيمٍ مُعْجِبٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ أَجْلَسَنِي عَلَى بَسَاطٍ كَهَيْئَةِ الدُّرُّوْكَ فِيهِ الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ فَبَشَّرَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ

والخوف والنزوع الى الإنتحار من أعالي الجبال الشواهد.

والواقع، فقد أدت رواية ابن شهاب الزهري + عروة بن الزبير + عائشة أم المؤمنين عن ورقة بن نوفل، اهمية الدور الذي أداه في تطمين الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده بعد أن كان خائفا ومترددا ببعثته وبرسالته الى نتائج وخيمة على أصالة ديننا الإسلامي؛ ومن بين أهم هذه الآثار السلبية هو تهليل المبشرين منذ القرون الأوربية الوسطى الى زماننا هذا بهذه القصة التي وضعها الرواة الشفاهيون.

فهي تعدّ الدليل الذي لا يضاهيه أي دليل آخر في المسألة الجوهرية وهي عمق التأثير النصراني منذ الإطالة الأولى للإسلام؛ ولذلك فقد انطلق المبشرون في تفسيراتهم وتأويلاتهم وتخرصاتهم بله تطاولاتهم على النبي الكريم. فلنضرب ثمة أمثلة على هذه الفكرة، إذ كتب في هذه المؤسسة التبشيرية في الولايات المتحدة الأمريكية Christianity Stack Exchange is a question and answer site for committed Christians،

جَبْرِيلُ اقْرَأْ فَقَالَ كَيْفَ اقْرَأْ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». قَالَ وَيَزَعُمُ نَاسٌ أَنَّ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» أول سورة نزلت عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ مَا جَاءَهُ بِهِ جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مُتَقَلِّبًا إِلَى بَيْتِهِ جَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى شَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا مُوقِنًا أَنَّهُ قَدْ رَأَى أَمْرًا عَظِيمًا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ قَالَ أَرَأَيْتَ كَيْفَ كُنْتُ حَدَّثْتُكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ اسْتَعْلَنَ إِلَيَّ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْبَرَهَا بِالَّذِي جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ فَقَالَتْ أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا وَأَقْبَلَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَأَبْشِرْ فَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا». فالرواية كالذي يظهر منها تخلو من كافة التفاصيل غير الواقعية التي اشتملت عليه الرواية الشائعة رواية الزهري + عروة + عائشة؛ وبالأخص الدور المهيمن لورقة بن نوفل الأسدي، فضلا عن ما أظهرته من عوامل الفزع

والنبي) لمؤلفه الأب فيليب مايكل  
PHILIP -MICHAEL بعنوان  
(عيسى المسيح: القس، النبي والملك).  
Jesus Christ: Priest,  
Prophet, and King.

OCTOBER 25, 2013  
BY FATHER PHILIP -MI-  
CHAEL F. TANGORRA,  
STL.

These three terms: priest,  
prophet, and king, have come  
to symbolize the threefold  
mission and office of Christ  
Jesus and his Church ... we  
do not merely imply that he  
holds these offices, but that  
he is sent to publicly manifest  
the powers of these offices.

كذلك هناك بحث بعنوان "هل كان  
محمد آريوسيا Prophet  
Muhammad was inspired by  
?Ebionism

وهكذا يمكننا الاستشهاد بعدد من

experts in Christianity and  
those interested in learning  
more. Join them; it only takes  
:a minute

مقالة بعنوان «وجهة نظر مسيحية  
بمحمد  
A Christian view of محمد  
Mohammad، وهناك كتاب طبع  
عن تأثير ورقة على رسول الله ﷺ بعنوان  
(القس ورقة بن نوفل والنبي) لمؤلفه  
جوزيف عزي Joseph Azzi كما يبدو  
واضحاً في لصورة الكتاب في أدناه الذي  
يقع في ١٢٩ صفحة في ٢٠٠٥.

- وهناك بحث بعنوان "القس ومحمد".
- THE PRIEST AND THE  
PROPHET.
  - The Christian Priest,  
Waraqa Ibn Nawfal's,  
Profound Influence upon  
Muhammad, the Prophet  
of Islam.
  - Christian priest named  
Muhammad.

وهذا كتاب آخر عن موضوع (القس

أهل البيت عليهم السلام صارت هذه موارد تحريبية للإسلام ولنبوّة محمد ﷺ؛ وإلاّ فكيف لنا أن نصدق ما رواه عمرو بن شرحبيل الهمداني من أن رسول الله بعد شاهد الملك جبرئيل عليه السلام بتلك الهياة في السماء سقط الى الأرض وعاد خائفا يرتعد فؤاده من الخوف ولكن الذي كان موجودا في منزله مع السيدة خديجة الكبرى هو أبو بكر؟! فلما رأت خديجة حالة زوجها قبل أن يدخل البيت "فقالت يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ. يلاحظ نقطة الانطلاق والإضافة، أن الرسول كان في المنزل وهو يحدث خديجة عن حالته والسيدة خديجة تستمع له، لكن الرواية مباشرة تغفل ذلك فتجعله ﷺ خارج المنزل) فاخذ ابو بكر بيده وقال انطلق بنا الى ورقة قال. وفي رواية أخرى فقال) ومن أخبرك، قال خديجة فانطلقا اليه فقصّا (بمعنى الرسول وابو بكر) عليه " فهل يعقل هذا، فما هو شأن أبي بكر بنزول الوحي، ولماذا كان في منزل النبي والنبي غائب عن المنزل ولماذا ولماذا؟؟؟؟... الخ من التساؤلات.

البحوث والكتب الغربية والعربية التي كتبت في هذا المجال متأثرين، طبعاً، بتلك القصة، قصة ورقة بن نوفل والنبي ﷺ، وبعضها قد حملت عناوين تبشيرية مؤثرة في العقلية الغربية والأمريكية نظير مقالة تبشيرية بعنوان "كان محمد نصرانيا تلميذ ورقة بن نوفل" و"كانت خديجة مسيحية" وما الى غير ذلك من تحرصات وأباطيل أسست من الناحية التاريخية على موارد مصدرية تبدو أنها أساسية ورئيسة في الكتابة عن تاريخ السيرة النبوية نظير ما نقلته أسانيد ابن شهاب الزهري وعروة بن الزبير وهشام بن عروة واسماعيل بن ابي حكيم مولى آل الزبير ورواية وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير وعبيد بن عمير مولى عبد الله بن الزبير وغيرهم كثر ينتمون جميعهم الى تلك السلسلة السندية [يراجع ابن هشام: السيرة النبوية بشأن عدد من الروايات الزبيرية عن قصة النبي ﷺ وورقة بن نوفل]، ومع كل ما في رواياتهم من نقاط ضعف لكنها، مع الأسف، ونتيجة الى ما كانت تحمله من ضغائن وكره لرواية

ولكن الرواية قد قبلت من قبل المؤلفين والمفسرين السنة لكونها تتعلق بأبي بكر. فهذه الرواية أنموذج حي في مسألة مهمة في إقحام أمر ما أو شخصية في الرواية الأصلية لسبب من الأسباب ولعل أهمها وجود ابي بكر المستمر في منزل الرسول وبمعرفة بورقة وكونه هو الذي أسهم اولاً في دعم وتأييد الرسول وذلك بأخذه إلى ورقة وبشرحه ما كان رسول الله يمرّ به من تجربة روحية. وقد أسدلت الرواية الستار عن دور ابي بكر حال وصولهما- الرسول وأبو بكر - إلى ورقة. ولعلنا سنفرد لهذه التخرصات التبشيرية بحثاً تحليلياً آخر. فقد ألفتُ عدداً من البحوث حول تخرصات المستشرقين المبشرين بما له علاقة بجمع القرآن الكريم، وألفتُ كتاباً جامعاً بعنوان «جدلية عملية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية: منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر» بيروت ٢٠١٧.

\* \* \*

من هنا أريد التأكيد على أن التعصب لرواية شفاهية واحدة دون غيرها أمر

فيه مبالغة كبيرة، فضلاً عن كونها مؤذية لسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ، وأن الحري بالناقل لهذه الرواية سواء كان من الرواة الشفاهيين أو من المدونين لها أن يعتمدوا على رواية أخرى إلى جنبها لغرض التأكيد والتأكيد لا أكثر ولا أقل، فنحن لم نهدف أبداً إلى الطعن في هذه الرواية أو تلك ولا تكذيب أو تضعيف هذا الراوي أو هذا المدون أو ذاك إنّما هو مسعى للبحث عن حقيقة ما كان من حدث تاريخي يعدّ من أهم الأحداث في تاريخنا الإسلامي ألا وهو المبعث النبوي الشريف واللقاء الروحاني بين الله جلّ وعلا عن طريق الوحي الألهي في تبليغ نبينا ﷺ رسالة السماء حيث اتّخذ الله تعالى رسولا للبشرية جمعاء.

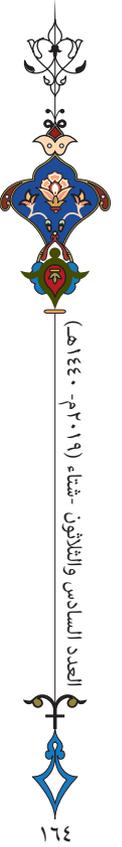
فالذي أبغي من عرضه هنا أنه ينبغي البحث عن مصدر آخر خارج سياق قصة غار حراء التي قبلها كل من المؤرخين ومفسري القرآن الكريم، وعلى الرغم مما عمله معاوية في محاربتة رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ غير أن الحقّ دوماً يكشف الباطل فقد

## جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (الصَّبَاب)

والى ما كان يعبدون من أوثان، إذ تشير هذه الآية (رقم ١٥١) الى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاكِحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وهذه الوصايا تعدّ من الناحية التاريخية تجسيدياً لما كان سائداً عند عرب الجاهلية، فالله تعالى هدف من ورائها الى أن الدين الجديد يبدأ بالقضاء على هذه العادات المتأصلة في نفوس عرب الجاهلية وتهدف الى بناء مجتمع جديد بعلاقات جديدة بين بعضهم البعض الآخر. ففي رواية الإمام عليّ عليه السلام فإن هذه الآية الكريمة هي أول ما أنزله الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل على رسوله الكريم ثم علّمه في حينها الطهارة والوضوء والصلاة ركعتين ركعتين.

والرواية الشيعية التي غيبها مؤرخو ومفسرو القرآن الكريم من أهل السنّة هي الأخرى تعبّر عن نفس الحالة التي

بقيت هناك رواية يرجع سندها الى الإمام عليّ عليه السلام الذي كان بحسب الرواية الشيعية ملازماً لرسول الله ﷺ، ومن المحتمل جداً أنه كان يرفقته ﷺ وهو يرمى غنماً لعمه أبي طالب؛ وإن الإمام عليّ عليه السلام هو الذي قدّم روايته التي تختلف عن الرواية الزبيرية ورواية الصحابي جابر بن عبد الله وإن كانت أقرب الى رواية الصحابي جابر التي تشير الى أن رسول الله ﷺ تلقى الوحي الآلهي عندما استبطن الوادي وبعد نزوله من غار حراء، وكذا كانت رواية الإمام بحسب الرواية الشيعية؛ إنه ﷺ رأى شخصاً بينما كان يرمى الغنم بين شعاب الجبال، كما سيأتي ذكره بشكل أكثر تفصيلاً في أدناه. المهم في هذه الرواية للإمام عليّ عليه السلام أن الملك جبرئيل أنزل عليه آية من سورة الأنعام تشتمل على خمس وصايا لله تعالى للمجتمع، مجتمع الرسول ﷺ، تشير الى ما يهدف اليه الدين الجديد من عملية جديّة في تغيير العادات والتقاليد السيئة التي كانت متفشية بين عرب الجاهلية، من دون أن يتعرض الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الى آلهتهم



كان عليها رسول الله ﷺ عندما جاءه الوحي الألهي. فقد كان مطمئناً لما قاله المَلَكُ جبرئيل وإنه بعد مغادرة المَلَكُ عاد رسول الله الى غنمه التي كانت لعمه أبي طالب. ثم عاد الى زوجته مطمئناً ومسروراً، مشيراً الى أن الملك الذي كان يأتيه في المنام منذ أن كان عمره ﷺ سبعاً وثلاثين سنة قد جاءه ذلك النهار وأبلغه بأن الله سبحانه وتعالى قد اختاره رسولا. والملفت للنظر ان الروايات الشفاهية السابقة جميعها قد غيبت روايات أو أحاديث من هو قريب جداً من رسول الله وأول رجل آمن برسالة السماء وأول رجل صلى الصلاة مع رسول الله بعد ان علمها الملك جبرئيل ﷺ لرسول الله ﷺ. فالتفق عليه ان رسول الله وخديجة وعلي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد صلوا خلف رسول الله ﷺ الصلاة ركعتين ركعتين كما علمها إياه جبرئيل ﷺ. ذلك هو الإمام علي ﷺ الذي ارتبط برسول الله ارتباطاً أخوياً وثيقاً ضمن عائلته ﷺ وخلال جميع مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة، وأسهم في جميع أعمال

وغزوات الرسول ﷺ عدا واحدة، وكان كاتباً للوحي وواحداً من أهل الفتيا والفقه ومن حفظة القرآن الكريم وزوج ابنته فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم. وكان شاهداً لكثير من حالات نزول الوحي، وقربه الروحي والشخصي لأنه زوج فاطمة الزهراء عليها السلام وأم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ابناه اللذين عدّهما رسول الله بمثابة ابنائه؛ وغيرها كثير من الخصائص والخصال التي تؤهله لأن يروي رواية موضوعية وموثوقة عن مبعث الرسول ﷺ والوحي ونزول القرآن. لكن شيئاً من هذا كله لم يترك أثراً عند المؤرخين ومفسري القرآن الكريم من أهل السنة، حقيقة إن الإعلام الإسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يهتم برواية الإمام علي ﷺ؛ وإن السلطة السياسية والمجتمع الإسلامي لم يستفد كثيراً من تجاربه ووعيه وعلمه وحكمته وحسن تدبيره للأمر، ولا سيما عدالته مع نفسه ومع عائلته ومع الشؤون العامة السياسية والدينية والاجتماعية والعسكرية، ولم ينتفع من علمه وحفظه



ذاته للإشعاع العلمي والديني. ومع كل الأسف أن يتلف المجتمع الإسلامي وبالأخص سلطته السياسية الرواية التي سمّاها معاوية بن أبي سفيان رواية أبي تراب، أي رواية الإمام عليّ عليه السلام، فلم يبق منها شيء مهم عدا ما أورده أبان بن عثمان البجلي الأحمر وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والذي كتب كتابا بخمسة أجزاء عن السيرة النبوية، لكن مع كل الأسف أيضا فقد ضاع هذا الكتاب الضخم والمهم أو ضيع من قبل العباسيين قتلة الأئمة الأطهار عليهم السلام، حتى لم يبق منه سوى روايات اعتمدها اليعقوبي في تاريخه والشيخ الطبرسي في كتابه (إعلام الوری) وغيره من المؤلفين ومفسري القرآن الكريم من الشيعة.

والحقيقة فهناك روايات شيعية تبين بأن الإمام كان مع ابن عمه رسول الله يرعيان الغنم في شعاب الجبال حينما رأى النبي صلى الله عليه وآله شخصا يناديه باسمه فسأله النبي من يكون فأجابه الشخص بإنه جبرئيل وبأن الله أرسله له ليتخذه رسولا. فيروي الإمام عليه السلام في رواية أوردها

للقرآن الكريم شفاها وكتابة، فإنه أول من دوّن المصحف الذي سلّمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله قبيل موته. مع كل الأسف على كلّ ما فات في عصره وعلى ما نحن فيه في أمورنا المعاصرة. هذا هو ديدن المجتمعات التي تلبس دوما لباس الرياء والدجل والاحتيال، وتمتقت السليم والصحيح، وتمتقت العدل والمساواة بين البشر، إنها طبيعة الإنسان البائس المتعصب والكاره والفاسد. ألم يكن خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان إنموذجا حقيقيا لتفكير مجتمع، مجتمع الرياء والمقت والكراهية. إذ إنه، أي خالد، حينما طلب من الزهري أن يكتب له كتابا في السيرة النبوية، ردّ الزهري مستفهما وإن كان لعلي بن أبي طالب دور فيها فأجاب بسرعة وببديهية اللؤماء والمبوذيين "إلا أن تجده في قعر الجحيم؟!". لكن شاءت الحياة أن ينظمر خالد ومن على شاكلته وكانوا كثر في قعر الجحيم ويبقى الإمام عليّ عليه السلام مرجعا للإسلام الحنيف ومركزا بحدّ

البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) وسندها الآتي:- اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا ابو محمد بن أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا عبّاد بن يعقوب قال حدثنا يوسف بن ابي ثور عن السدي عن عبّاد بن عبد الله [هو عبّاد بن عبد الله الأسدي الكوفي] عن علي بن ابي طالب قال "كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له: السلام عليك يارسول الله" (٤٠). وروى الشيخ الطبرسي رواية أخرى عن طريق أبي الحسن بن بشران عن محمد بن العلا عن السدي عن عبّاد قال سمعت علياً عليه السلام يقول «لقد رأيتني أدخل معه -يعني مع النبي ﷺ- الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال: السلام عليك يارسول الله، وانا اسمعه» (٤١). فهذه الروايات القليلة قد استخدمت في كتاب دلائل النبوة حول موضوع واحد لكنه (٤٠) ينظر الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي: إعلام الوری بأعلام الهدى؛ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للطبوعات، بيروت جزء ١ ص ١٠٤. (٤١) م. ن. نفس الصفحة.

مهم جدا اذ انه أعقب عملية نزول الوحي وتقبل رسول الله ﷺ رسالة الباري عز وجل في الوادي وأنه على اثر منصرفه عائداً إلى منزله لاحظ ان الحجر والشجر كانت تحييه بتحية السلام عليك يارسول الله. فمن المؤكد ان الامام قد نقل رواية الوحي كما حدّثه بها رسول الله شخصياً وربما كان الإمام برفقته آنذاك غير ان مثل هذه الروايات قد غيبت أو أتلقت فلم تصلنا مع الأسف الشديد.

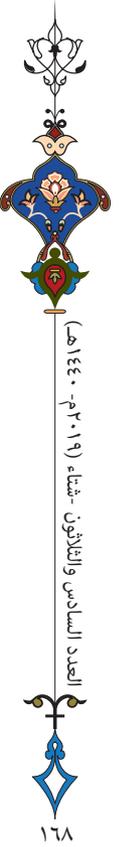
ويقدم لنا أحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى ٢٩٢ هـ / ٩٠٤، الذي كانت ميوله شيعية، رواية لم تذكر في المؤلفات التاريخية والتفسيرية السنّية بشأن المبعث النبوي جاء فيها «وبعث رسول الله ﷺ لما استكمل أربعين سنة، فكان مبعثه في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، ومن شهور العجم في شباط. وكانت سنته التي بعث فيها سنة قرآن في الدلو. قال، ما شاء الله، الحاسب: كان طالع السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ وهو القرآن الثالث من قرآن ﷺ مولده السنّبة أربع درجات ١٣٣، والقمر في الميزان سبع عشرة درجة،



إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً. وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الإثنين، وقال بعضهم يوم الخميس، وقال من رواه عن جعفر بن محمد [يفهم من يعقوبي هاهنا إن للإمام الصادق عليه السلام رواية بشأن المبعث النبوي] يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين وعلى جبريل جبة سندس وأخرج له درنوكة من درانيك الجنة فأجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبلغه عن الله وعلمه: أقرأ باسم ربك الذي خلق. وأتاه من غد وهو متدثر، فقال يا أيها المدثر قم فأنذر. وقال رسول الله: أول ما نهاني عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال. وروى بعضهم أن إسرافيل وكل به ثلاث سنين وأن جبريل وكل به عشرين سنة (٤٢).

(٤٢) ينظر تاريخ يعقوبي، دار مصادر، بيروت ج٢ ص ٢٢-٢٣.

والمريخ من الطالع في السنبله ثلاث عشرة درجة راجعاً، والمشتري في الخامس في الجدي إحدى وعشرين درجة، وزحل في الدلو في السادس في تسع درجات حدّ الزهرة في الحوت، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة، وعطارد في الحمل أربع عشرة درجة، وحدّ مدخل السنة منذ أول يوم دخلت فيه الشمس. وقال الخوارزمي: كانت الشمس يومئذ في الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة، والقمر في السرطان سبع عشرة درجة، وزحل في الدلو تسع عشرة درجة، والمشتري اثنتي عشرة درجة، والمريخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة، والزهرة في الحمل إحدى عشرة درجة، وعطارد في الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وكان جبريل يظهر له فيكلمه. وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله، ثم قال له: أن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان أول أمره. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به. فتقول له: استريا ابن عم، فوالله



محمد عليه السلام من دون ان يذكر اسمه، ولكنه كان أبان بن عثمان البجلي الاحمر المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني للهجرة. وكان أبان هذا من رواة أحاديث الائمة لاسيما الصادق عليه السلام فكان من اصحابه ونقل الكثير من الروايات عنه اما مباشرة او من خلال شيوخه الآخرين (٤٣).

وقد اعتمد العلماء الشيعة رواية مخالفة تماما للرواية الزبيرية كالتي تقدم ذكرها في تاريخ اليعقوبي، فالعالم علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى في سنة ٣٢٩ هجرية، وهو راوية وفقهه ومفسر شيعي له التفسير المشهور بـ(تفسير القمي)، والذي يعدّ من

(٤٣) ينظر ينظر الشيخ الطوسي، الامالي طبعة اولى، مطبعة دار الثقافة رقم ١٤١٤هـ، بالفهرست طبعة اولى ١٤١٧ مؤسسة النشر الاسلامي، ص ٥٩، العلامة الحلي: خلاصة الاقوال، طبعة ثانية ١٣٨١، المطبعة الحيدرية النجف ص ٧٤، جعفر بن رسول: سيرة سيد الانبياء والمرسلين، نقله الى العربية علي هاشم الاسدي، مشهد، ص ٩٢-٩٣؛ وله ايضاً (إعداد) المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الاحمر، طبعة اولى، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم ١٤١٧، ص ١٠، ٤٢-٤٣.

أشهر رواة الشيعة وأبرزهم روى رواية المبعث النبوي الشريف بحسب الآتي:  
فذكر علي بن إبراهيم «أن النبي صلى الله عليه وآله لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتيا أتاه فيقول يا رسول الله. وكان بين الجبال يرعى غنما فنظر الى شخص يقول له يا رسول الله فقال له من أنت قال جبرئيل أرسلني الله ليتخذك رسولا. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتم ذلك فأنزل جبرئيل بقاء من السماء فقال يا محمد فتوضأ فعلمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين الى الكعبين وعلمه الركوع والسجود فدخل علي الى رسول الله صلوات الله عليها وهو يصلي. وهذا لما تم له صلى الله عليه وآله أربعون سنة فلما نظر اليه قال يا أبا القاسم ما هذا قال هذه الصلاة التي أمرني الله بها فدعاه الى الإسلام فأسلم وصلى معه وأسلمت خديجة فكان لا يصلي إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وخديجة عليها السلام خلفه فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب الى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جعفر فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بجنبه



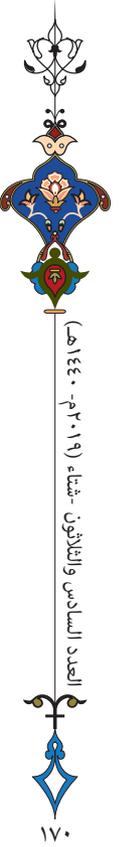
يرجع سندها بالحلقة النهائية الى الإمام علي عليه السلام جاءت عن طريق أبان بن عثمان البجلي الأحمر أو الأحمري في كتابه الضائع (السيرة النبوية) وهي كالآتي:- أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام. فحلقتها النهائية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام قال «ترأى لرسول الله صلى الله عليه وآله جبريل بأعلى الوادي وعليه جبة من سندس، فأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أخبره أنه رسول الله إليه، وأمره بما أراد أن يأمره به، فلما أراد جبرئيل عليه السلام أن يقوم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بطرف ثوبه قال له: «ما اسمك؟». قال: جبريل، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله، فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلاّ سلمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله «وكان يرعى غنما لأبي طالب عمه» (٤٥).

(٤٥) ينظر السيد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن محمد بن

يصليان فقال لجعفر يا جعفر صل جناح ابن عمك فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى بعض أسواق العرب فرأى زيدا فاشتراه لخديجة ووجده غلاما كيسا فلما تزوجها وهبته له فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله زيد أيضا فكان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علي وجعفر وزيد وخديجة» (٤٤).

ولم يكشف القمي عن مصدر معلومته تلك لكنه يعدّ من أجل الرواة الشيعة. وهناك رواية مماثلة أيضا رواها يحيى بن الحسين الزيدي وردت في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب لمؤلفه يحيى بن الحسين الزيدي المتوفى سنة ٤٢٤ هجرية

(٤٤) ينظر الطبرسي، الفضل بن الحسن: إعلام السورى بأعلام الهدى (صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ص ٥٣؛ ابن شهر آشوب؛ محمد بن علي؛ مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة دكتور يوسف البقاعي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٩٩١، دار الأضواء، جزء ١ ص ٧١؛ المجلسي؛ محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الكتاب السادس: تاريخ نبينا وأحواله صلى الله عليه وآله، قم المقدسة ١٣٨٨ هجرية ص ٦٤٨.



وللتأكيد فقد ذكر الفقيه المحدث والمفسر قطب الدين ابن هبة الدين الراوندي المتوفى في سنة ٥٧٣ هجرية في كتابه (الخرائج والجوائح). وهو من محدثي ومفسي ومتكلمي وفقهاء وفلاسفة ومؤرخي الشيعة في القرن السادس الهجري. كما وأنه كان من تلامذة الشيخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، وله تأليفات عديدة أشهرها كتاب الخرائج والجوائح، ويعتبر ابن شهر آشوب المازندراني والشيخ منتخب الدين الرازي من أبرز تلامذته. في باب معجزات رسول الله ﷺ حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه «قال الصادق عليه السلام نشأ رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب حتى إذا بلغ قريبا من العشرين سنة قال: يا عمّ إني أرى في المنام رجلا يأتيني ومعه آخر فيقولان: «هو هو،

القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، رتبته على الابواب القاضي جعفر بن محمد بن عبد السلام، تحقيق: عبدالله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هجرية/ ٢٠٠٢ م ص ٥٢-٥٣؛ د. جعفر بن محمد بن حمود العزي، تيسير المطالب في أمالي ابي طالب ص ٢٦.

فاذا بلغ فشأنك به» والرجل لا يتكلم، ثم قال: يا عمّ إني قد رأيت الرجل -الذي كنت أراه في المنام- قد ظهر لي. فانطلق به أبو طالب الى عالم كان بوادي مكة يتطبب، فصوّب الرجل في بصره وصعد، وأخبره رسول الله ﷺ بما يرى. فقال الطيب: يابن عبد مناف إن لابن أخيك شأنًا، إنّما هذا الذي يجد ابن أخيك الناموس [الأكبر] الذي يجده الأنبياء. ومن المناسب ذكره هاهنا أن الصالح الشامي المتوفى في سنة ٩٤٢ هجرية في كتابه المتعدد الأجزاء الموسوم (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) أورد رواية لم يتردد ذكرها في المؤلفات التاريخية والتفسيرية لأهل السنّة معتمدا في هذه الرواية على عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدولابي المتوفى في سنة ١٣٥ هـ؛ ان عبد الله بن أبي بكر من الرواة الأوائل الذين اهتموا برواية الأحاديث المتعلقة بالسير والمغازي، حتى عدّه الذهبي بأنه من أصحاب المغازي. لقد كانت تلك الأحاديث التي جمعها عبد



وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة. فرجع به» (٤٦). ولعل راوية هذه الرواية قد أخذها من مصدر أو رواية مغايرة للرواية الزبيرية لكونها تتشابه في فحواها مع رواية قطب الدين الراوندي الشيعي.

كذلك وردت رواية في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب لمؤلفه يحيى بن الحسين الزيدي المتوفى سنة ٤٢٤هـ جرية يرجع سندها بالحلقة النهائية الى الإمام

(٤٦) قطب الدين الراوندي: الخرائج والجوائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه قم المقدسة (٣٩) الجزء الأول ص ٨٣؛ ينظر عن قطب الدين الراوندي القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ٧٢. ينظر الصالحى الشامي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد؛ محمد بن يوسف الصالحى الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ٢ ص ٢٣٢.

الله بن أبي بكر النواة التي اعتمد عليها بعد ذلك كُتَاب السيرة النبوية، وقد نقل عبد الله هذه الأحاديث عن زوجته فاطمة بنت عمارة عن خالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن عن زوجة النبي محمد عائشة بنت أبي بكر، ونقلها عنه ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري، وشملت أخبارًا تتعلق ببدء حياة النبي محمد، ووفود القبائل عليه وأخبار حروب الردة ونصّ الرواية التي تهّم هذه المسألة هو: «أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية: الصادقة - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آت أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال: يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال عاجله فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه

علي عليه السلام جاءت عن طريق أبان بن عثمان البجلي الأحمري أو الأحمري في كتابه الضائع (السيرة النبوية) وهي كالآتي: - أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام. فحلقتها النهائية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام قال «تراءى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل بأعلى الوادي وعليه جبة من سندس، فأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أخبره أنه رسول الله إليه، وأمره بما أراد أن يأمره به، فلما أراد جبرئيل عليه السلام أن يقوم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطرف ثوبه قال له: «ما اسمك؟». قال: جبريل، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلا سلمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله «وكان يرعى غنما لأبي طالب عمه» (٤٧).

(٤٧) ينظر السيد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن محمد بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رتبه على الابواب القاضي جعفر بن محمد بن عبد السلام، تحقيق:

ومن معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحسب كتاب الخرائج والجوائح أن جبرئيل أت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بأعلى مكة، فغمز [وفي رواية أخرى فهمز] بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين، فتوضأ ليريه كيف وضوء الصلاة، ثم تطهر رسول الله، ثم صلى جبرئيل وصلى رسول الله، وإنما الظهر، فهي أول صلاة فرضت. فرجع رسول الله الى خديجة، فأخبرها، فتوضأت وصلت (٤٨).

ومنها، أي [من معجزاته عليه الصلاة والسلام] أن أبا عبد الله عليه السلام قال: لما بلغ

عبدالله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية الطبعة: الاولى ١٤٢٢ هجرية / ٢٠٠٢ م ص ٥٢ - ٥٣؛ د. جعفران، تيسير المطالب في أمالي ابي طالب ص ٢٦.

(٤٨) ينظر قطب الدين الراوندي: الخرائج والجوائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام في قم المقدسة جزء ١ ص ٨٣ - ٨٤؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي: اثبات الوصية للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام؛ ار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان الطبعة: الثانية ١٩٨٨، ص ١٢٦؛ المجلسي: بحار الأنوار؛ كتاب تاريخ نبينا ص ٦٣٧.



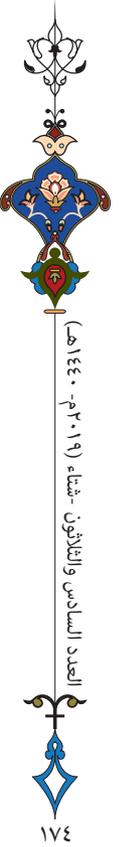
الى الأوسط، فلما انتبه أدى اليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى، فلما نهض جبرئيل ليقوم أخذ رسول الله ﷺ بثوبه، ثم قال: «ما اسمك»؟، قال: جبرئيل، ثم نهض النبي ﷺ، ليلحق بقومه، فما مرّ بشجرة ولا مدرة إلا سلمت عليه وهنأته، ثم كان جبرئيل يأتيه ولا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه، فأتاه يوماً وهو بأعلى مكة، فغمز بعقبه بناحية الوادي، فانفجر عين فتوضأ جبرئيل وتطهر الرسول ثم صلى الظهر، وهي أول صلاة فرضها الله تعالى، وصلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مع النبي ﷺ، ورجع رسول الله من يومه الى خديجة، فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم»<sup>(٥١)</sup>.

والأكثر أهمية هو ما رواه القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) من رواية نادرة بشأن الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ في كتابه (أحكام القرآن). ففي تعقيبه على سورة العلق قائلا ما نصّه «الْقَوْلُ: فِي

رسول الله ﷺ أربعين سنة قال: سمعت صوتا من السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل، ولما تراءى له جبرئيل بأعلى الوادي، وعليه جبة سندس، أخرج درنوكا من درانيك الجنة، وأجلسه عليه، وأخبره أنه رسول الله، وأمره بما أراد، ثم قال: أنا جبرئيل، وقام، فلحق محمد ﷺ بالغنم، وكان يرعى غنم عمّه أبي طالب. قال: فما من شجرة ولا مدرة إلا سلمت عليّ وهنأني»<sup>(٤٩)</sup>.

وروى مؤلف الخرائج والجوائح رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال فيها «كنت مع رسول الله ﷺ فخرج في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»<sup>(٥٠)</sup>.

وجاء في كتاب الطبرسي أن «جبرئيل نزل على أجياد أصفر والنبي ﷺ بين علي وجعفر، فجلس جبرئيل عند رأسه وميكايل عند رجليه ولم ينبهاه إعظاما له، فقال ميكايل: الى أيهم بعثت؟. قال:



أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:  
 الْأَوَّلُ: هَذِهِ السُّورَةُ؛ قَالَتْهُ عَائِشَةُ، وَابْنُ  
 عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرُهُمْ. الثَّانِي: أَنَّهُ  
 نَزَلَ {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}؛ قَالَه جَابِرٌ. الثَّلَاثُ:  
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَوَّلُ مَا  
 نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ  
 رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام:  
 ١٥١]. والرابعُ قَالَ أَبُو مَيْسِرَةَ الهمدانيُّ:  
 أَوَّلُ مَا نَزَلَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ».

إذن فإن الروايات الشيعية المذكورة  
 في أعلاه لا بدّ أنها قد أشارت الى أن  
 الملك جبرئيل قد أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله  
 آيات من الذكر الحكيم وهو يعلمه أن الله  
 سبحانه وتعالى قد اختاره رسولا وقبل أن  
 يعلمه الصلاة؛ وأن هذه الآيات هي من  
 سورة الأنعام التي تبين وصايا الله سبحانه  
 وتعالى في دعوة الرسول الناس للإسلام  
 وهي الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ  
 رَبِّي عَلَيْكُمْ ۖ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
 مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا  
 تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا  
 بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥٢)؛  
 وقد أكد ما قاله ابن عربي القرطبي في  
 كتابه (كتاب الجامع لاحكام القرآن  
 والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)  
 في تفسيره لسورة العلق والآراء المختلفة  
 بين العلماء حول السورة الأولى التي نزلت  
 على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ما نصّه:

«قوله تعالى ﴿أَفْرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾  
 هذه السورة أول ما نزل من القرآن  
 في قول معظم المفسرين نزل بها جبرئيل  
 على النبي صلى الله عليه وآله وهو قائم على حراء، فعلمه  
 خمس آيات من هذه السورة.  
 وقيل: إن أول ما نزل (يا أيها المدثر)؛  
 قاله جابر بن عبد الله، وقد تقدم.  
 وقيل: فاتحة الكتاب أول ما نزل؛ قال  
 أبو ميسرة الهمداني.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أول ما  
 (٥٢) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن  
 العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى:  
 ٥٤٣هـ)؛ أحكام القرآن) راجع أصوله  
 وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد  
 القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية،  
 بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة،  
 ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م جزء ٤ ص ٤١٨.

## جدل المؤرخين والمفسرين بشأن نزول أول سورة من القرآن..... (الصبّاح)

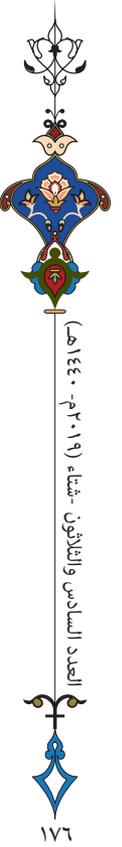
الله ﷺ بأن الله قد اختاره رسولا وهو يفرش درنوكا من درانيك الجنة لرسول الله، ولعلها قد أغفلت ذلك أو أن مؤلفي تلك الكتب التي نوهنا عنها لم يشيروا الى الآية تلك ربما بحجة خشيتهم أن يؤثر ذلك على الرواية السائدة والمهيمنة ألا وهي الرواية الزبيرية التي تقول بنزول الخمس آيات الأولى من سورة العلق وأنها الآيات الأولى التي نزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم. مع ذلك فأن هذين التفسيرين لا يبرران أبدا عدم ذكر المؤرخين والمفسرين الشيعة للآية من سورة الأنعام التي تتضمن وصايا مهمة من الله سبحانه وتعالى بخصوص الممارسات والعادات السيئة التي كانت مستشرية في المجتمع، مجتمع المشركين المكيين والمجتمع الجاهلي بشكل عام. في الوقت الذي شخص فيه ابن عربي القرطبي والقاضي المعافري الأشبيلي المالكي قول الإمام علي بأن الملك جبرئيل أنزل على رسول الله ﷺ الخمس وصايا التي تضمنتها آية رقم ١٥١ من سورة الأنعام.

نزل من القرآن ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].  
والصحيح الأول: قالت عائشة:  
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة (٥٣).

فهاتان الروايتان على الرغم من أهميتهما في إبراز الاختلاف والجدل بين العلماء حول هذه المسألة المهمة جدا، لكنهما لم يكشفوا عن مصادر معلوماتهما ولعلها كانت مصادر شيعية. والسؤال المهم الذي تثيره هاتين الروايتين هو لماذا لم تذكر الروايات الشيعية السابقة الذكر في أعلاه ما الآية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى بحسب رواية الإمام علي عليه السلام في الوقت الذي تم ذكره عند المفسرين من أهل الأندلس.

حقيقة أن الروايات الشيعية المتقدمة لا تشير الى الآية أو الآيات التي علمها أو أنزلها الملك جبرئيل عندما أبلغ رسول

(٥٣) القرطبي المتوفى سنة ٦٧١، كتاب الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي جزء ٢٢ مؤسسة الرسالة ٢٠٠٦، ص ٣٧٤.



مَعَالِمُ الشَّخْصِيَّةِ

# بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعِلْمِ النَّفْسِ

الشيخ الدكتور هاشم أبو خمسين

الأحساء- المملكة العربية السعودية

## فحوى البحث

يقول السيد الباحث في مقدمة بحثه أن هذا البحث قد ولد بسبب الحاجة العلمية لمعرفة مفهوم الشخصية في القرآن الكريم. فالبحث دراسة موضوعية تفسيرية هدفها معرفة مفهوم الشخصية وما يدور حولها من أحكام وأنماط والمريض منها والسليم، من وجهة نظر القرآن الكريم استناداً إلى مفاهيم علم النفس. وبالتالي فهو من نوع الدراسات الدينية المقارنة بين العلوم النفسية والقرآن الكريم. جاء البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقد حذفنا قائمة المصادر لعدم الحاجة إليها.

## المقدمة:

لقد ولد هذا البحث نتيجة الحاجة العلمية للتعرف على مفهوم الشخصية في القرآن او عند المفسرين. ومفهوم الشخصية قد يدرس من زوايا شتى لكننا حددنا المعنى النفسي له وحاولنا البحث عن الآيات التي تشير الى مفهوم الشخصية النفسي وبحثنا عن معانيها من خلال سبر المأثور التفسيري لعلماء الاسلام، فالبحث الذي بين يديك عبارة عن دراسة تفسيرية موضوعية هدفها معرفة مفهوم الشخصية وما يدور حولها من احكام وانماط والمريض منها والسليم في المنظور القرآني، ويستند هذا البحث على مفاهيم محددة في علم النفس وعلم النفس الشخصية بالذات وبالتالي فهو من نوع الدراسات البينية المقارنة بين العلوم من جهة والقرآن الكريم من جهة اخرى. فالسؤال الاصلي لهذا البحث هو (ما هي المعالم العامة للشخصية في القرآن الكريم) واستند الى اصول مسلّمة علمية وهي عبارة عن تعريف علم النفس لمفهوم الشخصية

وفرضيات منها: ان القرآن الكريم كتاب تربوي وان آياته اشارت الى الشخصية وانماطها وبعض خصوصياتها. فكان البحث عبارة عن مقدمة قصيرة والمبحث الاول والذي هو تحت عنوان (الشخصية في علم النفس) والمبحث الثاني والذي هو تحت عنوان (الشخصية في القرآن الكريم) وخاتمة مقتضبة.

## المبحث الاول:

### الشخصية في علم النفس:

#### تمهيد:

احتلت الشخصية مكانة مهمة في الدراسات النفسية خلال السنوات الأربعين الأخيرة. اذ يظهر الشخص نامياً متطوراً، من جهة، ويظهر من جهة أخرى، ثابتاً نوعاً من الثبات في مواقفه واتجاهاته. يبدو متفرداً متميزاً عن غيره، من جهة، ومشابهاً غيره، من جهة أخرى. وهو كلٌ موحد، أو وحدة متكاملة، من طرف، ولكنه يُرى ويبحث في عدد من الجوانب والجهات المتميزة من طرف آخر فكيف نعرّف هذا التركيب الذي يبدو من خلال هذه الزوايا

المتعددة؟<sup>(١)</sup>.

### تعريف الشخصية:

من الجهة اللغوية لا يوجد تعريف لكلمة الشخصية بهذه الهيئة، لكننا نحاول التعرض الى ما ذكره في تعريفها:

### التعريف اللغوي:

ذكر اهل اللغة اقوالا في تعريف لمادتها، نذكر منهم ما يلي:

اولا: احمد ابن فارس: «الشين والحاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شئ، من ذلك الشخص، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد، ثم يحمل على ذلك، فيقال: شخص من بلد إلى بلد»<sup>(٢)</sup>.

ثانيا: ابن منظور: «الشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول: ثلاثة أشخص، وكل شئ رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه، والشخص: كل جسم له

(١) السلوم، عبد الحكيم، مقالة "انماط الشخصية"، مجلة النبأ، العدد ٥٤ ذو القعدة ١٤٢١هـ.

(٢) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا ت(٣٩٥)، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٥٤ مادة (شخص) الدار الإسلامية، ١٤١٠/ ١٩٩٠ تحقيق وضبط: عبد السلام هارون.

ارتفاع وظهور، والمراد به: إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص، والشخص: العظيم الشخص، والأثنى شخيصه، وقيل شخيص: إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بين الشخاصة، والشخوص: ضد الهبوط، وشخص السهم يشخص شخصا فهو شاخص: علا الهدف...»<sup>(٣)</sup>.

### التعريف الاصطلاحي:

فلا بد هنا ان نوضح بعض الامور قبل سرد التعاريف واختيار احدها، منها ان تعريفات علماء النفس للشخصية-والتي تشتمل على تعريف بيولوجي اجتماعي وتعريف بيولوجي فيزيقي تجمياعي وتعريف تكاملي-نتيجة لوجهة نظر كل منظر في بنية الشخصية الانسانية ووظيفتها<sup>(٤)</sup>.

ولقد بدأ الاطباء الاغريق الاوائل في القرن الخامس قبل الميلاد بتقسيم الناس

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ٧/ ٤٥ مادة (شخص)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) جابر عبد الحميد جابر، نظريات الشخصية، ص ١١، دار النهضة العربية، ١٩٩٠، القاهرة.

(عضلي وقوي) يكون حيويًا ونشطًا ويجب المغامرات، وأما الإنسان الرخو (النحيف الطويل) تجده متخوفًا يجب الفن مكتوبًا ومنطويًا على نفسه.

كما قسم الفيلسوف الألماني سبرنجر الناس على أساس الرغبات، فالإنسان النظري هو من يتحاشى المشاركات والحياة الاجتماعية والسياسية. والإنسان الاقتصادي نراه مهتمًا بجمع المال وهكذا<sup>(٥)</sup>.

والمقصود بالشخصية عند علماء النفس والتربية:

١. عرفت الشخصية بأنها: النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره<sup>(٦)</sup>.

٢. تعريف مورتن برنس: «الشخصية هي المجموع الكلي لما لدى الفرد

(٥) الجبوري، محمد محمود، الشخصية في ضوء علم النفس، ص ٢٢-٢٣، مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠، بغداد.

(٦) فرغل، يحيى هاشم حسن، معالم شخصية المسلم، ص ٧، المكتبة العصرية، بيروت.

على أساس الخصائص الانفعالية والمزاجية إلى أربعة أصناف واسعة... فقال أرسطو فبحسب غلبة نوع السائل في الجسم تتعين الشخصية، فإن كان الدم هو الأغلب كان الشخص متفائلًا ونشطًا ومفعم بالأمل. وإن كان السائل الأغلب هو الصفراء كان الفرد حاد المزاج سريع الغضب، وإن كان البلغم كان بليدًا وهادئًا وكسولًا وراكدًا، وأما إذا غلبت عليه السوداء كان حزينًا متشائمًا.

بينما نجد من حاول تحديد الشخصية على أساس التكوين الجسمي مثل الطبيب الألماني أرنست فقال من كان بدينًا فهو قصير ممتلئ الصدر وشعبي، وأما النحيل فهو ضعيف طويل وحساس، والرياضي يكون شخصًا قويًا، أما المشوه البنية فيكون مختلط السمات.

وقدم الجراح الأمريكي شلدن رؤية أخرى عن تقسيم الشخصيات بحسب التركيب الطبيعي للجسم: فقال إن الإنسان الحشوي (ناعم مستدير) يكون اجتماعيًا منبسطًا يألف ويؤلف ويجب الراحة الجسمية. والإنسان العظمي

لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنية جسمه، والذي يحدد توافقه الفريد لبيئته<sup>(٧)</sup>.

وقد يعبر عن الشخصية باصطلاح آخر وهو الطبع، ويعرف «لوسين» الطبع بقوله: (هو مجموعة الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان ويعني بالاستعدادات الفطرية: تلك التي ولدت مع الإنسان بخلاف المكتسبات والمتغيرات).

إن الإنسان بجوانبه المختلفة يحمل صفات ثابتة تمثل هويته وبصمته الخاصة<sup>(٨)</sup>.

### المبحث الثاني:

#### الشخصية في القرآن الكريم:

#### أنماط الشخصية في القرآن الكريم:

تمهيد:

النون والميم والطاء كلمةٌ تدلُّ على

(٧) البادي، عائشة بنت سعيد، بعض سمات الشخصية وعلاقتها بفاعلية الذات، ص ١٧-٢٠، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، كلية العلوم، ٢٠١٤، سلطنة عمان.

(٨) نقلا عن الكبيسي، محمد عياش، أنماط الشخصية، ص، ٢٦ دار اسامة للنشر، الاردن، ٢٠١٠ م.

من استعدادات بيولوجية موروثية ودفعات ونزعات وغرائز وشهوات، بالإضافة الى النزعات والاستعدادات المكتسبة» ويركز هذا التعريف على الجوانب الداخلية والمفاهيم الدينامية للشخصية.

٣. تعريف روباك: «الشخصية هي مجموع استعداداتنا المعرفية والانفعالية والنزوعية».

٤. جوردن البورت: الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التي يحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته.

٥. تعريف جلفورد: شخصية الفرد هي ذلك النموذج الفريد الذي تتكون منه سماته.

٦. تعريف ستاجنر: «الشخصية هي ذلك التنظيم داخل الفرد لتلك الأجهزة الادراكية والمعرفية والانفعالية والدافعية، والتي تحدد استجاباته الفريدة لبيئته».

٧. تعريف أيزنك: الشخصية هي ذلك التنظيم الثابت والدائم الى حدما،

## معالم الشخصية بين القرآن الكريم وعلم النفس ..... المصباح

الشخصيات التالية: الشخصية الجموحة، والغضبية والعاطفية والعصبية والمفاوية والدموية الخاملة<sup>(١٢)</sup>.

وقسمها اخرون وبحسب مركز الشخصية الثلاث الى الشخصية المساعدة والمنجزة والمتفردة والباحثة والمخلصة ولمتحمسة والمتحدية وصانعة السلام<sup>(١٣)</sup>.

وعليه فأنا اذا اردنا التفتيش في القران الكريم عن ذلك الشئ في الشخصيات القرانية في طي الايات الكريمة من خلال تتبع سلوكياتها سنجد انماها متعددة من الشخصيات التي اشار اليها القران الكريم.. منها ما يلي:

اولا: الشحيح:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، [سورة الحشر: ٩] والشح أشد من البخل، والشح بخل مع حرص، والشح في الآية

(١٢) الكيسي، محمد عياش، انماط الشخصية واشكال القيادة، دار اسامة للنشر والتوزيع ٢٠١٠ الاردن.

(١٣) قام بذلك التقسيم العالم النفسي رسيو، محمد شحاته ابو السل، انماط الشخصية لدى جامعة دمشق، مجلة ماجعة دمشق، ج ٣٠، ٦٢٨، العدد الاول ٢٠١٤.

اجتماع. والنمط: جماعة من الناس<sup>(٩)</sup>.

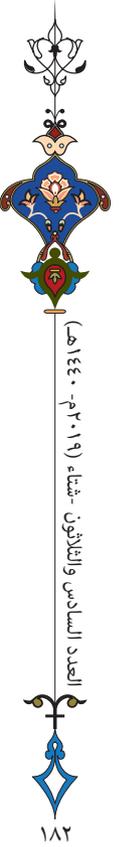
و قد عرف نمط الشخصية بأنه: سمة ملحوظة من السمات وهو نوع من التنظيم اكثر عمومية وشمولا<sup>(١٠)</sup>، او هي تجمع للصفات المتشابهة التي تكونت في مستهل حياة الفرد ولا تخضع لتغيير كبير، وهو بذلك يدل على جوهر الشخص<sup>(١١)</sup>. وبالتالي فهو ذلك التجمع القوي او الطيف الاقوى لشكل او طريقة من التصرفات بحيث يبرز كهوية للشخص.

يمكن تقسيم انماط الشخصية على اساس اطباع الانسان الى ثمانية انماط، حيث ان نمط كل شخصية يتحدد من خلال الدرجات التي حصل عليها الشخص في (الانفعالية) و(الفعالية) و(الترجيح) وبتزاوج تلك الطباع تنتج

(٩) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة «نمط».

(١٠) التعريف لايزنك نقلا عن الازيرجاوي، احمد عبدالحسين، قلق الموت وعلاقته بنمط الشخصية ص٢٢، كلية الآداب بغداد.

(١١) العناتي، حنان عبد الحميد، الصحة النفسية، ص٧٢، دار الفكر للطباعة والنشر، الاردن، ٢٠٠٠م.



أن تؤثر نفسك على أخيك، والشح من مصطلحات الطب النفسى، والشحيح نمط من أنماط الشخصية<sup>(١٤)</sup>.

ثانيا: الممترين: (الشخصية الشكاكية) من أنماط سمات الشخصية:

و الفرق بين المرء والجدل، أن المرء فى الباطل، والجدل فى الحق، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة الشورى: ١٨]، وقوله: ﴿تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

والامتراء من أنماط سمات الشخصية، وهو اصطلاح قرآنى خالص أشد من اصطلاح «الشك»، وهذا الأخير من مصطلحات علم النفس والطب النفسى والفلسفة الغربية، وسمة الامتراء أكبر من سمة الشك، لأن الامتراء فيه شك ويستتبع الجدل. وأصل الامتراء: أنه المسح على ضرع البهيمة استدرارا للبن، والممتري لذلك: هو الذى يظل يعالج فى المسألة ليفيد من ذلك استخراج ما يقوى

شكّه ودفعه لإثبات هذا الشك<sup>(١٥)</sup>.  
ثالثا: (المسرف):

الإسراف: هو التبذير، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

سُرِفُوا﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، فما جاوز الحد والاعتدال فهو سرف وإسراف، ومن كان معه جنية فأنفقه فى سبيل الله كان مسرفا، ومنه قوله تعالى: ﴿طَلَبْتُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة يس: ١٩]. والإسراف رذيلة فمهم ليسرف فى الكذب كقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر: ٢٨]، ومنهم ليسرف فى الشك: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [سورة غافر: ٣٤]،

وكان فرعون موسى مثلا قرآنيا لهذا النمط المسرف من أنماط الشخصية المريضة: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٣]، وعلوه ترفع عن عباد الله، وكان مسرفا فى ترفعه

(١٤) موسوعة القرآن العظيم ج ١ ٧٢٠ ٦٤١. سورة الحشر ص: ٧١٦.

(١٥) موسوعة القرآن العظيم ج ٢ ١٦١٥ ١٢٦٥ (المرء والممترون) ص: ١٦١٦.

وإنما الغرض نفيها عن رؤية أو سماع أو التحدّث بالحق؛ وقوله «لا يرجعون» يعنى إلى الحق، وفي الآية: ﴿صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهُمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧١] لأن من أصمّ أذنيه، وأعمى عينيه، وأبكم فمه، لن يعقل من أى أمر شيئا، ويصفهم القرآن يقول: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٢]، فجعلهم كالذباب، أى الحيوانات، وزاد فقال فيهم إنهم من شرّ الذباب، وفي آية أخرى حدّد شرّ الذباب فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٥] ويوم القيامة يحشرون كما كانوا في الدنيا ﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصَمًّا﴾ [سورة الإسراء: ٩٧] (١٧).

خامسا: (الهمزة واللمزة):

الهمزة واللمزة: نمطان من الأنماط النفسية للشخصية، ينفرد بها القرآن ضمن ما نسميه بعلم النفس الإسلامى، يقول تعالى ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً﴾ [سورة الهمزة: ١]؛ والهمزة: الفتان؛ (١٧) موسوعة القرآن العظيم ج ٢ ص: ١٧٨٠.

واستكباره واستعلائه (١٦).

رابعاً: (الصمم والبكم والعمى النفسى):

الصمّ والبكم والعمى: هؤلاء ثلاثة أنماط من أنماط الشخصية فى القرآن، والأصم: هو الذى انسدت خروق مسامعه؛ والأبكم: الأخرس بين الخرس والبكم، والأعمى هو ذاهب البصر؛ وفى الآية: ﴿صُمُّ بَكْمٍ عُمَىٰ فَهُمٌ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨]: أن صمم هؤلاء وبكمهم وعماهم هو: صمم نفسي، وبكم نفسي، وعمى نفسي، وفى الاصطلاح يقال صمم نفسي المنشأ psychogenic deafness، أى أنه ظاهرة مرضية نفسية وليست عضوية، والمرضى بالأمراض نفسية المنشأ يتداعون بها لعجز عن احتمال مواقفهم، أو لهوى فى نفوسهم فلا يريدون أن يروا الحق أو يسمعوا به، فيفقدون أسماعهم وأبصارهم وقدراتهم على الكلام. وفى القرآن يأتى عن ذلك اثنتى عشرة مرة، وفى الآية لم تنف الإدراكات عن حواسهم جملة (١٦) موسوعة القرآن العظيم ج ٢ ص: ١٥٤٥.

واللمزة، العيَاب؛ أو أن الهمزة: الذى يغتاب ويظعن الناس فى وجوههم، واللمزة: الذى يغتابهم من خلفهم، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨]. وقيل إن الهمزة: الطَّعَانُ فى الناس، واللمزة: الطَّعَانُ الذى أنسابهم. والهمزة والهامز أيضا: الذى يزغدننا باليد، يعنى بالدفع؛ واللمزة: يزغد باللسان، يعنى يسيء به. وقيل: الهماز: باللسان؛ واللسان: بالعينين، أو بالعينين والحاجبين (١٨).

سادسا: (المخادع يخدع نفسه):

من أنماط الشخصية فى القرآن نمط المخادع، وأصل الخداع فى كلام العرب الفساد، والمخادع فى الدين يخدع الرسول، ويخدع الله والمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢]، وقوله: ﴿ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٩]، وقوله:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [سورة

(١٨) موسوعة القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٧٨٦.

النساء: ١٤٥]، وخداعهم لله ولرسوله وللمؤمنين بإظهار الإيمان خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليحقنوا دماءهم وأموالهم، ويظنوا أنهم نجوا وخدعوا، وهم فى الحقيقة أفسدوا إيمانهم وأعمالهم بالرياء، والمراعاة هى الإخفاء (١٩).

سابعا: الشخصية الاعتمادية:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾ [سورة النحل: ٧٩]، اي: ثقيل (٢٠)، وعيال على من يلي ويدبر أمره فهو لا يستطيع أن يدبر أمر نفسه (٢١)، فهو يعتمد عليه فى كل الأشياء (٢٢).

ثامنا: الشخصية المتحدية الشجاعة:

التي تصارع اشياء كبيرة جسيمة وشبه مستحيلة، ما تشير الايات الى شخصية موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٠) يَقَوْمِ

(١٩) موسوعة القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٧٨٦.

(٢٠) الجديد فى التفسير، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٢١) الطباطبائي، الميزان، ج ١٢، ص ٣٠١.

(٢٢) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن،

ج ١٣، ص ٢٦٦.

معالم الشخصية بين القرآن الكريم وعلم النفس ..... **الصَّبَاحُ** .

وحدة الشخصية:

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في

متابعته لتفسير قوله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ**

**اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ [سورة

الاحزاب: ٤]، من المسلم أنّ شخصية

الإنسان السليم شخصية واحدة، وخطّه

الفكري واحد، ويجب أن يكون واحدا

في وحدته واختلاطه بالمجتمع، في الظاهر

والباطن، في الداخل والخارج، وفي الفكر

والعمل، فإنّ كلّ نوع من أنواع النفاق

أز ازدواج الشخصية أمر مفروض على

الإنسان وعلى خلاف طبيعته.

إنّ الإنسان بحكم امتلاكه قلبا واحدا

يجب أن يكون له كيان عاطفي واحد، وأن

يخضع لقانون واحد.

ولا يدخل قلبه إلا حبّ معشوق

واحد.

ويسلك طريقا معيّنا في حياته، بأن

يتآلف مع فريق واحد، ومجتمع واحد،

وإلا فإنّ التعدّد والتشتت والطرق المختلفة

والأهداف المتفرقة ستقوده إلى اللاهضية

والانحراف عن المسير التوحيدي

**أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**

**وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴿١١﴾

قَالُوا يَمْوَسِيٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ ﴿١٢﴾ [سورة

المائدة، ٢٠ - ٢٢].

تاسعا: الشخصية العاطفية:

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**

**أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ يُرْوَدْنَ فَتَنْهَعْنَ نَفْسِهِنَّ قَدْ شَغَفَهَا**

**حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سورة

يوسف: ٣٠].

عاشر: الطماعة:

﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ**

**وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾

[سورة ص: ٢٣].

المستضعفون والمستكبرون

من أنماط الشخصية:

كما نلاحظ ان الناس صنفان في الحق

اي في معرفة الطريق والدليل والهداية:

إما مستضعفون وإما مستكبرون،

ويوم القيامة يبرزون لله جميعا، يقول

المستضعفون للمستكبرين: ﴿ **فَقَالَ**

**الضُّعْفَتَانُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ**

**تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن**

**شَيْءٍ** ﴾ [سورة ابراهيم: ٢١].



الفطري (٢٣).

لنجد اصطلاحا قريبا من اصطلاح الشخصية او يرادفه فقد نجد اصطلاح «النفس» كما في قوله تعالى ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [سورة الفجر: ٢٧] الذي يشير الى روح الانسان احيانا والى الانسان اخرى كذلك.

### تناسب الجزاء مع شخصية الافراد:

فقد اشار القران الكريم الى امكانية مضاعفة الثواب والعقاب بحسب عظم وحجم الشخصية، ونعرض لكم هنا مثالين:

١. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ

وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا

مَرَّتَيْنِ﴾ [سورة الاحزاب: ٣١]،

إنّ هذه الآيات وإن كانت تتحدّث

عن نساء النبيّ بأنهنّ إن أطعن الله

فلهنّ أجر مضاعف، وإن ارتكبن

ذنبا مبينا فلهنّ عذاب الضعف بما

اكتسبن، إلا أنّ الملاك والمعيار الأصلي

لما كان امتلاك المقام والمكانة المرموقة،

والشخصية الاجتماعية البارزة، فإنّ

هذا الحكم صادق في حقّ الأفراد

الآخرين الذين لهم مكانة ومركز

قد تكون للمجتمع شخصية واحدة؛ وهذا حال أجزاء الإنسان وهي تسير سيرا واحدا اجتماعيا، وفي حكمه حال أفراد مجتمع إنساني إذا تفكروا تفكرا اجتماعيا فصلاحهم وتقواهم أو فسادهم وإجرامهم وإحسانهم وإساءتهم إنما هي ما لمجتمعهم من هذه الأوصاف إذا أخذ ذا شخصية واحدة وهكذا صنع القرآن في قضائه على الأمم والأقوام التي ألجأتهم التعصبات المذهبية أو القومية أن يتفكروا تفكرا اجتماعيا كاليهود والأعراب وعدة من الأمم السالفة فتراه يؤاخذ اللاحقين بذنوب السابقين، ويعاتب الحاضرين ويوبخهم بأعمال الغائبين والماضين كل ذلك لأنه القضاء الحق فيمن يتفكر فكرا اجتماعيا (٢٤).

### الشخصية في الآيات القرآنية:

تمهيد:

إذا فتننا في الاصطلاحات القرآنية

(٢٣) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب

الله المنزل، ج ١٣، ص: ١٦١.

(٢٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤،

ص: ١٠٦.

بارتكاب ذنب صغير فإن جزاءه في مقابل ذلك سيكون أشد من جزاء الأمي في قبال ذنبه الكبير.

لهذا السبب بالذات نقرأ في الآيتين (٣٠ - ٣١) من سورة الأحزاب خطاباً بهذا المضمون إلى نساء النبي ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾. وفي الروايات نقرأ هذا المفهوم: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

هذه الآيات تشير إلى هذه الحقيقة، فهي تقول للرسول ﷺ: إذا أظهرت ميلاً (وحاشاه) نحو الشرك والمشركين فإن عقابك سيتضاعف في هذه الدنيا وفي الآخر (٢٧). وما ذلك إلا لما له من عظيم الشخصية وانعكاسها.

(٢٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٩، ص: ٧٨.

اجتماعي مهم (٢٥).

٢. قال تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَنْتَكَ ضَعْفَ

الْحَيَوَةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [سورة

الاسراء: ٧٥]، فمن الواضح أنه كلما

زاد مقام الإنسان من حيث العلم

والوعي والمعرفة والإيمان، ازدادت

قيمة وعمق الأعمال الخيرة التي

يقوم بها، وبدرجة نسبة الوعي العلم

والمعرفة، وطبعاً سيكون ثوابها أكثر،

لذا فإننا نقرأ في بعض الروايات، فعن

سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنِ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ

لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَلَانٌ مِنْ عِبَادَتِهِ وَدِينِهِ

وَفَضْلِهِ فَقَالَ: «كَيْفَ عَقَلُهُ» قُلْتُ لَا

أَدْرِي فَقَالَ: «إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ

العقل» (٢٦).

أما الثواب والعقاب فسوف يزداد

تبعاً لهذه النسبة، فإذا ارتكب إنسان أمي

وضعيف الإيمان ذنباً كبيراً، فهذا ليس

بالأمر العجيب، ولهذا السبب سيكون

جزاؤه أخف، أما إذا قام عالم مؤمن

(٢٥) مكارم الشيرازي، الأمثل، ج ١٣، ص ٢٣١.

(٢٦) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، كتاب العقل

والجاهل، ح ٨.

## ملاحظات قرآنية حول الشخصية

### والسلوك الفردي:

أولاً: علاقة الاعمال بالشخصية:

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۗ ﴾

[سورة الاسراء: ٨٤]، أن للإنسان شاكلة بعد شاكلة فشاكلة يهيؤها نوع خلقته وخصوصية تركيب بنيته، وهي شخصية خلقية متحصلة من تفاعل جهازاته البدنية بعضها مع بعض كالمزاج الذي هو كيفية متوسطة حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادة بعضها في بعض.

و شاكلة أخرى ثانية وهي شخصية خلقية متحصلة من وجوه تأثير العوامل الخارجية في النفس الإنسانية على ما فيها من الشاكلة الأولى إن كانت.

والإنسان على أي شاكلة متحصلة وعلى أي نعت نفساني وفعلية داخلية روحية كان فإن عمله يجري عليها وأفعاله تمثلها وتحكيها كما أن المتكبر المختال يلوح حاله في تكلمه وسكوته وقيامه وقعوده وحركته وسكونه، والذليل المسكين

ظاهر الذلة والمسكنة في جميع أعماله وكذا الشجاع والجبان والسخي والبخيل والصبور والوقور والعجول وهكذا: وكيف لا والفعل يمثل فاعله والظاهر عنوان الباطن والصورة دليل المعنى.

فقال: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ ﴾ أي إن أعمالكم تصدر على طبق ما عندكم من الشاكلة والفعلية الموجودة فمن كانت عنده شاكلة عادلة سهل اهتداؤه إلى كلمة الحق والعمل الصالح وانتفع بالدعوة الحقّة، ومن كانت عنده شاكلة ظالمة صعب عليه التلبس بالقول الحق والعمل الصالح ولم يزد من استماع الدعوة الحقّة إلا خساراً، والله الذي هو ربكم العليم بسرائركم المدبر لأمركم أعلم بمن عنده شاكلة عادلة وهو أهدى سبيلاً وأقرب إلى الانتفاع بكلمة الحق، والذي علمه وأخبر به أن المؤمنين أهدى سبيلاً فيختص بهم الشفاء والرحمة بالقرآن الذي ينزله، ولا يبقى للكافرين أهل الظلم إلا مزيد الخسار إلا أن يتزعوا عن ظلمهم فيتفجعوا به.

و من هنا تظهر النكتة في التعبير بصيغة التفضيل في قوله: «أهدى سبيلاً»

فقط وهذا الاسم لا يناسب كل الأحوال. فالاسم الدقيق هو إنشاق الشخصية أو تعدد الشخصية. هناك من يسميه «اضطراب الهوية الانشاقية» يملك المصاب به هويتين أو شخصيتين -وقد يصل العدد الى العشرات!. لكل واحدة أسلوبها الخاص بها في السلوك والادراك والتفكير والتاريخ الشخصي والعلاقة بالآخرين<sup>(٢٩)</sup>.

واما تعريف ازدواجية الشخصية عند المفسرين فقد يعرفها المفسرون- مستنطقين بذلك آيات القران الكريم- بأنها: إن هذا الكائن [الانسان] مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه)<sup>(٣٠)</sup> مزود باستعدادات متساوية للخير

(٢٩) ياسر عبد القوي، ازدواج الشخصية، ص ٥، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

(٣٠) مضمون الآيات الكريمة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ

الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ۝ ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ

رُوحِهِ ۝ ٩﴾، [سورة السجدة: ٧-٩].

وذلك لما تقدم أن الشاكلة غير ملزمة في الدعوة إلى ما يلائمها فالشاكلة الظالمة وإن كانت مضلة داعية إلى العمل الطالح غير أنها لا تحتم الضلال ففيها أثر من الهدى وإن كان ضعيفا، والشاكلة العادلة أهدى منها فافهم. وقد عرفت أن الآية إنما تتعرض لحال الإنسان بعد حصول شاكلته وشخصيته الخلقية الحاصلة من مجموع غرائزه والعوامل الخارجية الفاعلة فيه الداعية إلى نوع من العمل دعوة على نحو الاقتضاء فتبصر<sup>(٢٨)</sup>.

ثانيا: ازدواجية الشخصية:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤].

تعريف ازدواجية الشخصية:

هو تعدد الذوات الانشاقية أو تعدد الشخصية الانشاقية؛ حيث أنه قد يكون هناك أكثر من شخصيتين منفصلتين عن الشخصية الأساسية فليس الازدواج اسماً دقيقاً حيث يعبر عن وجود شخصيتين

(٢٨) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص: ١٩، مع التلخيص.

والشر، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٧-٨]، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا تخلقها خلقاً. لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعاً، وكامنة إلهاماً (٣١).

ونرى ان القران الكريم اشار بعض الايات الى هكذا نوع من الشخصيات المزدوجة وبحسب التعريف العلمي، حيث يصنفه نوع من الخسران والضياع.

يقول الشيخ المفسر مكارم الشيرازي: ليس من السفاهة أن لا يضع الإنسان لحياته خطاً معيناً، ويبقى يتلَوَّن بألوان مختلفة؟. أليس من السفاهة أن يضيع الإنسان وحدة شخصيته، ويتجه نحو ازدواجية الشخصية وتعدّد الشخصيات في ذاته، ويهدر بذلك طاقاته على طريق التذبذب والتأمر والتخريب، وهو مع ذلك يعتقد برجاحة عقله؟! العلامة الثالثة لهؤلاء، هي تلَوَّنهم بألوان معينة تبعاً

لما تفرّضه عليهم مصالحهم، فهم انتهازيون يظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم من الشياطين قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤] (٣٢).

ولا يتم ويكتمل الإيمان إلا بوحداية الشخصية الايمانية واتحادها، بحيث يتطابق العمل والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر والتسليم لهم، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ثالثاً: علاقة الشخصية بالمال:

لا شك أن كل إنسان يرغب بفطرته أن يكون ذا قيمة وافتخار، ولذلك فهو يسعى بجميع وجوده لكسب القيم. فجماعة ترى بأن قيمتها الواقعية في الانتساب إلى القبيلة المعروفة وجماعة أخرى تعوّل على مسألة المال والثروة، فتعدّها دليلاً على القيمة

(٣١) سيد قطب الشاذلي، في ظلال القرآن، ج ٦، ص: ٣٩١٨ (مع التلخيص).

(٣٢) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص: ٩٦.

الشخصية بالمال، اذ نصحه قومه فقالوا له ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ (٧٦) **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [سورة القصص: ٧٦-٧٧].

فأجابهم قارون: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَلَمْ يَعْلَم بِ** ﴾ [سورة القصص: ٧٨]، ولا بعلم قد يكون علم الكيِّاء او علم التجارة، اجابهم بتلك الحالة من الغرور والتكبر الناشئة من ثروته الكبيرة، وقال: ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي** ﴾ .

هذا لا يتعلق بكم، وليس لكم حق أن ترشدوني إلى كيفية التصرف بهالي، فقد أوجدته بعلمي واطلاعي (٣٦). قد جاء هذا الفصل ليصوّر للناس بعض ملامح هذه الشخصية المالية المغرورة ومفاهيمها في الحياة، ونظرة الناس إليه (٣٧).

(٣٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص: ٢٩٢.  
(٣٧) تفسير من وحي القرآن، ج ١٧، ص: ٣٣٥.

الشخصية (٣٣).  
و العطاء، أحد عناصر الشخصية الإسلامية، ونموذج حيّ للبرّ العملي، ﴿ **وَعَاقِبَةُ الْأَمْوَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ** ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] فإذا كان الإنسان يملك المال، فإن الإسلام يعتبر الملكية وظيفه ومسئولية، لا امتيازاً وشرفاً ذاتياً، ولذلك جعل العطاء سرّاً الشخصية لأنه يعني انفتاحها على آلام الحياة (٣٤).

يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [سورة الانفال: ٢٨].

و كلمة «فتنة» هنا بمعنى اداة الاختبار والامتحان، والحقيقة أنّ أهم اداة لامتحان الإيمان والكفر والشخصية وفقدانها، وميزان القيم الإنسانية للأفراد هو هذان الموضوعان (المال والأولاد) (٣٥).  
وقضية قارون مثال على تأثير

(٣٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٦، ص: ٥٦ (مع تلخيص).  
(٣٤) تفسير من وحي القرآن، ج ٣، ص: ٢٠.  
(٣٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص: ٤٠.

رابعاً: علاقة الشخصية بكتابة الرسالة:

الرسالة التي نريد ان نتحدث عنها هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل: ٣٠-٣١].

فمن الامور التي تكشف الشخصية او بعبارة اخرى تنعكس فيها الشخصية سلوكيا هي الرسائل، مدى الثقافة والبعد العقلي والمبدئي وغيرها. ونلاحظ ان القران الكريم لمح بكلمة «كريم» في قوله تعالى ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النمل: ٢٩] الى شأن المرسل وشخصيته. والفت الى ذلك بعض المفسرين.

اذ قالت الملكة [بليقيس]: ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴾ «أي قيم» لعله لمحتواه العميق، أو لأنه بدئ باسم الله أو لأنه ختم بامضاء صحيح. أو لأن مرسله رجل عظيم، وقد احتمل كل مفسر وجهها منها- أو جميعها- لأنه لا منافاة بينها جميعا. وقد تجتمع جميعها في هذا المفهوم الجامع<sup>(٣٨)</sup>، أو

(٣٨) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص: ٥٧.

لانه يكشف عن شخصية المرسل وقوتها وعلمها وثقتها العالية بهائها، كما أن كونه من سليمان العظيم يستدعي كونه كريماً<sup>(٣٩)</sup>.

أساساً فإن رسالة الإنسان وكتابه دليل على شخصيته، كما أن حامل الكتاب والرسول دليل على شخصية المرسل أيضاً، يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ من ينطق عنك»<sup>(٤٠)</sup>.

فمن الطريف أن مضمون هذا الكتاب لم يتجاوز في الواقع ثلاث جمل:

الأولى: ذكر «اسم الله» وبيان رحمانيته ورحمته.

الثانية: الأمر بترك الاستعلاء والغرور... لأن الاستعلاء مصدر الفساد الفردية والاجتماعية.

والثالثة: التسليم والإذعان للحق<sup>(٤١)</sup>.

(٣٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص: ٣٥.

(٤٠) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص: ٦١.

(٤١) مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص: ٦١.

حساباته على أساس الربح والخسارة في الجانب المادي، وتنطلق العلاقات في هذا الخط، وترتكز المواقف على هذا الأساس<sup>(٤٣)</sup>.

### معالم الشخصية السوية

#### في القرآن الكريم:

بكلمة مختصرة نعرف الشخصية السليمة بأنها الشخصية المؤمنة حقا أي قولاً وفعلاً والتزاماً وما عدا ذلك فنحن نوافق علماء النفس بأنه لا توجد شخصية سليمة بالمعنى الحرفي للكلمة.

و لقد حدد القرآن الكريم معالم الشخصية السليمة بعشرات الآيات متفرقة ومجمعة نكتفي بهذه الآيات من سورة الفرقان، إذ يجد فيها كل دارس في علم النفس موضوع أطروحة «في معالم الشخصية السليمة»:

#### أولاً: التواضع:

الشخصية السوية هي شخصية عباد الرحمن الذين لا يتكبرون ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ

وقد كان رسول سليمان ﷺ إلى بلقيس الهدهد ورسالة الهدهد معجز والمعجز يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ويدل على صدق المدعي فلما كانت تلك الرسالة دلالة تامة على التوحيد والنبوة لا جرم لم يذكر في الكتاب دليلاً آخر<sup>(٤٢)</sup>.

#### خامساً: العلم والشخصية:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى: ١٤] يقول السيد محمد حسين فضل الله: فلم يفتحوها على العلم من القاعدة الأخلاقية التي تمتد في شخصية العالم وتمنحه روحية التواضع لله، والخضوع للحق، والانفتاح على الحوار الفكري الذي يقود إلى النتائج الحاسمة في قضايا العقيدة والحياة، بل استغرقوا في الجانب الذاتي من العلم، الذي يوحى بالأنانية، ويقود إلى الشعور المرضي بضخامة الشخصية، التي تدفعه إلى طلب مركز اجتماعي يرفعه إلى مقام الزعامة والرئاسة.. وعلى ضوء ذلك، تتحرك

(٤٣) تفسير من وحي القرآن، ج ٢٠، ص ١٥٨.

(٤٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٥٥٦.

الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ  
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿سورة الفرقان:

[٦٣]

ثانيا: الايمان:

الشخصية السوية هي الشخصية  
المؤمنة وهذه بعض صفاتها ﴿ وَالَّذِينَ  
يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤  
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ  
جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا  
سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿سورة الفرقان:

[٦٤-٦٦]

ثالثا: الاقتصاد:

الشخصية السوية هي الوسط بين  
الإسراف والاعتقار في الإنفاق ﴿ وَالَّذِينَ  
إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ  
بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿سورة الفرقان:

[٦٧]

رابعا: الطاعة:

الشخصية السوية هي القانتة التي لا  
تعبد إلها إلا الله وما أكثر الآلهة التي يعبدها  
الناس، فالنساء والبنون والمال والشهوات  
والطاغوت، هي آلهة أكثر الناس قديما  
وحديثا وليست أصنام الجاهلية فقط:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ...  
وَلَا يَزْنُونَ ﴿سورة الفرقان: [٦٨].

خامسا: الانابة والتوبة:

الشخصية السوية هي الأوبة التي لا  
تشبث بأخطائها وذنوبها إذا ضعفت أمام  
إلحاح النفس الأمارة بالسوء، بل ترجع إلى  
الله وتستغفره:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ  
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾  
وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ  
يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى  
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿سورة آل

عمران: [١٣٤-١٣٥].

سادسا: الصدق:

الشخصية السوية هي الصادقة التي لا  
تكذب ولا ترتكب المعاصي التي حرمها  
المولى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا  
مُرُوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿سورة الفرقان:

[٧٢]؛ ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ  
إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ  
بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ  
مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿

[سورة النساء: ١١٤].

آيات تجمع صفات الشخصية السليمة:

سابعا: العقل والتدبر:

هناك بعض الآيات تشتمل على صفات ومعالم الشخصية السليمة وتشير الى صفاتها التي لا بد ان تشتمل عليها، ومن تلك الايات مايلي:

الشخصية السوية هي العاقلة العالمة تتدبر آيات الله وأحكامه فتفهمها فهما سويًا نيرا علميا بالعمق، وليست تلك الشخصية المتشنجة، المتعصبة التي تفهم وتطبق أحكام الله من خلال عقدها وجهلها وتعصبا الأعمى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٣].

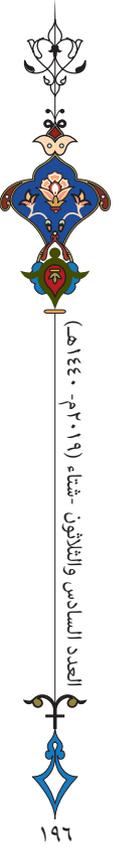
اولا: ثلاث ايات من سورة الانعام، اذ نجد الشخصية السوية مجموعة في ثلاث آيات كريمة من سورة الأنعام، فليحفظها وليعمل بمضمونها كل من يريد أن يكون سوي الشخصية: ﴿قُلْ

ثامنا: الرحمة والشفقة:

تَعَالَوْا أَنل مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

الشخصية السوية هي الرحيمة التي تشفق على أفراد عائلتها من الضياع بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فتعمل على أن تؤمن السكينة للزوجة والزوج والأولاد، فالعائلة هي نواة المجتمع، وبصلاحها تصلح المجتمعات ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٦٦﴾ فَمَنْ رَبُّ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْتَنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [سورة الطور: ٢٦- ٢٧] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٤] (٤٤).

(٤٤) من علم النفس القرآني، ص: ١١٢-١١٣.



وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ  
ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾  
[سورة الانعام: ١٥١ - ١٥٣].

فذكرت: (عدم الشكر والاحسان بالوالدين، ورفض الجهل والجاهلية والثقة بالله وترك الفواحش والذنوب وعدم الظلم ومراعاة العدل).

ثانيا: ونجد كذلك اية تختصر صفات الشخصية السوية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

### معالم الشخصية المريضة

#### في القرآن الكريم:

لشخصية المريضة أسماء كثيرة في كتب علم النفس، إذ تدرس تحت أسماء: عصاب الشخصية، والشخصية غير

المتزنة، والشخصية اللاأخلاقية، ووحاول تماشيا مع الاصطلاحات القرآنية أن ندعوها نحن بـ «الشخصية المنافقة». وقد وصفها القرآن الكريم بأشمل وأوجز وأدق وصف ممكن، وكشف خبايا ميزاتهما في العشرات من الآيات الكريمة، مفصلا كل سمة من سماتها المرضية.

#### أ. الشخصية المريضة بصورة إجمالية:

لشخصية المريضة، نماذج عدة، تبعا لسيطرة إحدى السمات المرضية فيها على بقية السمات إلا أنه يجمعها قاسم مشترك هو فقدان الإيثار الصحيح والكامل. و الشخصية المريضة مسئولة عن أعمالها في الدنيا والآخرة:

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦].

و الشخصية المريضة، هي حالة حدود بين المرض والصحة بالمعنى المتعارف عليه في علم النفس، إذ نادرا ما تشعر أو تعلم أو تعترف هذه الشخصيات بعدم اتزانها ما دامت تجد متنفسا لتنفيذ غاياتها وأهوائها ونزواتها اللاأخلاقية من خلال الأفراد

## معالم الشخصية بين القرآن الكريم وعلم النفس ..... ﴿الصَّبَاحُ﴾

ظاهاها جميل وباطنها فارغ أجوف عفن:  
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا  
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ [سورة  
المنافقون: ٤]، فعن رسول الله ﷺ: «ذو  
الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله  
وجهان من نار» (٤٥).

ثالثا: عدم الشجاعة:

فهي الشخصية الجبانة ﴿ يَحْسَبُونَ  
كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْوَعًا فِي  
ءَأْذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذْرَ الْمَوْتِ ﴾ [سورة  
البقرة: ١٩].

رابعا: المكابرة:

اذ نجدها الشخصية المكابرة،  
المغرورة، المتعالية التي يئست من رحمة  
الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَوْرَأَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ  
مُتَّكِرُونَ ﴾ [سورة المنافقون: ٥].

خامسا: الإفساد:

من صافتها انها الشخصية التي تعيث  
في الأرض فسادا، وبالرغم من ذلك لا  
تشعر بإفسادها، بل تعتبر نفسها مصلحة:

(٤٥) محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، باب  
النفاق، رقم ١٢.

الذين تتعايش معهم، أما إذا جابهها  
الغير ورفض الانصياع لرغباتها ونزواتها  
وأهوائها المريضة، وتنبئها لنا من المولى  
عزّ وعلّا إلى خطورة هذه الشخصيات  
اللاأخلاقية على المجتمع نجد في كتابه  
الحكيم عشرات الآيات التي رسمت  
صفات هذه الشخصيات، لا بل إن المولى  
سمى بعض السور الكريمة بأسماء بعض  
النماذج منها تحذيرا من خطورتها، كسورة  
«المنافقون» و«المطففين» و«الكافرون».  
ب. الشخصية المريضة بصورة تفصيلية:

اولا: النفاق:

فهي الشخصية المنافقة ذات  
الوجهين: كاذبة، تستر وراء الدين  
والتقى لتصل إلى مآربها الخسيسية:  
﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:  
٩]؛ ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن  
سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة  
المنافقون: ٢].

ثانيا: خبث السريرة:

فقد ينخدع بعض الناس بجميل  
مظهرها الخارجي وحلاوة أقوالها،

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١ - ١٢].

سادسا: التشكيك:

هي الشخصية المشككة المرتابة بكل شيء، بالله والناس: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (شك) ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة: ١٠]؛ ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الاحزاب: ١٢]؛ ﴿ إِذْ يَكُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ [سورة الانفال: ٤٩]. ولقد وردت جملة {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم وفي أكثر معانيها تعني النفوس المشككة، سيئة الظن بالمولى ورسوله والناس.

سابعا: الهمز واللمز:

الشخصية المريضة هي شخصية كل {هُمَزَةٌ لَمَزَةٌ}، وكل {حَلَّافٌ مَهِينٌ} وكل سفيه في القول والتصرف، وهي لا تعرف ذلك بل تسفه الإيمان الفطري السليم عند الغير: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ

النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٣].

ثامنا: التطفيف:

نحو شخصية قوم شعيب من المطففين، وما أكثر المطففين في يومنا الحاضر. ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [سورة المطففين: ٢ - ٣].

تاسعا: التقدير والبخل:

فمن صفاتها انها الشخصية القتورة، البخيلة وإن تظاهرت بالعكس العكس: ﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

عاشرا: التذبذب:

حيث انها الشخصية المتذبذبة بين الإيمان وعدمه إذ تتبع ما يتناسب مع أهوائها ورغباتها في مسألة الأوامر والنواهي الإيمانية، وتترك ما يتعارض ونزواتها الشخصية، إذ تصلي وتزني، وتنفق على الغير علنا رياء الناس وتسرق في الخفاء وتأكل الربا: {يَكَادُ الْبَرُّقُ} (هنا

## معالم الشخصية بين القرآن الكريم وعلم النفس ..... **الصَّبَابُ** .

٢. عرف نمط الشخصية بأنه: سمة ملحوظة من السمات وهو نوع من التنظيم اكثر عمومية وشمولا.

٣. تعريف ازدواجية الشخصية: هو تعدد الذوات الانشقاقي أو تعدد الشخصية الانشقاقي؛ حيث أنه قد يكون هناك أكثر من شخصيتين منفصلتين عن الشخصية الأساسية.

٤. تعريف ازدواجية الشخصية عند المفسرين فقد يعرفها المفسرون- مستنطقين بذلك ايات القران الكريم- بأنها: إن هذا الكائن [الانسان] مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) (٤٧) مزود باستعدادات

متساوية للخير والشر، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿﴾

(٤٧) مضمون الايات الكريمة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَفَنَعْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴿﴾، [سورة السجدة: ٩٠-٧].

بمعنى تعاليم القرآن الكريم) ﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [سورة البقرة: ٢٠].

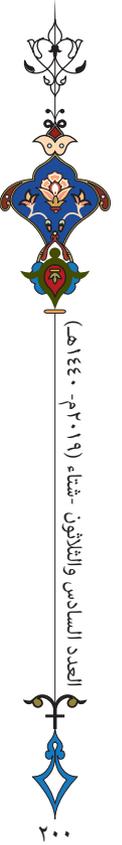
هذا موجز من أوصاف الشخصيات المريضة في الايات القرانية (٤٦).

### الخاتمة:

لقد كان البحث في حد ذاته صعبا والحصول على معلومات خاصة بعلم النفس في كتب التفسير من الامور المضنية، لكننا فوجئنا ان بعض المفسرين لم يهملوا هذه الزوايا العلمية ونجد بعض المفسرين اهتم بعلم النفس ونراه يقرأ الآية بشكل تقليدي وبشكل علمي معاصر وهو ما يجعل القران غرض طري وعلمي في نفس الوقت. وفي نهاية هذا البحث اعرض اليكم اهم النتائج التي توصلنا لها:

١. عرفت الشخصية في علم النفس: النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره.

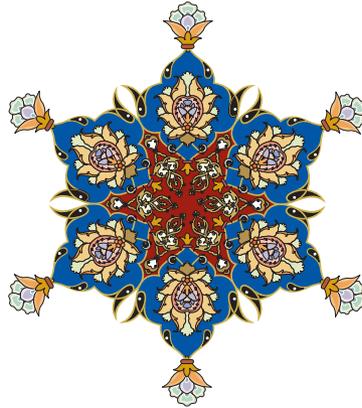
(٤٦) مقتبس من، من علم النفس القرآني، ص: ١١٥-١١٧.



الشخصية او يراذفه فقد نجد  
اصطلاح «النفس» كما في قوله تعالى  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [سورة  
الفجر: ٢٧].

٦. وهناك انماط للشخصية المذكورة في  
القران الكريم منها: الشحيح  
والشكاك والمسرف والاتكالي.  
والحمد لله رب العالمين

[سورة الشمس: ٧-٨]، والرسالات  
والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما  
توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها  
وتوجهها هنا أو هناك. ولكنها لا  
تخلقها خلقا. لأنها مخلوقة فطرة،  
وكائنة طبعا، وكامنة إلهاما.  
٥. اذا فتشنا في الاصطلاحات القرآنية  
لنجد اصطلاحا قريبا من اصطلاح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الدور الوظيفي للمكان في القصص القرآني في ضوء البنيوية التكوينية (قصة موسى عليه السلام نموذجاً)

أ.م.د. كبرى روشنفكر      عدنان زماني      يوسف غرباوي  
جامعة تربية مدرس-طهران      جامعة شهيد شمران

## فحوى البحث

يعدّ المكان أحد المكونات الرئيسة والمهمة في العمل الأدبي، وقد تتضاعف هذه الأهمية في الأعمال ذات الطابع السردية مثل القصة أو الرواية؛ ذلك لأن المكان في هذه الأعمال يلعب الدور الأكبر في الكشف عن حقائق الشخصيات أو الأحداث بوصفه المسرح الذي تقع فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات. بناءً على هذه الأهمية حاولت هذه الدراسة معرفة دور المكان في القصص القرآنية مركزة في ذلك على قصة نبي الله موسى عليه السلام كنموذج لباقي القصص القرآنية. وقد استعان هذا البحث بالمنهج البنوي التكويني للوصول إلى وظائف المكان وأدواره في قصة موسى عليه السلام والكشف عن الدلالات التي تحتوى عليها بنية المكان وشفرته، وتوصل البحث إلى أن المكان في قصة موسى عليه السلام قد اتخذ دلالات ورموزاً متعددة وإنه استطاع أن يكشف لنا عن الحالات الشعورية التي تعيشها شخصيات القصة.

الأدبي لاسيما في الدراسات الحديثة، وإن هذا الاهتمام من قبل الدارسين لا يأتي عن فراغ بل إنهم قد أدركوا ماهية الوظائف التي يؤديها هذا العنصر الأدبي وكذلك عرفوا حجم الفوائد التي تكمن فيه، فمن فوائد هو إنه يشعر القارئ بواقعية الأحداث التي يقرأها والشخصيات التي يتابع أخبارها، وكذلك يفسر للقارئ طبيعة شخصيات العمل الأدبي وسلوكياتها، ذلك لأن الأماكن التي يعيش فيها الإنسان يعطي انطباعاً عن شخصيته، وقد يوضح لنا سلوكه وطبائعه دون إذن منه. فتوافر عنصر المكان يعتبر من الشروط الرئيسية لإصالة العمل الأدبي، وإن الأعمال ذات الطابع السردية مثل القصة والرواية تعتمد على هذا العنصر وباقي العناصر الأخرى مثل الشخصيات، والأحداث والزمان لتكوين هذا العمل والسير به لتحقيق الغايات المقصودة منه. في هذه الدراسة نحاول تسليط الضوء على الوظائف التي يقوم بها المكان في القصص القرآنية بوصفها نصوصاً سردية تتوافر فيها جميع الشروط اللازمة للعمل

إن المكان هو موقع الأحداث ومسرح الوقائع التي يعيشها الإنسان ولهذا فهو يمتاز بأهمية كبيرة للغاية، إذ من خلاله قد نتعرف على أحوال الشخصيات الموجودة فيه وحالاتها النفسية والاجتماعية... وفي مجال الأدب -بصفته تصويراً للحياة البشرية في عالم الواقع -نلاحظ أن المكان أيضاً يحتفظ بتلك الأهمية التي يمتلكها في الحياة الواقعية ويلعب دوراً بارزاً في خلق الأعمال الأدبية «فهو الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحياناً لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث، وهذه الشخصيات، ومشحوناً بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان»<sup>(١)</sup> ونظراً لهذه الأهمية التي يحظى بها المكان في العمل الأدبي نشاهد كثرة الاهتمام بهذا العنصر

(١) آمنة عشاب، عبد القادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أمودجا، جامعة حسنية بن بو علي بالشلف (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م، ص: المقدمة: أ.

الأدبي ومقومات السرد ومكوناته، وقد شغلت هذه القصص حيزا واسعا من القرآن الكريم لتحقيق غايتين أساسيتين هما الغاية الدينية والغاية الأدبية. ورغم كثرة الدراسات حول عنصر المكان ودوره في العمل الأدبي إلا أننا نشاهد أن هذا الاهتمام ينصبّ على فنون أخرى غير القرآن مثل الروايات وغيرها، فدراسة المكان في القصص القرآنية تعد قليلة بالمقارنة مع باقي الأنواع الأدبية وقد لا تتجاوز أصابع اليد رغم أن المكان في هذه القصص القرآنية يؤدي أدورا ووظائف كثيرة تحتاج الى دراسات مفصلة للوقوف على هذا العنصر وأدواره في بناء القصة القرآنية. وانطلاقا من هذه الأهمية والأدوار الكثيرة التي يؤديها المكان في القرآن فقد اقتصرنا على قصة موسى عليه السلام للكشف عن وظيفة المكان في هذه القصة القرآنية ذات الأحداث والشخصيات المتعددة والأمكنة الكثيرة التي تساهم في بنائها وتقييم العلاقات الوشيحة مع باقي العناصر الأخرى. وليس من الممكن دراسة المكان في جميع القصص القرآنية

في بحث بهذا الحجم إذ إنه يحتاج الى بحث أطول ودراسة أوسع. وقد اخترنا قصة موسى عليه السلام أنموذجا للتطبيق لأنها أكثر القصص القرآنية بسطا وتفصيلا، وإن عنصر المكان بارز في هذه القصة، وكذلك لأن هذه القصة بدأت بالسرد وبالأحداث الغريبة والأمكنة المخيفة «أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ». وإن بدء هذه القصة بذكر هذه الأماكن (التابوت، اليم، الساحل) بحد ذاته يعطي لنا دلالات على ما سيقوم به هذا العنصر من وظائف وأدوار في هذه القصة القرآنية، فالتابوت ينقله إلى بر الأمان وموضع النجاة (الساحل) بعد أن سلك به المكان الخطر والمخيف.

لقد استعنا في هذه الدراسة بالمنهج البنيوي التكويني الذي يركز على طريقة التعبير وماهية العلاقة بين المعبر به والدلالات التي يرمز إليها. فالدراسة البنيوية التكوينية للمكان في القصة القرآنية وما تُوحي به من دلالات وإيحاءات توقفنا على العلاقات بين عناصر القصة الواحدة واكتشاف أبعادها

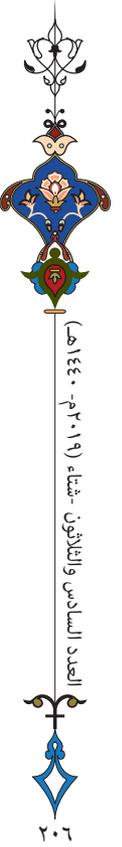


الدراسات وتعددتها ستنتج كثرة الآراء في ما يخص تعريف المكان وأنواعه وأدوارها في العمل الأدبي، فنشاهد كثرة التعاريف والتقسيمات للمكان وكذلك كثرة المصطلحات التي ترادفه في المعنى مثل الحيز، الفضاء، البئية وما إلى ذلك. ومن الدراسات التي كتبت حول المكان في القرآن الكريم يمكننا أن نشير الى دراسة «أمته عشاب» المعنونة بـ «الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجا». وهدفت الباحثة من دراستها هذه إظهار الجانب الجمالي والفني والأدبي للمكان باعتباره مكونا سرديا له دلالاته الخاصة والمتعلقة به، وقد انتفعنا بهذه الدراسة في الجانب النظري لدراستنا الحالية. وأيضا هناك دراسة أخرى حول المكان في القرآن الكريم تحمل عنوان «أعلام المكان في القرآن الكريم دراسة دلالية» تقدم بها الباحث "يوسف أحمد علي أبوريدة" وهذه الدراسة لم تكن تهدف الى كشف جماليات هذا العنصر في النص القرآني بل إنها كانت دراسة إحصائية لعدد أعلام القرآن الكريم ودلالاتها

المختلفة ومعرفة عنصر المكان كبنية داخل النص القصصي للكشف عما تقوم به هذه البنية ومعرفة العلاقات الموجودة بين الشكل والمضمون. فعندما نخرج على المنهج النبوي للقصّة فنحن نريد معرفة دور بنية النص القصصي (المكان) من حيث إتصالها بباقي البنيات مثل السرد والشخصيات والزمان والأحداث، وقد اخترنا المنهج النبوي التكويني تحديدا لاعتقادنا بان النص القرآني لا يمكن ان يدرس على أسس المنهج النبوي الصّرف؛ ذلك لأن البنيوية التكوينية تأخذ بعين الاعتبار العوامل التاريخية والاجتماعية وغيرها، خلافا للبنيوية الشكلانية التي تجعل النص كيانا خاصا وتعزله عن جميع العوامل الأخرى التي قد تضافرت في خلق وتكوينه.

### خلفية البحث:

كما أشرنا اليه سابقا، إن دراسة المكان في القرآن الكريم قليلة بالمقارنة مع باقي الأنواع الأدبية، حيث إن دراسة المكان في الأعمال الأدبية الأخرى قد تعددت وتنوعت للغاية وبطبيعة الحال إن كثرة



المكان وتبرزه كبنية فاعلة في بناء القصة وتركيبها؟.

- ما هي علاقة عنصر المكان مع باقي البنات المكونة للقصة القرآنية؟.
- ما هو دور المكان في فهم أحداث قصة موسى عليه السلام؟.

### المفاهيم والمصطلحات:

#### البنوية:

لقد أصبحت البنوية من المصطلحات الشائعة في النقد الأدبي في عالمنا المعاصر وهي منهج من مناهج النقد الأدبي تعنى «البحث عن العلاقات بين البنى المكونة للنص وصولاً إلى بنية كلية تربط أجزاء العمل الأدبي في وحدة تكاملية»<sup>(٢)</sup> وقد أصبحت البنية الواحدة للعمل الفني تحظى بأهمية كبيرة عند البنيويين إذ إنهم يرون أن «الأعمال الأدبية برمتها أبنية كلية لأن دلالاتها في الدرجة الأولى ترتبط بهذا الطابع الكلي لها»<sup>(٣)</sup> وقد

(٢) إبراهيم عبد العزيز السمري، إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين دار الآفاق العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٨٧.

(٣) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مكتبة

الجغرافية والتاريخية، وقد استفدنا منها في ما يخص بعض الأماكن التاريخية في قصة نبي الله موسى عليه السلام وموقعها الجغرافي على الخريطة. كما إن هناك دراسة لـ"غيداء أحمد سعدون شلاش" تحت عنوان "المكان والمصطلحات المقاربة له -دراسة مفهوماتية" وكما يتضح من العنوان إنها دراسة تبحث عن تعريف المكان أولاً ثم البحث عما يقاربه من مصطلحات مثل الامتداد والبيئة والحيز والفضاء وغيرها. وإذا انتقلنا إلى الأنواع الأدبية الأخرى مثل الرواية والقصة غير القرآنية نلاحظ كثرة الدراسات التي كتبت حول المكان ودوره في هذين الحقلين ومن هذه الدراسات نذكر "المكان في رواية الشاعية للروائي عبدالستار ناصر" لـ"خالدة حسن خضر"، و"المكان في الرواية العربية أعمال الطيب صالح نموذجاً، لـ"مريم أكبري موسى آبادي"، وأيضا "تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي" لـ"سليم بتقة".

### أسئلة البحث:

- كيف تنسج لنا النصوص القرآنية

من التغييرات وذلك بسبب ما تتسم به في بعض الأحيان من اختزالية وتجريد وتركيزها على نظام البنية فقط وإهمالها للمضمون والمعنى ورفض الاعتراف بحضور العالم الثقافي خارج العمل الأدبي؛ لهذا فقد شهدت هذه المدرسة انتقادات عديدة أدت الى حدوث بعض الانشقاقات والتفرعات بداخلها، فولدت من رحمها البنيوية التكوينية لتعلن رفضها لمبالغات البنيوية الشكلانية وإصرارها على إبعاد النص عن كل ما سواه بمن فيه مؤلفه والعوامل التي قد تؤثر بشكل أو بآخر في تشكيله. وتسعى البنيوية التكوينية لتحقيق التوفيق بين النظريات البنيوية وأسس الفكر الواقعي الذي يأخذ بالاعتبار العوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية للنص. «البنيوية التكوينية لا تنظر إلى النص على أنه مغلق بل تحاول أن تقيم حوارا بين داخل النص وخارجه»<sup>(٥)</sup> ويعتبر الناقد الفرنسي لوسيان غولدمان

(٥) الموسى أنور عبدالحميد، علم الاجتماع الأدبي، (منهج «سوسولوجي» في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠١١م، ص٣٦.

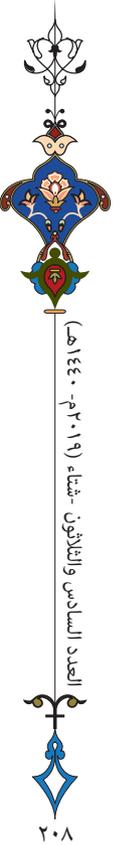
ازدهرت الدراسات البنيوية في مجال النقد الأدبي «في الخمسينيات الميلادية إلى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات الميلادية»<sup>(٤)</sup>. بسبب هذه الأهمية التي اتصفت به البنيوية أصبحت مجالاً للدراسات النقدية في العصر الحديث وقد اعتبرها الكثيرون بأنها باتت نقطة عطف في مراحل النقد الأدبي، ومع هذا فإنها لم تسلم من النقد والتجريح واتهمت بأنها بتركيزها على النص فحسب وإهمالها لباقي العناصر الأخرى مثل التاريخ والظروف المحيطة بالنص والسياق، بل تذهب الى أكثر من ذلك إذ إنها تفصل النص عن صاحبه وتدعو الى نظرية موت المؤلف وإبعاده بشكل كامل عن عملية تحليل نصه الأدبي.

#### البنيوية التكوينية:

إن البنيوية بوصفها منهجا نقديا في الدراسات الأدبية قد طرأت عليها كثير

الروضة الحيدرية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩٦.

(٤) ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص٧٢.



المؤسس لهذا المنهج النقدي الوظيفي<sup>(٦)</sup>.

### مفهوم المكان في العمل الأدبي:

إن المكان الذي يعرف بأنه «وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وهو متصل ومتجانس لا تميّز بين أجزائه، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع»<sup>(٧)</sup> وقد أصبح المكان في الأعمال الأدبية ذات مفهوم آخر يختلف عن هذا التعريف ولا يراد به المساحة الجغرافية المحددة ذات الأبعاد المعينة بل إن المكان الأدبي «هو مكان تنسجه الكلمات وتستثيره اللغة بخصائصها الإيحائية»<sup>(٨)</sup>. والبنويون بدورهم قد ميّزوا بين المكان، وأطلقوا على المكان الحقيقي اسم المكان الخارجي في حين سمّوا المكان الأدبي المكان المتخيل

(٦) إبراهيم عبد العزيز السمري، إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص ٢١٥.

(٧) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد ١١، العدد ٢، ٢٠١١م، ص ٢٤٥..

(٨) أمانة عشاب، عبدالقادر عميش، الحيك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، ص ١٠.

أو المكان الروائي<sup>(٩)</sup>. والمكان الأدبي له وظائف عديدة يوظفه الكاتب من أجل تحقيقها ومن وظائفه الأساسية تمثيل أحوال المقيمين فيه وبناء الترابط النصي بين عناصر السرد، وإذن نفهم من المكان في السرد على أنه «العالم الشامل والواسع الذي يضم عناصر العمل السردى والعلاقات الرابطة بينهما»<sup>(١٠)</sup>. هذا وإن غالبية الدراسات عندما تناولت قضية المكان في العمل الأدبي فهي لم تقصد منه سوى «المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعه اللغة انصياعاً لأغراض التخيل الروائي وحاجاته»<sup>(١١)</sup> فليس المقصود من المكان في العمل الروائي

(٩) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، تهران، ١٣٨٧ش، ص ١٢٩.

(١٠) خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشهاعية للروائي عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، د. ت، ص ١١٧.

(١١) يونس الفيصل، عناصر التخيل في الرواية المعاصرة، مجلة الآداب، جامعة علامه طباطبائي، العدد ١٠، طهران، ٢٠١٣، ص ٢٥١.



يزيد جماليات القصة وفنيتها وفي الواقع إنها عندما تتخلى عن هذا العنصر الفاعل (الخيال) تفقد الكثير من أسباب جمالها، أما القصة القرآنية ورغم تمسكها بواقعية القصص وحقيقة الأخبار إلا أنها مازالت تحتفظ بجمالها الفني وتمتعها الأدبية.

وقد بينّ النقاد المعاصرون أن وجود عنصر المكان في العمل الأدبي هو ضرورة ملحة و«إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي إصالته»<sup>(١٤)</sup>. ومن المعلوم أن المكان في القرآن الكريم هو مكان واقعي له وجود حقيقي على الأرض وبهذا يتميز المكان القرآني من المكان الروائي الأدبي ومع هذا الاختلاف في الجوهر إلا إن لكلا النوعين دور وتأثير بارز في بناء القصة السردية وأحوالها.

### المكان في القصة القرآنية:

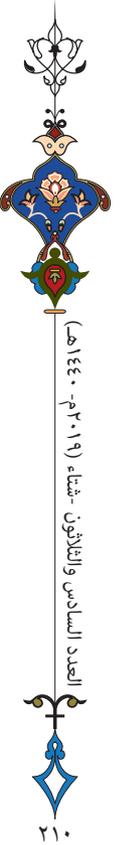
يستغل القرآن الكريم - بوصفه نصا دينيا له غاية رئيسية وهي إرشاد الناس

(١٤) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية، ٢٤٨.

المكان الواقعي الخارجي بل إن المكان الروائي هو مكان متخيّل. وليس المكان وحده هو العنصر المتخيل في الأعمال الأدبية بل إن القصة الأدبية بأكملها لم تلتزم بالواقع الفعلي ولم تقف عند الحقيقة التاريخية «بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له وبعضها يقوم على تشويه الحقائق، وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ»<sup>(١٢)</sup>. والهدف من كل هذا هو الإثارة والتشويق للمتلقى لتدفع عنه السامة والملل. هذا في حين إن «القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية»<sup>(١٣)</sup>. إن الخيال والابتعاد عن الواقعية أو الحقيقة في القصص الأدبية

(١٢) فضل حسن عباس، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٢.

(١٣) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٩٩٣م، ص ١٤٣.



وهدايتهم - جميع الأدوات التعبيرية للتحقيق هذه الغاية فحسب ولا يبحث عن غايات أخرى. فالمكان في القصص القرآنية والذي يعتبر أداة من أدوات التعبير ليس له قيمة بحد ذاته ذلك لأنه يخضع لمقررات دينية وغايات ارشادية وإن قيمته تتمثل في المشاركة لتحقيق الغايات الأساسية للسور والآيات، إذن فالمكان القرآني الذي هو موضوع بحثنا والقصة القرآنية بشكل عام وبكل ما لها من عناصر ومكونات هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم وقد خضعت لأغراض دينية تربوية «ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في غرضها»<sup>(١٥)</sup>، فالجمال الفني والأدبي متوفر في القصص القرآنية وعناصرها رغم إنها لم تكن مقصودة بحد ذاتها ولا تعتبر غاية أساسية.

لقد تعددت الأماكن في السور القرآنية وهذا التعدد يرتبط بتعدد

(١٥) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص

الأحداث والأزمنة والشخصيات وهو يكشف لنا دلالات عميقة وينقل بنا من جو إلى جو ويعبر عن أبعاد نفسية وإجتماعية ذلك لأن «توظيف المكان في الإبداع القصصي من الوسائل الفنية ذات الأعماق البعيدة»<sup>(١٦)</sup> وفي تتبعنا لعنصر المكان في القصص القرآنية بشكل عام وقصة نبي الله موسى عليه السلام بشكل خاص كشفنا أن وجود هذا العنصر ينقسم إلى نوعين أساسيين هما: المكان الصريح والمكان الضمني، والأمكنة الصريحة هي الأعلام الواردة في القرآن الكريم مثل، مصر، مدين، سبأ، الحجر أو نظير بعض الأماكن التي أقل وسعة كالقرية، المدينة، المسجد، البيت، أما الأماكن الضمنية فهي تلك الأسماء التي تُستنبط من الكلام ومن الأحداث والوقائع، على سبيل المثال عندما نقرأ قوله تعالى على لسان

ابراهيم عليه السلام ﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ وَ مَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ [سورة مريم:

(١٦) آمنة عشاب، عبدالقادر عميش، الحبك

المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة

يوسف أنموذجا، ص أ.

[٤٨]. فنحن لا نشاهد هنا ذكرا صريحا لاسم مكان معين لكن سياق هذه الآية قد تضمن مكانا له وجوده الخارجي، وهذا دون أن يكون هناك تصريح بهذا المكان وتحديد موقعيته الجغرافية، وما يرشدنا لهذا المكان الضمني هو فعل الاعتزال، فنبى الله ابراهيم عليه السلام قَرَّر ترك أمكنة قومه المشركين واختار مكانا آخر بعيدا عنهم وعن أفعالهم تتوفر فيه إمكانية العبادة وتوحيد الله سبحانه وتعالى. فالأحداث والزمان وشخصيات القصة وسياقها كلها قد توحى بوجود الأمكنة وتسوق لنا دلالاتها وأدوارها الوظيفية التي استخدمت من أجلها. وهنا تقوم النبوية بأداء دورها في الكشف عن علاقات العناصر التكوينية للعمل وتعريف بنيات السرد من خلال عناصر أخرى مساهمة في خلق العمل الأدبي، ففي المثال السابق الذي يتحدث عن قصة إبراهيم عليه السلام نشاهد وجود بنية معينة (مكان) أرشدنا إليها سياق السرد القرآني وفي هذا المثال قامت بنية الحدث (الاعتزال) بإرشادنا إلى وجود ذلك المكان المتصف بتلك

الصفات التي ذكرناها.

### قصة موسى عليه السلام:

لا حاجة بنا الى ذكر تفاصيل قصة موسى عليه السلام وانما يكفي أن نعلم بأنها «أكثر قصص المرسلين ورودا في القرآن»<sup>(١٧)</sup> وأكثرها بسطا وتفصيلا بالنسبة للأحداث الواقعة فيها، وإن كثرة تنقل نبي الله موسى من مكان إلى مكان وتعدد الأمكنة المذكورة في وقائع وأحداث قصته تؤكد لنا أهمية عنصر المكان في القيام بفهم مجريات القصة وعلاقته مع باقي العناصر المذكورة فيها. والأمكنة التي ذُكرت في قصة موسى عليه السلام كانت في بعض الأحيان أمكنة اضطرارية، بعبارة أخرى إن موسى عليه السلام استقر في بعض الأماكن بشكل اختياري في حين كان وجوده في أماكن أخرى اضطراريا، فانتقاله من مصر بلد الخير والرفاه بالنسبة له إلى مدين البلد المجهول كان اجباريا أما انتقاله من مدين الى مصر كان بشكل اختياري بعد أن

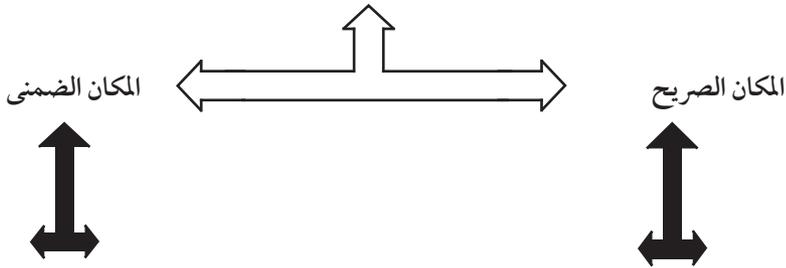
(١٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١، ج٣، ص٢٥٥.

أدى دينه ووفى بوعده وأصبح حرا في تنقلاته وحركته. وهذا ما يطلق عليه في الدراسات الحديثة عنوان «الأمكنة المعادية» و«الأمكنة الأليفة»<sup>(١٨)</sup> فمصر كانت في السابق مكانا أليفا بالنسبة لسيدنا موسى عليه السلام، أما في ما بعد أصبحت مكانا معاديا يخشى العودة إليه ويخاف بطش أهله به.

### ١. المكان في قصة موسى عليه السلام:

لقد انطلقنا في دراستنا للمكان في قصة موسى عليه السلام من التقسيم المكاني الذي ذكرناه آنفا معتمدين على المنهج البنوي التكويني الذي يفترض وجود العلاقات بين مكونات السرد القرآني وتفاعلها في خلق النص الأدبي.

#### الأمكنة في القرآن الكريم



المكان الضمني      المشاهد الضمني      المشاهد الصريح      الصريح الغيبي

والمكان في هذه القصة كما سنرى إما مكانا صريحا وإما مكانا ضمنيا وكل منها ينقسم الى قسمين أيضا، فالصريح إما أن يكون مكانا ملموسا ومشاهدا وإما أن يكون غيبيا يؤمن به دون رؤيته وإدراكه. وكذلك الأماكن الضمنية قد يكون منها ما هو مشاهد وملموس وما هو غيبي؛ ذلك لأن بعض الأمكنة الصريحة والضمنية قد نشاهدها ويمكن لنا معرفة موقعيتها الجغرافية في حين ان بعض الأماكن الواردة في قصة موسى عليه السلام هي أماكن غيبية أي إن الإنسان لا يمكنه رؤيتها بالعين المجردة كما الحال في الأماكن المشاهدة. والأماكن

(١٨) خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشاعية للروائي عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد

بإعداد جدول إحصائي لعدد الأمكنة الواردة في هذه القصة مع ذكر دلالاتها الوظيفية وعلاقتها مع باقي مكونات القصة.

### ١- ١- المكان الصريح:

لقد تعددت الأسماء الصريحة في قصة نبي الله موسى عليه السلام وذلك تماشياً مع السياق وما يتطلبه الغرض الأساسي للسورة القرآنية. والاسم الصريح كما اشرنا سابقاً يشمل كل مكان ذُكر بشكل صريح واضح مثل قوله تعالى **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** [سورة الزخرف: ٥٣] أو قوله تعالى **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** [سورة القصص: ٢٢] وأيضا قوله تعالى **﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** [سورة المائدة: ٢١] ففي هذه الآيات نجد كُلاً من "مصر" و"مدین" و"الأرض المقدسة" أسماء أماكن صريحة لها حدودها الجغرافية الخاصة والتي قد تعرف إلى يومنا هذا.

الغيبية هي تلك الأماكن التي ذُكرت ضمن الحديث عن أحوال يوم القيامة وبعد انقطاع الأجل في الدنيا، فالجنة والنار مثلاً مكانان صريحان لكنهما غيبان وكذلك في قوله تعالى: **﴿وَعَرِّضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا﴾** نشاهد أن مكان العرض الضمني المفهوم من خلال بنية الفعل (العرض) غيبى أي انه موجود في يوم الحساب ولكن كفاءته الدقيقة غائبة عن القارئ والمخاطب، ولكن القرآن الكريم «يصور» هذه العوالم، وحياة الإنسان فيها تصويراً يقرّبها من ذهن الإنسان، حتى لا يرهقه في التخمين والخيال»<sup>(١٩)</sup>. وفي ما يلي سنتطرق لهذه الأنواع من الأمكنة الموجودة في قصة موسى عليه السلام.

لا شك في إن عدد الأمكنة في قصة موسى عليه السلام أمكنة كثيرة لا يمكن حصرها في بحث محدود كهذا، ولذا فإننا نكتفي هنا بذكر نموذجين من كل نوع من أنواع الأمكنة وماهية أدوارها في بناء قصة موسى عليه السلام. كما إننا سنقوم في نهاية الدراسة

(١٩) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص ١٩٢.

وعندما يتم التصريح بأسماء الأمكنة في القرآن الكريم فانه -جل وعلا- قد جعل لها خاصية معينة ووظيفة محددة، فعلىنا البحث عن أدوارها في الكشف عما تتضمنه هذه الأمكنة المصرح بها من معانٍ ودلالات أو أدوار لربط العناصر السردية المكونة للقصة القرآنية وما تحظى به الشخصيات الواردة في القصة من صفات ومزايا خلقية وسلوكية كما يتطلب منا المنهج النبوي. فللأمكنة الصريحة مزايا تفوق باقي الأنواع فيتطلب منا الدقة وامعان النظر في ماهية تلك المزايا التي تحتوي عليها الأمكنة الصريحة.

١- ١- ١- المكان الصريح المشاهدُ (الملموس):

من الأسماء الصريحة المشاهدة في هذه القصة نذكر مصر، مدين، القرية، المدينة، طور سينا، بيت موسى، قصر فرعون، السفينة ...

### السفينة:

يقول الله تعالى في سياق الحديث عن رحلة موسى مع العبد الصالح الخضر عليه السلام:

﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾

قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُجُوعِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ [سورة الكهف: ٧١]. مثلما نشاهد

في هذه الآية المباركة إن بعض أحداث قصة موسى مع الخضر عليه السلام تقع في سفينة بحرية وهي هنا تمثل مكان أحداث هذه القصة ومجرياتها. وبعد قبول موسى لشرط الخضر عليه السلام رافقه في رحلته التعليمية، ومفاد هذا الشرط هو وجوب تحلى موسى عليه السلام بالصبر وعدم طرح الأسئلة عن كل ما يشاهده في المسير كما حكى لنا آيات هذه القصة القرآنية. يبرز المكان هنا كعامل رزق لأناس مساكين يعملون في البحر ووسيلة نقل لموسى وصاحبه الخضر عليه السلام

ومن صفات هذا المكان أنه مكان متحرك باستمرار ويقع هو الآخر داخل مكان (البحر) متحرك أيضا. والمقيمون في ذلك

المكان هم أناس مجتهدون وأهل عمل ونشاط وحركة، فتشابهت الشخصيات المقيمة في المكان والمكان نفسه في صفة

الحركة والنشاط وأثر كل منهم على الآخر بشكل أو بآخر. وعندما يقوم سيدنا

الخضر عليه السلام بخرق السفينة كان من المفترض لموسى عليه السلام أن يلتزم الصمت كما تقتضى

هذا المكان أصبح جزءا فيه، له وظائفه تجاه الموقع المكاني لاسيما بعد أن أحسن إليه فيه، وإرتى أنه قد التصق في بناء هذا المكان وكيونته فلن يفكر بأنه مسافر سوف يتقل من هذا المكان ويتوجه إلى مكان آخر. كما تجدر الإشارة هنا إلى انه ونظرا إلى أن هذه الدراسة تقوم على المنهج البنيوي التكويني يمكن القول أن بنية المكان (السفينة) بحد ذاتها قد أقامت علاقة مع فعل موسى وشعوره، حيث أن المعنى اللغوي الدقيق للسفينة هو الالتصاق بالشئ (هنا مياه البحر) وقد جاء في لسان العرب أن السفينة سُميت سفينة «لأنها تسفنُ على وجه الأرض، أي تلتزق بها»<sup>(٢١)</sup>. فالمكان هنا لعب دوره البنيوي أيضا في تأثيره على سلوك شخصيات القصة القرآنية وطبائعها، كما أن اللزوق هو أبلغ من اللصوق وذلك لأن اللزوق هو الاتصال بين الشئين دون أن يكون

بنود الاتفاق - ان جاز التعبير - لكن سيدنا موسى المعروف بالحركية والنشاط الدائم لاسيما وأن يكون في مكان كل ما فيه يتصف بالحركة، يتنفض في وجه ما يحسبه نكرانا للجميل بعد أن أركبها أهل السفينة دون مقابل كما تروى الرويات. فالمكان هنا في الواقع قد أصبح الإطار الحركي لأفعال الشخصيات فضلا عن وظيفته في تفسير صفات الشخصيات وطبائعها عندما يعكس مواقفها وسلوكها، ويوضح معالمها الداخلية والخارجية<sup>(٢٠)</sup>. فالمكان قد ترك تأثيره على كل شخصيات القصة بعد أن بنى معها علاقة تبادلية من خلال التأثير والتأثر.

وفي جانب آخر من هذه القصة يمكن القول بان سيدنا موسى قد ظهر لنا في هذا المكان المتحرك ثابت المبادئ الخلقية والسلوكية، إذ إنه لم ينسى في مكان مؤقت المعايير الخلقية اللازمة، فبمجرد نزوله في

(٢٠) مريم أكبري موسى أبديي، محمد خاقاني إصفهاني، دلالة المكان في رواية موسى المهجرة إلى الشمال، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثانية - العدد السابع - خريف ١٣٩١ش، ص ٩٠..

(٢١) محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، د. ط، عدد المجلدات: ١٥، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، مادة سفن.

بينهما فجوة أو خلل<sup>(٢٢)</sup>.

١- ٢- المكان الصريح الغيبي:

لقد شملت الأماكن المتخيلة أو الغيبية في القرآن الكريم جميع الأمكنة التي تحدث فيها وقائع يوم القيامة، مثل الجنة والنار والبرزخ والأنهار والخيام وما شابه وفي هذه القصة نلاحظ أن هذه الأمكنة مثلت لنا أحوال المقيمين بها من خلال رسم صفاتهم وخصائص حياتهم في ذلك اليوم. من أمثلة الأماكن المتخيلة التي قد وردت في هذه القصة نذكر؛ الجنة، أنهار الجنة، دار القرار، جهنم، الورد المورود و...

**جهنم:**

يقول الله تعالى بعد بيان قصة إيمان سحرة فرعون وانتقالهم من زمرة أهل الباطل إلى جموع أهل الحق ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٤]. يحدثنا القرآن في هذه القصة عن أحوال السحرة قبل وبعد الإيمان بالله تعالى فهم كانوا

(٢٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، ط٤ف٢٠٠٤م، مادة لصق.

يعيشون في ظل فرعون ولا يرجون الخير من أحد سواه وفي أفعالهم يعتمدن على سلطته ويفتخرون بعزته وجبروته في الأرض، والآيات الأخرى من قصة هؤلاء السحرة تظهر جانبا دقيقا من أحوال هؤلاء السحرة وحاشية فرعون وزبانيته حيث يتصور بأنهم المستشارين الذين يُرجع إليهم الملك في ملهمات الأمور لكن في حقيقة أمرهم هم كانوا عبيدا لا يملكون من الأمر شيئا، وحتى السحرة كانوا مكرهين على القيام به، وحياتهم كانت مرهونة بيد طاغية جبار وإن الإذعان والقبول وهكذا حياة تعتبر خطيئة لا يقبل بها الله ويعاقب عليها أشد العقاب. وإن الله يعد من كانوا على هذه الحال مكانا (جهنم) فيه ذل وهوان، مكانا، المقيم فيه لا هو ميتٌ فيتخلص من العذاب ولا هو حيٌّ فينجو من النار. نلاحظ أن المكان المتخيل -وهو جهنم- قد جاء موافقا لحال المجرمين الذين يطيعون الظالم ويكيدون للحق وأهله، وكما كان المكان المتخيل الغيبي مجهول الحقيقة ولا يعرف الإنسان حقيقة صفاته

هي تلك الأماكن غير المصرح بها والمستنبطة من السياق العام للقصة وعناصرها التكوينية، وقد كثر هذا النوع من الأمكنة في قصة موسى عليه السلام بحيث قد يفوق عدد الأماكن الضمنية باقي أنواع الأمكنة التي ذكرناها في هذه الدراسة؛ وذلك لأن جميع الأحداث في القصة القرآنية بشكل عام لا بد لها من مكان تحدث فيه، وقد عرفنا أن الله تعالى ذكر المكان والقصة القرآنية أصلاً كوسيلة للتعبير عن أغراض دينية، فبالتالي قد يستغني عن بعض عناصر هذه القصة مثل الزمان أو المكان، أو تكون في مراحل ثانوية من حيث الأهمية، لهذا نشاهد هنا بعض الأماكن التي تم التلويح بها دون ذكرها صراحة وقد عُرف هذا النوع من الأمكنة من خلال سياق القصة القرآنية، ونحن في دراستنا الحالية قد أطلقنا على هذا النوع من الأمكنة اسم «الأمكنة الضمنية». وهي أيضاً تنقسم إلى نوعين؛ ضمني مشاهد وضمني غيبي أو متخيل.

١ - ٢ - ١ - المكان الضمني المشاهد

(الملموس):

الحقيقية (عدم الموت وعدم الحياة) فحياة السحرة في الدنيا عند فرعون أيضاً مجهولة من حيث الحقيقة، فالإنسان غير العالم يحسب أن حياتهم رفاه وعز وتمكين لكنهم كانوا عبيداً مساكين حيث يفعلون كل ما يؤمرون ويكيدون ويسحرون بأمر من فرعون وزبانيته حتى لو كانوا غير راغبين كما صرح الله لنا حيث قال على لسان هؤلاء السحرة بعد أن آمنوا **﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ ﴾**. فحياة هؤلاء السحرة كانت خاضعة لأوامر فرعون وإن إطاعتها يعتبر جرماً جزاؤه جهنم ذلك المكان الفاقد للحياة والموت، فهم في الآخرة غير أموات ولا أحياء كما كانوا عند فرعون قبل إيمانهم.

نلاحظ أن العلاقة بين بنية المكان وباقي عناصر السرد قائمة وفيها تأثير متقابل ثنائي. فالمكان الغيبي المجهول جاء موافقاً للحال التي يعيشها المجرمون في الأرض.

١ - ٢ - المكان الضمني:

كما ذكرنا سابقاً إن الأماكن الضمنية

المكان المجهول الواقع بالقرب من  
«الواد المقدس»:

قال الله تعالى على لسان موسى ﷺ  
﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي  
آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ  
لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سورة القصص:

٢٩]. إن موسى ﷺ يخاطب أهله بالمكوث في مكان ما، ثم يحدد الموقعية الجغرافية لهذا المكان وذلك ليوافق جو القصة وأحداثها إذ إن موسى ﷺ قد ضل الطريق هو وأهله ولم يدر أي السبل عليه أن يسلك، لهذا لم يُصرَّح باسم المكان الذي أمر أهله بالمكوث فيه فنحن لا ندرى أنهم مكثوا في سفح جبل أم في معلم من معالم الطريق الذي كانوا يسلكونه أو بالقرب من شجرة مثلاً أو ما شابه، وهذا الإهمال لاسم المكان هنا جاء ملائماً للسياق العام للقصة. ولكن القصة قد رسمت لنا تصويراً من ذلك المكان المجهول من خلال ذكر الزمان الذي حدث فيه الفعل وكذلك من خلال صفاته وأحوال المقيمين. فنعرف أن موسى عندما قال لأهله «امكثوا» فهو قد عيّن لهم مكاناً

معينا لا شك إنه يعرفه ليعود إليه بعد أن يتركهم بحثاً عن مرشد ودليل. وهو على كل حال قريب من «الطور» أو «الواد المقدس» أو «البقعة المباركة» ومن صفات ذلك المكان الذي أمر فيه موسى ﷺ أهله بالبقاء فيه إنه يفتقر الى ثلاث أشياء أساسية، الأولى إنه لا يوجد فيه من يهديهم الى الطريق الصحيح (لعلّي آتيكم منها بخبر)، ولا يوجد فيه ضوء يكشف لهم معالم الطريق ويرشدهم الى سواء السبيل (شهاب قبس)، وأخيراً ليس فيه ما يقيهم من برودة الجو (لعلكم تصطلون).

فلاحظ كيف أن المكان في هذه الآية قد تفاعلت معه باقي عناصر القصة وأثرت كل منها في الآخر فرسمت القصة لنا صورة فنية ومشهداً رائعاً من خلال حذف عنصر المكان والإتيان به ضمن سياق القصة من دون التصريح بإسمه وذكره ذكراً مباشراً.

المكان المجهول الذي قصده بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر:

قال الله تعالى عن قوم موسى بعد

وأصنام، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما كما لهؤلاء القوم وذلك بعد أن روا الآيات الساطعة والأدلة القاطعة على وحدانية الله وان ليس له شريك يعبد لكنهم قوم يجهلون. فالمكان ليس مقصودا بعينه فترك وألح اليه تلميحا.

وأتوا على قوم معناه أتوا قوما ولكن الفرق بينهما أن فعل أتوا عندما يتجرد من حرف الجر «على» يعني الإتيان بقصد الإقامة والبقاء في ذلك المكان الذي أتوا اليه، لكن عندما يأتي مع حرف الجر «على» يعني الإتيان من غير قصد الإقامة والمكوث الدائم ف «لما ضمن أتوا» معنى مروا عدي بعلى، لأنهم لم يقصدوا الإقامة، ولكنهم ألقوهم في طريقهم» (٢٤). والبحر المقصود به البحر الأحمر وخرجوا من جانبه الشرقي.

#### ١- ٢- ٢- المكان الضمني الغيبي:

عرفنا أن القرآن الكريم قد يذكر لنا بعض الأمكنة الصريحة إما مشاهدة في عالم الدنيا وإما غير مشاهدة في عالم الآخرة.

(٢٤) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١، ص ٨٠.

أن نجاهم من فرعون وأغرق عدوهم في البحر ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:

١٣٨] لقد نجى الله بني إسرائيل من ظلم فرعون وجنوده، ويقال إنهم قصدوا بلاد الشام وأتوا قبلها على قوم يسمون بـ «الكنعانيين». سكان سواحل بلاد الشام (٢٣). لكن القصة القرآنية لم تذكر لنا المكان الذي أتى عليه بنو إسرائيل بالحرف وإنما عرف هذا من الأحاديث وكتب التاريخ، فلماذا حذف هذا المكان من هذه القصة وجاء ضمن السياق الذي يدل عليه فعل «أتوا»؟. إن الإتيان بالمكان هنا بشكل ضمني مشاهد يتلاءم تماما مع الغاية والقصد من القصة إذ إن اسم المكان ليس مقصودا بحد ذاته بل إنه لتأكيد على أن بنى إسرائيل عندما تجاوزوا البحر وصلوا الى مكان ما ووجدوا فيه قوما أهل شرك

(٢٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، عدد المجلدات، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨، ج ١، ص ٥٠٠.

ومن الأمكنة ما هو مصرح به وباسمه وما هو محذوف صراحة ومذكور ضمناً، وقد أتينا بنماذج على باقي أنواع الأمكنة وبقي أن نذكر المكان الضمني الغيبي، أي المكان الذي لم يصرح بإسمه وهو يقع في عالم الغيب.

#### الجنة:

يقول الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ هنا نلاحظ أن موسى عليه السلام طلب أن يدخل في رحمة ربه والرحمة ليست شيئاً يمكن الدخول فيه، فنعرف أن موسى طلب حقيقة الجنة التي هي موضع ومكان تحل فيه الرحمة المطلوبة. وقد سمي هذا النوع من الحذف في كتب البلاغة بـ «المجاز» ذي العلاقة الحالية. لقد غاب المكان هنا وجيء بما يحتوي عليه ذلك المكان ألا وهو الرحمة التي يشعر بالحاجة إليها كل مؤمن لاسيما ذلك المؤمن الذي يدرك حجم ضعفه أمام الحق سبحانه وتعالى. ان المكان في هذه الآية أصبح نقطة ختام وعاقبة مصير، وهذا المنتهى الأخير والمطلب الكبير له مقدمات ممهدة وهي فعل الغفران الذي

يأتي من جانب الله ثم حدثية الإدخال التي تتم أيضاً من قبل الله تعالى، والخالق سبحانه في هذه الآية هو المنطلق والمنتهى كذلك إذ إنه صاحب تلك الرحمة التي تحل في ذلك المكان وهو هنا الجنة.

#### جهنم:

إن قوله تعالى ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ [سورة هود: ٩٨] لقد ضمن مكاناً غيبياً لم يشاهده أهل الدنيا، وقد تضمن فعل «أوردتهم» هذا المكان وهو لا شك جهنم وقد حذف هذا المكان ووضع مكانه بعضاً من محتوياته وهي النار. وقد اتفقنا على أن التصريح والتضمن باسم الأمكنة كله مقصود ويتبع غاية معينة في القصص القرآنية. والحكمة من حذف اسم المكان هنا والإتيان به بشكل ضمني هو أن الله تعالى أراد تهويل مشهد من مشاهد أهل جهنم وكيفية دخولهم في مستقرهم الأخير. فكأن ذلك المكان الرهيب قد اختفى تماماً وبات يعرف بصفة من صفاته الدائمة ألا وهي النار الحارقة. فلا شك لو ذكر اسم المكان (جهنم) هنا لما كانت تلك الصورة البليغة

## الدور الوظيفي للمكان في القصص القرآنية.....**الصَّبَاغ**

التي تصور لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة. ولما كان فرعون يقود قومه في الدنيا إلى أي مكان شاء وفي أي وقت أراد فهو أصبح في اليوم الآخر يسوقهم كذلك نحو جهنم ليوردتهم ذلك الورد، ولكن قيادته لقومه في اليوم الآخر ليست اختيارية كما كانت عليه الحال في الدنيا، بل هو مضطر ومجبر ولو خيّر لرفض؛ ذلك أن هذه القيادة هي قيادة معلومة المصير ونتيجتها الدخول الى مكان تحيط به النار من كل جانب ويعمه العذاب في كل وقت.

وفي قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أيضا نفس الغاية من حذف المكان والإتيان به ضمن السياق العام للسرد القصصي للقرآن الكريم، إذ أن الحذف هنا يهدف لإسدال أكبر حجم ممكن من الرهبة والعظمة لوصف ذلك المشهد وتلك الدعوة من قائد نحس على نفسه وعلى قومه.

وفي مايلي سنرسم جدولين لإحصاء الأمكنة الصريحة والضمنية التي ذكرت في هذه القصة مبينين من خلالها المزايا العامة التي اتصفت بها كلٌّ من هذه الأنواع وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الأمكنة.

### المكان الصريح في قصة موسى عليه السلام

١٥	المكان المشاهد
٨	المكان الغيبي
٢٤	المجموع

### المكان الضمني في قصة موسى عليه السلام

٩	المكان المشاهد
٦	المكان الغيبي
١٥	المجموع



نلاحظ أن المكان الصريح بكلا نوعيه المشاهد والغيبى جاء ذكره في قصة موسى عليه السلام أكثر من المكان الضمني وقد يصل العدد إلى ضعفين تقريبا. فقد ذكر المكان الصريح المشاهد وحده في هذه القصة خمسة عشر مرة مما يعادل المكان الضمني برمته. ويظهر هذان الجدولان أن المكان الغيبى هو أقل الأمكنة ذكرا في القصة فقد حصد المكان الصريح الغيبى ثماني مرات والمكان الضمني الغيبى ست مرات، وهذا الأمر يعود لطبيعة القصص القرآنية إذ إنها كثيرا ما تعتمد على الأشياء المحسوسة والتي قد لا يواجه القارئ أي صعوبة في إدراكها واستيعابها إذ إنها تكون مألوفة وأنه يشاهد أمثالها في حياته اليومية وهذا الأمر لا ينقص من فاعلية الأمكنة الغيبية أو تأثيرها إذ إنها ورغم عدم مشاهدة الإنسان لها بشكل حقيقي إلا إنها جاءت في أقرب تصوير من الأماكن الحقيقية والتي يعرفها الإنسان ويشاهدها مشاهدة ملموسة وحسية.

### النتيجة:

لقد قامت هذه الدراسة على معرفة

الأدوار التي يمكن القيام بها بوساطة أحد العناصر الهامة في تكوين القصة القرآنية وقد تبين لنا أن لعنصر المكان أهمية خاصة في بناء السرد القرآني وينقسم عنصر المكان في قصة موسى إلى نوعين رئيسيين يتفرع عن كل منهما نوعين آخرين. والنوعان الرئيسيان هما المكان الصريح والمكان الضمني وكما هو واضح من الاسمين فالمكان الصريح هو ذلك المكان الذي صُرح به وباسمه في القصة مثل «مصر» و«مدين» و«الأرض المباركة» وغيرها من الأسماء المعروفة. أما المكان الضمني فهو المكان الذي لم يذكر بشكل صريح وإنما توصلنا الى وجوده من خلال سياق الكلام. ثم عرفنا أن كلا من المكان الصريح والضماني ينقسم على نوعين هما المكان المشاهد والمكان الغيبى؛ فالمكان المشاهد هو المكان المشاهد سريحا كان أو ضمنيا هو المكان الذي يستطيع الإنسان رؤيته بالعين ويمكن الذهاب اليه وزيارته لكن المكان الغيبى فهو المكان الذي ذكر في القصة لكن الإنسان لم يستطع رؤيته الا بعد أن يتقضى أجله في هذه الدنيا.

- علم الاجتماع الأدبي، (منهج «سوسيولوجي» في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، ط ١، ٢٠١١ م.
٤. السيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ١٦، ١٩٩٣ م.
٥. السيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.
٦. بتقة، سليم، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، الجزائر، العدد السادس، د. ت.
٧. حسن عباس فضل، القصص القرآني إيجازة وفتحاته، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٢ م.
٨. خضر، خالدة حسن، المكان في رواية الشاعية للروائي عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، د. ت.
٩. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مكتبة الروضة الحيدرية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
١٠. عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم،

والنماذج لهذه الأنواع كثيرة ومتعددة فالصريح المشاهد كما ذكرنا بعض منها مثل مصر ومدين و... أما المكان الصريح الغيبي فهو مثل الجنة والنار و... أما المكان الضمني المشاهد فنظير «قال لأهله أمكثوا إني آنست نارا» فمن خلال سياق الكلام نعرف أن موسى ﷺ عندما قال لأهله «أمكثوا» فهو قد حدد مكانا دون من ذكر اسمه. والمكان الضمني الغيبي نظير قوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ .

### المصادر:

- القرآن الكريم.
١. إبراهيم عبد العزيز السمري، إجهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين دار الآفاق العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١ م.
٢. أمانة عشاب، عبد القادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٦-٢٠٠٧ م.
٣. الموسى، أنور عبد الحميد،

١٦. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، عدد المجلدات، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨.
١٧. مريم أكبري موسى آبادي، محمد خاقاني إصفهاني، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثانية - العدد السابع - خريف ١٣٩١ ش.
١٨. ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٢ م.
١٩. يوسف أحمد على أبوريدة، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلالية، جامعة الخليل (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م.
٢٠. يونس الفيصل، عناصر التخيل في الرواية المعاصرة، مجلة الآداب، جامعة علامة طباطبائي، العدد ١٠، طهران، ٢٠١٣، ص ١٢٢.
- تهران، ١٣٨٧ ش.
١١. عماد الدين إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د. ت.
١٢. غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له - دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد ١١، العدد ٢، ٢٠١١ م.
١٣. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط٤ ف ٢٠٠٤ م.
١٤. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، د. ط، عدد المجلدات: ١٥، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠ م.
١٥. محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١ م.



# نقدُ نظريةِ أخلاقِ الحداثةِ في العقلِ التأسيسيِّ من منظورِ القرآنِ الكريمِ

أ.م.د.علي رضا قائمي نيا  
معهد الثقافة والفكر الاسلامي  
طهران-ايران الاسلامية

هاويل جواني  
جامعة القرآن والحديث  
طهران- ايران الاسلامية

## فحوى البحث

في الحداثة يعد العقل ملاكاً في تقييم الأمور الأخلاقية وأساس الحداثة هو العقل التأسيسي. ويرى بعضهم في العصر الحديث أن المعرفة العقلانية جديرة في الأمور الأخلاقية وكافية في ذلك ويرى هؤلاء أن الإنسان مستغن عن الوحي في معرفة الأمور الأخلاقية فلا يرون موقعا للوحي الإلهي في الأخلاق. يتناول البحث بداية وجهة نظر الحداثة بشأن العقل التأسيسي ثم يبدأ بنقد ودراسة العقل التأسيسي من منظور القرآن الكريم. فيتناول أولاً قيمة واعتبار المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية من منظور القرآن الكريم ثم بيان عجز العقل التأسيسي عن المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية في ظل الآيات القرآنية.

العبارات الأساسية: الأخلاق، الأسس المعرفية للأخلاق، أخلاق الحداثة، العقلانية المتطرفة، العقل التأسيسي.

## • نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (المصباح)

زاده، ١٣٩٦، ص ١٢٣ و ١٣٣). و في النتيجة تكون القضايا الأخلاقية على أساس نظرية العقلانيين إما أمور بديهية أو مستنتجة من أمور بديهية، و تستند صحتها أو صدقها على العقل. و المقصود من العقل التأسيسي هو العقل المبني على البديهيات. و كذلك فإنّ العقل التأسيسي يجد نفسه مستغنيا عن غير العقل في المعرفة.

يمكن تقسيم الفلسفة الجديدة في الغرب على قسمين: اوروبية و انجليزية؛ فالفلسفة الاوروبية تتصف بالعقلانية و أصالة العقل، و الفلسفة الانجليزية تتصف بالاتجاه التجريبي. و قد عد التجريبيون مدركات الحس و التجربة فقط معتبرة (فروغي، ١٣٧٥، ص ٣٧٤) و اعتبروا التجربة الحسية معيارا و ملاكا للحقيقة، و يرون ذلك المقدار من القضايا الأخلاقية صادقا إذا أمكن إثباته بالحواس الظاهرية.

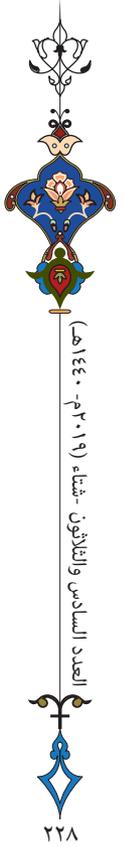
و العقلانية هي في مقابل التجريبية، و في المعنى العام فإنّ العقلانية هي نظرية ترى المعرفة بالعالم الخارجي أمرا ممكنا مع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة:

العقل في لغة هو الحبس و المنع؛ و المقصود من عقل الإنسان نور روحاني تدرك النفس به العلوم الضرورية و النظرية (الطريحي، ١٣٧٥، ج ٥، ص ٤٢٥) و العقل في الفلسفة إحدى قوى النفسانية و التي تقع مقابل الحس و الخيال و الوهم. إنّ العقل قادر على إدراك الكليات و المجردات و العقل له عملاقان: عمل شهودي، و عمل استدلاي (صادقي، ١٣٨٦، ص ٤٢). إنّ تصنيف المعرفة العقلية للإنسان إلى قسمين: بديهي و نظري، يرتبط بهذين القسمين من العمل العقلي.

يعتبر العقلانيون معيار معرفة الحقائق و ملاك تمييز القضايا الصادقة عن الكاذبة البدهة العقلية، و بحسب ذلك فإنّ كل قضية غير بديهية تستنتج من البديهيات؛ فإنهم يعتبرونها حقيقة و صادقة. إنّ خصوصية المنهج العقلي هي أن يُستفاد في مقدمات الإستدلال من البديهيات الأولية و الوجدانيات (حسين



مسيرة التفكير المحض والذي يكون طريقه مستقلا عن طريق التجربة (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص ١٧٠ و ١٧١). إن أصالة العقل (Rationalism) مذهب جميع من يعتقد أن عقل الإنسان هو المصدر الأصلي لمعرفة الحقائق، وأن الحقيقة هي الشيء الذي يدرك بالعقل مع أن هؤلاء الأشخاص يختلفون في كيفية وجود المعقول (فروغي، ١٣٧٥، ص ٣٩٤ و ٥٤٠). إن المعتقدين بأصالة العقل - علاوة على تقابلهم مع التجريبيين - فإنهم يختلفون مع الأخلاق الدينية أيضا، و في هذه المقالة نقصد تلك المجموعة من العقلانيين التي تعتبر نفسها مستغنية عن أي نوع من المعرفة الدينية. وبالطبع فإن المقصود من الدين عند الفلاسفة الغربيين ليس هو الإسلام ومذهب أهل البيت عليه السلام؛ ففي مدرسة أهل البيت عليه السلام لا منافاة أبدا بين العقل والدين، وإنما يكمل أحدهما الآخر.

ففي أخلاق الحدائث أولا: نحصل على المعرفة الأخلاقية من العقل، وفي الأخلاق العقلية فإن الأصول الأخلاقية هي صناعة

العقل. ثانيا: إن العقل لا يكشف هذه الأصول من مكان معين، بل هو يضعها بنفسه و لا قيمة للمعرفة الحاصلة من غير العقل التأسيسي والمستقل.

تبحث هذه المقالة في مكانة العقل التأسيسي من منظور القرآن الكريم و كذلك دائرة شمول المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية.

### مكانة العقل التأسيسي

#### بين نظريات الأخلاق المعرفية:

إن النظريات المتعلقة بالمبنى المعرفي للأخلاق يمكن تقسيمها على قسمين: معرفي وغير معرفي.

و القسم الأول منها -أي: المعرفي - هو ما تكون فيه القضايا الأخلاقية مبنية لنوع من المعرفة (بالمر، ١٣٨٩، ص ٣٢٢) و القضايا الأخلاقية تخبر عن الواقع الخارجي.

و في المقابل فإن القسم الثاني -أي: غير المعرفي - يرى أن المكارم الأخلاقية ليست إظهارات أو قضايا تنسب أو صافا للأفعال أو الأشخاص (فرانكنا، ١٣٩٢، ص ٢٢٠ و وارنوك، ١٣٦٨، ص ٣٠) و

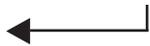
## نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن.....**المصباح**

المفاهيم الأخلاقية أو جميعها بديهية و غير قابلة للتعريف و تفهم و تدرك على أساس الشهود العقلي (جنسler، ١٣٨٥، ص ١٠٣ و شيرواني، ١٣٧٩، ص ٣٤) و لا حاجة لتوجيهها و تبيينها بالاستدلال.

و الطبيعيون يؤولون المفاهيم الأخلاقية إلى مفاهيم طبيعية فتكون قابلة للبحث بالحس و التجربة (فرانكنا، ١٣٩٢، ص ٢٠٦ و شيرواني، ١٣٧٩، ص ٤٦). و يرى هؤلاء أنّ الأخلاق قسم من النظام الطبيعي و الأصلي الخالد الذي يحكم جميع العالم و لا يصنعه البشر و ليس هو من الاعتباريات (هولمز، ١٣٨٥، ص ١٩٧ و ١٩٨).

و الطائفة الثالثة من المعرفين هم العقليون و إنّ أصحاب الحداثة يعتقدون بالعقل التأسيسي.

والجدول التالي يبين تقسيم النظريات الاخلاقية في المبنى المعرفي للقضايا الاخلاقية على: معرفي و غير معرفي، ليختصر بذلك هذه المعادلة:



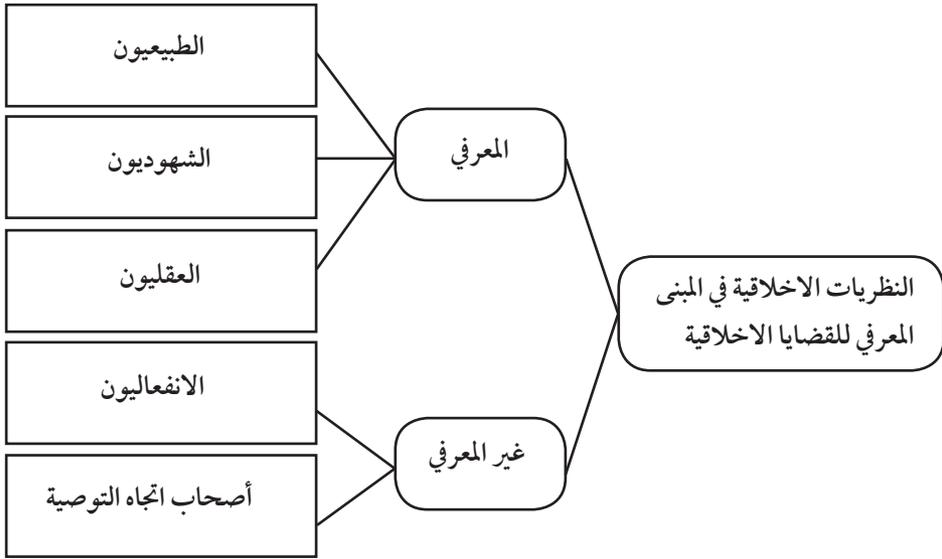
بعبارة أخرى فأنه يطلق اسم النظريات غير التوصيفية أو غير المعرفية على تلك النظريات التي لا تعتبر أنّ طبيعة القيم لها عينية و وجود خارجي (هير، ١٣٩٣، ص ١٤).

و على أساس رأي هذا القسم فإن القضايا الأخلاقية ذاتا تكون بشكل خارج عن حدود المعرفة العقلانية، إذن فالمعرفة الأخلاقية ليست ممكنة و لا تخضع لضوابط و قواعد منطقية (ضاهر، ١٩٩٠، ص ١٧). و في النتيجة فإنّ القضايا الأخلاقية لا تكون صادقة أو كاذبة و لا يمكن البحث في صحتها أو عدم صحتها (مصباح اليزدي، ١٣٨٧، ص ٢ و ٣٣) فأصحاب الاتجاه الانفعالي و أصحاب اتجاه التوصية من جملة أقسام غير المعرفي.

فالذين يكونون في القضايا الأخلاقية معرفيون يكونون في معرفة الأمور الأخلاقية ضمن مجموعات أصحاب الاتجاه الشهودي، و أصحاب النزعة الطبيعية، و أصحاب الاتجاه العقلي.

فالشهوديون يعتقدون أنّ بعض





### تبيين العقل التأسيسي في

### القضايا الأخلاقية:

و على مدى التاريخ فإنّ هناك عددا كبيرا من علماء الأخلاق يعتقدون بأصالة العقل في مجال الأخلاق المعرفية.

يرى سقراط (٤٦٩-٣٩٩ ق.م) أنّ أساس الأخلاق هو القبح و الحسن العقليان. فهو يرى أنّ الأخلاق الحسنة هي الأعمال التي يراها العقل حسنة، و الأخلاق السيئة هي الأعمال التي يعتبرها العقل قبيحة (محمد، ١٣٩٤، ص ٣٥٦ و مطهري، ١٣٧٢، ج ٢١، ص ٢٢٧). فهو لا يقبل القرارات الأخلاقية التي

تتبع بوساطة المشاعر و العواطف؛ بل يجب البحث في الأمور الأخلاقية و اتباع أفضل الاستدلالات.

ويعتقد افلاطون (٤٣٠-٣٤٧ ق.م) أنّ العلم بوجود الأشياء علم عقلي و أنّ القضايا الأخلاقية لها توجيه عقلائي (الخزاعي، ١٣٨٥، ص ٣٠) فهو يرى أنّ الأعمال القبيحة نتيجة للجهل، و لهذا فهو يؤكد على دور المعرفة في كسب الفضائل.

و يرى ارسطو أيضا أنّ هدف الحياة الأخلاقية هو الحصول على السعادة عن طريق التطبيق الدقيق للأنشطة العقلية

## نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (المصباح)

مثل افلاطون - أن أساس المعرفة فطري (صانعي دره بيدي، ١٣٨٧، ص ٢٣١ و ٢٩٣) و أن ملاك صحة المعرفة هو وضوحها و بساطتها و تنتهي جميع المعارف الصحيحة إلى قضايا بسيطة و يستخدم ديكارت أسلوبه في استنتاج العلم في مجال الأخلاق أيضا و يحاول أن يحصل على علم الأخلاق عن طريق الاستدلال و المنهج العقلي.

اعتمد ديكارت الشك منهجا في مجال النظر مقدمة لليقين إلا أنه عدّ استخدام الشك في السلوك غير جائز (فروغي، ١٣٧٥، ص ٦٢٤ و ديكارت، ١٣٧٦، ص ٢٢٨). يقول ديكارت في تعريف الانسان: «هو موجود كل ماهيته التفكير» (ديكارت، ١٣٧٦، ص ٤٥-٤٨) و هو يقول بقوتين في الذهن لأجل المعرفة، إحداهما: إدراك واضح لمعنى لا يقبل الشك عن طريق العقل؛ و الأخرى: استنتاج نحصل عليه من طريق القياس. و يعتبر ديكارت الأخلاق من العلوم الناتجة من الفلسفة (عابدي شاهرودي، ١٣٩٥، ص ١٨١ و ١٨٧) و يعتبر

(سلحشوري، ١٣٩٠، ص ١٢٤ و ارسطو، ١٣٨١، ص ٨٢ و ٨٣).

إن ثقافة الحداثة تبني على العقل التأسيسي المستقل عن كل ما وراء العقل و عمل هذا العقل هو التفكير بالمصلحة و المحاسبة؛ فهي صرفا بصدد صبّ نتائجها التجريبية في قالب الاستدلالات المنطقية. هذا العقل لا يفكر إلا بربح و خسارة الانسان في هذه الحياة الدنيا و لا يرتبط بأي مصدر ماورائي. و الوجه الآخر للاتجاه العقلي الحديث هو مقاومة و رفض التعبد، فلا يقول بحجية أي مرجع (ساجدي و مشكي، ١٣٨٧، ص ١٨٧). فالعقل التأسيسي لا يقبل سوى مرجعية العقل في القضايا الأخلاقية و لا يقول بحجية المصادر الأخرى غير العقل.

و قد وصل الاتجاه العقلي إلى ذروته في عصر الحداثة. و هنا نشير إلى أهم النظريات المطروحة في الحداثة بشأن معرفة العقل التأسيسي في الأخلاق.

تبدأ الفلسفة الجديدة بديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الفيلسوف الفرنسي في القرن السابع عشر. و يرى ديكارت-



ديكارت أن سبب صحة عمل الانسان هي الحكمة، ويعتبر أساس الحكمة هو العقل (ديكارت، ١٣٧٦، ص ٢٠٧)؛ و في النتيجة فإن المفاهيم الأخلاقية عنده تحصل من عقل الانسان و التي هي إمّا أمور بديهية أو تنتهي إلى الأمور البديهية. إن النظام الفلسفي لباروخ اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) من أبرز الأنظمة العقلية و قد أوصل نظرية الاتجاه العقلي إلى حدها الأقصى (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص ١٧٨). و هو يقسم المعارف إلى علمي و غير علمي؛ و العلمي إلى التجري و العقلي و الحدسي. و هو يرى أنّ المعرفة الحسيّة لا يمكنها أن تعطي الحياة الأخلاقية، بل المعرفة العقلية و ادراك هذا المطلب و هو أنّ الطبيعة خاضعة للقوانين العامة و نحن أيضا جزء من هذه الطبيعة هي التي تؤدي إلى الحياة الأخلاقية. إن الانسان له عقل و شهود، و يكمن نفع الانسان في أنّه يحيا على أساس قوانين العقل (معلمي، ١٣٩٤، ص ٥٥). و يرى اسبينوزا أنّ تركيب المعرفة التام مع العواطف يصنع

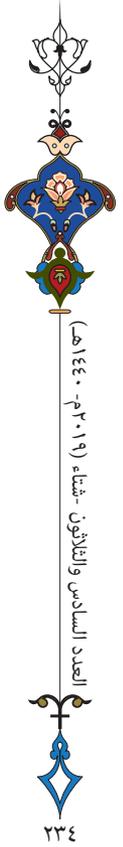
قرارات صحيحة و اما التركيب الناقص للمعرفة مع العواطف فإنه يصنع قرارات غير صحيحة؛ و عليه فإنّ العنصر الأصلي للأخلاق عند اسبينوزا هي المعرفة الصحيحة و حينها تكون المعرفة معرفة كاملة و صحيحة ناتجة من البرهان العقلي و هو يعتبر معرفة الأشياء الجزئية عن طريق الحس و الخيال معرفة ناقصة و التي هي منشأ الخطأ المعرفي. و يرى اسبينوزا ان الخير هو ذلك الشيء الذي يكون مفيدا للإنسان بشكل يقيني، و إنّ الشر هو الشيء الذي يمنع الخير عن الإنسان بشكل يقيني، و إنّ الشيء المفيد هو الشيء الذي يساعد الإنسان في الوصول إلى الموقع المثالي للعقل (عابدي شاهرودي، ١٣٩٥، ص ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٢٥٣). و بناء على هذا فيرى اسبينوزا أنّ المعرفة الأخلاقية إنما يمكن الاعتماد عليها عندما تنشأ من عقل الإنسان و تكون يقينية و لا يعتبر المعارف الأخلاقية الأخرى موردا للاعتماد.

إنّ ذروة أفكار الاتجاه العقلي بشأن العالم الخارجي هي فلسفة لايب نيتس

## نقد نظرية أخلاق الحدائة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (المصباح)

(١٨٠٤) من أبرز رجال فلسفة الأخلاق في العصر الراهن في الغرب. و كان يعتقد أنّ الإلزامات الأخلاقية لا تؤخذ من الأوامر الإلهية، كما أنّ المراجع الإنسانية و الثقافة الجارية في المجتمعات أيضا لا يمكنها أن تكون ملقبة للأخلاق، و قد سعى أيضا لعزل الأخلاق عن الترتيبات و الرغبات الشخصية و أن يبينها صرفا على أساس العقل المحض (شهررياري، ١٣٨٥، ص ٢٢٥ و ٢٢٦). و قد بنى فلسفة الأخلاق على المنهج الذاتي و خلافا للرواية اليهودية-المسيحية التي تعتبر الله تعالى منشأ للحجية العقلانية و الأخلاقية، فإنّ كانط طرح أنّ منشأ المنهج الذاتي هي الإرادة العقلانية الفاعلة (خدا برست، ١٣٩٤، ص ٩٣). كان كانط يريد أن يدوّن أصلا في الأخلاق يكون دستوراً عملياً عقلياً للأفعال الإنسانية و أن يكون في الوقت ذاته مستقلاً عن الرغبات و العواطف الفاعلة الأخلاقية و كذلك عن علاقاته الاجتماعية و أن يقبله الجميع و يستحسنون العمل به

(١٦٤٤- ١٧١٦) و الذي لا يعتقد بوجود المادة بل يعتبر أنها وليدة ذهن الإنسان (هالينك ديل، ١٣٨٧، ص ١٧٩ و ١٨٠). فهو يعتقد أنه يجب اولاً ادراك القواعد العامة العقلية ثم يتم تنظيم السلوك على أساسها؛ و ذلك لأنّه بهذا العمل يحقق كمال عقله و ماهيته و ينال السعادة الحقة و التي هي عبارة عن الادراك العقلي (معلمي، ١٣٩٤، ص ٥٨). و يعتقد جورج بيركلي (١٧٥٣-١٦٨٥) أنّه يمكن البرهنة على الأخلاق كالرياضيات؛ و بالطبع فإنّ ذلك ليس بمعنى أنّ الأخلاق فرع من الرياضيات الخالصة. و يرى بيركلي أنّ القانون الأخلاقي يقتضي منّا أن نبحث عن مصلحته الحقيقية بحسب العقل (معلمي، ١٣٩٤، ص ٦٨) و كما نرى فإنّ اولئك البعض من منظري الأخلاق في عصر الحدائة الذين يعتقدون بأصالة العقل في القضايا الأخلاقية و يعتبرون لزوم رجوع أصل المعرفة الأخلاقية إلى الاستدلالات العقلية للمعرفة العقلانية. يُعدُّ ايمانويل كانط (١٧٢٤-



(شهریاری، ۱۳۸۵، ص ۲۲۵ و ۲۲۶) ثم وصل إلى هذه النتيجة و هي أنّ الحسن المطلق و مبدأ الحسن هو حسن النية و إرادة الخير، و إرادة الخير هي اتباع التكليف أو العزم على أداء التكليف، و هذا الأمر ليس مرتباً بالحس و التجربة، بل هو أمر عقلي و قبلي، و إنّ الهدف من الأوامر العقلية العملية في أداء التكليف هو العقل ذاته يعني ما تقوم به إنسانية الإنسان، و احترام العقل هو احترام الإنسانية (فروغي، ۱۳۷۵، ص ۳۴۹ و ۳۵۱-۳۵۳). و في النتيجة فإنّ الإنسان في الأمور الأخلاقية يتبع عقله فقط، و يرى كانط أنّ عقل الإنسان فقط هو الطريق المعتمد في المعرفة الأخلاقية و يمكنه إلزام الإنسان بمراعاته.

و يُعدّ فيخته أيضاً من تلامذة كانط و ممن أدام مدرسته العقلية، و هو يعتبر التكليف للوصول إلى الكمال (فروغي، ۱۳۷۵، ص ۳۷۹ و ۳۸۱).

و مذهب آرتور شوبنهاور (۱۷۸۸-۱۸۶۰) هو أصالة التصور و يعتبر

أنّ المعتقدين بأصالة المادة خاطئين، و لتعليقات فيخته أثر أساسي في عقائده إلا أنّه يعتبر نفسه الوارث الحقيقي لكانط رغم وجود اختلاف بينهما في بعض وجهات النظر، و يعتبر شوبنهاور الفلسفة ضرورية للحصول على مبنى الأخلاق (فروغي، ۱۳۷۵، ص ۴۲۲-۴۲۵) و يرى الحل الواقعي في أنّ يفهم الشخص أنّ جميع الشقاء هو من التكثر العارض على عالم الوحدة. و يعتبر كل فرد حقيقة بذاته و أنّها توجد من هذه، الأناية و طلب الحياة؛ و أناية الأفراد تخلق معارضة بينها فيظهر الفساد. على الإنسان أنّ يفهم أنّ الحقيقة واحدة (فروغي، ۱۳۷۵، ص ۴۳۵)؛ و في هذه الحالة فالانفصال يزول و يظهر الشعور بالمواساة و الشفقة. و يرى شوبنهاور أنّ أساس الأخلاق الشفقة؛ و الشفقة هي العدالة و أنّ الأناية ظلم.

و نتيجة دراسة آراء المنظرين في العصر الراهن هو أنّه مع وجود اختلاف بين العلماء العقلين في الأمور الأخلاقية، فإنّهم جميعاً يؤكدون على

## نقد نظرية أخلاق الحدائة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... **الْمَصْبَاحُ**

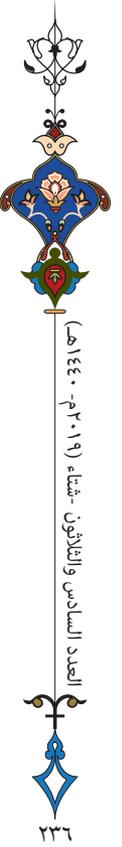
المعرفة العقلانية في المباحث الأخلاقية، و يعتبرون أن القضايا الأخلاقية إنما يمكن تحليلها ودراستها بشكل صحيح بالمعرفة العقلية فقط؛ و بالنتيجة فإنهم يردّون آراء الطبيعيين و غير المعرفيين و يعتقدون بالعقل التأسيسي. و خصوصية هذه الطائفة هي أنهم أفرطوا في الاتجاه العقلي و توقّعوا من القدرة العقلية للإنسان أكثر من قابليتها. و كذلك فإنهم لم يهتموا بسائر المصادر المعرفية؛ و هذه الطائفة لم تهتم بوحى السماء و لم تهتم بالوحي الذى ثبتت حجيته بالعقل لأجل المعرفة الأخلاقية.

### دراسة الاتجاه العقلي في الأخلاق من منظور القرآن الكريم:

ينبغي لنا بشأن أهمية التعقل في الأمور الأخلاقية و العلاقة بين التفكير و الوحي الإلهي أن نقول: إنَّ عددا من الآيات الكريمة توبّخ الناس لعدم استفادتهم من عقولهم و ترك التفكير في الأمور الأخلاقية و غيرها. و بعض الآيات ترى أن الإنسان الذى لا يستعمل عقله كالدواب: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾** [سورة الأنفال: ٢٢] و في بعض الآيات دعوة للتدبر و التعقل، و بعض هذه الآيات تدعو إلى التعقل و التفكير في القضايا الأخلاقية (النور: ٦١). كما أن بعض الآيات تدم الأشخاص

و الجدير ذكره أن كثيراً من العلماء الإسلاميين يعدّون من ذوي الاتجاه العقلي في المعرفة الأخلاقية و قد كتبت العلماء مطالب كثيرة تحت عنوان الحسن و القبح العقليين و جميعهم ناظرون إلى الأخلاق العقلانية، إلا أن هذه الطائفة من علماء الإسلام لا يرون أنفسهم مستغنين عن الدين في المعرفة المتعلقة بأخلاقهم أبداً؛ بل نهاية دعواهم أن عقلنا يمكنه بشكل مستقل أن يحصل على المعرفة ببعض

العقلانية في المباحث الأخلاقية، و يعتبرون أن القضايا الأخلاقية إنما يمكن تحليلها ودراستها بشكل صحيح بالمعرفة العقلية فقط؛ و بالنتيجة فإنهم يردّون آراء الطبيعيين و غير المعرفيين و يعتقدون بالعقل التأسيسي. و خصوصية هذه الطائفة هي أنهم أفرطوا في الاتجاه العقلي و توقّعوا من القدرة العقلية للإنسان أكثر من قابليتها. و كذلك فإنهم لم يهتموا بسائر المصادر المعرفية؛ و هذه الطائفة لم تهتم بوحى السماء و لم تهتم بالوحي الذى ثبتت حجيته بالعقل لأجل المعرفة الأخلاقية.



الذين لا يتفكرون ولا يتفكرون في الأمور الأخلاقية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَائِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ٤].

إن القرآن الكريم يخالف بشدة التقليد الأعمى (سورة البقرة: ١٧٠ وسورة الأنبياء: ٥٢-٥٤) ولا يرى أي تضاد و تناف بين التدين و العبودية لله تعالى و العقل؛ بل إنها تمدح العبودية الناشئة من التعقل. كما أن هناك انسجاماً و توافقاً كاملاً بين الأخلاق الدينية و العقل في المباحث الأخلاقية أيضا في

القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَعِينُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر: ١٧-١٨].

فهذه الآية الشريفة تعرّف الأشخاص العقلاء بأنهم الذين هداهم الله تعالى. و في آية أخرى أنّ الأشخاص غير المؤمنين هم الذين لا يستعملون عقولهم: ﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّيحَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٠٠].

و عليه فإنّ هناك بين العقل و الهداية الإلهية توافقاً كاملاً من منظور القرآن الكريم. و ذلك لأنه من جانب فإنّ مخاطب الوحي هو عقل الإنسان، فالله تعالى يعتبر مخاطبه في الأمور الأخلاقية و سائر أمور الوحي هو عقل الإنسان؛ و لهذا يقول تعالى بشأن الناس الذين لا يتفكرون: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٤٢]؛ و من ناحية أخرى فإنّ العقل هو بنفسه أحد مصادر المعرفة بالقضايا الأخلاقية.

### تأييد المعرفة العقلانية في القضايا الأخلاقية:

بحسب المنظور القرآني فإنّ معرفة المفاهيم الأخلاقية لا تنحصر بمصدر واحد؛ بل هناك مصادر متعددة يمكن أن يكون بعضها مكتملاً أو مؤيداً للآخر. و من مصادر المعرفة بالقضايا الأخلاقية في القرآن الكريم العقل. و كل معرفة أخلاقية يصل إلى معرفتها العقل مستقلاً أو بالاعتناء على مقدمات بديهية و يقينية فإنها معتبرة في منظور القرآن الكريم. و

## نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (الصفحة ٢٣٨)

التعقل، وهذا يدل على أن الإنسان إذا استعمل عقله فإنه يستطيع أن يعرف قبح العمل وخطئه. وقد استند في هذه الآية لدمّ القول دون العمل إلى أمرين:

أ. كان بنو إسرائيل أهل كتاب و كانوا يقرأون التوراة و يتبعونها، و لازم قراءتهم و اتبائهم للتوراة هو أن يعمل الإنسان نفسه بما يقول.

ب. لازم التعقل و التفكير هو أن يعمل الإنسان نفسه بما يقول، و عليه فإنّ القول من دون عمل هو نتيجة عدم التعقل. فعقل الإنسان يحكم أنّ الإنسان نفسه يسارع في العمل بوصاياه الحسنة، و إن كان شيئاً سيئاً فلا يجريه على لسانه (رضائي، ١٣٨٧، ج ١، ص ٢٥٢). و يستفاد من هذه الآية بوضوح أنّ المعرفة العقلية في الأمور الأخلاقية تكون معتبرة، و لهذا فإنّ من لا يعمل بهذه المعرفة يذمّ و يعاقب.

٢. روي أنّ جماعة من اليهود و بعض النصارى كانوا عندما يسمعون صوت المؤذن أو يشاهدون قيام

تبيّن الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة الرعد أمورا أخلاقية متعددة من أوصاف العقلاء، منها: الوفاء بالعهد و عدم نقض العهد و الصبر في سبيل الله.

و بعض الآيات تدعوا الإنسان إلى التعقل في الأمور الأخلاقية و أداء أعمال الخير؛ كما أنّ هناك آيات توبّخ الإنسان لارتكابه بعض الأعمال السيئة في الأمور الأخلاقية و تدعوه إلى التعقل و التفكير. و يستفاد من هذه الآيات أنه بالتعقل و التفكير يمكن معرفة بعض الأمور الأخلاقية. و بالنتيجة فإنّ المعرفة العقلانية من منظور القرآن معرفة قيّمة و معتبرة. و نشير فيما يلي إلى بعض الآيات: ١. في الآية ٤٤ من سورة البقرة توبيخ لمن يدعو الآخرين إلى الأعمال الحسنة إلا أنه لا يعمل بها:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

هذه الآية الشريفة توبخ علماء اليهود (الطبرسي، ١٣٧٢، ج ١، ص ٢١٥) لأنهم يأمرّون الناس بالخير و لا يعملون به ثم تدعو الآية أخيراً إلى التفكير و



المسلمين للصلاة يأخذون بالاستهزاء بهم، و يحذر القرآن الكريم المسلمين من صداقة أمثال هؤلاء:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا  
وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة

المائدة: ٥٨].

و يوضح القرآن الكريم في هذه الآية أنّ سبب الاستهزاء بالأذان و الصلاة عدم الاستفادة من العقل. فالصلاة تقرب الإنسان إلى الله تعالى و تؤدي إلى سعادة الدنيا و الآخرة، و هؤلاء الأفراد لا يدركون فوائد الصلاة (الطباطبائي، ١٣٩٠، ج ٦، ص ٢٨).

و تشير هذه الآية و الآيات السابقة إلى المباحث الأخلاقية، و يمكن أن يستفاد منها أنّ العقل له قيمة عظيمة في المفاهيم الأخلاقية من منظور القرآن الكريم، و يمكنه أن يكون معيارا و مصدرا لمعرفة الأمور الأخلاقية و لهذا فإنّ الأشخاص الذين لا يستفيدون من هذه الجوهرة الثمينة، يستحقون الذم و التوبيخ.

و يمكن لنا أن نعثر على آيات أخرى غير ما ذكرنا هنا تدعو إلى التعقل و

التفكير بشأن المباحث الأخلاقية (سورة الحجرات: ٤، سورة الحشر: ١٤، سورة الأعراف: ٢٨، سورة الرعد: ١٩، سورة الأنعام: ٣٢) و قد أعرضنا عن ذكرها في المقام رعاية للاختصار.

و ينبغي الالتفات إلى أنّه في دراسة جميع الآيات لا يوجد ذمّ بشأن العقل نفسه و المعرفة العقلانية.

و من جميع ما مرّ يمكن أن نستنتج أنّ عقل الإنسان نفسه من المصادر المعرفية في الأخلاق و يمكنه إدراك الحسن و القبح لبعض الأمور، و لكن يلزم دراسة قدرة العقل للوصول إلى المعرفة في جميع الأمور الأخلاقية و الاستقلال في هذا الأمر. فهل العقل قادر بشكل مستقل عن الوحي و لوحده أن يحصل على جميع المعارف اللازمة في المفاهيم الأخلاقية؟ و سيأتي البحث في الجواب عن هذا السؤال من منظور القرآن الكريم.

**قصور العقل التأسيسي عن المعرفة**

**في جميع القضايا الأخلاقية:**

لا شك في أنّ لعقل الإنسان تأثيرا في معرفة الأمور الأخلاقية و لكن هذا لا

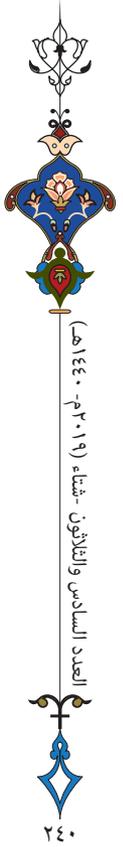
## نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... **الضَّبَّاح**

ففي كتاب «سؤال الأخلاق» يقول المؤلف بشأن عدم قدرة العقل التأسيسي ليكون معيارا في الأخلاق: ما أشد غفلة الإنسان الحديث حتى كأنه، على ظاهر تقدمه العلمي و التقني الهائل، إنسان جهول!. ألا ترى كيف أنه يقدم قليل النفع على كثيره، إن لم يقدم صريح الضرر على صحيح النفع كما يفعل الجهلة من الخلق؟. و هل في الضرر أسوأ من أن يدعو إلى حقوق و حظوظ تخرجه من رتبة الإنسانية و تنزل به إلى درك البهيمية، محتجا في ذلك بأنه يتبع طريق العقلانية الواضح الذي هو وحده عنوان الإنسانية؟. لكن لو كان ما يدعيه هذا الإنسان صحيحا، فيا ترى كيف بالطريق العقلاني الذي يتبعه يفضي به إلى نقيض مقصوده؟. ألم يكن يريد أن يزداد به استقامة، فإذا هو يزداد اعوجاجا؟. بلى (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص ١٣).

إنّ العقل التأسيسي الذي يحسب نفسه مستقلا عن الوحي و عن الله تعالى، من جانب لا قابلية له على تشخيص جميع القضايا الأخلاقية، و من ناحية أخرى

يعني أنّه قادر على كشف الحسن و القبح في جميع الأعمال الأخلاقية. فعقل الإنسان نفسه يعترف بمحدوديته. و العقل لوحده و بشكل مستقل عن الوحي لا قابلية له على الوصول إلى المعرفة الصحيحة في جميع القضايا الأخلاقية و لهذا اعتبر الله تعالى في كتابه الكريم إتمام الحجة الإلهية على العباد منوطة بإرسال الرسل، فيقول تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]. فلو كان العقل كافيا لوحده على إتمام الحجة فإنّ إرسال الرسل لم يكن لازما بل كان يكتفى بالعقل لوحده.

و تتحدث آيات كثيرة عن أولئك الذين كانوا يعارضون الأنبياء بأعدار شتى و يرون أنفسهم مستغنين عن الوحي و الأنبياء (يس: ١٤ و ١٥). إنّ إصرار الله تعالى على إرسال الأنبياء يحكي حاجة الإنسان إلى الوحي الإلهي و بيّن أنّ الإنسان بعقله و مستقلا عن الوحي لا قابلية له على معرفة جميع المعارف التي يحتاج إليها.



فإنَّ هناك موانع للاتجاه العقلي تمنعه من ازدهار و تفتح استعداد العقل. و ندرس فيما يلي أسباب عدم كفاية العقل التأسيسي في معرفة جميع الأمور الأخلاقية. و في البداية نشير إلى موانع الاتجاه العقلي من منظور القرآن الكريم، ثم سنبحث في عجز العقل التأسيسي عن الوصول إلى المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية.

### موانع الاتجاه العقلي

#### من منظور القرآن:

مع أنَّ المعرفة العقلية قيمة و هي حجة، و الإنسان قادر في موارد عديدة على كسب المعرفة في الأخلاق إلاَّ أنَّه في موارد أخرى توجد موانع في مسير الاتجاه العقلي عند الإنسان، و هذه الموانع لا تسمح للإنسان في الكثير من الموارد أن يتعقل، و هذا يؤدي إلى عجز الإنسان عن الحصول على المعرفة الصحيحة في بعض الأمور الأخلاقية. و في النتيجة فإنَّ الاعتماد على العقل في جميع الأمور الأخلاقية و حرمانه من الوحي الإلهي و المصادر المعصومة من الخطأ، هو الخطأ الكبير للعصر الراهن في الأخلاق. فينبغي

الاعتماد على ذلك المقدار من المعرفة العقلية في الأخلاق الذي يكون قطعياً و يقينياً و حاصلًا بعد البحث في جميع القرائن و المقدمات اللازمة.

و أشارت بعض الآيات القرآنية إلى موانع تعقل الإنسان، كما أشار بعضها إلى عدم استفادة الإنسان من عقله. ففي شأن عدم تعقل الإنسان يقول الله تعالى: ﴿أَمْ

تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۗ

[سورة الفرقان: ٤٤]. و طبقاً لهذه الآية فإنَّ الإنسان عند عدم التعقل يكون بمرتبة الدواب بل أقل درجة منها، و لكن السؤال هو: ما هي أسباب هذا التنزل و الانحطاط، و ما هي موانع التعقل عند الإنسان؟.

إنَّ ذنوب الإنسان تمنع ازدهار القدرة العقلانية للإنسان؛ فقد أشارت الآيات إلى هذا الموضوع: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۗ

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۗ

[سورة الأنعام: ٢٥]. و المقصود من «الحجاب» على القلب و الأذن هي التعصبات العمياء الجاهلية و اتباع



## • نقد نظرية أخلاق الحداثة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (المصباح)

ب. أن يقبل جميع الثقافة السابقة و يقوم بتقليدها. و هذا نوع من الرجعية و هو مانع من تطور الأمة (و يذم القرآن هذا الأسلوب).

ج. أن يقبل العناصر الإيجابية و البناءة و المبرهنة و يترك العناصر الخرافية و المضادة للعقل و الدين و العلم و التي لا دليل عليها. و هذا هو الصحيح كما هو الظاهر (رضائي، ١٣٨٧، ج ٢، ص ٧٧ و مكارم شيرازي، ١٣٧١، ج ١، ص ٥٧٦) و القرآن الكريم ينهى عن التبعية للسابقين حينما تكون مانعا من تعقل الإنسان و تفكيره. و في النتيجة يكون التقليد الأعمى للسابقين مانعا من التفكير، فعلىنا أن لا نقبل جميع سنن الماضين من دون تفسير و دراسة، بل علينا أن نقبل منها ما كان منسجما مع العقل و الدين و نرفض ما لا دليل عليه.

و هناك آيات ذكرت أن الغفلة و الإعراض عن الحقيقة من موانع التعقل و أن أهل جهنم هم الذين لم يصلوا بعقولهم إلى الفهم الكافي و العميق، فيقول

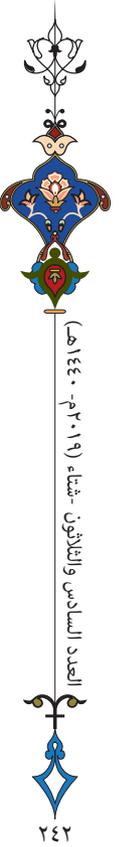
الأهواء حيث تكون بمثابة غطاء و ستر على عقل الإنسان حتى لا يسمع الحقيقة و لا يدرك بشكل صحيح القضايا و الآيات القرآنية. و في الحقيقة هذه إحدى آثار و عواقب الإصرار على الذنب التي يقع فيها العاصون المعاندون (رضائي، ١٣٨٧، ج ٦، ص ٦٠). و يمكن أن يتلى كل إنسان - عدا المعصومين (عليه السلام) - قليلا أو كثيرا بمثل هذه العصبيات و الأهواء؛ و عند وجود هذه الموانع كيف يمكن للإنسان أن يعرف المسير الصحيح في جميع الأمور الأخلاقية و يعمل بها؟.

و من موانع الاتجاه العقلي التبعية للأباء و الأجداد:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠].

يمكن للإنسان أن يتصرف أمام ثقافته السابقة على ثلاثة أنحاء:

أ. أن يترك جميع ثقافته السابقة و يرفضها، و هذا يؤدي إلى الانقطاع الثقافي للأمة و ليس هو أمرا صحيحا.



تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩]. و عليه فإن الغفلة من موانع التعقل، فإذا كانت هذه الغفلة عند الشخص عمدية أو كانت مقدماتها مما هيئته الإنسان نفسه - كما لو لم يستخدم ادوات المعرفة - فإن هذا الشخص يكون جهنمياً. و بحسب الآية ٥٧ من سورة الكهف فإن من يعرض عن آيات الله و ينسى ماضيه فإن الله يجعل على قلبه غشاوة فلا يستطيع إدراك الحقائق، و بالتالي لا يكون قابلاً للهداية (رضايي، ١٣٨٧، ج ١٢، ص ٢٥٢).

و طبقاً لهذه الآيات فإن الغفلة و الإعراض عن الحقيقة من موانع التفكير، و من يستطيع الإدعاء أنه لا يتلى بالغفلة و أنه متوجه إلى جميع الأشياء اللازمة للوصول إلى المعرفة الصحيحة في الأخلاق و أنه ليس غافلاً عن شيء من ذلك أبداً؟! و مع وجود كل هذه الموانع كيف يمكن الوصول إلى المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية في ظل العقل التأسيسي؟!.

و في بحث موانع الاتجاه العقلي فإنه

يمكن أيضاً الاستفادة من الآيات الآتية: (سورة الحج: ٤٦، سورة الانعام: ٣٢، سورة المنافقون: ٣).

إن ما ذكرناه يكون له مصداق أيضاً في الطرف الإيجابي للأخلاق، و بمستوى ارتفاع الأخلاق في الإنسان فإن العقلانية ترتفع أيضاً. فكلما ازداد التمسك بالأصول و القواعد الأخلاقية فإن ازدهار العقلانية يزداد تبعاً لذلك (صادقي، ١٣٨٦، ص ٢٦١).

و طبقاً لما ذكرنا بشأن موانع الاتجاه العقلي، نستنتج بأن الإنسان مع أن له جوهره خالصة باسم العقل يمكنه به معرفة الكثير من الأمور الأخلاقية إلا أن هناك موانع كثيرة أيضاً في طريق العقل للوصول إلى المعرفة، و في بعض الأمور لا يمكن للعقل أن يعبر جميع هذه الموانع حتى يحصل على المعرفة الصحيحة؛ و لهذا فإن الإنسان يحتاج في اختيار الطريق الصحيح إلى الوحي من الخالق تعالى، و لا يمكنه أبداً بعقله التأسيسي أن يحصل على المعرفة الصحيحة في جميع الأحكام الأخلاقية.



## عجز العقل التأسيسي عن المعرفة في بعض القضايا الأخلاقية

إذا فرضنا عدم وجود مانع في طريق التعقل و التفكير فهل يستطيع عقل الإنسان في هذه الحالة أن يكون له معرفة صحيحة في جميع الأحكام الأخلاقية؟. لقد ذكرنا آنفاً أنّ إمكان معرفة العقل في عدد من الأمور الأخلاقية أمر حتمي، و لكن الحديث هنا هو في المعرفة بجميع القضايا الأخلاقية.

إنّ من خصائص الإنسان أنّه لا يعرف أشياء كثيرة، و هذا أمر واضح يفهمه الإنسان نفسه، و قد أشارت بعض الآيات إلى هذا الأمر؛ يقول تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

فتذكر هذه الآية بصراحة أنّ الله يعلم و أنتم لا تعلمون. و كذلك في آية أخرى عند بيان أوصاف الإنسان يقول تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

من الواضح أنّ الإنسان يحتاج إلى العلم لأجل التفكير و التعقل: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]؛ فما دام الإنسان لم يحصل على علم بشيء فإنّ إمكان تعقله لذلك الشيء يكون معدوماً؛ و حيث إنّ دائرة علم الإنسان محدودة، فعليه تكون قدرة تعقله قليلة أيضاً. و هذا الموضوع يصدق في المباحث الأخلاقية أيضاً. فنحن في جميع المفاهيم الأخلاقية ليس لدينا علم كاف لتشخيص الحسن و القبيح (البقرة: ٢٣٢). و يقول الله تعالى بشأن البحث من دون علم: ﴿ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ حَجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِّجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٦].

و بالالتفات إلى هذه الآيات الشريفة يتبين لنا أنّ علم الإنسان محدود؛ و في النتيجة يكون التعقل أيضاً محدوداً؛ صحيح أنّ عقلنا يمكنه أن يحصل على حكم بعض الأمور الأخلاقية إلاّ أنّه عاجز عن ذلك في أمور أخرى، و ذلك

لأنه لا يملك وعيا كافيا للتفكير بشأنها. كما ينبغي لنا أن نضيف أن هناك اختلافات كثيرة بين علماء الأخلاق في أصل معيار الحسن و القبيح؛ فعلماء فلسفة الأخلاق بينهم اختلاف نظر شديد في المباحث الأخلاقية مع أن كل ذي موقف أخلاقي يدعي لنفسه الوصول إلى ما وصل إليه باتباع ضوابط العقلانية وحدها، بيد أنه لا يقدر في العقلانية شيء قدح هذا الادعاء فيها؛ ذلك أنه لو سلّمنا بصحة هذه الادعاءات الكثيرة، على وجودها في الزمان الواحد و في المكان الواحد، لزم أن تكون العقلانية خاصة لا اتساق فيها، أي متناقضة، و التناقض، على رأي أصحاب هذه الادعاءات، هو عين العقلانية، فتكون العقلانية المزعومة عبارة عن لا عقلانية (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٦، ص ١٦). و عليه كيف يمكن للإنسان أن يدرك بشكل صحيح جميع القضايا الأخلاقية و يشخص بعقله الطريق الصحيح؛ فأحيانا يكون تشخيصه عين الجهالة و خلافا للطريق الأخلاقي الصحيح: ﴿ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن

دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ ﴾ [سورة النمل: ٥٥]. و في بعض الآيات وصف علم الإنسان -و الذي هو من المصادر المعرفية للعقل -بالقلة، فإذا فرضنا أن المصدر المعرفي للعقل هو التفكير الذهني أو العلوم الحسية فقط ففي هذه الحالة تكون قدرة العقل قليلة جدا.

و علينا أن نضيف إلى هذا الجهل و عجز العقل عن المعرفة الصحيحة في المفاهيم الأخلاقية أن الأهم من السعادة الدنيوية للإنسان هي السعادة الأخروية، و إن عقل الإنسان في معرفة الصحيح و غير الصحيح بالنسبة إلى السعادة الأخروية عاجز بشكل كبير و هو يحتاج بشدة إلى الوحي الذي يؤيده العقل. إن قدرة العقل محدودة في مجاله و حقائق العالم أوسع من مجال العقل. فالعقل قوة من قوى الوجود الإنساني الذي يكون محدودا بالأمور المادية و المعنوية الدنيوية المحدودة، و لا قدرة له على التشخيص الصحيح لوظائفه بالنسبة إلى الآخرة.

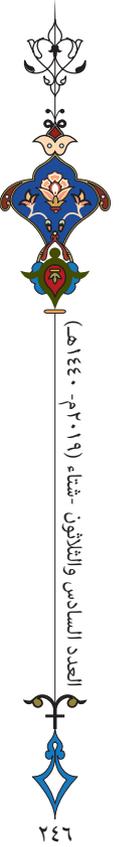
إن هذا العجز في العقل يرتبط بالعقل التأسيسي في القضايا الأخلاقية، و لكن

الوحي في معرفة الحسن و القبيح.  
 إنّ القرآن الكريم يؤيد أنّ عقل الإنسان مصدر مستقل للمعرفة في بعض القضايا الأخلاقية، فهو يذم الإنسان و يوبّخه بسبب عدم تعقله و تفكيره في الأمور الأخلاقية في آيات كثيرة، و يرى أنّ القيام بالأعمال الأخلاقية من أوصاف الناس العقلاء، إلا أنّ القرآن لا يعد العقل التأسيسي في الأخلاق كافيا و إنّّه لا يمكن للعقل مستقلا أن يحصل على المعارف اللازمة في ميدان الأخلاق؛ و ذلك لأنّه من جانب توجد موانع في مسير التعقل و التفكير للمعرفة في القضايا الأخلاقية، فمع أنّ الإنسان يتحلّى بجوهرة العقل إلا أنّ الذنب و الغفلة و الإعراض عن حقائق العالم تمنع الإنسان من الاستفادة من هذه النعمة الكبيرة لأجل الوصول إلى المعرفة في المفاهيم الأخلاقية. و من ناحية أخرى فإنّ عقل الإنسان إذا كان مستقلا عن الوحي فإنّه لا قدرة له على المعرفة في جميع القضايا الأخلاقية، و ذلك لأنّ دائرة علم الإنسان محدودة جدّا، و في الكثير من الأمور الأخلاقية فإنّ الإنسان

إذا استفاد العقل من مصدر الوحي أيضا، فإنّه لا يمكن وصفه بالعجز حينذاك. إنّ الوحي في منظور القرآن يؤيده العقل، و لهذا فهذا الوحي نصير و معين للعقل، و يعدّ مصدرا للعقل. و لهذا ورد في القرآن كلام في توبيخ و ذم عدم التعقل، و ليس هناك موضع وصف فيه العقل ذاته بالقصور و العجز: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]. و بناء على هذا فما في الأخلاق المعاصرة من الفصل بين العقل و الوحي و استقلال العقل في جميع الأمور الأخلاقية لا يمكن قبوله.

### النتيجة:

إنّ الحدائثة تعتقد بشأن الأسس المعرفية للأخلاق بالعقل التأسيسي و الذي يكون مستقلا، كما أنهم يعتقدون أنّ عقل الإنسان لوحده يمكنه أن يكشف جميع المعارف الأخلاقية التي يحتاج إليها، و أنّ المعرفة العقلانية هي الوحيدة التي يمكن اعتمادها. و يرى أصحاب الاتجاه العقلي المتطرف أنّ القضايا الأخلاقية عند الإنسان مستغنية عن



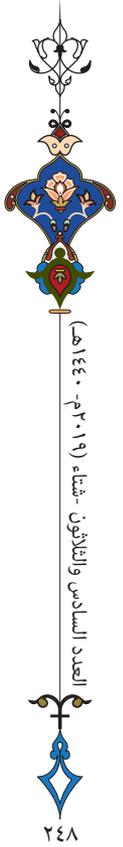
المصادر:

- ليس له علم كاف بجميع زواياها و لا يمكنه تشخيص الحسن و القبيح بشكل يقيني. فإذا كان علم الإنسان في القضايا الأخلاقية محدوداً فإنّ عقله أيضاً لا يمكنه التشخيص الصحيح في الأمور الأخلاقية و ذلك لأنّ العلم هو المصدر المعرفي للعقل؛ و بناء عليه فإنّه لأجل الوصول إلى المعرفة في المفاهيم الأخلاقية من منظور القرآن فإنّ هناك موانع في طريق تعقل الإنسان، كما أنّ الإنسان جاهل بالنسبة إلى بعض المفاهيم الأخلاقية؛ و لهذا فإنّ قدرة المعرفة العقلانية بشكل مستقلّ ستقلّ حينئذٍ، و لا يمكنه في جميع القضايا الأخلاقية الوصول إلى المعرفة الصحيحة التي يمكن الاعتماد عليها، بل يمكنه فقط في عدد من القضايا الأخلاقية أن يحصل على المعرفة الصحيحة، و في النتيجة فإنّ العقل يحكم لأجل الوصول إلى المعرفة الصحيحة بوجوب الاستفادة- إلى جانب العقل - بالمعرفة الوحيانية التي تعدّ أوثق معرفة و أكثرها اطمئناناً، تلك المعرفة التي تنشأ من علم خالق الإنسان و مبدعه.
- القرآن كريم.
١. ارسطو (١٣٨١)، اخلاق نيقوماخوس، ترجمة: ابوالقاسم بورحسيني، الطبعة الثانية، طهران، جامعة طهران.
  ٢. بالمرمايكل (١٣٨٩)، مسائل اخلاقي (المسائل الأخلاقية)، ترجمة عليرضا آلبويه، دار «سمت»، قم، الطبعة الثانية.
  ٣. حسينزاده محمد (١٣٩٦)، معرفت شناسی (نظرية المعرفة)، مؤسسة الامام الخميني قمي، قم، الطبعة الثالثة و العشرون.
  ٤. خدابست، امير حسين (١٣٩٤)، باور دينی و خودآيينی عقلانی (العقيدة الدينية و الرأي الذاتي العقلاني)، مجلة پژوهشنامه فلسفة دين، ١٣٩٤، العدد ٢٦.
  ٥. خزاعي زهرا (١٣٨٥)، عقلانيت اخلاق (عقلانية الأخلاق)، مجلة انديشه دينی، ١٣٨٥، العدد ٢١.
  ٦. ديكرت، رنه (١٣٧٦)، فلسفة

نقد نظرية أخلاق الحدائة في العقل التأسيسي من منظور القرآن..... (المصباح)

- كتب علوم انسانی دانشگاهها-  
سمت (منظمة البحوث و تدوين  
العلوم الإنسانية في الجامعات)،  
مركز تحقيق و توسعه علوم انسانی  
(مركز التحقيق و التوسعة للعلوم  
الإنسانية)، طهران، الطبعة الاولى.
۱۱. شیروانی، علی (۱۳۷۹)، اخلاق  
اسلامی و مبانی نظری آن (الأخلاق  
الاسلامية و مبانيها النظرية)، دار  
الفکر - قم، الطبعة الاولى.
۱۲. صادقي هادي (۱۳۸۶)، عقلانيت  
ايمان (عقلانية الايمان)، كتاب طه،  
قم، الطبعة الاولى.
۱۳. صانعي درهبيدي، منوچهر  
(۱۳۸۷)، مبانی اندیشههای فلسفی  
(مباني الأفكار الفلسفية)، اميرکبير،  
طهران، الطبعة الثانية.
۱۴. ضاهر عادل، د. (۱۹۹۰)، نقد  
الفلسفة الغربية - الاخلاق و العقل،  
دار الشروق، عمان، الطبعة الاولى.
۱۵. طباطبائي، محمدحسين (۱۳۹۰)،  
الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة  
الأعلمي للمطبوعات، لبنان -

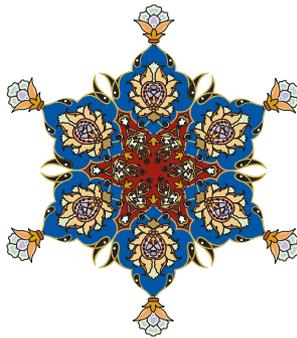
- ديکارت، ترجمة: منوچهر صانعي  
درهبيدي، طهران، دار الهدى، الطبعة  
الاولی.
۷. رضايي اصفهاني، محمد علي  
(۱۳۸۷)، تفسير القرآن مهر، دار  
«پژوهشهای تفسير و علوم قرآن»،  
ایران، قم، الطبعة الاولى.
۸. ساجدي ابوالفضل و مشکي مهدي  
(۱۳۸۷)، دين در نگاهي نوين  
(الدين في نظرة جديدة)، مؤسسة  
الامام الخميني رضي الله عنه، قم، الطبعة  
الاولی.
۹. سلحشوري احمد، يوسف زاده  
محمد رضا (۱۳۹۰)، جاىگاه  
عقل و عاطفه در تربيت اخلاقي  
(مكانة العقل و العاطفة في التربية  
الأخلاقية)، مجلة تربيت اسلامی،  
العدد ۱۲.
۱۰. شهرياري، حميد (۱۳۸۵)، فلسفه  
اخلاق در تفکر غرب از دیدگاه  
السدير مک ايتتايير (فلسفة الأخلاق  
في تفکر الغرب من وجهة نظر مک  
ايتتايير)، سازمان مطالعه و تدوين



- بيروت، الطبعة الثانية.
١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن  
مجمع البيان في تفسير القرآن، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة.
١٧. الطريحي، فخر الدين بن محمد  
مجمع البحرين، (١٣٧٥)،  
مرتضوى، طهران، الطبعة الثالثة.
١٨. طه عبد الرحمن (٢٠٠٦)،  
سؤال الأخلاق - مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة.
١٩. عابدي شاهرودي، علي (١٣٩٥)،  
قانون اخلاق بر پايه نقد عقل به عقل (قانون الأخلاق على أساس نقد العقل بالعقل)، كتاب طه، قم، الطبعة الاولى.
٢٠. فرانكنا، وليام (١٣٩٢)، فلسفة الأخلاق، ترجمة: هادي صادقي، كتاب طه، قم، الطبعة الرابعة.
٢١. فروغي، محمد علي (١٣٧٥)،  
سير حكمت در اروبا (سير الحكمة في اوربا)، البرز، طهران، الطبعة الاولى.
٢٢. جنسلىر، هري جي (١٣٨٥)،  
در آمدى جديد به فلسفه اخلاق (مدخل جديد إلى فلسفة الأخلاق)، المترجم: حميدة بحريني، آسمان خيال، طهران، الطبعة الثالثة.
٢٣. محمدي مسلم، فريد افشار عباس (١٣٩٤)،  
ترابط كمالجوي عقل و اخلاق با محوريت روايات كتاب غرر الحكم (ارتباط طلب الكمال بالعقل والأخلاق بمحورية روايات كتاب غرر الحكم)، مجلة پژوهشنامه ثقلين، الدورة الثانية، العدد ٢.
٢٤. مصباح اليزدي، محمد تقى (١٣٨٧)،  
نقد وبررسى مكاتب اخلاقى (نقد و دراسة المدارس الأخلاقية)، تحقيق و تأليف: احمد حسين شريفى، مؤسسة الامام خميني قذرى، قم، الطبعة الثانية.
٢٥. مطهري مرتضى (١٣٧٢)،  
آثار الشهيد المطهري، قم، دار صدرا للنشر.



٢٦. معلمي حسن (١٣٩٤)، مباني اخلاق در فلسفه غرب و فلسفه اسلامي (مباني الأخلاق في فلسفة الغرب و الفلسفة الاسلامية)، منظمة الثقافة و الفكر الاسلامي، طهران، الطبعة الثانية.
٢٧. معلمي حسن، مباني و معيارهاى اخلاق (المباني و المعايير للأخلاق)، الحوزة العلمية بقم، مركز مديريّة الحوزات العلمية للنساء، مركز نشر هاجر.
٢٨. مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧١)، تفسير نمونه (التفسير الأمثل)، دار الكتب الإسلامية، ايران - طهران، الطبعة العاشرة.
٢٩. وارنوك ج. (١٣٦٨)، فلسفه اخلاق در قرن حاضر (فلسفة الأخلاق في القرن الحاضر)، ترجمة صادق ا. لاريجاني، مركز ترجمة و نشر كتاب، الطبعة الثانية.
٣٠. هالينك ديل، رجينالدجان (١٣٨٧)، تاريخ فلسفه غرب (تاريخ فلسفة الغرب)، ترجمة عبد الحسين آذرنگ، ققنوس، طهران، الطبعة السابعة.
٣١. هولمز، رابرت ال. (١٣٨٥)، مباني فلسفه اخلاق (مباني فلسفة الأخلاق)، ترجمة مسعود عليا، ققنوس، طهران، الطبعة الثالثة.
٣٢. هير، ريجارد مروين (١٣٩٣)، زبان اخلاق (لغة الأخلاق)، ترجمة امير ديواني، كتاب طه، قم، الطبعة الثانية.



# الْبَشَارَةُ، صُورُهَا، وَدَلَالَاتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

م.د. لؤي طارق علي

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

## فحوى البحث

استعمل القرآن الكريم مادة (بَشَّرَ) بصيغ مختلفة وبدلالات متعددة، وهذه كلها تتخذ اشكالا بنائية متعددة تختلف في نظمها وشكلها وعلاقتها في السياق القرآني، فالبشارة بطبيعتها تدل على الشيء السار والمفرح وهذا النوع من البشارات جاء للأنبياء والاولياء والمؤمنين والبشارة بالكتب السماوية والبشارة بنزول المطر، في حين ان المعنى المضاد للبشارة الحسنة ونقصد بها البشارة بالأمر السيء قد وردت في السياق القرآني للكفار والعاصين، والبحث بطبيعته يسلط الضوء على هذه البشارات ودلالاتها من خلال السياق القرآني.

البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم

## • البشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### البشارة لغة:

جاء في كتاب جمهرة اللغة ((بشّرت الرجل وبشّرتّه بما يُسرّ به... والبشرى والبشارة اسم لما بشّرت به))<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فان البشارة من بشّر يبشّر بمعنى أبشر، والبشّر بالوجه الطلاقة والفرح، يقول ابن فارس (٣٩٥هـ) ((الباء والشين والراء: أصل صحيح يدل على ظهور الشيء مع حسن وجمال... والبشير: الحسن الوجه، والبشارة: الجمال. يقال: بشرت فلانا أبشره تبشيراً وذلك يكون في الخير، وربما حمل عليه غيره من الشرن وقد يراد به التبكيت))<sup>(٢)</sup> وكذلك يطلق على الرياح التي تهبّ بالسحاب والغيث المبشرات، وكذلك تطلق على الارض التي خرج نباتها فيقولون: أبشّرت الارض، وما أحسن بشّرتها والارض ذات بشرة: أي

نبت فيها بقلّ كثير وعشب<sup>(٣)</sup>، ويقول الراغب الاصفهاني عن البشارة بأنها ((اول ما يصل اليك من الخبر السار، فاذا وصل اليك ثانيا لم يسمّ بشارة))<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا نرى ان البشارة في اصلها تعني الأخبار التي ترد على (المبشّر) لكي يفرح ويُسّر بالخبر الذي سمعه، الا ان البشارة قد تخرج الى معنى اخر من خلال السياق الذي وردت فيه كما سنرى في البحث فتخرجه الى معنى الشر والحزن، فالأصل اذا في مادة (بشر) هو ((الانبساط المخصوص الطبيعي والطلاقة في السيء لوجوههم تكويننا، ويمكن ان يقال ان البشّر حالة طبيعية للإنسان من الانبساط، وهي قبل التبسم))<sup>(٥)</sup>، وتخرج الى المعنى المضاد للسرور احياناً.

### الاستعمال القرآني:

جاءت مادة (بشر) في الاستعمال القرآني في صور ودلالات مختلفة منها ما تكون بشارة للأنبياء، و بشارة للأولياء،

(١) جمهرة اللغة، مادة (بشر): ١ / ٣١٠، وينظر: الصحاح في اللغة: ٢ / ٥٩٠، وتهذيب اللغة: ١١ / ٢٤٦، والمفردات في غريب القرآن: ٥٢.  
(٢) مقاييس اللغة: ١ / ٢٥١.  
(٣) ينظر: القاموس المحيط: ٣٥١.  
(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٢.  
(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١ / ٢٩٧.

والبشارة بالكتب السماوية، والبشارة بالرياح والمطر، والبشارة للأشخاص، وتقسم الاخيرة الى بشارة للمؤمنين وبشارة للكفار وهذه كلها تتخذ اشكالا بنائية متعددة تختلف في نظمها وشكلها وعلاقتها في السياق القرآني وتركيباته من شكل الى اخر، وبيان هذه البشارات هو: أولاً: بشارة الانبياء:

جاء هذا النوع من البشارة في قوله تعالى ﴿وَيَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الاسراء: ١٠٥] (٦) ف (مبشرا) جاءت صفة للرسول الكريم محمد ﷺ، فهو يبشر المؤمنين المطيعين لأوامر الله وتوصيات رسوله الكريم، فالبشارة جاءت عن طريق رجل وصفته الآية الكريمة بـ (مبشرا)، والملاحظ كذلك ان السياق القرآني في الآية الكريمة جاء ليجمع بين ((التنويه بشأن القرآن وانه منزل من الله، وتنويه بشأن النبي عليه الصلاة والسلام

ورفعة منزلته عند الله وعموم رسالته)) (٧)، كذلك نرى ان صفة التبشير قدمت على صفة الانذار وذلك لما في التبشير من شرف المبشرين ولأنه المقصود الاصيل للأنبياء لما له من فطرة الانسان على حب الخير، وما يأتي بعده يكون عارضا على اصل الفطرة من المحبة الى الكره ومن العداوة الى البغضاء ومن البشارة الى الانذار.

ووردت البشارة للأنبياء ﷺ كذلك في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُجْدِلَتًا فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [سورة هود: ٧٤] (٨)، فالسياق القرآني في الآية يشد الذهن الى قضيتين معكوستين، الاولى الروع الذي كان في قلب ابراهيم ﷺ من خلال قدوم الملائكة وعدم معرفته لهم فأوجس منهم خيفة، أما الأمر الاخر فهي البشارة بعد الروع، فالملائكة بعد ان رأوا ابراهيم في حالة روع بشروه بان الله سيرزقه ولداً والمقصود به اسحاق ﷺ ومن بعد اسحاق يعقوب ﷺ،

(٧) التحرير والتنوير: ١٤ / ١٨٠ - ١٨١، وينظر: الدر المنثور: ٩ / ٤٥٧.  
(٨) وينظر: [سورة العنكبوت: ٣١].

(٦) وينظر: سورة الاحزاب: ٤٥، وسورة الفتح: ٨، وسورة الفرقان: ٥٦، وسورة الصف: ٦.

البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... **الصَّبَاغ**

شهرية وهذا الامر يدل على ان باستطاعة المرأة ان تكون حاملا اذا كان لها هذا الامر، وبانتفائه يصعب الحمل، او تدخل المرأة سن الياس الذي يصعب فيه الحمل بصورته الطبيعية، الا ان الذي حصل في الآية الكريمة ان امرأة ابراهيم عليه السلام كانت قائمة على خدمة الضيوف وكان عمرها كبيرا يتعذر فيه الحمل وفي هذه الاثناء قد نزل دم الحيض<sup>(١٠)</sup>، فصكت وجهها تعجبا من هذا الامر، فجاءت البشارة من الضيوف بان هناك حملا مستقبلا وسيكون هناك مولود.

ان البشارة التي جاءت عن طريق الفعل الماضي الذي انقضى وتم كانت للضحك الذي هو ((أمارة تقرب البشرى الى القبول، والآية تهيء نفسها للاذعان بصدقهم فيما يبشرون به، ويكون ذكر قيامها لتمثيل المقام وانها ما كانت تخطر ببالها انها ستحيض وهي عجوز، وانها كانت قائمة تنظر ما يجري عليه الامر

(١٠) ينظر: تفسير الطبرسي: ٣٠٧ / ٥، وتفسير

الصافي: ٣ / ٢٦، وتفسير الكشاف: ٢ /

٣٠٤، والنكت والعيون: ٢ / ٤٨٥-٤٨٦.

ومن بديع القرآن الكريم في هذه الآية انه قدم الروع على البشارة لتكون خاتمة الشخص المرجوة هي السعادة لا الحزن.

كذلك قوله تعالى ﴿ **وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ**

**فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ**

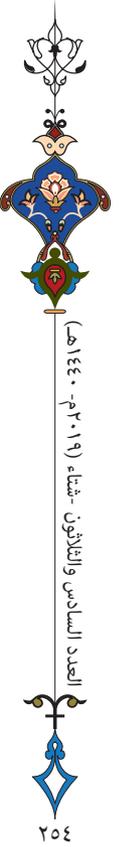
**يَعْقُوبَ** ﴾ [سورة هود: ٧١] (٩)، فالآية

جاءت لتبشر امرأة نبي الله ابراهيم عليه السلام بالمولود الجديد بعد ان بلغت من العمر سنين متقدمة يستحيل في الامور الطبيعية ان يكون هناك حمل، كذلك الملاحظ في الآية ان الفعل اسند الى ضمير المتكلم (نا) وذلك لان البشارة جاءت عن طريق

الملائكة الذين كانوا ضيوف ابراهيم عليه السلام، كذلك نرى تعدد الدلالة من المولود الجديد الى المستقبل الذي يكون من ذرية ابراهيم، وتحتل البشارة كذلك امتداد النسل النبوي لهذه العائلة وعدم انقطاعها، فالفعل (بشر) ورد في الآية الكريمة نتيجة بعد مقدمة حصلت طبيعية لكل امرأة، فالمعلوم ان المرأة في الامور الطبيعية تكون بحالة الحمل اذا كانت لها مدة حيض

(٩) وينظر: [سورة الصافات: ١١٢]، و[سورة

الحجر: ٥٥].



بين بعلمها وبين الضيفان النازلين به وتحادثهم))<sup>(١١)</sup> وكذلك نلاحظ ان حدث الفعل الماضي مشحون بالمفاجأة والرغبة والرغبة بالنتيجة لان البشارة جاءت بعد انقطاع وياس من تحققها، الا ان مشيئة الله فوق كل شيء، فهو حدث جاء لأمر كبير، ومن الملاحظ كذلك ان الفعل الماضي اسند الى الضمير (الهاء) ولم يسند الى ضمير (هم)، لان البشارة موجهة الى امرأة ابراهيم بسبب ((ان المولود سيكون من نسلها وامتداداً لها على حقيقة ان ابراهيم متزوج من امرأتين فاذا رزق بمولود من أي المرأتين سيكون امتداداً له، الا ان المرأة عندما تلد مولودا يكون امتدادا لها دون ولد زوجها، كذلك انها كانت عقيماً وتتمنى الولد وتحرص عليه وعلى هذا جاء اسناد الضمير (الهاء) اليها دون الضمير (هم))<sup>(١٢)</sup>، وقد أكد هذا الامر ايضاً الضمير الهاء.

وكذلك جاءت البشارة للأنبيا في

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴾ [سورة الحجر: ٥٤]<sup>(١٣)</sup>، فالفعل بشر بصيغته الماضية جاء في السياق القرآني مسبقاً باستفهام من قبل نبي الله ابراهيم عليه السلام، فالاستفهام من هذه البشارة كان نتيجة لأمر المولود الجديد كما سبق في الآية السابقة، فالتعجب جاء على لسان ابراهيم عليه السلام لكمال قدرة الله تعالى<sup>(١٤)</sup> بان سوف يرزقه مولودا، وكذلك لاستبعاد ابراهيم لهذه البشارة، لأنها في العادة التي اجراها الله على خلقه بعيدة كل البعد عن التحقق بهذا العمر، فالبشارة جاءت بما لا يتصور وقوعه عادة فجاء الاستفهام هنا لأمر عجيب معلوم بمنزلة الامر غير المعلوم لأنه يكاد يكون غير معلوم، فالتعجب جاء لان ابراهيم قد علم انهم ملائكة صادقون لا يكذبون<sup>(١٥)</sup>، حتى وان كانت المقدمات من كبر عمره وكبر عمر زوجته غير صالحة في الامور الطبيعية، الا انها متحققة فعلا لورودها

(١٣) [سورة الذاريات: ٢٨].

(١٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤ / ٤٠٦.

(١٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣ / ٤٧ - ٤٨.

(١١) تفسير الميزان: ١٠ / ٣١١.

(١٢) البحر المديد: ٣ / ٦٠، وينظر: تفسير

الشعراوي: ١١ / ٦٥٦٠.

البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... **البشارة** .

من الله على لسان الملائكة .

وجاءت البشارة ايضا في الخطاب

القرآني الى نبي الله زكريا في قوله

تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ أَمَلَتِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا

بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

الْصَّالِحِينَ ﴾ [سورة ال عمران: ٣٩] (١٦) ،

وقوله تعالى ﴿ يَزَكِّرُنَا إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ

أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

[سورة مريم: ٧] ففي الآية الاولى جاءت

البشارة والتبشير في الفعل المضارع لنبي

الله زكريا ﷺ عندما كان يصلي في المحراب

للمولود الجديد، فهي بشارة تتحدث عن

الحلم المنتظر كما تتحدث عن الواقع في

تعيين اسمه وصفته، كذلك هناك نكته

لطيفة في الآية الكريمة فهي لم تقل (ان

الله يبشرك بمولود) وانما سمته باسمه

ليدل ذلك على ان الاسم جاء من عند

الله جل جلاله، وكذلك ليقطع بالأمر

الراجح على ان المولود ذكر وليس انثى (١٧)

وهذه البشارة جاءت نتيجة دعاء زكريا

(١٦) ينظر: [سورة الحجر: ٥٣].

(١٧) ينظر: تفسير الميزان: ٣ / ٢٩٤.

بان يرزقه الله ذكرا، اذ قال ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ

الْمَوْلَىٰ مِن وَّرَآءِي وَكَأَنِّي أَمْرَأَتِي عَاقِرًا

فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم:

٥]، والملاحظ ايضا ان البشارة كانت

بتوسط الملائكة بين الله سبحانه وتعالى

وبين زكريا ﷺ لكي لا تدخل وسوسة

الشیطان بينها لذلك طلب زكريا ﷺ

من الله جل جلاله إمارة او آية ليطمئن

على انها ليست وسوسة شیطان فقال عز

وجل ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ

أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴾

[سورة ال عمران: ٤١]، ونلاحظ كذلك

ان هناك نكتة نحوية في الآية الكريمة

في قوله تعالى ﴿ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾ فالبشارة

جاءت هنا لمولود اسمه يحيى فعلم زكريا

ان اسمه يحيى وليس كونه فعل الحياة في

الارض وهذا كان بقريئة دخول الباء على

الاسم، اذ ان الباء لا تدخل على الافعال

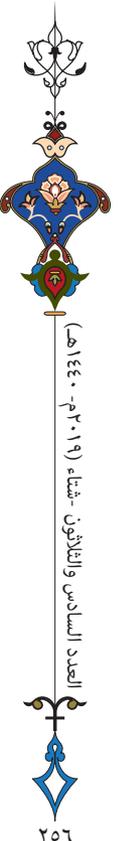
وانما تدخل على الاسماء.

والملاحظ ان البشارة جاءت من

خلال الفعل المضارع وهذا الفعل ((من

دلالاته انه يدل على المستقبل، وبهذا

فان نتائج هذه البشارة ستوضح معالمها



في المستقبل القريب أي بعد تسعة اشهر من هذا الخبر<sup>(١٨)</sup>، وبهذا تتحقق نبوة الآية للبشارة من خلال ما جاء به الفعل المضارع.

اما البشارة للأنبياء على وجه الجمع فجاءت البشارة في قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة الانعام: ٤٨]<sup>(١٩)</sup>، فلذلك جاءت صفة المبشر قبل المنذر، وذلك لان الانبياء يذكرون الناس بفطرتهم التي فطرهم الله عليها ومن اولويات الفطرة حب الخير للآخرين التي تمثل البشري احدى مكوناتها لان فيها الرحمة والثواب، عكس الانذار بالعقاب، والملاحظ ان الآيتين قدمتا البشارة على الانذار ((لأنها اهبج للنفس، واقبل لما يلقي النبي، وفيها اطمئنان المكلف، والوعد بثواب ما يفعله من الطاعة))<sup>(٢٠)</sup>، الا ان الرازي يعلل تقديم

البشارة على الانذار بقوله ((وانما قدم البشارة على الانذار، لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة، والانذار يجري مجرى ازالة المرض، ولا شك ان المقصود بالذات هو الاول دون الثاني فلا جرم وجب تقديمه في الذكر))<sup>(٢١)</sup>، وحقيقة الامر ان مدار الآيتين هو هدف بيان بعثة الانبياء، فهم مبشرون ومنذرون، وكذلك ان الآيتين بيتتا لطف الله عن طريق ارسال الانبياء والرسول، كذلك انتصبت (منذرين ومبشرين) على الحال لما فيها من العلية في الشأن، أي ارسلناهم للتبشير والانذار.

ثانياً: بشارة الاولياء:

وردت البشارة للأولياء بصيغة الفعل المضارع لمريم عليها السلام في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ أَلَمْ تَكُنْ لِي بَرِيئَةً إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة ال عمران: ٤٥]، فقد سبق فعل البشارة نداء مخصوصا الى مريم وهذا النداء من الملائكة كان لأمر مخصوص ومهم وهو مستقبل البشرية في حينه، فالبشارة جاءت

(١٨) من وحي القرآن: ٥ / ٢١٤.

(١٩) وينظر: سورة الكهف: ٥٦.

(٢٠) تفسير البحر المحيط: ٤ / ١٣٦.

(٢١) تفسير الرازي: ٦ / ١٥.



البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... **الصَّبَاغ**

**لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴿ [سورة البقرة: ٩٧] (٢٤)  
فالبشارة في الآية الكريمة المقصود منها  
هو القرآن الكريم الذي بشر الله سبحانه  
وتعالى المؤمنين به (٢٥)، اذ ان الانتفاع  
بالقرآن الكريم والطمأنينة وصدق ما  
جاء به من حقائق دنيوية واخروية يصح  
ان يقال عنه انه بشرى لما يحمله من هداية  
للأعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب  
وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها (٢٦).

وكذلك قوله تعالى ﴿ **فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنَهُ  
بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرَ  
بِهِ قَوْمًا لُدًّا** ﴾ [سورة مريم: ٩٧] (٢٧)،  
فدلالة البشارة في الآية القرآنية جاءت عن  
طريق القرآن الكريم ذلك السفر الخالد  
على مر العصور الذي فيه هدى وبيان  
لكل شيء، فالملاحظ ان فعل البشارة  
جاء في سياق وصف لقوم معينين بصيغة  
(الذ)، وما ذلك الا بسبب ان من طبيعة

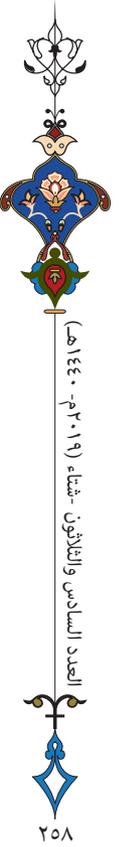
(٢٤) وينظر: سورة النمل: ٢، وسورة النحل:  
٨٩، ١٠٢ وسورة الاحقاف: ١٢.  
(٢٥) ينظر: تفسير للطوسي: ١ / ٣٦١.  
(٢٦) ينظر: تفسير الطبري: ١ / ٥٠٤.  
(٢٧) وينظر: سورة الاسراء: ٩، وسورة  
الكهف: ٢.

لمريم لتبشرها بولادة نبي من انبياء الله وهو  
عيسى عليه السلام، فالخطاب القرآني كان المقصود  
به مريم لكي تستأنس بالخير الذي سيأتي  
به المولود؛ لان ما حصل لها يجلب لها  
الحزن والسوء من قبل الاخرين (٢٢)، لان  
الكلام سوف يكثر على مريم من اين  
جاءت بهذا المولود لأنها غير متزوجة،  
والبشارة في الآية كانت في اول الامر غير  
صریحة في اسم المولود وانما قدم صفة له  
وهي انه (كلمة منه) ليدل على ان الامر  
عجيب، وبعد ذلك جاء بالاسم الصريح  
(عيسى)، والكلمة التي هي الاصل في  
تكون المولود (كن فيكون) التي نفخ فيها  
جبرائيل، اذ جاء الحرف (من) ليكون  
ابتداء لغاية مجازية متعلقة بمحذوف وقع  
صفة لكلمة كائنة منه عز وجل (٢٣).

ثالثاً: البشارة بالكتب السماوية:

قوله تعالى ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا  
لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ  
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى** ﴾

(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣ / ٩٧.  
(٢٣) ينظر: تفسير ابي السعود: ٢ / ٣٦، وتفسير  
الالوسي: ٣ / ١٦٠.



البشارة انها لقوم اما ان يكونوا مؤمنين او معاندين كفره، فالبشارة في الآية كانت من قبل الرسول الكريم ((لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرهم مما اعدده الله لهم))<sup>(٢٨)</sup>، ونجد في الآية ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر ((انه يبشر به المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى ابلغ وابلغهم الالد الذي يتمسك بالباطل ويتجادل فيه ويتشدد))<sup>(٢٩)</sup>، وما مجيء الفعل بصيغة الفعل المضارع الا ليدل على دوام البشارة في زمن وجود الرسول وكذلك بعد مماته لان من دلالات الفعل المضارع الاستمرار والدوام.

#### رابعاً: بشارة الرياح والمطر:

جاء هذا النوع من البشارة في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الاعراف: ٥٧]<sup>(٣٠)</sup>، فقد عبر السياق القرآني عن ما

(٢٨) تفسير الطبرسي: ٤٥٥ / ٦، وينظر: تفسير الثعالبي: ٤ / ٤٢، ونظم الدرر: ١٢ / ٢٥١.

(٢٩) تفسير الرازي: ٢١ / ٢٥٧.

(٣٠) وينظر: سورة الفرقان: ٤٨.

تفعله الرياح بالبشرى ؛ لان اثار الرياح تجلب الرحمة من خلال جلب وسوق السحاب التي تحمل المطر فهي تبشر بالمطر، وحقيقة منفعة الرياح كثيرة منها انها لواقح للنبات، الا ان السياق القرآني في الآية الكريمة حدد منفعة وبشرى الرياح بالمطر من خلال جلب السحاب الثقال، يقول العلامة الطباطبائي ((والمراد بأرسال الرياح بشرا ارسالها مبشرات بالمطر قبيل نزوله والرحمة المطر))<sup>(٣١)</sup>، فالرياح هي التي تدل على نزول المطر، وكأنها ترسل البشرى للناس قبل نزول الغيث فهي تهديهم الى المطر فتكون البشارة فيه.

كذلك جاء الفعل المضارع (يستبشرون) كنتيجة لحال الانسان عندما يرى النعمة والرخاء قد اقبلت عليه، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ حَلَقِهِ ۗ فَاِذَا اَصَابَ بِهِ ۗ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الروم:

(٣١) تفسير الميزان: ١٩ / ٢٢٦، وينظر: تفسير

الامثل: ٥ / ٥٣.

بتحريكها في الجهات المختلفة)) (٣٢)،  
فبشارة الرياح بالمطر تكون قبل نزوله  
لما تحمله من علامات دالة عليه كالغيم  
الحامل للمطر، وهذه الآية فيها دلالة على  
بديع قدرة الله في ارسال الرياح مبشرات  
بالمطر قبل نزوله.

#### خامساً: بشارة الاشخاص:

وتقسم هذه البشارة على قسمين  
منها ما يكون للمؤمنين المطيعين للأوامر  
الالهية، ومنها ما يكون للعاصين الكفار  
والمناققين الذين من صفتهم على مر  
العصور هو تأخير وارباك بعثة الانبياء  
والمرسلين بكل الوسائل والاساليب،  
وسوف نتطرق الى هذين النوعين:

#### ١. بشارة المؤمنين:

وتكون هذه البشارة للمؤمنين الذين  
يومنون بالانبياء وبعثتهم، ومن مواضع  
البشرى الحسنة ما جاء به المصدر في قوله  
تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ  
قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ**

(٣٢) تفسير الطبرسي: ٨ / ٦٨، وينظر: تفسير

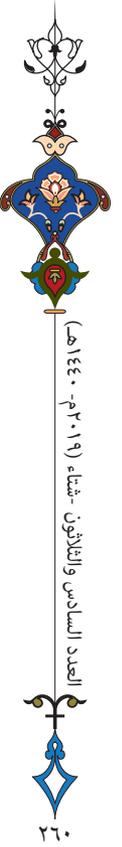
الامثل: ١٢ / ٣٥٩، وتفسير نظم الدرر:

١٥ / ٢٢١.

[٤٨]، فالبشارة هنا الفرح وهي نتيجة  
طبيعية لنزول المطر بعد ان قنطوا آيسين  
من نزوله، وهذه حقيقة الانسان في بيان  
الفرح والسرور عند نزول النعمة والسعة  
في الرزق، والسياق القرآني في هذه الآية  
لم يذكر قوماً او جنساً من البشر بعينهم  
وانما خصت الفرح والسرور لكل عبارة  
من دون الكفرة والفجرة ومن المؤمنين  
والصالحين، فنزول المطر يجلب المنافع  
للبشرية كلها ولا يختص بصنف معين من  
الناس.

اما ورود مادة (بشر) كصفة للرياح  
الواردة في صيغة اسم الفاعل فجاءت  
في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ آيَنَّهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ  
مُبَشِّرَةً وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ۗ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ  
بِأَمْرِهِ ۗ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**

[سورة الروم: ٤٦]، فالرياح صفتها في  
الآية مبشرة للناس وانها تجلب المنافع لهم  
فهي تبشر بالمطر والرحمة وكذلك تسير  
السفن، ومن الملاحظ ان مبشرات فيها  
دلالة على افعال تقوم بها الرياح فكأنها  
(ناطات بالبشارة لما فيها من الدلالة  
عليه (أي نزول المطر) وارسال الرياح



**الْحَكِيمِ** ﴿ [سورة ال عمران: ١٢٦] (٣٣)،  
 حقيقة البشارة في النص القرآني هنا هو  
 النصر الذي اعده الله سبحانه وتعالى  
 للمؤمنين يوم بدر، والنصر بطبيعته يجلب  
 معه الفرح والسرور لمحققه، فالبشارة  
 متحققة بالنصر، وقد جاء الاستثناء في الآية  
 الكريمة مفرغا من أعم العلل، وتكوين  
 الخطاب في الآية الكريمة لـ ((تشریف  
 المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى  
 البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب  
 الظاهرة)) (٣٤)، وحقيقة البشرى انها جاءت  
 بمعنى الاستبشار أي الا لتبشروا به لكي  
 يزداد نشاطكم في التوجه الى طريق الحق  
 ومحاربة المفسدين، فالبشرى في الآية اسم  
 مصدر بمعنى التبشير وهو الاخبار بخير  
 يطرأ اثر الفرح الظاهر علة البشارة.

ووردت البشرى للمؤمنين كذلك في  
 قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا  
 يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا  
 وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ

**ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴿ [سورة  
 يونس: ٦٣-٦٤] (٣٥)، فالبشارة جاءت  
 هنا للخبر السار المفرح، وعليه فان البشارة  
 انقسمت في الآية على قسمين، الاولى في  
 الحياة الدنيا من خلال بشارة الله سبحانه  
 وتعالى في القرآن الكريم على الاعمال  
 الصالحة او بشارة الملائكة للمؤمنين عند  
 موتهم او انها الرؤيا الصالحة التي يراها  
 المؤمنون لأنفسهم فالبشارة هنا اجمالية  
 بما تقر به اعين المؤمنين من خيرات قبل  
 حصولها (٣٦)، والثانية جاءت في الاخرة  
 فالبشارة تختلف ؛ لان الجنة هي الجزاء  
 وهي تختلف عن أي جزاء اخر، كذلك ان  
 الآية كاشفة عن عدم وجود الخوف والغم  
 والوحشة في شخصية وقلوب اولياء  
 الله (٣٧)، والملاحظ كذلك ان الله سبحانه  
 وتعالى قد خص المؤمنين بالبشرى من  
 خلال اسلوب التقديم والتاخير، فقد قدم  
 الخبر (لهم) على المبتدأ (البشرى) لاطهار

(٣٥) وينظر: سورة الزمر: ١٧.

(٣٦) ينظر: تفسير الطبرسي: ٥ / ٢٠٤، وتفسير  
 الميزان: ١٠ / ٨٨، والدر المنثور: ٧ /  
 ٦٨١.

(٣٧) ينظر: تفسير الامثل: ٦ / ٢٤٤.

(٣٣) ينظر: سورة الانفال: ١٠.

(٣٤) تفسير ابي السعود: ٢ / ٨١، وينظر: البحر  
 المحيط: ٣ / ٥٥، والتحرير والتنوير: ٣ /  
 ٢١٢.

البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... البشارة

((ظاهر السياق ان ما بعده من الفضل في حقهم بيان وتفصيل لما ذكر... من فوزهم جيء به بلسان التبشير))<sup>(٤٠)</sup>، وكما قلنا في بادئ البحث ان التبشير هو المبادرة بإبلاغ الخبر المبشر بقصد ادخال السرور وهنا قد تحقق هذا الامر في السياق القرآني للآية من خلال صدور من الله سبحانه وتعالى، فهي بشارة مشتملة على انواع من الرحمة والكرامة للمؤمنين فالبشارة لا تكون الا بالرحمة والاحسان، كذلك ان البشارة صادرة ممن هو اكرم الاكرمين، وكذلك البشارة تكون من خلال خيرات تعجز عن وصفها العقول ويقتصر اللسان على نعتها ووصفها<sup>(٤١)</sup>.

كذلك وردت البشارة للمؤمنين بصيغة الفعل المضارع في القرآن الكريم بلفظ (يستبشرون) والملاحظ ان الفعل المضارع اذا سبق بحرف (السين) فانه يدل على الاستقبال، وهذا الاستقبال في هذا الفعل جاء لنعم الله التي سيحصلون

(٤٠) تفسير الميزان: ٩ / ٢١٢.

(٤١) ينظر: تفسير الرازي: ١٦ / ١٦، وتفسير

اللباب: ١٠ / ٤٧، وتفسير الثعالبي: ٣ /

١٧٠.

كمال العناية باوليائه.

ووردت البشارة بصيغة الفعل المضارع للمؤمنين في قوله تعالى ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة

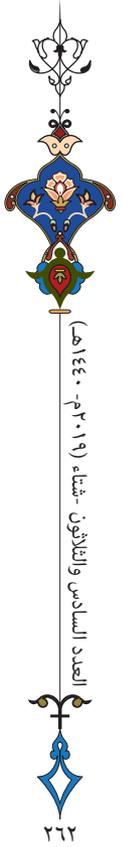
التوبة: ٢١][٣٨)، فالبشارة هنا جاءت من الذات المقدسة الى المؤمنين الذين هاجروا، وهذه البشارة عبارة عن عدة امور منها الرحمة التي تنزل على هؤلاء نتيجة اعمالهم الصالحة وكذلك الرضوان الذي يرضاه الله عنهم، وكذلك المفازة الكبرى وهي نتيجة هذه الاعمال في المحصلة النهائية والاخيرة والخلود في الجنة، يقول الطبرسي عن ذلك ((يبشرهم

رهم برحمة في الدنيا على السنة الرسل وبما يبين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الاخرة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) أي دائم لا يزول ولا ينقطع... أي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق))<sup>(٣٩)</sup>، وعلى هذا فان

(٣٨) وينظر: سورة الشورى: ٢٣، وسورة فصلت: ٣٠.

(٣٩) تفسير الطبرسي: ٥ / ٢٩، وينظر: تفسير

الامثل: ٥ / ٣٤٦، والبحر المحيط: ٥ / ٢٣.



عليها المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة، من ذلك قوله تعالى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة ال عمران: ١٧١]، ففي الآية فنونا بلاغية منها الاختصاص من خلال اجر المؤمنين وهذا الاجر مختص فقط بالمؤمنين دون غيرهم، كذلك من الفنون البلاغية التكرار بـ (يستبشرون) و بأنعم الله من خلال النعمة والفضل، فالبشارة في الآية تحصيل حاصل نتيجة اعمال المؤمنين في الدنيا مما اوجب حصولهم على الاجر المتمسك بأنعم الله المطلقة غير المقيدة، وحقيقة الامر ان هناك نكتة في الآية، وهو ان العبد قد يعمل اعمالا حسنة محددة ومقيدة وكثير من الناس بل اغلبهم لا يستطيع في حياته الدنيا ان يعمل كل الاعمال الحسنة التي امر الله بها في كتابه والتي جاءت على لسان نبيه الكريم ويقتصر على الممكن من الاعمال، الا ان النتيجة تأتي من الله سبحانه وتعالى بالأنعم المطلقة غير المحددة من الفضل والكرم والجود... هذا ان دل فإنها يدل على عدم استصغار بعض الاعمال فقد يكون فيها

الخير كله، وكذلك الملاحظ في البشارة هنا ان السياق القرآني كرر النعمة من خلال لفظة (النعمة) ولفظة (الفضل) وان كان الفضل هو النعمة فان تكراره جاء هنا بسبب كونها ((ليست نعمة مضيفة على قدر الكناية من غير مضاعفة السرور واللذة... وكذلك للتأكيد لتمكن المعنى في النفس)) (٤٢)، وحقيقة هذا لاستبشار في الآية ان المؤمنين استبشروا وسروا لما عاينوه من رفاة الموعود وجزيل الثواب من عند الله (٤٣)، فالاستبشار جاء نتيجة لما لحق بالمؤمنين من شيء قد افرحهم وجعل وجوههم فرحة.

وجاء الفعل (يستبشرون) بشارة للمؤمنين في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٤]، فالآية حاكية عن حال المؤمنين الذين يزدادون

(٤٢) تفسير الطوسي: ٣ / ٤٨ - ٤٩، وينظر: تفسير الطبرسي: ٢ / ٤٤٤، وتفسير ابي السعود: ٢ / ١١٣، وتفسير الالوسي: ٤ / ١٢٤.

(٤٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٤٤٠.



## البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... البشارة

بطياتها صفة الدائمة وعدم الفناء<sup>(٤٧)</sup>، فجنة الله التي وعدها للمؤمنين لا يمكن بمحل او زمان ان تغنى وهذا ما جاءت به البشارة، فإخلاص الطاعة لله ينتج عنها هذا النوع من البشارة، ونلاحظ ان فعل الامر الصادر من الذات الالهية الى خير من يصلح للتبشير وهو الرسول الاكرم محمد ﷺ جاء للنعيم الدائم، وان البشارة كانت مخصوصة ومقيدة وليست مطلقة لصنف البشر عامة للإيحاء بانها جاءت جزاء ونتيجة لأمر محمود عند الله وانه لأناس عملوا عملا مختلفا ومرغوبا فيه من بقية الناس، كذلك نجد ان الالف والام في (الصالحات) جاءت ((ليبين الجنس لا الاستغراق، فهو يشتر كل من حصلت له حقيقة الجنس في أي انواع الجنس على حسب ما تعين لكل مكلف عن جهاد او صلاة))<sup>(٤٨)</sup>.

كذلك جاءت البشارة بفعل الامر

للمؤمنين المحسنين في قوله تعالى ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ

(٤٧) ينظر: تفسير الطبرسي: ٩ / ٤٦٦.

(٤٨) فوائد في مشكل القرآن: ٩٠.

من الايمان عند نزول السور ((مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب))<sup>(٤٤)</sup>، فالله سبحانه وتعالى بين ان المؤمنين يزداد ايمانهم عند نزول السور لما في تطبيقها من الثواب الكثير، فهم يسرون ويبشر بعضهم بعضا وقد تهللت وجوههم فرحا بنزولها لأنها سبب لزيادة كمالهم ورفع درجاتهم عند الله<sup>(٤٥)</sup>، ومن ثم تنزل عليهم رحمة الله ورضوانه وحصولهم على جنات ونعيم مقيم.

وجاءت البشارة للمؤمنين في قوله

تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة

البقرة: ٢٥] <sup>(٤٦)</sup>، وحقيقة البشارة في الآية الكريمة تحمل صفة الابدية التي تكون غير قابلة للزوال، وصفة الابدية تحمل

(٤٤) تفسير الطوسي: ٥ / ٣١٩.

(٤٥) ينظر: تفسير الالوسي: ١١ / ٥٠.

(٤٦) وينظر: سورة البقرة: ٢٢٣، وسورة التوبة:

١١٢، وسورة يونس: ٨٧، ٢، وسورة

الاحزاب: ٤٧، وسورة الصف: ١٣،

وسورة يس: ١١.

النَّوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا  
 اللَّهُ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٩﴾  
 [سورة الحج: ٣٧] (٤٩)، فالإحسان الى  
 الاخرين صفة محمودة وممدوحة من قبل  
 الشارع المقدس وكذلك من قبل الناس،  
 فالآية جاءت بالبشارة فيها الى صنف قد  
 يكون قليلا في المجتمع الا وهم المحسنون  
 وهم اصحاب الاموال الذي يجودون على  
 الناس بما اعطاهم الله وكذلك اصحاب  
 الخلق الحسن الذي يعطفون على الناس  
 من خلال القول الجيد، وسياق الآية  
 يوحي بالإحسان على امرين الاول هو  
 الاحسان الى الذبيحة حين ذبحها وعدم  
 اذيتها من خلال السكين التي تكون حادة  
 وقاطعة لكي لا تتعذب الذبيحة، والامر  
 الاخر يكون الاحسان فيه الى الاخرين من  
 خلال توزيع لحم الذبيحة على المستحقين  
 فهذا بحد ذاته احسان الى الاخرين،  
 والمحسن ((هو الذي يفعل الحسن من  
 الاعمال ويتمسك به فيصير محسنا الى نفسه

بتوفير الثواب عليه)) (٥٠)، فهو قد وجد  
 الاحسان لا فعاله صورة ومعنى وتطبيق،  
 فالبشارة جاءت لهؤلاء المحسنون لانهم  
 فعلوا ما طلب الله منهم على علم وبينه.  
 وايضا جاءت البشارة للصابرين  
 بصيغة فعل الامر في قوله تعالى  
 ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِلَىٰ مَنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ  
 وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ  
 وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥]،  
 فالبشارة هنا للصابرين بعدما ذكر اسباب  
 الصبر ومقوماته التي يصبر عنها الانسان،  
 فبتدأ بالخوف ومن ثم الجوع وبعد ذلك  
 نقص الثمرات والاموال والانفس وهذه  
 كلها ابتلاءات جاء النص القرآني ليبينها  
 الى الناس، فان صبر الانسان على كل  
 هذا بالبشارة التي وعدها الله له يستحقها  
 عن جدارة، فالأمر بالبشارة جاء من الله  
 سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم للذين  
 يستطيعون ان يخرجوا منتصرين من هذه  
 الامتحانات الدنيوية التي ابتلى الله بها ثلة

(٤٩) وينظر: سورة الحج ٣٤، وسورة التوبة:

(٥٠) تفسير الرازي: ٢٣ / ٣٨، وينظر: صفوة

## البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... البشارة بالصَّبَاغِ .

في الاخرة من السرور، واراد بالوجوه اصحاب الوجوه<sup>(٥٤)</sup> التي تكون ملامح وجوههم مضاءة فرحا وسرورا ومهلة لما شاهده من البشرى في ذلك اليوم، فوجوههم ((فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر التبشير على وجوههم وهؤلاء اهل الجنة))<sup>(٥٥)</sup> فهي وجوه مسرورة متهللة راجية من ربها الرحمة، مطمئنة بما تشعره من رضاه عنها، فهي تنجو من هول العذاب لتهلل وتبشّر وتضحك وتستبشر فهي قد عرفت مصيرها وتبين مكانتها فاستبشرت وتهللت.

والملاحظ ان هناك بشارة حسنة للأشخاص وهي لا تختص للمؤمنين وانما المنفعة لمجموعة من الاشخاص، وبالأخص هنا جاءت البشارة في الاستعمال القرآني للغنيمة التي يحصل عليها الفرد من خلال ايجاد شيء ينتفع به من ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عَلَّمَ

من الناس لا غيرهم<sup>(٥١)</sup>، ويوجد نكته في الآية وهي ان كل مشاكل وعوارض الدنيا مهما كانت صعبة وشديدة وقاسية فهي زائلة لأنها مؤقتة وان ما اصيب به الانسان في الحياة الدنيا انما هو قانون عام يشمل كل الافراد والجماعات وان الذي يصبر على هذه الامور سوف تأتيه البشارة من الله سبحانه وتعالى<sup>(٥٢)</sup>، لأنها فضيلة اسلامية، اذا كانت تحلها بآداب الاسلام الحنيف الذي اسس الى هذه الفضائل<sup>(٥٣)</sup>، وحقيقة الامر ان الصبر عبارة عن مختبر يظهر فيه الصابر على هذه الامور والجازع منها.

وجاءت مادة (بشر) بصيغة المشتقات في وصف احوال المؤمنين يوم القيامة وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [سورة عبس: ٣٨-٣٩]، فدلالة الاستبشار في الآية الكريمة ما يصير اليه المؤمنين من الثواب على اعماله في الدنيا و حصول الجزاء

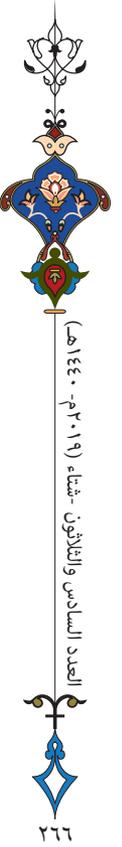
(٥١) ينظر: تفسير الامثل: ١ / ٢٨٥، وفي ظلال القرآن: ١ / ١١٦.

(٥٢) ينظر: تفسير الامثل: ١ / ٢٨٥.

(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ٥٣، وتفسير اللباب: ٣ / ٨٥، وتفسير المنار: ٢ / ٣٥.

(٥٤) ينظر: تفسير الطبرسي: ١٠ / ٢٧١.

(٥٥) تفسير ابن كثير: ٣ / ٦٤١، وينظر: تفسير ابي السعود: ٩ / ١١٣.



وَأَسْرُهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾

[سورة يوسف: ١٩]، فالبشرى هنا اطلقت نتيجة ايجاد شيء نافع للسيارة وهو الغلام الذي يعين على العمل من جانب ومن جانب اخر يكون سلعة تباع وتشتري فينتفع بثمانه<sup>(٥٦)</sup>، فالنداء من خلال (يا بشرى) يحتمل فيها امران، الاول ان البشارة كانت لنفسه من خلال حصوله على الغلام والانتفاع به، والثاني انها بشارة لقومه ورفقته فكانه انزلها منزلة الشخص فناداه بالبشرى وهذه الاستعارة مكنية<sup>(٥٧)</sup>، فالبشرى متحققة للحصول على غلام ينتفع به.

٢. بشارة الكفار والعاصين:

وهذه البشرى تأتي للأشخاص الذين يسلكون الطريق الخاطيء عن عمد، وهم بذلك يخالفون الرسل وما امرهم الله به من اتباعهم، وقد وردت البشرى السيئة بصيغة المصدر في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ

الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ

(٥٦) ينظر: تفسير ابي السعود: ٤ / ٢٦١.

(٥٧) ينظر: تفسير الالوسي: ١٢ / ٢٠٣،

والتحريير والتنوير: ١٢ / ٣٩.

حِجْرًا تَحْجُورًا ﴿٥٨﴾ [سورة الفرقان: ٢٢]

فقد جاء المصدر (بشرى) منفا ب (لا) ليؤيد ان عدم البشرى في الآية الكريمة انها جاء للمجرمين الذين يحتاجون الى رحمة الله الا ان رؤية الملائكة الموكلين بالحساب والعقاب والعذاب يرهب هؤلاء المجرمين، وبهذا فان البشارة تنفي اذاً الرؤية نتيجة الاعمال الطالحة التي كانوا يعملونها، فعدم السرور الناتج برؤية الملائكة في ذلك اليوم كان بسبب ((انهم يرون علامات العذاب برؤيتهم الملائكة، وسوف يغمرهم الرهب الى حد انهم سيطلقون صرخات الاستغاثة التي كانوا يطلقونها في الدنيا حال الاحساس بالخطر امام الاخيرين))<sup>(٥٨)</sup>، وعلة هذا ان نفي البشارة المطلقة متحققة لدى هؤلاء بسبب مصيرهم المحتوم وذلك لان النار التي هم اوقدوها ستحرقهم رغما عنهم.

وجاء الفعل (يستبشرون)

كذلك واصفا حال العاصين المشركين

في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة الحجر: ٦٧]، فالآية

(٥٨) تفسير الامثل: ١١ / ١٤٨.

البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... **البشارة**

القبيحة التي يتعد عنها اسوياء القوم  
والبشر الاصحاء وما اخذت عليه الفطرة  
والذوق السليم الخالي من الانحراف.

ان دلالة الفعل المضارع (يستبشرون)  
جاء لافادة التجدد مبالغة في الفرح  
والسرور الذي ضهر عليهم لانهم علموا  
بوجود رجال غرباء في بيت لوط عليه السلام وهذا  
الفرح جاء نتيجة لما سيفعلون بالضيوف  
من الاعتداء عليهم واغتصابهم كعادة  
سيئة كانت تلازمهم، فالآية لم تقل  
(مستبشرون وانما قالت (يستبشرون)  
لأفادة تجدد استبشارهم وفرحهم بين  
الحين والآخر دون ان يكون في وقت  
معلوم وينتهي ذلك الفرح)) (٦١).

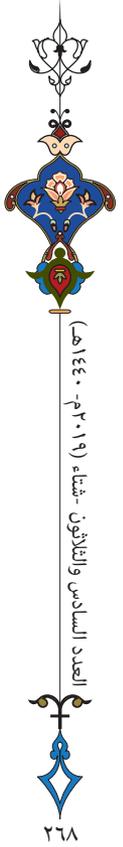
كذلك جاء الفرح والسرور على  
وجوه الكافرين في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا  
ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ  
مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة  
الزمر: ٤٥]، فالسرور والاستبشار  
حال الكافرين وهو نتيجة ذكر غير الله  
سبحانه وتعالى من اوثان الكفار والهتهم

(٦١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣ / ٥٣.

حاكية حال اهل المدينة وما عليه من  
البشارة الظاهرة على وجوههم وانفسهم،  
عندما بشر بعضهم البعض ((بنزول من  
هو في صورة الأضياف بلوط وانما فرحوا  
طمعا في ان ينالوا الفجور منهم)) (٥٩)،  
فقوم لوط قد استبشروا فرحا بهؤلاء  
الضيوف، وذلك لحصول النتيجة في  
مخيلتهم من خلال الحصول على اللذة  
المحرمة المرغوب فيها من قبل هؤلاء  
الفجرة العاصين لأوامر الله على لسان نبيه،  
وكذلك تدل الآية في قوله (اهل المدينة)  
على كونهم جماعة عظيمة يصح عدتهم  
اهل المدينة لكثرتهم وهذا يدل على الفرح  
والسرور الذي عم المدينة بأكملها فاخذوا  
يسارعون الى بشارة بعضهم البعض والسعي  
بالمعصية (٦٠)، فالبشارة هنا واضحة في امر  
غير مرغوب فيه بخلاف اصل البشارة  
التي تكون بأمر ممدوح ومرغوب فيه لدى  
الناس وهذا ان دل فإنما يدل على عمق  
الفسق والفجور وولعهم بالفحشاء عند  
هؤلاء بحيث اخذوا يستبشرون بالأمر

(٥٩) تفسير الطبرسي: ٦ / ١٢٤.

(٦٠) ينظر: تفسير الميزان: ١٢ / ١٨٣.



التي كان يعبدونها، ونلاحظ ان هناك مقابلة في الآية الكريمة جاءت في لفظين (اشمأزت) و (يستبشرون)، فالاشمئزاز ((شدة الكراهية والنفور، أي كرهت)) ذلك قلوبهم ومداركهم، والاستبشار شدة الفرح حتى يظهر اثر ذلك على بشرة الوجه... ومقابلة الاشمئزاز بالاستبشار مطابقة كاملة لان الاشمئزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح)) (٦٢)، وهذا حالهم الذي وصفته الآية لانهم يعاندون كل ما يصدر من الانبياء من تعاليم ربانية، والملاحظ ايضا ورود (إذا) في الآية في ثلاثة مواضع ف ((إذ الاولى وإذ الثانية ظرفان مضمنان معنى الشرط كما هو الغالب، وإذ الثالثة للمفاجأة للدلالة على أنهم يعالجهم الاستبشار حيثئذ من فرط حبههم لأهتهم)) (٦٣).

وكذلك جاءت البشارة بالسوء والعاقبة السيئة من خلال البشارة بالنار، فقد جاء هذا النوع في عدة آيات منها

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة ال عمران: ٢١] (٦٤)، فالآية فيها سبب ونتيجة، النتيجة هي البشارة بالعذاب وسبب ذلك فيه ثلاثة ذنوب كبيرة وهي ((الكفر بآيات الله وقتل الانبياء بغير حق وقتل الذين يدعون الى العدالة ويدافعون عن اهداف الانبياء، وكل واحد من هذه الذنوب يكفي لوحده لجعل الانسان معاندا ومتصلبا بكفره وعدم تسليمه للحق، بل يسعى لخنق كل صوت يدعوا الى الحق)) (٦٥)، فالملاحظ ان البشارة جاءت على خلاف العادة من السرور بالبشرى والجزاء الحسن، بل جاءت هناك الى امر مكروه وغير محمود الا وهو النار وبئس البشارة هذه التي وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم، والملاحظ ان هذه البشارة ((تصريح بشمول الغضب

(٦٢) التحرير والتنوير: ٢٤ / ١٠٤.

(٦٣) التحرير والتنوير: ٢٤ / ١٠٤، وينظر: الدر

المثور: ١٢ / ٦٦٩، وتفسير ابي السعود:

٧ / ٢٥٧.

(٦٤) وينظر: سورة التوبة: ٣٤، ٣، وسورة

النساء: ١٣٨.

(٦٥) تفسير الامثل: ٢ / ٢٦٦.

وجاءت البشارة بالعذاب الاليم بصيغة فعل الامر في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا نُتِلِّيٰ عَلَيْهِ ءَايٰتُنَا وَلَمْ يُسْتَغِيْرْ كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَانَتْ فِيْٓ اٰذْنَيْهِ وَاَقْرَبُ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ الْاَلِيْمِ ﴾ [سورة لقمان: ٧]، وقوله تعالى ﴿ يَسْمَعُ ءَايٰتِ اللّٰهِ تُتْلٰى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَغِيْرًا كَانَتْ لَمْ يَسْمَعَهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ الْاَلِيْمِ ﴾ [سورة الجاثية: ٨]، فالبشارة في الآيتين الكريمتين جاءت كذلك على غير عادة البشارة بالخير لوجود سبب وهذا السبب يحمل دلالة في الآية الكريمة وذلك ان ((من تكبر عن قول الحق اذا دعي اليه كان مرتكبا اعظم كبيرة ولذلك... ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك)) (٦٨)، فهذا سبب وجيه لحصول البشارة بالعذاب، كذلك نلاحظ ان الآية وصفت العذاب بالاليم لعظم الجرم الذي جاءوا به من التكبر والتعنّت وعدم الاستجابة لآيات الله، فهو بذلك يمانع ويقف سدا منيعا من نشر دين الحق للبشرية، فان ((اعراضه لم يكن نابعا من

ونزول السخط، وليس هو العذاب الاخروي فحسب بدليل قوله تعالى عقيب الآية (اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة)، فمنهم مبشرون بالعذاب الدنيوي والاخوي معا)) (٦٦)، واستعمال البشارة هنا للأخبار ((بالعذاب في هذه الآية وفي غيرها انها هو نوع من التهديد والاستهزاء بأفكار المذنبين وهذا اشبه بما هو متداول بيننا اليوم، اذ نقول مستهزئين لمن اساء الفعل: حسنا، سوف نكافوك على ذلك)) (٦٧)، وهذا نوع من الطعن والتوبيخ للكاذبين الذين يغرقون في بحر الندم والحسرة وزيادة التشنيع والتوبيخ لأولئك نتيجة قتل الانبياء دون أي مسوغ وعن اصرار فهم يعلمون ان ذلك القتل بغير حق وهذا اشد انواع الاعتداء، فقد استعيرت البشارة التي هي للأخبار بما يسر للإنذار الذي هو ضده بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء وغاية الدم لأفعالهم.

(٦٦) تفسير الميزان: ١٤٢ / ٣.

(٦٧) تفسير الامثل: ٢ / ٢٦٦، وينظر: التسهيل

لعلوم التنزيل: ٣ / ٣٠١.

(٦٨) تفسير الطبرسي: ٢ / ٤٨، وينظر: تفسير

اللباب: ١٧ / ٣٥٠.

تضرر مصالحه الدنيوية والحد من رغباته وشهواته فحسب، بل ان الامر اكبر من ذلك، فان فيه واقع التكبر امام عظمة الله وآياته وهو اعظم ذنب فيه))<sup>(٦٩)</sup>، وبهذا فان البشارة جاءت للتهكم والسخرية منهم، فاستعمال البشارة في الآيات الواردة في الضرب الثاني جاءت مجازية قصد بها التهكم، فالمعنى ((انذرهم بعذاب اليم، لان العذاب لا يبشر به، فاستعار التبشير للإنذار بعد ان نزل التضاد منزلة التناسب تهكما لذا كان التعبير بلفظ بشرهم ابلغ لأنه اشد لدعا وايلاما من لفظ انذرهم الحقيقي))<sup>(٧٠)</sup>.

ووردت مادة (بشر) في التعبير القرآني بصيغة الفعل المبني للمجهول للذين يعترضون على عطاء رب العالمين في قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [سورة النحل: ٥٨]<sup>(٧١)</sup>، فللملاحظ في البشارة هنا امران، الاول من الناحية الذات المقدسة التي

(٦٩) تفسير الامثل: ١٣ / ١١، وينظر: تفسير ابي السعود: ٨ / ٦٩.

(٧٠) الاتقان في علوم القرآن: ١ / ٢٨٠.

(٧١) وينظر: سورة الزخرف: ١٧.

تعتبر ان المولود بغض النظر عن جنسه هو بشارة لوالديه الذين يستأنسون به، وبذلك تكون بشارة حسنة مرغوب في سماعها، اما الامر الاخر فهو من جانب الجهلة من القوم الذين يعتبرون الانثى عار يلحق بهم، لأنها سوف تكون لعبة بيد الذكر عندما يأخذها لنفسه من خلال الزواج او السبي فهذه البشارة مدعاة الى السخط وسواد الوجه وكان مصيبة وقعت عليه، والذي يحكمنا في هذا الامر ان السياق القرآني رجح الامر الثاني لما فيه من قرائن في التعبير القرآني فقوله (مسوداً وهو كظيم) دلالة على ان البشارة التي جاءت كانت سيئة ووقعها ثقیل على قلبه، فالله اراد بالبشارة الشيء الحسن الجميل و المتلقي اراد بها الشيء السيء القبيح وهذا ان دل فإنما يدل على عدم الاعتراف بجميل الخالق وسوء فعل وقبح المتلقي الذي بدل نعمته الله كفرا، كذلك يمكن ان نعد البشارة ((تعريضا بالتهكم بهم اذا يعدون البشارة مصيبة وذلك من تحريفهم الحقائق))<sup>(٧٢)</sup>، وهذا وارد في هذه الآية.

(٧٢) التحرير والتنوير: ١٣ / ١٤٨.

## نتائج البحث:

١. ان التبشير هو الخبر السار الذي يصاحب انبساط الوجه وهذا هو المعنى الاصيل لهذه المادة، اما المعنى الاخر فهو المصاد للأول وهو من باب الاستهزاء والتهكم والوعيد من قبل الله.
٢. جاءت مادة (بشر) بتشكلاتها (بُشراً) و(بشرى) في القرآن الكريم للبشارة بالخير.
٣. جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (بُشِرَ) للتبشير بالأنثى لا غير.
٤. جاء (أبشر) و (استبشر) وما اشتق منها ومن المضعف في القرآن الكريم للأمر الحسن الذي يجلب السرور.
٥. عبر التعبير القرآني عن الانبساط والفرح والطلاقة في مادة (بشر) بصيغة التبشير الحسن وهذا بخلاف الانذار وهو تخويف العباد.
٦. جاءت مفردة (بشر) في القرآن الكريم بالصورة المصدرية في (١٥ موضعاً) كل هذه المواضع هي للبشارة الحسنة
٧. وردت مادة بشر في القرآن الكريم بصيغة فعل الامر على ضربين، الضرب الاول يكون فيه الجزاء الحسن الجميل من خلال البشارة بالخير للمؤمنين الصالحين، والضرب الثاني يكون فيه الجزاء بالسوء والعاقبة السيئة من خلال البشارة بجهنم ويكون ذلك للعاصين والكفار والمنافقين.
٨. من خلال الاطلاع على مفردة (بشر) في القرآن الكريم الواردة في صيغة المشتقات نلاحظ ان هذه المفردة جاءت صياغتها الاشتقاقية دالة على الخير والاشياء الحسنة دون الوجه الثاني للبشارة الذي يدل على السوء والسخط من الله على الكفار والمعاندين وهذا الامر واضح.

٩. تتدفّق من مادة (بشر) دلالة التّكرار والدّوام، فالتّضعيف في بشر يعني التّكرير ممّا يوحي بأنّ البشارة من الله متجدّدة، وكثيرة متّسمة بالدّوام والاستمراريّة.
- تفسير الشعراوي: الشيخ محمد متولي الشعراوي، مراجعة: د. احمد عمر هاشم، مجمع البحوث الاسلامية في الازهر - القاهرة/ ١٩٩١م.
  - تفسير الصافي: الشيخ محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، مكتبة الصدر - ايران، ط ٣ / ١٤١٥هـ.
  - تفسير الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ / ٢٠٠١م.
  - تفسير الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار الامير - بيروت، ط ١ / ٢٠١٠م.
  - تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري، ضبط: أبو عبد الله الداني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢ / ٢٠٠٩م.
  - تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا،

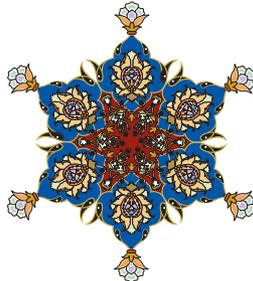
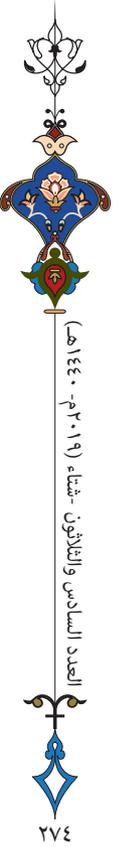
### أهم المصادر:

- الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد احمد زمري، دار الكتاب العربي - بيروت، د. ط / ٢٠٠٥م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: العلامة مصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣ / ٢٠٠٩م
- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن احمد بن جزي: تحقيق: عبد الرزاق المهدي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط ١ / ٢٠٠٤م.
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ / ١٩٩٣م.



البشارة، صورها، ودلالاتها في القرآن الكريم..... البشارة

- دار المنار - القاهرة، ط ٢ / ١٩٤٧ م. الشاويش، المكتب الاسلامي - بيروت، ط ٣ / ١٩٨٤ م.
- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي - بيروت / ١٩٩٧ م.
- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو الفضل الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ٢ / ٢٠٠٥ م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية - القاهرة ٢٠٠٣ م.
- زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي (٥٩٧ هـ)، تحقيق: زهير
- من وحي القرآن: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت، ط ١ / ١٩٨١ م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، تصحيح وتعليق: محمد عمران الأعظمي العمري وآخرون، د. ط، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ١٩٨٤ م.
- النكت والعيون تفسير الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠ هـ)، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت. د. ت.



# إِنْتِقَالُ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ لِأَخْرَتِهِ (دَلِيلٌ قُرْآنِي)

د. أحمد الصفار  
أكاديمي متقاعد  
جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

## فحوى البحث

بحث استدلاي يُثبت أن الانسان اذا مات، فلا تبطل شخصيته المتمثلة في صفاته الدنيوية وأن ما سيكون عليه الانسان في الآخرة من سجية وأخلاق هي نفسها التي كان عليها في الحياة الدنيا، ما لم يرأف به الله - سبحانه- فيغيرها لطفًا به ورحمة، من قبيل: نزع الغل من القلب وتصفية الطباع وإسقاط الوسوس، وإعطاء كل نفس مناها، وإسقاط الحسد... الخ. وبذلك تكون للبحث أهداف ثلاثة:

أولها: ابراز حقيقة انتقال الصفات مع الأعمال.

وثانيها: التعرف على الآيات التي تناولت هذا المبحث.

وثالثها: الاستفادة من معالجة القرآن الكريم لهذه الظاهرة.

وقد حذفنا قائمة المصادر من ذيل البحث لورودها مفصلة في الحواشي، فمعدرة...

## الخلاصة:

أن الإنسان ينتقل لآخرته على حالته النفسية والأخلاقية التي كان عليها في دنياه تماماً ما لم يرأف به الله سبحانه فيغيرها لطفاً به "فينزع الغل في الجنة لتصفية الطباع، وإسقاط الوسوس، وإعطاء كل نفس مناها، ولا يتمنى أحد ما لغيره"<sup>(١)</sup>، فقال تعالى ﴿ وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَّا غَلِيًّا ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣]. فالإنسان إذا ما أتى بعمل من الأعمال مرات كثيرة متوالية فستحصل في نفسه بسبب ذلك ملكة قوية راسخة. وستكتسب النفس نتيجة لتطبّعها على ممارسات معينة الكثير من الصفات الحميدة أو الرذيلة. وأن أفعال الإنسان مرهونة لملكاته التي جُبلت نفسه عليها وأصبحت جزءاً من شخصيته وكما أن الموت ليس إبطالا للشخصية فأن ما سيكون عليه الإنسان في الآخرة من سجية وأخلاق هي نفسها التي كان عليها في الحياة الدنيا. فتنقل صفات الإنسان كما تنتقل أفعاله الى النشأة الآخرة. وهناك

(١) التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (٤٦٠ هـ)، ج٤، ص٤٠٣.

شواهد قرآنية على ذلك تعرّض لها البحث.

## أهمية البحث:

صحيح أن الأفعال هي التي تقرر مصير الإنسان في النشأة الآخرة، كذلك هناك إشارات لانتقال صفاته وسلوكه للآخرة. وعليه فإن سلوكية الإنسان في الدنيا ترسم سلوكيته ذاتها في الآخرة. لأن "الدنيا مزرعة الآخرة"<sup>(٢)</sup>، ويجدر بالمرء أن ينتبه لذلك فالإنسان يتبع الصورة الأخيرة للنفس، التي اكتسبتها قبل الموت.

## مقدمة:

من المعلوم، كما أخبرنا القرآن الكريم، انتقال أعمال المكلف للنشأة الآخرة، وأنها محفوظة ومكتوبة، و"متجسمة"<sup>(٣)</sup>،<sup>(٤)</sup>، كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [سورة آل

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار

الحديث، قم، ج١، ص٢٠٢.

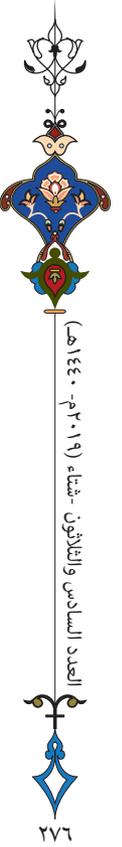
(٣) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محمد مكي العاملي، المركز العالمي

للدراستات الإسلامية، ج٤، ص٢٦٢.

(٤) مفاهيم القرآن، تجسّم الأعمال على ضوء

القرآن والروايات، جعفر السبحاني،

الاعتماد، إيران، ج٨، ص٣٣٠.



عمران: ٣٠]، وفي قوله ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي عَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: ٢٢]. وفي هذا البحث سيتعرّض لانتقال الصفات أيضاً، وليس المقصود بها يطرأ على النفس من أخطار طارئة. وأما الاخطار والهواجس النفسانية الطارئة على النفس من غير إرادة من الإنسان، وكذلك التصورات الساذجة التي لا تصديق معها كتصور صور المعاصي من غير نزوع وعزم لأنها غير مستقرة في النفس فإنها غير مشمولة بهذا الانتقال. وهناك إشارات قرآنية سنمّر عليها إن شاء الله.

إن المعنويات التي نتكلم عنها فمسكنها ومستقرها هو القلب، ومنها الإيثار والحب والكره والنفاق وفساد السريرة أمثلة لذلك. وهي جميعها خيار الإنسان بتجرد، أما أفعاله وما يظهره من تصرفات -فقد يكون مكرهاً عليها- وهذه تسيطر عليها الجسديات فتجعلها منقادة مطيعة وتسلبها حرية الاختيار. فالنفس هي التي تحاسب وليس الروح فإنها طاهرة. ولذلك فالنفس ستكتسب نتيجة

لتطبّعها على ممارسات معينة الكثير من الصفات الحميدة أو الرذيلة، وهذه هي التي نعنيها في بحثنا.

وطبيعي جداً؛ أن أفعال الإنسان مرهونة بملكاته التي جُبلت نفسه عليها وأصبحت جزءاً من شخصيته. فإن "الثواب والعقاب في الآخرة مخلوقان لنفس الإنسان حسب الملكات التي اكتسبها في هذه الدنيا، بحيث لا يمكن لصاحب هذه الملكة، السكون والهدوء إلاّ بفعل ما يناسبها. وتقف الحركة ويبطل التحوّل عند موافاة الموت، فعند ذلك تثبت لها الصّور بلا تغيير أصلاً.

فهو يتبع الصّورة الأخيرة للنفس، التي اكتسبتها قبل الموت"<sup>(٥)</sup>. فالأمر متعلق بما في السرائر، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [سورة الطارق: ٩] وهذا ما يدفعنا لأن نفكر بتمعن في آيات الذكر الحكيم لاستظهار هذه الصورة. "إن الإنسان إذا أتى بعمل من الأعمال مرات كثيرة متوالية حصل

(٥) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محمد مكي العاملي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ج ٤، ص ٣٧٢.

في نفسه بسبب ذلك ملكة قوية راسخة، فإن كانت تلك الملكة ملكة في أعمال نافعة في السعادات الروحانية عظم ابتهاجه بعد الموت، وإن كانت تلك الملكة ملكة ضارة في الأحوال الروحانية عظم تضرره بها بعد، إن التكرار الكثير إن كان سببا لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكل واحد من تلك الأعمال أثر في حصول تلك الملكة، وذلك الأثر وإن كان غير محسوس إلا أنه حاصل في الحقيقة، وإذا عُرف هذا ظهر أنه لا يحصل للإنسان لمحة ولا حركة ولا سكون إلا ويحصل منه في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو آثار الشقاوة قل أو كثير<sup>(٦)</sup>.

ويجدر بنا قبل ذلك أن نستعرض شخصية الإنسان وما يلم بها في حياته.

#### ١. شخصية الإنسان:

تتألف شخصية الإنسان من صفات الإنسان وأخلاقه وميوله وأحاسيسه وكلها منبثقة عن عناصر الحياة. وإن

للعقيدة أو ما يؤمن به الإنسان من فكر أو معتقد الفضل الكبير على مناهج التربية التي تسعى لبناء الإنسان، ومن يؤمن بالتكامل الروحي فإن للعقيدة تأكيدها على دور الايمان والعلم معا في بناء شخصية الإنسان. فتقوم العقيدة بدور تغييري كبير على صعيد البناء الاجتماعي والتربوي على مستوى الفرد والمجتمع، وهناك أمثلة قرآنية كثيرة على ذلك منها: إنقاذ النفوس البريئة للحفاظ على مجتمع متوازن خال من الدمار والموت وتوفير العدالة الاجتماعية للجميع ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [سورة الإسراء: ٣١]، أو تعليم الناس على الإيثار على

مستوى الفرد ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

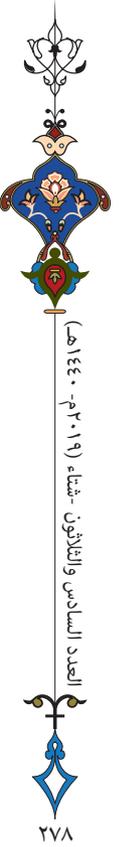
بِالْعَبَادِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧] والإيثار

على مستوى الجماعة: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر: ٩]، وبالمقابل تدعو الى

هدم التمايز الطبقي وجعل الناس متساوين بالحقوق الحياتية من العيش والكرامة

(٦) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت ٦٠٤هـ)، دار الحديث- القاهرة. ج ١٩، ص ١٩.



﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ دَكْرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَاهُمْ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

كما وأهتمت العقيدة كثيرا بمستوى بناء الفرد وتحميلة المسؤولية كاملة تجاه نفسه وغيره ابتداء من المحيطين به وهم اسرته

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَارًا ﴾ [سورة التحريم: ٦]، وذلك كله

نابع من المسؤولية المنوطة به ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ

مَسْئُولُونَ ﴾ [سورة الصافات: ٢٤].

ولا ننسى أن العقيدة قد واجهت التصرفات السلبية المتوارثة ونهت عن ممارستها ووضعت بدائل عنها. وتجلى ذلك في محاربة العادات الجاهلية السائدة

في المجتمع المسلم وهي كثيرة، والتي تطبعت بالتخلف والتعصب الأعمى لتلك الممارسات التي تخالف البناء الاجتماعي المتناسك والهانئ، الذي يسوده

الأمن والرخاء. وجاء القرآن ذامًا لتلك العصبية العمياء ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ

﴿ [سورة الفتح: ٢٦].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

يدفعه إلى نوع من الأعمال والتصرفات،

وبالتأكيد إن لعقيدة الإيمان بالله بشكل

عام لدى الموحدين وعند المسلمين بشكل

خاص آثارا في النفس عميقة، كان لها

نتائج العملية في الحياة العامة. فنتج

نفسا مطمئنة هادئة منتجة، ومتفائلة لا

تتأس، وإيجابية تصمد أمام المصائب

والهزات الاجتماعية والنفسية وكل شؤون

الحياة وتمتع بصلاية وقوة المعتقد، ولها

غاية يسعى صاحبها لإتمامها على أحسن

وجه، فتكون هادفة لا عشوائية في المراد

والغاية. وقد أشار القرآن الكريم الى

هذه العناوين في كثير من الآيات (٧).

ومنها ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ

لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة:

٢١٦]، وكذلك ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].

﴿ [سورة البقرة: ٢١٦]، [سورة فصلت: ٤٩]، [سورة هود: ٩]، [سورة يوسف: ٨٧]، [سورة آل عمران: ١٧٥].



[سورة القلم: ٤]، وقد احتلت مسألة الأخلاق والاهتمام بها مساحة واسعة في العقيدة الإسلامية. فأنتجت له مفاهيم صالحة تعكس وجهة نظر الإسلام في شتى المجالات، كما أنتجت له عواطف وأحاسيس خيرة. كما أنها أسهمت في بناء الإنسان على كافة الصعد الفكرية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

فإن أي فكر أو عقيدة كان عليها المرء فإنها سترسم وتحدد شخصية الإنسان وسلوكه وأفعاله وبالنتيجة صفاته وما ينتج عنها من أفعال وممارسات.

٢. هل تموت الشخصية بموت الإنسان؟

وإذا تكلمنا عن مستقبل شخصية المرء بعد الموت، وتساءلنا هل تفنى شخصيته أم ترافقه الى النشأة الأخرى؟

فيأتي الجواب: «إن الموت ليس إبطالا للشخصية، وأن الشخصية الحقيقية لا تضل أبدا في الأرض، وأما الضال في الأرض فهو البدن الذي هو بمنزلة اللباس لهذه الشخصية، لأن شخصيته هي روحه ونفسه وهي محفوظة في كلتا

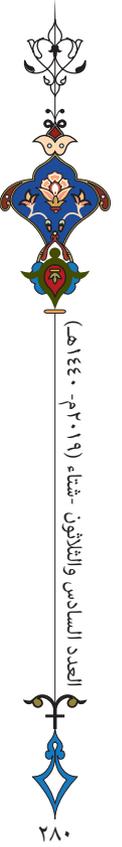
وبذلك فإن العقيدة الإسلامية تهتم كثيرا بالبناء الأخلاقي. وأن العقيدة تشكل مرتكزا متينا للأخلاق، لأنها تخلق الوازع النفسي عند الإنسان للتمسك بالقيم الأخلاقية السامية، على العكس من العقائد الوضعية التي تسير شهوات الإنسان، وتنمي بذور الأنانية المغروسة في نفسه. وأنها تشكل السور الوقائي الذي يحمي الإنسان من الانحدار والسقوط الأخلاقي. فأثاب الحسن الخلق وعاقب من يجاهر بسوئها، "إنَّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخُلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح"<sup>(٨)</sup>. فتدعو الإنسان

الى أن يكون الأسوة الحسنة في المجتمع ليقتدى بها بعدما أعطانا الله سبحانه وتعالى أنموذجا يحتذى به وهو النبي

محمد ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب:

٢١]، لما يكتنزه الرسول الأعظم ﷺ من خلق عظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(٨) أصول الكافي، ج ٢، ص ١٠١، ف ١٢ كتاب الايمان والكفر.



الحالتين. وحتى وإن استمرت عملية فناء الجسم المادي فإن الإنسان في الداخل (أنا) لا يتغير. وأن الذي يصرّ عليه القرآن هو عود البدن الذي كان الإنسان يعيش به في الدنيا، ولا يصدق عود الروح وحدها فقط»<sup>(٩)</sup>.

أردت في هذا المقام أن أبين أن الإنسان يذهب لآخرته كما هو في دنياه تماما على حالته النفسية والأخلاقية التي كان عليها ما لم يرأف به الله سبحانه فيغيرها لطفًا به "فينزع الغل في الجنة لتصفية الطباع، وإسقاط الوسوس، وإعطاء كل نفس منهاها، ولا يتمنى أحد ما لغيره"<sup>(١٠)</sup>، فقال تعالى ﴿وَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣].

وعلينا أن نميّز بين الصفات والأفعال الأخلاقية ليتسنى لنا فهم المراد من هذا البحث. وعلى أساس ذلك نفهم أنه ليس المراد من بحثنا هذا هو مناقشة مسألة

(٩) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، محمد مكي العاملي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ج ٤، ص ٢٨٠.

(١٠) التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (٤٦٠ هـ)، ج ٤، ص ٤٠٣.

الثواب والعقاب بل التعرّض لسلوك الأفراد في النشأة الآخرة. "وطبعاً؛ الأعمال الأخلاقية، هي موضوع المباحث الفقهيّة لدى الفقهاء، ولكن ومع ذلك، فإن علماء الأخلاق قد تناولوها بالبحث في دائرة السلوك الأخلاقي للفرد، ومن الطبيعي فإنّ نظرة عالم الأخلاق، تختلف عن نظرة الفقيه، فالفقيه يبحث المسألة في إطار الأحكام الخمسة: (الحُرمة، الوُجوب، والاستحباب، والكرهية، والإباحة)، ولربّما تطرّق للثواب والعقاب، وللأعمال في نطاق الحياة الآخرة، ولكن عالم الأخلاق ينظر إليها من منظار كمال الروح والنفس، وانحطاطها وتسافلها في خطّ الانحراف، وبهذا يتبيّن الفرق بين الصّفات والأفعال الأخلاقية، ويتمّ من خلالها تمييز نظر الفقيه عن نظر عالم الأخلاق. ورُبّما، ولأجل ذلك لم يفرق علماء الأخلاق بين هذين الإثنين في كتبهم الأخلاقية، فمرّةً يعرّجون على الصّفات الداخلية للإنسان، وأخرى يتطرّقون للأعمال الخارجيّة، التي تستمد مقوماتها من عالم الصّفات الباطنيّة، فيطلق على

القصص: ٨٣]. "وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم" (١٣). ولكن ما أريد إيضاحه هو: أن ما سيكون عليه الإنسان في الآخرة من سجية، وأخلاق هي نفسها التي كان عليها في الحياة الدنيا وأصبحت ملكات عنده.

وإنما السؤال هل تنتقل صفات الإنسان كما تنتقل أفعاله إلى النشأة الآخرة؟.

وللإجابة عنه نبحت حول أن هذه الصفات التي تُسِرُّها النفس وتخفيها وتعمل بها وتظهرها بالأفعال والأعمال، وهي التي تبرز سلوكه ومن ثم شخصيته في الدنيا وهي التي يجازى عليها الإنسان في آخرته. ولنا أن نستقرئ ونتفحص آيات القرآن الكريم حول ما تضره النفس وتخفيه.

٣. ما في النفس ينتقل للآخرة:

هناك آيات كثيرة تشير إلى مسألة الاطلاع على ما تخفيه النفس، وما تسرّه

(١٣) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير (ت ٥٧٧هـ)، ج ٣، ص ٤١٣.

الأول: (الصفات الأخلاقية)، وعلى الثاني: (الأعمال الأخلاقية) (١١).

وليس المقصود من كلامي أن أتناول الموضوع من زاوية أن ما يعمله الانسان في الحياة الدنيا وأنه سيحصده في الآخرة، ويجازى عليه (١٢) - وإن كان ذلك صحيحا - ومن ذلك على سبيل الذكر ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٨﴾** [سورة الزلزلة: ٧ - ٨]،

فتكون نتيجته إما إلى نعيم دائم أو إلى عذاب شديد، على اعتبار أن تلك الدار الآخرة السعيدة تختص بالذين لا يريدون فساداً في الأرض بالعلو على عباد الله ولا بأية معصية أخرى، لقوله تعالى ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [سورة

(١١) الأخلاق في القرآن، آية الله مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام - قم، ط ٢، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(١٢) [سورة البقرة: ١١٠]، [سورة الزمل: ٢٠]، [سورة آل عمران: ٣٠]، [سورة النبأ: ٤٠]، [سورة النمل: ٩٠]، [سورة النساء: ١٠].

والتي يصطلح عليها بالسريرة وجمعها السرائر. "والسريرة تعني ما أسره الإنسان وأخفاه في نفسه"<sup>(١٤)</sup>، كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [سورة الطارق: ٩].

فيختبر الله سبحانه وتعالى سريرة الإنسان وما أخفاه في نفسه يوم الحساب، وما أسر في القلب من العقائد والنيات. فيصبح كل شيء واضحاً جلياً وصريحاً. "أن السرائر تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهوراً"<sup>(١٥)</sup>. وهذا يعني أيضاً أن طبيعة النفس وما تلبّست به وثبتت عليه وهي شخصيته التي تميّز بها ستكون معه في الآخرة. فهذه الشخصية هي ما اكتسبته نفسه في الحياة الدنيا وثبتت عليها وليس ما كان طارئاً في خاطر أو خيال، فقد عفانا الله من مشقة ذلك رحمة منه وتلطفاً كما قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٥]. بل يحاسبنا على ما انعقد في القلب واستقرّ في النفس من سلوكيات وممارسات أصبحت جزءاً من شخصيته، وهي ملكات مخفية "فلا مستقر في النفس إلا للملكات والصفات من الفضائل والردائل كالإيمان، والكفر، والحب، والبغض، والعزم وغيرها، فإنها هي التي تقبل الاظهار والاخفاء"<sup>(١٦)</sup>، قال تعالى ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

"أما إظهارها فإنما تتم بأفعال مناسبة لها تصدر من طريق الجوارح يدركها الحس ويحكم العقل بوجود تلك المصادر النفسية المسانخة لها، إذ لولا تلك الصفات والملكات النفسية من إرادة وكرهة، وإيمان وكفر، وحب وبغض، وغير ذلك لم تصدر هذه الأفعال، فبصدور الأفعال يظهر للعقل وجود ما هو منشأها. وأما إخفاؤها فبالكف عن فعل ما يدل على وجودها في النفس.

(١٦) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ٢، ص ٤٣٦.

(١٤) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١ هـ)، ج ٢٠، ص ٢٦٠.

(١٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت ٧٧٤ هـ)، دار طيبة، ١٩٩٩. ج ٤، ص ٥٣٢.

هو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٧٢] لعله من الواضح أن "تتجلى السجايا الروحية بالصورة البرزخية والأخروية، حيث أن إصلاح صورة النفس في الدنيا وتحصيل الفضائل لها وإزالة الرذائل عنها بيد الإنسان، وللعقائد الباطنة من الكفر والإيمان وللأعمال الظاهرة من الطاعة والعصيان دخلاً وافراً في تلك الصفات والملكات فلا جرم تكون الصور البرزخية والأخروية في تشكل هيتها وحسن منظرها وبياضها وقبح مظهرها وسوادها بيد الإنسان، فله أن يشكلها بأي شكل أراد ويصورها بأية صورة شاء، غير أنه يبقى في الشخص شيء من وصفه الكمي أو الكيفي السابق، ليتعارف به في تلك النشأة في أبناء نوعه" (٢٠) فيجتمع أصحاب الخلق الواحد مع بعض فيقتربوا

معطياته، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ص ٣٥٨.

(٢٠) دروس في الأخلاق، الشيخ علي المشكيني، نشر الهادي، طهران، ١٤١٨ هـ. ق، ج ١، ص ١٦٢.

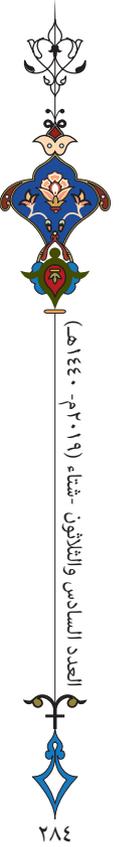
إن الوصفين الإبداء والإخفاء يدلان على أن ما في النفس يمكن أن يكون منشئاً للظهور أو غير منشيء له وهو الخفاء، وهذه الصفات يمكن أن تكون كذلك سواء كانت أحوالاً أو ملكات" (١٧). فهذه الملكات التي ثبتت في نفس الإنسان تنتقل معه الى النشأة الآخرة وأنه سيظهرها من خلال سلوكه؛ وهو ما على شخصيته في الحياة الدنيا. وأن الأخلاق "أول ما يوضع في ميزانه" (١٨).

"إن القرآن الكريم يريد أن يرسم الصورة كما هي في الدنيا، لأن الآخرة هي مرآة الإنسان في الدنيا، فلا يحشر الإنسان بخلق جديد ولا بفكر جديد؛ بل يحشر الإنسان على الصورة التي كان عليها، ليقف بين يدي الله سبحانه، حاملاً صورته الحقيقية بكل ما تحويه من دوافع وتيات وأفكار، ليحاسب على أعماله من خلال واقع حياته الذي كان" (١٩) وذلك

(١٧) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ٢، ص ٤٣٦.

(١٨) بحار الأنوار، المجلسي، دار إحياء التراث، ج ٦٨، ص ٣٨٤.

(١٩) الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه،



من بعض لاقتراب سجايهم فيتعارفوا  
﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة يونس: ٤٥]  
فتتألف قلوبهم، فإن "الأرواح جنود  
مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر  
منها اختلف" (٢١).

٤. أمثلة على سلوكيات الإنسان في  
الآخرة:

ومنها السلوكيات التالية:

١. التحية:

فمثلا تحية الإسلام والمداومة عليها  
في الحياة الدنيا فإنها ستترك أثرها في  
النفس وتصبح ملكة. وحينما يلتزم المؤمن  
بأمر الله سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا  
بتحية الله المبينة بالآية الشريفة ﴿وَإِذَا  
حُيِّئْتُمْ بِهِ نَحِيَّةٌ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء:

٨٦] ويداوم عليها على طول حياته  
فإنها ستغدو ملكة تتلبس شخصيته بها.  
وإنه سيكون عليها في الآخرة لما تطبعت  
عليه نفسه في الحياة الدنيا وأيضا لالتزامه

(٢١) علل الشرائع، أبي جعفر محمد بن علي بن  
الحسين القمي المشهور بالصدوق، (ت  
٣٨١ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،  
بيروت، ج ١، ص ٨٤، حديث شريف.

بالسنة المطهرة. ولكن مقابل ذلك فإن  
غيره الذي لا يلتزم بها ولا يلتزم بالأمر  
الإلهي، فإن هذا السلوك وهو عدم أداء  
التحية سيصبح من ملكاته أيضا. ومن  
المعلوم فقد كان بعض اليهود في الحياة  
الدنيا لا يأتمرون بذلك الأمر الإلهي ولا  
يحيون بتحية الله مع غيرهم، وهي السلام  
عليكم، كما في قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]،

فكانوا يحيون الرسول ﷺ (بالسالم  
عليكم) (٢٢)، لكن الله سبحانه حيّاه  
بالتسليم وشرّح له ذلك تحية من عند  
الله مباركة طيبة، واليهود كانوا يحيونه

(٢٢) في رواية أنه (مرّ يهودي برسول الله ﷺ  
فقال: السام عليك، فقال رسول الله ﷺ:  
«وعليك» فقال رسول الله ﷺ: " أتدرون  
ما يقول؟. قال: السام عليك " قالوا:  
يا رسول الله، ألا نقتله؟. قال: " لا،  
إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا:  
وعليكم، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام  
القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن  
أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي  
شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار  
الكتب المصرية-القاهرة، ١٩٦٤، ج ١٧،  
ص ٢٩٢.

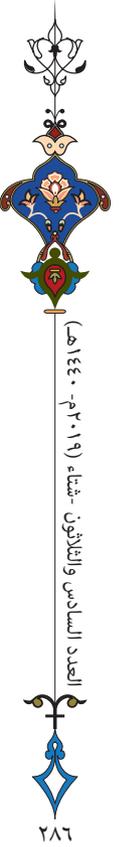


عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ بَلِّ نَطُّكُمْ كَذِبِي ﴿ [سورة هود: ٢٧]. هؤلاء المتكبرون يصبح سلوكهم هذا هو السلوك نفسه في الآخرة، وذلك بأن يتبعوا الخلق السقيم نفسه في ازدرائهم وتكبرهم المفضي لاحتقارهم الآخرين، وفي ذات الوقت نجد أن الأذلاء في الحياة الدنيا سيتخذون نفس المنهج والسلوك في الآخرة فيبقون على ما هم عليه من الذل والإحساس بالحقارة والخسة والدناءة أمام المتكبرين.

من المهم التأكيد عليه؛ أنه فضلاً عن أسلوب الحوار الخاطيء بين المتكبرين وغيرهم من الأذلاء، هو انتقال تلك الصفة السلبية التي كانوا عليها في الحياة الدنيا معهم للآخرة، إذ أن القرآن الكريم قد وسّمهم بصفاتهم الدنيوية التي كانوا عليها ولم ينعّتهم بغير ذلك الوصف الذي كانت عليه شخصيتهم. فهم إما ضعفاء أذلاء أو مستكبرون متعجرفون. ولا ننسى أن كلا الفريقين هم في جهنم ولكن الله سبحانه وتعالى برز تلك الصفتين اللتين كانوا عليها في الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ

بغيرها: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [سورة المجادلة: ٨]، أقول: إن تحية هؤلاء المؤمنين في الآخرة هو كما كان في الحياة الدنيا وأن مزاجهم الروحي هو بنفس الشاكلة التي كانوا عليها في الحياة الدنيا، فوصفهم القرآن الكريم قائلاً: ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [سورة يونس ١٠]، وكذلك وصف سلوكهم بأنهم لا يفارقون التحية التي كانوا مأمورين بأدائها في الحياة الدنيا وإن كانوا هم الآن في سلامة من أمرهم ويعيشون في سلام وأمان في جنات النعيم: ﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٣].

٢. الاستعلاء:  
وفي مثل آخر نرى أن في لغة المتكبر الاستعلاء والسخرية من الآخرين بطريقة تثير الاشمئزاز في الحياة الدنيا: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرْنَكَ لَكُمْ



الضَّعْفَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِيصٍ ﴿[سورة إبراهيم: ٢١]، وكان الحوار بين الفريقين أن قال "الضعفاء المقلدون للذين استكبروا منهم، إنا كنا في الدنيا لكم تابعين مطيعين من غير أن نسألكم حجة على ما تأمرونا به فهل أنتم مفيدون لنا اليوم تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله الذي قضي علينا" (٢٣)، لكن الآية ركزت في الوقت نفسه على إظهار حقيقتيهما كما هي، وهما الضعف والهوان والذل والاتباع تماماً كما كان عليه الفريق الأول في الحياة الدنيا، وأن التكبر والقوة والاستتكاف عن الإيمان بالله وآياته للفريق الثاني فاستصحبوا معهم تلك الصفات إلى الآخرة.

ومن جهة أخرى فإنه لا يجري هذا التوصيف في الحوار الا بين الفريقين

(٢٣) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١ هـ)، ج ١٢، ص ٤٤.

المتخاصمين. فيتحاورون بينهم بطريقة المخاصمة كما كانوا في الدنيا من الخصام والمراجعة في الكلام. فيتراجعون في الكلام متخاصمين. وهنا ((يقول الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا)) وهو افصاح واضح وصرح لرجوع بعضهم إلى بعض في القول. وهؤلاء المستضعفون الأتباع يتدللون للذين استضعفوهم وهم المتبوعون كما كانوا في الحياة الدنيا وهم الأئمة القادة ((لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)) يريدون من ذلك القول: أنكم أجبرتمونا على الكفر وحلتم بيننا وبين الإيمان. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿[سورة سبأ: ٣١].

وهناك "الجماعات التي تُقلد بعضها بعضاً، أو يتأثر بعضها بالبعض الآخر، دون وجود عنصر الضعف والقوة في التقدم والتأخر الزمني الذي يتأثر فيه اللاحقون بالسابقين، لشعور بقداسته

الكريم، وكما يبدو فإن في معنى سؤال بعضهم بعضاً هناك تلاوماً وتعاتباً. فيقول التابعون لمتبعيهم: لم أضللتُمونا؟. فيقول المتبوعون: لم قبلتم منا ولا سلطان لنا عليكم؟. ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ [سورة الصفات: ٢٧ - ٣٠]. وتشير الآية التالية الى "السؤال عن استكبارهم عن طاعة الحق كما كانوا يستكبرون في الدنيا" (٢٥) ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴾ [سورة الصفات: ٢٥].

وهناك مشهد آخر بين المشركين والموحدين. قال تعالى ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْرِجُ يَهُودُ وَيَقُولُ آيُنَّ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة النحل: ٢٧]، فإن الموحدين "الذين وصفهم الله بأنهم

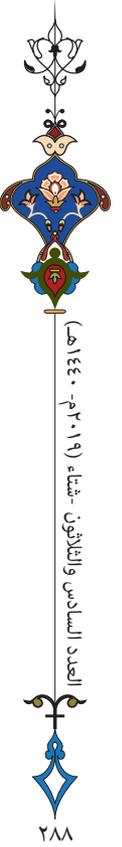
الماضي وبعصمة الماضين عن الخطأ في أغلب الحالات" (٢٤)، ﴿ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَوْلَيْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَأْتِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٨-٣٩].

### ٣. التخاصم والتلاوم:

وما دمنا عرّجنا على شخصية الأذلاء وما تميزت به من اتباع للمستكبر والتراجع في الكلام فهناك أمر آخر قد امتازوا به كما هي شخصيتهم. وأن ما تميز به هؤلاء التابعون هو التخاصم والتلاوم ووضوح حالة الذلّ التي هم عليها أمام المتبوعين. ويؤكد هذه الحالة ما جاء في القرآن الكريم في أن تخاصماً واقعا بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، والتعبير عنه جاء بالتساؤل الذي أثاره القرآن

(٢٥) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١ هـ)، ج١٧، ص ١٣٢.

(٢٤) الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه، معانيه، محمد حسين فضل الله، دار الملائك، بيروت، ص ٣٦١.



أوتوا العلم وأخبر أنهم يتكلمون بكذا هم الذين رزقوا العلم بالله وانكشفت لهم حقيقة التوحيد<sup>(٢٦)</sup>. والحقيقة أن تخصمهم هذا هو ذاته الذي كانوا عليه في الدنيا حينما كانوا يصنّفون بالكافرين، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بتلبسهم بالإجرام فهم المجرمون ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّهُمْ أَنَّا نَسْتَكْبَرُ عَنْ أَلْمَدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمْ بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴾ [سورة سبأ: ٣٢].

ويبدو أن ملكة لوم الذات أو النفس تصاحب الإنسان، "والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة"<sup>(٢٧)</sup> فأقسم سبحانه وتعالى بها فقال ﴿ وَلَا أَسْمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴾

(٢٦) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١ هـ)، ج ١٢، ص ٢٣٣.

(٢٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ج ١٠، ص ١٩٣.

[سورة القيامة: ٢]، فالنفس الإنسانية تلوم الانسان يوم القيامة. "أما الكافرة فإنها تلومه على كفره وفجوره، وأما المؤمنة فإنها تلومه على قلة الطاعة وعدم الاستكثار من الخير"<sup>(٢٨)</sup>.

٤. الكذب وإسرار الشماتة:

أصرار الكاذبين في النشأة الآخرة على ملكاتهم ومنها الكذب، "وحلفهم لله كان بين كل ذلك من قبيل ظهور ملكاتهم الرذيلة التي رسخت في نفوسهم فقد كانوا يسرّون الندامة في الدنيا خوفاً من شماتة الأعداء وكذلك يفعلون يوم القيامة مع ظهور ما أسروا واليوم يوم تبلى السرائر كما يكذبون بمقتضى ملكة الكذب مع ظهور أنهم كاذبون في قولهم"<sup>(٢٩)</sup>، فأسرّوا الندامة كما في قوله تعالى ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[سورة سبأ: ٣٣] وهكذا هم في الآخرة كما كانوا عليه في الحياة الدنيا يتخوفون

(٢٨) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ٢٠، ص ١٠٣.

(٢٩) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ١٦، ص ٣٨٣.

من شماتة المستكبرين فأسروا الندامة  
حسرة في قلوبهم تعصر قلوبهم ألما  
حينما يتعرضون لنفس الموقف: ﴿ وَقَالَ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمْ  
كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ  
حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾  
[سورة البقرة: ١٦٧].

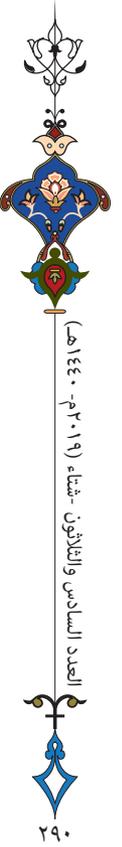
أمر آخر يمكن استدلاله من أن  
أصحاب الملكات الرديئة فإنهم يكذبون  
على الله سبحانه وأنه جل وعلا سيظهرها  
و "بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل في  
أنفسهم من الملكات الرديئة والهيات  
المظلمة والصفات المهلكة ولو ردوا  
لعادوا لما نهوا عنه لرسوخ ذلك فيهم  
وإنهم لكاذبون في الدنيا والآخرة لأن  
الكذب عن ملكه فيهم" (٣٠). "وكأنهم -  
اليوم - يريدون أن يعبثوا من جديد،  
مطالبين بحياة جديدة وفرصة جديدة.

(٣٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم  
والسبع المثاني، (تفسير الألوسي)، شهاب  
الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي  
(ت ١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية،  
بيروت، ١٤١٥ هـ. ج ٤، ص ١٣٣.

ولكن لا مجال لعبث جديد" (٣١) كما  
تحدث القرآن الكريم عن ذلك في قوله  
تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَأَقَالُوا يَلِينًا  
نُرْدُ وَلَا تُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا  
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة  
الأنعام: ٢٧ - ٢٨] على أي حال فإن  
ملكاتهم النفسانية "تظهر يوم القيامة  
فإنهم قد اعتادوا التمني فيما لا سبيل لهم  
إلى حيازته من الخيرات والمنافع الفائتة  
عنهم، وخاصة إذا كان فوتها مستنداً  
إلى سوء اختيارهم وقصور تدبيرهم في  
العمل" (٣٢).

وهناك التفاتة جميلة أشار لها  
الطباطبائي في مسألة ظهور ملكات  
الإنسان التي كانت في الدنيا من الكذب  
والنكران والرذيلة والخوف من الشماتة  
في الآخرة قائلا: "إن كذبهم على الله  
وإنكارهم الشرك بالله وحلفهم لله كان  
بين كل ذلك من قبيل ظهور ملكاتهم

(٣١) الحوار في القرآن: قواعده، أساليبه،  
معطياته، محمد حسين فضل الله، ص ٣٦٦.  
(٣٢) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ٧،  
ص ٥٢.



الرديلة التي رسخت في نفوسهم فقد كانوا يسرون الندامة في الدنيا خوفاً من شامة الأعداء وكذلك يفعلون يوم القيامة مع ظهور ما أسروا واليوم يوم تبلى السرائر كما يكذبون بمقتضى ملكة الكذب مع ظهور أنهم كاذبون في قولهم " (٣٣) مما يدفعهم الى أن يسروا الندامة إذ لم يعد ينفعهم ذات السلوك الذي كانوا عليه في الحياة الدنيا ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ [سورة سبأ: ٣٣].

٥. النفاق:

إن سجية المنافقين في الحياة الدنيا هي عينها في الآخرة من المراوغة والخداع وإظهار ما لا يؤمنون به فأرادوا في الآخرة أن يستخدموا ذات الأسلوب اعتماداً على مخالطتهم المؤمنين. فحكى الله تعالى أن المنافقين ينادون المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في دار الدنيا ومخالطين لكم ومعاشرين؟. فيجيبهم المؤمنون فيقولون بلى كنتم معنا ولكنكم تعرضتم للفتنة وتربصتم بالمؤمنين الدوائر، فأرادوا أن يستخدموا ذات الأسلوب في الآخرة من

(٣٣) م. ن.

التلون فقالوا بأننا كنا معكم: ﴿ يَنَادُوا نَحْنُ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرَ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [سورة الحديد: ١٤].

٦. مواقف المؤمن:

١. ثبات الموقف:

إن طبائع المؤمنين في الحياة الدنيا مع الكفر والكافرين في المواقف الشرعية لا علاقة لها بركة القلب، "وانما لم يدرك اهل الجنة - مع خيريتهم - رقة على اهل النار، لأن من الخيرية القسوة على اعداء الله واعدائهم، وذلك من تهذيب طباعهم كما يبغض المسيء ويجب المحسن" (٣٤)، ولذلك فموقفهم في الآخرة هو ذاته حينما طلب الكفار من المؤمنين ما حرّمه الله عليهم. فكان امتناعهم عن إجابتهم امثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٠].

(٣٤) التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (٤٦٠ هـ)، ج ٤، ص ٤١٦.

٢. طبائع الناس:

إن طبائع الناس في الآخرة يأخذونها معهم من دار الدنيا وهناك اشارات كثيرة في الآيات القرآنية تطرقنا الى بعض منها. وكذلك " هذا الذي يذكر من الهدى والضلالة في الدنيا يلزم الإنسان في الآخرة فالنشأة الأخرى على طبق النشأة الأولى فمن أبصر في الدنيا أبصر في الآخرة، ومن كان في هذه أعمى فهو من الآخرة أعمى وأضل سبيلاً" (٣٥) ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٧٢].

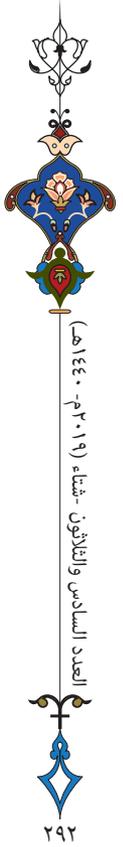
وكما كانوا في الحياة الدنيا لا يارسون الطبقة في كل ألوانها فهم في الآخرة كذلك، إن جلساتهم الاجتماعية خالية من القيود المتعبة التي يُعاني منها عالمنا الدنيوي، فلا طبقة ولا ترجيح بدون مرجع والكل إخوان، يجلسون متقابلين في صف واحد ومستوى واحد. وبطبيعة الحال، فهذا لا ينافي تفاوت مقاماتهم ودرجاتهم الحاصلة من درجة الإيمان

(٣٥) الميزان في تفسير القرآن، م. س. ج ١٣، ص ١٥٢.

والتقوى في الحياة الدنيا، ولكن ذلك التساوي إنما يرتبط بجلستهم الاجتماعية، فيصفهم سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فيقول: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ عَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٤٧].

٣. الناصح في الدنيا ناصح في الآخرة: ويتجدد ذلك السلوك المعنوي بنقله للآخرة كما كان عليه المرء في الحياة الدنيا. فقصه الرجل المؤمن الناصح الهادف لتحقيق التوحيد بين المشركين فإنه ينبض حيوية وحركة في التبليغ مجداً ساعياً في نشر رسالة الأنبياء فنهض لمساعدتهم. وحضه الدائم على تعبيد الناس لله الواحد الأحد. فقد كان يؤمن بالله إيمان إخلاص، ويعبده لا طمعاً في جنة أو خوفاً من نار بل لأنه أهل للعبادة ولذلك كان من المكرمين، ذلك الوصف الذي لم يوصف به إلا الملائكة وعباد الله المقربين ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ صَفِيفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٤].

ولم يرق ذلك لهم فقتلوه وهو على هذه الحال. "ولم يكن بين قتله بأيديهم وبين



أمره بدخول الجنة أي فصل وانفكاك كأن قتله بأيديهم هو أمره بدخول الجنة" (٣٦) ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [سورة يس: ٢٦-٢٧]،

وكما يستدل من الآية الشريفة أن فعله هذا "هو نصح منه لقومه ميتاً كما كان ينصحهم حياً" (٣٧)، وتمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله وليؤمنوا لينالوا ذلك وهذا يؤشر على زعمنا بأن السلوك المعنوي وليس فقط الأعمال تنتقل مع الإنسان الى ما بعد حياته الدنيا. "وإنما تمنى علم قومه بحاله، ليكون علمهم بكماله، سبباً لهم في استحصال مثل ذلك

لأنفسهم، والرغبة منهم في سلوك طريقه، واكتسابهم العلم والإيمان، وتوبتهم عن الكفر والعصيان، تكثيراً لأهل الخير والإحسان، وسوقاً لعباد الله إلى الجنة

(٣٦) الميزان في تفسير القرآن، ١ م. س. ج ١٧، ص ٧٩.

(٣٧) الميزان في تفسير القرآن، ١ م. س. ج ١٧، ص ٧٩.

والرضوان" (٣٨)، وفي الحديث "نصح قومه حياً وميتاً" (٣٩). كما ويستدل من هذه الآية "تنبه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والرأفة بمن أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تحليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشاتة به والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام؟" (٤٠).

#### ٤. الصدق:

من الطبيعي أن مروءة المرء مع نفسه هو أن يحملها سرا على ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين؛ ليصير لها ملكة في العلانية، فمن اعتاد شيئاً في سره

(٣٨) تفسير القرآن العظيم، صدر المتأهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٩ هـ)، دار الإيمان، قم، ج ٥، ص ٦٥.  
(٣٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، ٢٠٠٩، ج ٤، ص ١١.

(٤٠) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار الكتب المصرية-القاهرة، ١٩٦٤، ج ١٥، ص ٢٠.



وخلوته صار مَلَكة في علانيته وجهره. فتقتضي مروءته استعمال كل خلق حسن، واجتناب كل خلق قبيح. وتجنب الدنيا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأعمال؛ فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه، وجني الثمار منه بسهولة ويسر؛ ومروءة الخلق: سعته وبسطه وتركه للخبيث والبغيض. والصدق ممارسة في الحياة الدنيا في القول والفعل ووفاء لما عاهد نفسه عليه. والصدق من الصادقين صدقهم في الدنيا بالتأكيد. قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾، فمن "الطبيعي أن المقصود من هذا هو أن الصدق في القول والعمل في هذه الدنيا هو الذي ينفع في الآخرة، لأن الصدق في الآخرة - التي لا تكليف فيها - لا ينفع شيئاً ثم أن الوضع في تلك الحياة مختلف بحيث لا يستطيع أحد إلا أن يقول الصدق، حتى المذنبون يعترفون بسيئات ما عملوا، وعلى هذا فلا وجود للكذب يوم القيامة. وعليه، فإن الذين أنجزوا ما كلّفوا به من مسؤولية ورسالة ولم يسيروا إلا في

طريق الصدق" (٤١). فالصادقون كانوا أوفياء لعهودهم وأقوالهم وأفعالهم. وكما هو معلوم فإن "كل وفاء صدق. وليس كل صدق وفاء. فإن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول، ولا يكون الصدق إلا في القول، لأنه نوع من أنواع الخبر، والخبر قول" (٤٢). ومن مقدمات الصدق الاستقامة وعدم التبديل طوال حياتهم حتى يلاقوا الله سبحانه وتعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]، وهؤلاء وصفهم الله سبحانه وتعالى بتلك الملكة التي كانوا عليها في حياتهم الدنيا وسماهم بالصادقين ويجزيهم على صدقهم، كما وصف الآخرين بصفتهم وهي النفاق وسماهم بها فيقول:

(٤١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار الولاية، ج ٤، ص ١٨٨ - ٢٠٥.

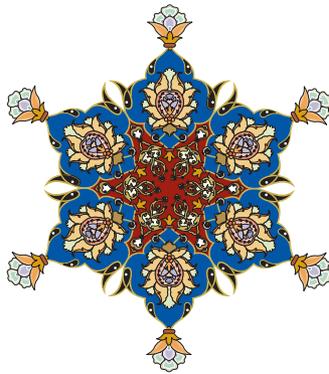
(٤٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة. ج ١، ص ٥٧٥.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾  
[سورة الأحزاب: ٢٤].

### الخاتمة:

تناول البحث فكرة انتقال الصفات والسلوكيات التي جُبلت عليها النفس، فلا عدم أو موت لشخصية المرء بل تنتقل مع الأعمال الى النشأة الأخرى. وسيُحشر الإنسان بما كان على شخصيته وصفاته في الحياة الدنيا. وقد تعرّض البحث للآيات التي أشارت الى ذلك. وتناول البحث سلوك أنموذجين من الشخصية وهما

الملتزمة وغير الملتزمة. وتبين إن أية فكر أو عقيدة كان عليها المرء فإنها سترسم وتحدد شخصيته او سلوكه وبالنتيجة صفاته وما ينتج عنها من أفعال وممارسات التي سيحشر عليها. وتناول البحث عشرة أمثلة من الممارسات التي انتقلت الى النشأة الآخرة كان قد عرضها القرآن الكريم وتناولها البحث بالتحليل باتباع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، معتمداً في ذلك على الآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع والتعرّف عليها وربطها بالواقع وذلك من خلال الرجوع الى كتب التفسير.





عبدالمجيد  
١٤٥٥

والذين يدعون من دونه ما يكفون من عباده



# طُرُقُ اتِّهَاجِ الصَّبْرِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعِلْمِ النَّفْسِ

د. حسن رضائي هفتادور  
الأستاذ المشارك في جامعة طهران

## فحوى البحث

يقرر السيد الباحث أن (الصبر) يعد من ملازمات إيمان كل فرد مؤمن، لذا يجب على الإنسان المؤمن البحث عن طرق تحصيل الصبر والتحمل وبواسطة هذه الطرق يحقق الإنسان المؤمن عبوديته لله ويبلغ الكمال في شخصيته. ففي هذا البحث تطرق الباحث إلى تعريف الصبر ومفهومه، وأهميته وضرورته، وبين مكانته وفضيلته في القرآن الكريم، وطرق الوصول إليه التي ذكرها القرآن، الاعتقادية والعبادية والأخلاقية؛ ثم ذكر طرق الوصول إليه من وجهة نظر علم النفس يعني الطرق السلوكية، والنظرية، وتحديد الهدف من تحقيق ذلك، وذكر بأنه بدون التطبيق العملي لهذه الطرق لا يمكن للإنسان أن ينال فضائل الصبر، ولا يمكن أن يحقق الصبر في سلوكه وشخصيته، وعليه يبقى إيمانه إيماناً ناقصاً غير متكامل، ولا يقوى في حياته الدنيوية على مواجهة الأزمات وضروب الابتلاء، ولا يتغلب عليها. الكلمات الرئيسية: الصبر، نهج الصبر، القرآن، علم النفس.

### المقدمة:

(الصبر) هو أحد المفاهيم المعنوية والأخلاقية المهمة والذي ينضوي تحت الكثير من الخصال الأخلاقية أيضاً؛ إن مرتبة الصبر هي من الكمال الإنسانية التي أشارت إليها الآيات القرآنية والأحاديث. إذ لا شك أن من سنة الحياة وجود البلايا والمصائب والصعاب فيها ليعرف الإنسان نفسه وفي خضم تزامم الأزمات وتضادها مع العقل والقلب والمنطق يكتشف الإنسان قدرته ومدى قوته وضعفه، ويمارس سلوكه بمنهج رباني، فإذا علم الشخص ربوبية ومالكية الله للوجود، ووقف على حكمة وفلسفة الحياة في الدنيا، سيعرف بأن الدنيا لها مقتضيات وملازمات كالمصائب والمحن والآلام، ويعرف بأن على الإنسان بلوغ الكمال مع وجود هذه المحن، ويفعل صفات كامنة في الذات، ويجد السير وفق سلوك الهي رباني.

وهذا دليل واضح على أن الذي يسهل أمور الحياة هو معرفة ربوبية الخالق الحكيم ومعرفة فلسفة الخلق وأهدافه، فإذا

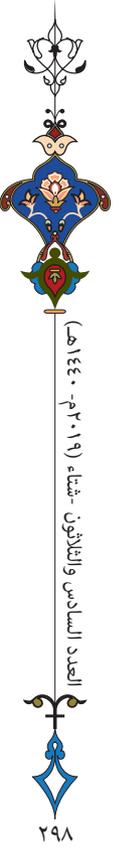
عرف الإنسان حقيقة الوجود ومكانته في الوجود إلى جانب علمه بخالقية وربوبية الله سبحانه، حينها سيدرك جيداً بأن كل شيء في الوجود خلق لأجل هدف معين، وله حكمة وفلسفة خاصة.

وعليه فإذا كانت المصائب نابعة من الذنوب والخطايا، يتوجب على الإنسان السعي في إصلاح أعماله وأفكاره، وإذا كانت البلايا ناتجة عن سنن إلهية، فبالاستفادة من هذه المصائب وبالتحمل والصبر تتبدل تلك المصائب إلى عوامل نضج وكمال لإيمانه.

وبناء على ذلك حتى لو أن الإنسان يلحقه الضرر بسبب ضغط الصعاب فإن لذلك حكمة ومحاولة الفرد بصبره وثباته أن يبذل ما أصابه إلى كمالات.

وبهذا السلوك تهون علينا المصائب، ويرتفع مستوى تحمل الشخص للبلايا ولا يأن ويبتئس عند نزول نازلة به، بل يتقبل حكمة الله بطمأنينة نفس ويصل إلى مقام الرضا والرضوان.

ومثل هكذا أشخاص يكون طريق الله لهم هدفاً ولا يستوحشون هذا الطريق لقلّة



أهله، ويضفون بوحدتهم معنى آخر لرضا معبودهم.

### إيضاح المسألة:

الصبر خصوصية روحية ونفسية واستقامة داخلية، يتح عنه السيطرة والتحكم بأحاسيس وانفعالات الشخص، ويعطي للإنسان تحملاً للصعاب واجتهاد في الأعمال.

إن للصبر في حياة الإنسان ثماراً متنوعة منها يعين الإنسان على الوقف تجاه أزمات الحياة ومواجهتها، ويعطي للإنسان نجاحاً في دراسته، وفي عمله، وفي علاقاته بالمجتمع، ويصقل شخصيته في تعامله مع انفعالاته ورغباته الباطنية، ويعينه أيضاً في مجال السلوك العبادي والاستقامة على الدين، وبناء على أهمية الصبر في حياة المجتمع البشري فقد طرح القرآن آيات عديدة واضحة في مجال الصبر، ونحن في هذا البحث نتطرق إلى طرق انتهاج الصبر من زاوية قرآنية ومن وجهة نظر علم النفس.

### سابقة التحقيق:

لقد ذكر هذا البحث في آيات القرآن

الكريم، وبحثه المفسرون أيضاً من خلال تفسيرهم لآيات الصبر، أمثال: الشيخ الطوسي في تفسير (التبيان)؛ والشيخ الطبرسي في تفسير (مجمع البيان)، والملا محسن الكاشاني في تفسير (الصافي)، والزحيلي في تفسير (الوسيط)، وذكره العلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان) وغيرهم من المفسرين.

وقد ألفت أيضاً بعض الكتب في الصبر مثل: (الصبر في الإسلام رؤية تحليلية) تأليف طلال طرفة، و (سيامي صابران في القرآن) تأليف محمد علي لساني، و (الصبر في القرآن الكريم) تأليف يوسف القرضاوي.

### مفهوم الصبر:

#### الصبر في اللغة:

عرّف علماء اللغة العربية الصبر بأنه: الإمساك في ضيق، بمعنى حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه. (الراغب الأصفهاني: ٤٧٤، وابن منظور: ٤٣٨).

وعرّفه البعض بأنه: حبس النفس عن الجزع. (الجوهري: ٧٠٦).

## الصبر في الاصطلاح:

الصبر عبارة عن: ثبات النفس واطمئنانها وعدم اضطرابها في البلاء والمصائب، والمقاومة قبال الأحداث والمحن، بنحو لا يضيق معه الصدر ولا يصاحبه قلق، ولا تزول الطمأنينة التي كانت قبل الحدث.

وحفظ اللسان عن الشكوى، ويحفظ المرء أعضائه عن الحركات غير الطبيعية، وهذا هو الصبر في الشدائد الذي يقابله الجزع. (النراقي:، ٢٣٠).

ويمكن أن يعرف الصبر بالمعنى العام بأنه:

حبس النفس عن العمل الذي يمنع من الوصول إلى الهدف، أو يوجب التأخر في بلوغ الهدف؛ والصبر في هذا المعنى هو بنفسه ليس بفضيلة أخلاقية، بل مقاومة ناشئة عن سيطرة الشخص على نفسه.

وهذه المقاومة تكون فضيلة أخلاقية إذا كان هدف الإنسان الصابر الكمال الأخلاقي والقرب إلى الله تعالى، والصبر يكون قبال شيء يتعارض مع الكمال الأخلاقي التقرب إلى الله تعالى. إنَّ القيمة

الأخلاقية للصبر مرتبطة بالهدف الذي لأجله يكون الصبر.

في بحث (علاقة الإنسان بالله) يراد بالصبر نوع مقاومة قبال عوامل تضعف علاقة الإنسان مع الله، وتخرجه عن دائرة الإيمان بالله على المستوى النظري أو العملي. (أموزه هاي بنيادين علم أخلاق: ١٢٠).

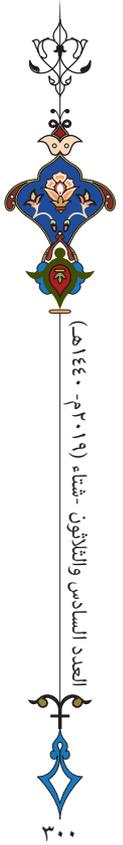
وعرّف الصبر أيضاً بأنه:

حفظ النفس من الاضطراب، والاعتراض والشكوى، ويطلق أيضاً على طمأنينة النفس. (مصطفوي: ٦ / ١٨٢).

## تعريف الصبر في علم النفس:

للصبر في علم النفس أقسام مختلفة ويمكن متابعة هذه الأقسام بمفردة مستقلة، فهو يرتبط بالصبر في المعصية، بالسيطرة على الرغبات الجنسية، وبالعدوان، وبالميول للأكل، والرغبة في التحدث، وفي نزعات الثروة والسلطة.

الصبر في الطاعة: يعني القيام بالأعمال الصعبة وإدامتها حتى الوصول إلى الهدف حتى مع مواجهة المشاكل، ويعتبر هذان النوعان من الصبر في علم النفس قريباً



من مفهوم الانضباط (الذاتي) أو (الرقابة الذاتية).

(Self-regulation).

ويتحقق هذا الانضباط الذاتي حينما يريد الشخص الحصول على نتيجة معينة، أو اجتناب نتيجة، أو عمل ما، أو كلام، أو تجنب شخص ما، بكيفية خاصة أو بدون كيفية معينة.

(Higgins, E. tory: 2190).

ففي هذا التعريف المراد بالحصول على نتيجة (الصبر في الطاعة) واجتنابها يراد به (كبح شهواته عن الذنوب)، لكن مفهوم (الانضباط الذاتي) في أدبيات علم النفس وفلاسفة الغرب له جذور في (أصل اللذة) يعتقد علماء النفس بأن حينما يقوم بأداء عمل ما، أو يترك فعل ما فهذا العمل جلب له لذة أو يزيل عناء أو اضطراب. (نفس المصدر).

المفهوم الديني للصبر لا يتبع أصل اللذة؛ لأن في مفهوم الصبر يكون ترك الذنب والابتعاد عن اللذات كامن في الصبر، إلا أن يكون ترك الذنب لأجل لذة القرب إلى الله، ونعيم الجنان.

ففي هذه الحالة يمكن اعتبار مفهوم الصبر تابع لأصل اللذة، لكن أصل اللذة معنى أوسع مما يراه علماء النفس.

وترى بعض مصادر علم النفس أن مفهوم (الانضباط الذاتي) لفظ مرادف لـ (السيطرة، و (كبح الشهوات) (Self control على النفس)

وهي ألفاظ مترادفة للمعنى الذي ذكرناه. (Impulse control)

(Kazdin, alan: 215 - 219).

لكن بعض علماء النفس اعتبروا أن (الانضباط الذاتي) و (السيطرة على النفس) هما نوعان من السيطرة ولهما ثلاثة اختلافات أو فوارق.

(Kuhl: 665 - 765).

### الصبر في القرآن:

ذكرت مفردة الصبر ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو (١٠٣) مرة.

وهذا دليل على الأهمية الخاصة لهذه الخصلة الأخلاقية في القرآن والدين الإسلامي. إن الإنسان وحياته قد خلق بمعية الابتلاءات، والاحتياجات والعقبات، والكثير من المصائب، وإن

طرق انتهاج الصبر من وجهة نظر القرآن..... **الصَّبْرُ**

وناصرهم في مراحل الحياة الصعبة، ووعدهم بنعم خاصة بهم. (مكارم الشيرازي، ١٣٨٤، ١ / ٥٣٠).

وكما قال تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ الصَّابِرِينَ تَشْعُرُونَ.. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥ و ١٥٧].

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

فقد اعتبرت هذه الآية الصبر من مقدمات الوصول إلى مقام الإمامة وأوصلت الإنسان إلى مقام القرب الإلهي، ليكون مستحقاً لإمامة الناس، وهي إشارة إلى مقام وقيمة الصبر العليا في سبيل الله. (الصادقي طهراني، ١٣٦٥، ٢٣: ٣٠١).

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ [سورة الروم: ٦٠].

أي فاصبر على ما يواجهونك به من قولهم: (إن انتم إلا مبطلون) وسائر تهكماتهم، إن وعد الله حق، وإنه إذا

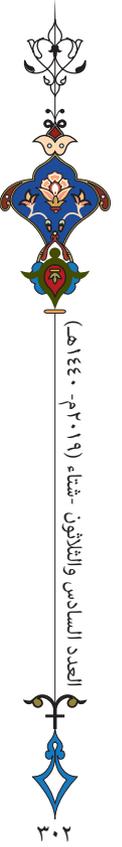
الابتلاءات والمصائب دوماً تصيب أمواله وأجباؤه وأصدقاءه، وما يحصل عليه من نعم مما يؤول إلى فقدها.

ومن جانب آخر فإن الإنسان له رغبات وميول نفسانية تضغط عليه، وكل ذلك وسائل اختبار للإنسان من قبل الله سبحانه. (الطبرسي: ٧٤-٧٥).

وفي هذا المجال يقول تعالى: ﴿ **وَتَبَلَّوْهُم بِالْأَشْرِّ وَالْغَيْرِ فَتْنَةً وَإِنَّا نُرْجِعُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

والفتنة الوحيدة التي تجتاز الصعاب بأمن وسلامة وتصل إلى هدفها هم الذين بصبرهم يرضون بالقضاء الإلهي، ويكبحون رغبات أنفسهم ويسلمون لأمر الله، ولم تصرفهم مختلف الابتلاءات عن الشكر لله وطاعته وعبادته، ومع وجود كل هذه الصعاب فهم يعملون بمسؤولياتهم الإلهية. (البلاغي النجفي، ١٤٢٥ق: ١ / ١٤١).

لقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وبطرق مختلفة وعرف الإنسان على مكانة وقيمة الصبر، وكذلك وعد الصابرين بأنه معهم



وعد بشيء فمن المؤكد أنه سيفعله.  
(الطباطبائي، ١٣٧٤ ش، ١٦: ٣٢٦).

### طرق كسب الصبر من وجهة نظر القرآن:

للتجّاح في كسب فضيلة الصبر ذكر القرآن عدة طرق مختلفة؛ الاعتقادية والعبادية والأخلاقية؛ ونحن نتحدث باختصار حول هذه الطرق:

#### أ. الاعتقادية:

##### ١. الإيمان بالله تعالى:

من أهم عوامل ازدياد التحمل وتقوية الصبر، هو عامل الإيمان بالله خالق الوجود والإيمان بحاكميته على جميع ذرات هذا الكون، والاعتقاد يصدق بأنه الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وإن كل ما يجري للعبد من أحداث مرة وحلوة، بواسطة أو بلا واسطة هي كلها من عنده سبحانه وباقتضاء حكمته جل وعلا، وإن ما يجري على الإنسان يصب في مصلحته وكما يقول تعالى في القرآن مخاطباً نبيه الأكرم ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور: ٤٨].

فلو حمل الإنسان هذا الاعتقاد بعمق

سيرى دوماً أن يد القدرة الإلهية من وراء الأمور في الحياة، وحينما يواجه الطوارئ لم يفقد السيطرة على النفس ويخلى ساحة المواجهة فحسب، بل يبدل الغم إلى سرور، والوحدة إلى اجتماع والهزيمة إلى نصر، وكما قال الإمام علي عليه السلام: ((الصبر ثمرة الإيمان)). (الآمدي، ١٤١٣ هـ. ق: ٢٨٠).

##### ٢. التوكل:

التوكل على الله سبحانه والاعتقاد على قدرته التي لا تزول في الأزمات تضاعف من الصبر والتحمل عدة أضعاف؛ لأن المؤمن في جميع الأحوال يرى نفسه في كنف ورعاية ربه، ومع وجود هذا الإحساس تتكون لديه قدرة و طاقة عظيمة، ولا يدخل الخوف والقلق إلى قلبه.

إن التوكل من صفات أهل الجنة الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٩].

وفي حديث للإمام علي عليه السلام يصف التوكل بأنه طريق حل المشاكل حيث يقول: ((من توكل على الله ذلت له

## طرق انتهج الصبر من وجهة نظر القرآن..... **الصَّبْرُ**

يشير إلى أن (الصبر) هنا إشارة إلى أن الصبر في هذا المجال أصعب.

وهذه الخصوصية أطلقت لأن طريق عبودية الله وإطاعة أوامره من أوله حتى نهايته مليء بقطاع الطرق (الطباطبائي، الميزان: ١٨ / ١٦٦).

٤. الإيمان بالأجر الإلهي:

الاعتقاد بالأجر الإلهي والثواب من ضمن الأمور التي تشجع الإنسان وتدفع به نحو العمل، وتحفزه على المقاومة والثبات والاستقامة، وتزيد في ميول الإنسان وحرصه على القيام بإنجاز الأعمال، وحينما يكون لديه إيمان كامل بالجزاء الأوفى يقوم بإنجاز عمل يضعف له أجره، وقد أشار القرآن مرات عديدة إلى هذا المعنى بأن الصابرين لهم عند الله عظيم الأجر، وعندما يرجعون إلى بارئهم ويقفون بين يديه فإنهم سينالون الأجر الكبير.

قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٦].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا نُوفِي

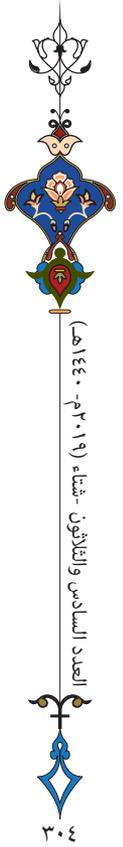
الصعاب وتسهلت عليه الأسباب)) (الأمدي: ١٩٧).

٣. الطاعة لله واتباع أوامره:

إن الثبات على طاعة الله وعدم الانحراف عن أوامره، والعيش بنحو يليق بصفة العبودية لله، وهذا من أهم عوامل الصبر والأرضية الممهدة له.

وفي خصوص هذا العامل من الصبر خاطب الله سبحانه نبيه الأكرم ﷺ مرتين في القرآن الكريم بصيغة الأمر: الأولى في سورة مريم عليها السلام في الآية (٦٥) فقال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومرة أخرى في سورة طه في الآية (١٣٢) حيث يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة طه: ١٣٢].

النقطة الجديدة بالالتفات في هاتين الآيتين هي أن في هذين الموردين فقط استعمال القرآن الكريم لفظ (اصبر) بصيغة الأمر من باب افتعال ((اصطبر)) وأن استعمال ((اصطبر)) بدلاً من (اصبر)



أَلَصَّبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [سورة الزمر: ١٠].

لأنه يعلم بأن السنة الإلهية لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول.

٥. الإيمان بالقضاء والقدر:

من الأمور الأخرى التي تعين الإنسان على الوقوف أمام الصعاب، وتزوده بالصبر والثبات هي إيمانه بالقضاء والقدر، فالشخص الذي يعتقد بأن كل ما يلاقه من حوادث هو بإرادة الله وبمشيئته، يكون ذا روحية قوية متماسكة ويتحمل الحرمان والأزمات بكل سهولة، ولا يفقد أو ينحرف عن طرق الصبر تحت أي مؤثر وظرف، وفي هذا المجال يقول تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

يقول الإمام علي عليه السلام: ((الروح والراحة في الرضا واليقين، والهلم والحزن في الشك والسخط)) (نهج البلاغة الخطبة: ١٧٨). (الإمام الصادق عليه السلام البحار ج ٦٨: ١٥٩).

٦. الاعتقاد بعدالة الله:

الإنسان المؤمن لديه اعتقاد كامل بالعدل الإلهي، وقانع بحد وحقوقه؛ ويجعل العدل شعار حياته، ولا يسعى وراء المصالح المادية، والاستيلاء على حقوق الغير، فهو شخص صبور ولهذا يكون بعيداً عن الكثير من الأمراض الجسدية الناشئة بسبب القلق والاضطراب، حينما لا يتمكن من الحصول على ما نريد، أو لم نحصل على شيء نتصوره حق لنا، نشعر بألم، أو نتصور أن هذا ليس بعدل لكن على الإنسان أن يعتقد بأن الله لا يظلم عباده، كما يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ

والآية التي بعدها تحدثت عن رد الفعل الذي يجب أن يكون حيث يقول تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾.

إن الإنسان الذي يحمل اعتقاداً رصيناً بالقضاء والقدر والسنة الإلهية لا يبدر منه إلا رد فعل إيجابي وهو الصبر والتحمل؛

لِلْعَبِيدِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٢]، ولا يريد لهم الظلم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل

## • طرق انتهاج الصبر من وجهة نظر القرآن.....

منها له أثر خاص في طمأنينة الإنسان، وقد تناولت مختلف الكتب دراسة أقسام العبادات، والقرآن الكريم تطرق إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** ﴾ [سورة طه: ١٢٤].

على الإنسان أن لا يغفل عن ذكر الله؛ لأن البعد عن ذكره يجعل حياة الإنسان أمام أزمات خانقة. لذا ورد في الروايات أن ذكر الله دواء النفوس المريضة، وشفاء للقلوب. ((نهج الفصاحة: ٢٨٧، الحديث ٢٧٩٢).

٣. طلب العون من الله: بدون طلب الإمداد والعون من الله، لا يمكن للإنسان أن يصبر أقصى درجات الصبر، أو أن يبقى ويحافظ على مرتبة الصبر حتى يبلغ مراده، فكما قال تعالى: ﴿ **وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾.

فإن (الاستعانة) تعني طلب الإمداد وذلك في حالة أن الإنسان لا يمكنه مواجهة وتحمل الصعاب لوحده؛ وبما أن ليس هناك معين واقعي غير الله إذن الاستعانة والإمداد لمواجهة المحن تكمن

عمران: ١٠٨]، ولا يظلم أحداً بأقل حد من الظلم، فيقول سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ [سورة النساء: ٤٠].

وإن الله سبحانه لا يجب الظالمين، كما يقول تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [سورة ال عمران: ١٤٠].

ب. الطرق العبادية:

١. الاستعانة بالعبادات:

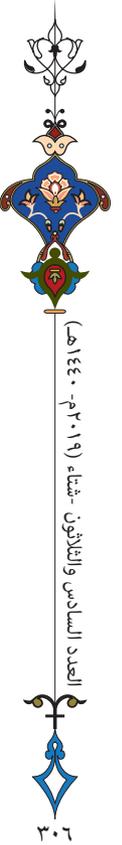
من الطرق الأخرى لزيادة طاقة التحمل والصبر، هي الاستعانة بالعبادات وبالأخص الصلاة، لذا فإن المؤمنين على طوال الخط يستمدون العون من العبادات في مواجهة مشاكل الحياة، ولأجل الثبات والاستقامة على الطريق وعملوا بمحتوى الآية الشريفة التي تقول: ﴿ **وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الخَاشِعِينَ** ﴾ [سورة البقرة: ٤٥].

وقد فسر الصبر في هذه الآية بأنه الصوم. (الكليني، ٤: ٦٣).

وهو نوع من رياضة شرعية لزيادة الصبر والتحمل.

٢. ذكر الله:

للعبادة أقسام عديدة، وكل نوع



بالثبات والمقاومة، والاتصال بذات الإله المقدسة، وهذا هو ((الصبر والصلاة)) وهما أفضل وسيلتين؛ لأن الصبر والتحمل يصغر كل أزمة عظيمة، وان الالتجاء إلى الله يوقظ روح الإيمان لدى الإنسان ويفهمه بأنه له ملجأ رصين ولا يزول. (الطباطبائي، الميزان؛ ١: ٢١٠).

٤. معرفة النفس:

على الإنسان أن يعلم بأن بدايته ومصيره بيد الله، وهو الذي جاء به إلى وجوده، ومنح لحياته الحركة، فكل ما لديه هو من الله، صحته، وقوته هبة ونعمة من الله، وإذا كان صاحب ثروة وزوجة وأبناء فهي من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

وعليه فإن الإنسان الذي يرى أن كل ذلك من عند الله، فإذا واجه منعطفاً في حياته وفقد شيئاً مما يملك، فما هو موقفه وما قوله الذي يطرحه؟.

هل ذلك حادث عظيم حدث في حياته؟.

كلا؛ لأن صاحب الملك وواهبه قد

استرد بعض ما أعطاه وبهذا المفهوم فإن الله تعالى، رب الإنسان ورب العالمين.

يعلم الإنسان، إذا واجه محنة وفقد ما عنده، أن يكون على يقين شديد، ويكون لسانه وقلبه واعتقاده وسلوكه على هذا الشعار الذي صرح به تعالى في القرآن فقال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦].

٥. الدعاء والمناجاة:

لقد عرفنا أئمة الدين والعمل بمكانة الدعاء الرفيعة في حياة الإنسان، فعلى الرغم من دعوتهم لنا وتوجيهنا نحو الدعاء والمناجاة لله سبحانه، لكنهم قد الفتوا أنظارنا وفهمنا أكثر إلى قيمة وأهمية مقولة الدعاء. إن الدعاء في حقيقته هو تجسيد التوجه القلبي، والمسألّة باطنية بمثل السؤال الذي نعده فيما بيننا. (الميزان، ج ٢: ٣٨).

إن الإنسان بدعائه يحصل على أهلية عطاء الحق؛ لأن الدعاء هو الطلب وهو الذي يجل العقد، وهو الخلاص من كل غم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الدعاء

## • طرق انتهاج الصبر من وجهة نظر القرآن.....

بحاجة إلى عزم وإرادة قاطعة وراسخة، وبدون ذلك لا يمكن للإنسان تحمل المشاق. (الطوسي، ٨: ٢٨٠).

٢. التواضع:

من الفضائل الأخلاقية التي تؤثر في الصبر هي صفة التواضع، فهي من صفات أنبياء الله، التي تحلوا بها، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: ((فيما أوصى الله عز وجل إلى داوود: يا داوود كما أن اقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعده الناس من الله المتكبرون)) (الحر العاملي، ١٥: ٢٧٣).

وعليه فإن الإنسان باقتدائه بهذا الحديث، يمكنه جلب رضا الله تعالى وضمان جنته، وذلك من بعد أن تدوب شخصيته في هذه الفضيلة الأخلاقية السامية.

٣. العفو والصفح:

يعد العفو والصفح من أهم مظاهر الصبر، ورد في تفسير مجمع البيان في تفسير ذيل الآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِيَةِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

في طمأنينة النفس بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

ج. الطرق الأخلاقية:

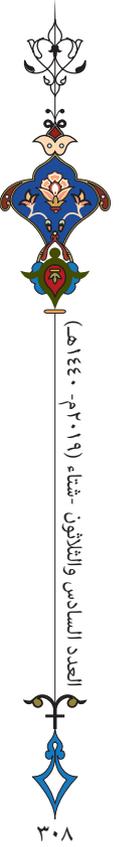
١. العزم والإرادة:

الإرادة، هي الطاقة الباطنية التي تدفع الإنسان ببصيرة ووعي نحو العمل الهادف.

والشخص صاحب الإرادة لا يستسلم أبدا أمام الصعاب والمنغصات، ويصمد كالجبل، وبِعزمه وإرادته يجد الحل للتغلب على مشاكله، كأنبياء الله العظام الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإتباعهم كما قال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

وقد نقل القرآن الكريم عن لسان لقمان عليه السلام بوصيته لابنه، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وقد ذكر بعض المفسرين أن جملة ((من عزم الأمور)) تعني أن الصبر والاستقامة



[سورة آل عمران: ١٣٤].

إن جارية لعلي بن الحسين عليه السلام جعلت تسكب عليه الماء ليتهياً للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشحجه، فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إن الله تعالى يقول:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال لها: قد

كظمت غيظي، قالت: ((والعافين عن الناس)) قال: قد عفا الله عنك، قالت: ((والله يحب المحسنين)) قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. (الطبرسي ٢: ٣٩٣).

إن العفو والتجاوز ليس سبباً للحيلولة دون العداء، وإخماد روح العداء، بل يجعل الإنسان في حالة سمو روحي؛ لأن مقابلة الإساءة بالإحسان، يعود على روحية الإنسان بالعظمة، ويعد الإنسان لمواجهة أزمات اكبر.

٤. التقوى:

كلمة التقوى التي تعني كبح الشهوات والنزعات النفسانية قد ذكرت في آيات كثيرة إلى جانب الصبر، وتحكي هذه الآيات عن ترابط دقيق وشديد بين هاتين الصفتين وفيما يلي نستعرض بعض الآيات

التي تضمنت هذا المعنى، يقول تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

فقد وردت التقوى في هذه الآية بتركيب أكثر مع الصبر، وهي عامل السيطرة على النفس.

وفي سورة يوسف يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩٠].

وفي الآيات التي سبقت هذه الآية، والتي تحدثت حول يوسف عليه السلام وصبره القوي أمام مطالب زليخا، ومكر النساء الذي يعد أخطر اختبار للتقوى، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئْسَ وَهْمًا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف: ٢٤].

وهنا فان عفة وصبر وقوة يوسف عليه السلام وهي تقواه، قد انتصرت على أمانى النفس وشهواتها.

وقد وصف الإمام علي عليه السلام المتقين بقوله: ((صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم

## • طرق انتهاج الصبر من وجهة نظر القرآن.....

وهنا نذكر بعض عناصر هذا النظام الإدراكي:

أ. معرفة العالم:

على الإنسان أن يتوصل إلى هذه المرتبة من البصيرة، وهي أن كل ما في الوجود هو بيد مقتدره وعالم خبير، وليس هناك شيء خارج عن دائرة قدرته وعلمه، ولذا لابد أن يعرف بأن كل شيء يحصل عليه ويناله هو بعلم الله، وهو الذي يدبر أمر الوجود، ويعتقد بمفهوم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦]، ويعرف سنة الاختبار والابتلاء ويعتقد بها. (البقرة: ١٥٥ وآل عمران: ١٤٦).

ب. سنة التكامل:

لابد للإنسان أن يحمل هذا الاعتقاد، وهو بأن الدنيا ميدان للإنسان لبلورة الطاقات، وعليه أن يعتبرها طريقاً للتكامل ويتوصل إلى الكمال اللائق، وان الابتلاءات التي تواجهه، هي في الحقيقة أرضية لتفجير الطاقات ولقدراته التي أودعت فيه.

ويطلق استعداداته من خلال هذه الابتلاءات، وبناء على هذا المنهج ستكون

راحة طويلة)) (نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣).

طرق الصبر من وجهة نظر

علم النفس:

في هذا القسم من المقالة نتطرق إلى بحث طرق الصبر في علم النفس، ومن خلال ثلاثة أقسام: الطرق السلوكية، طرق المعرفة والرؤية، وطرق معرفة الهدف في الصبر.

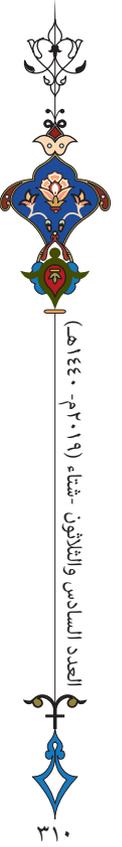
أ. الطرق السلوكية:

١. التفكير:

طبقاً لاكتشافات علم النفس المعرفي، فإن فهم وإدراك الإنسان يشكل الظواهر الأساسية للسلوك، وبناء على هذا فإن الإنسان إذا لم يكن عنده فهم صحيح ومناسب للسلوك، سيكون ذلك السلوك بالنسبة له صعباً، وعلى العكس من ذلك إذا كان له فهم مناسب لذلك السلوك، سيكون ذلك له بسيطاً.

وهذا الموضوع كذلك يصدق على تعلم سلوك الصبر.

إن الأشخاص الذين يتمتعون بصبر يكون لهم فهم ورؤية خاصة تجاه الدنيا،



أغلب الابتلاءات والمحن صانعة لقدرات الإنسان وتكامله، وبذلك يقوى الإيمان وأوجه بمفهوم الصبر، ويكون إحدى الأرضيات لتكامل البشرية. [سورة الفرقان: ٢٠].

٢. تقبل الواقع:

طبقاً للحكمة، فإنّ العاقل لا يشغل نفسه في عمل لا طائل منه، من قبيل المواجهة والصراع مع الهموم بلا فائدة.

لكن بدلاً من هذا الصراع عليه يسيطر على همومه ويترك الأساليب الخاطئة التي تجعله إنساناً عاجزاً؛ ففي مواجهة الواقع والاعتراف به، يتوصل الشخص إلى فكرة أفضل لمواجهة الأمر الواقع، المواجهة المؤثرة والحيوية هي عبارة عن إيجاد طريق حل للخروج من الأزمات، أو الازدياد من الصبر والتحمل، كما قال الإمام علي عليه السلام: ((واعلم أن المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيا، وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار)) (غرر الحكم: الحديث: ١٧٧٩).

٣. العلاج بالبكاء:

البكاء هو رد فعل طبيعي، ونتيجة

للعواطف الإنسانية والبكاء هو أحد الأساليب للحيلولة دون تراكم وتزايد الغموم، وهو حين وقوع المصائب يعد سبباً لتسكين الألم النفسي؛ ولم ينه عنه الإسلام؛ فإن حبس الغم في داخل النفس واجتناب البكاء يبعث على تصدع الروح وتمزقها.

إن التعاليم الدينية قد ألفت النظر إلى هذا الأمر، وقد جاءت وصايا أئمتنا عليهم السلام في ذلك بشكل مؤكد، فعن الإمام علي عليه السلام قال: ((رخص رسول الله في البكاء عند المصيبة وقال: النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب فقولوا ما أرضى الله ولا تقولوا المهجر)) (دعائم الإسلام، ١: ٢٢٥).

٤. الإفصاح عما في الداخل:

من الطرق لتلافي تراكم الهموم في القلب، هي الإفصاح والبوح عن الغم واستشارة المؤمنين والشكوى لهم، ففي ضرورة هذا الأمر يقول الصادق عليه السلام: ((إذا ضاق أحدكم فليعلم أخاه ولا يعين على نفسه)) (وسائل الشيعة ٢: ٥٥).

٥. التلقين الباعث على الصبر:

من الأساليب الناجحة في مواجهة الأمور المحزنة، والتي تبعث على رفع مستوى الصبر، هو تلقين التحمل.

إن توجيه الشخص الذي يواجهه الهموم نحو هذه المعرفة العالية ونكرر تلقينه ذلك، فإن ذلك مؤثر جداً في تقوية روحيته وفي الحيلولة دون تراكم الهموم والغموم لديه.

وإنّ هذا المفهوم الإلهي (الذي يعطى للمفهوم أملاً جديداً، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ((إِذَا تَبَاعَدَتِ الْمَصِيبَةُ قَرُبَتِ السَّلْوَةُ)). (الأمدي، غرر الحكم: الحديث: ٤٠٥٥).

وبناء على ذلك فإن الصبر علاوة على معناه المصطلح، فهو يعني المقاومة قبال حوادث الأيام، خصوصاً الحادثة الأولى، والسيطرة على الضغوطات الحاصلة نتيجة ذلك.

٦. الابتعاد عن عوامل إضعاف الصبر: لا شك أن الابتعاد عن عوامل إيجاد الأمراض الجسدية أو النفسية، تعد من أهم الخطوات في مجال حفظ روحية الصبر عند الإنسان، ومن أسباب عدم الصبر

عند الفرد المهموم، هو عدم السيطرة في ذكر المواهب الإلهية، وذكر مشاكل عديدة، كالغم، والعذابات، والهموم والغموم، فالتفكير المستمر في النقائص وذكرها، ليس من ورائه سوى الحزن، والتكأب، وانعدام الأمل، والرؤيا القائمة للحياة.

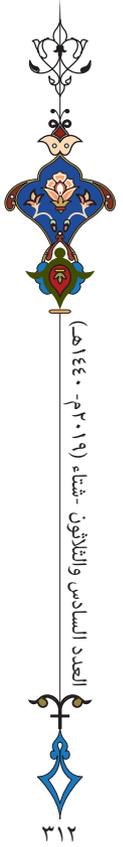
٧. الرؤية الإيجابية:

تبني الرؤية الايجابية على هذا المنطق، أن الشخص الذي يواجه المحنة، يجعل من المشاكل والصعاب أمراً جميلاً، وبعبارة أخرى أن الرؤية الايجابية هي أسلوب لتغير الأمور المنغصة إلى أمور سارة حسنة، ويعد علم النفس أسلوب التفاؤل من الأساليب المهمة في الإقلال من الاضطراب وجلب الطمأنينة، وكذلك الإسلام حافل بالكثير من هذه الأفكار يقول المحققون في هذا المجال: (عليك أن تجعل في ذهنك الأفكار الإيجابية بدلاً من الأفكار السلبية، ويجب أن نتصور دوماً أن نعيش في الدنيا بشكل لائق وحسن).

(باقر بور، ١٣٦٢ ش: ٦٧٣).

ب. طرق المعرفة والرؤية:

١. تعلم الإدراك:



في أوائل القرن العشرين، كانت هناك مخالفة لمنهج المدرسة السلوكية، المنهج الإدراكي، وبناء لأسس هذا المنهج، فإن التعلم يقع تحت تأثير مراحل ذهنية.

وهذه المراحل تشمل إدراك الأمور، تنظيم المعلومات، تجزئة وتحليل المعلومات وفهم المعنى، وحسب اعتقاد علماء النفس، أن المتعلم يكون في ذهنه بنية معرفية أو إدراكية، تودع فيها معلومات حول مختلف الأحداث، وعلى أساس ذلك يكون هناك سلوك معين له موقف وإدراك.

## ٢. الصبر بواسطة القدوة:

من نظريات علم النفس التعليمي، التي تؤكد على جوانب سلوكية، وعلى الجوانب المعرفية معاً، هي نظرية التعلم من القدوة، وعلى أساس هذه النظرية فإن المتعلم يشرع بالتعلم عن طريق مشاهدته سلوك القدوة، فإذا كان سلوك القدوة مصحوباً بدعم وتشجيع، سيكون هذا السلوك دافعاً وحافزاً للمتعلم على تكرار الفعل، وإذا كان سلوك القدوة مصاحباً للعقوبة سيكون حافزاً للمتعلم على عدم تكرار الفعل الخاطيء، إن الوالدين

والعلماء، والمدرب الرياضي هم في مقام القدوة، ويقع الأنبياء في المراتب العليا للقدوة.

لقد أشار القرآن الكريم في آيات عديدة إلى حالات الصبر لدى عظماء الدين والأنبياء، فتحدث عن أيوب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤١ - ٤٤].

٣. الاعتقاد بأن الصعاب أرضية لنمو الطاقات:

على الإنسان أن يحمل هذا الاعتقاد، بأن الدنيا بالنسبة للإنسان، مجال لإطلاق طاقاته واستعداداته، ومن هنا يتسنى للإنسان أن يسلك طريق التكامل ويصل إلى الكمال اللائق.

الاعتقاد بأن الصعاب والمحن والبلاء التي ترد على الفرد هي في الحقيقة أرضية تمهد إظهار قدراته التي أودعت فيه، أن الاعتقاد بفلسفة وجود الكثير من الاختبارات والمصائب في حياة الإنسان تنضج طاقاته، وتهيئ أرضية لتكامله، وانه في تحمله يبلغ الكمال وتكامل شخصيته.



٤. النظرة الواقعية:

إذا توهم الإنسان بأن الدنيا عالم الراحة والرخاء، وعندما ترد عليه الأزمات والمحن حينها لا يمكنه التحمل، وليس له أن يصبر يقول تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾ [سورة هود: ٩].

الفكرة يقوى أمله في الحياة، ينقل (دليل كارنيجي) أن احد أصدقاءه كان يستخدم هذه الجملة شعاراً في حياته: (كنت أعيش الغم لأني لا أملك حذاءً، إلى أن رأيت رجلاً ليس له رجل). (دليل كارنيجي: ١١٩).

ج. طرق لمعرفة الهدف:

١. الالتفات إلى الهدف من الصبر:

إذا لم يكن الهدف محددًا، فإن الفرد لا يعرف لماذا عليه أن يتحمل الشدائد وما الغاية في ذلك، وفي النتيجة لا يمكنه الصبر، لذا فقد تحدث القرآن الكريم عن أهداف الصبر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُونَ وَالْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٢].

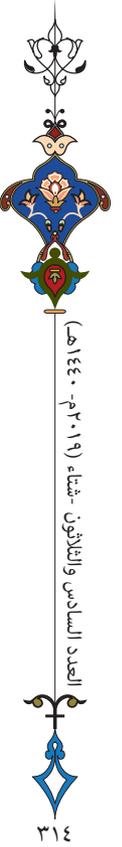
• يقول وليم جيمز العالم النفساني: (تقبل الأحداث كما هي عليه، وأعد نفسك أن تتقبلها؛ لأن تقبل الحدث يعد أول خطوة في التغلب على نتائج الأزمة). (ديو كارنيجي ١٣٢٧ ش، ١٩١٩).

٥. المقارنة التنزلية في الماديات:

إذا قارن الشخص حياته ومعيشتة بمعيشة آخرين أعلى مستوى منه، سيفقد صبره وفي المقابل إذا قارن معيشتة بمعيشة من هم دونه بالمستوى سيقوى صبره، أن الشخص الصبور يعرف بأن غيره قد يمتلك أشياء لا يملكها هو، لكن في نفس الوقت هو لديه أشياء كثيرة لا يملكها أحد، فحينها يحمل الإنسان هذه

إن رضا الله هو أسمى هدف يحمله الفرد المؤمن، وان الصبر هو كأي سلوك آخر يحتاج إلى حافز ودافع، ووجود الهدف هو الذي يوجد الحافز.

وكذلك علماء النفس قد أكدوا كثيراً على دور الهدف في السلوك، منهم العالم



(أدلر) باستخدامه اصطلاح (الغائية الخيالية).

(Fictional finalism).

حيث يقول: (يصنع الأشخاص للحياة أهدافاً خيالية، ويتصرفون على أن الأهداف الشخصية هي المقصود الأخير في الحياة... إذا اعتقد الشخص بأن الحياة العليا التي سينهاها في الجنة هي اجر التقوى، فإن حياته ستكون في جهد متواصل لنيل هذا الهدف.

وهذه الأهداف الخيالية هي العلة الذهنية للفعاليات النفسية (جيمس بروجاسكا و جون سي نوركروس: ١١٢).

٢. قيمة الهدف:

إن الشخص يكون مستعداً لتحمل العناء والمصائب والصبر قبال ذلك، وي بذل جهوداً مضمّنية في سبيل تحقيق أهدافه حينما يعرف بأن تلك الأهداف ذات قيمة في حياته، وتوصل إلى هدف سام.

يصرح القرآن الكريم بأن الهدف من الصبر هو جلب رضا الله، ويصور هذا

الهدف بقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٦].

تحليل:

يقول (ولتر ميشيل) في تحليله: إن الأطفال يجسسون أنفاسهم ويتحملون لأجل أن يحصلوا على قطعتين من الحلوى بدلاً من قطعة واحدة؛ لأن قيمة القطعتين من الحلوى تستحق التحمل وذات قيمة بالنسبة لهم. (دانيل كولن، بلا تاريخ، ١٢١).

ويقول (ليفين): (إن الموضوع الشيق من شأنه أن يغير في حالات توتر الفرد، ويعتقد (اتيكنسون) أن قيمة الهدف التشجيعية إحدى عوامل النجاح المؤثرة في سلوك الفرد. (خدا بناهي، ١٣٧٦ ش، ١١١).

٣. شوق الوصول إلى الهدف:

إذا كان الشخص يحمل في داخله شوقاً إلى شيء معين، سوف يتحمل ما يلاقه من صعوبات وعقبات في طريق وصوله لهدفه؛ وهذا الاشتياق ليس ملازم لقيمة

الوصول إلى الهدف، بل عندما تحيط بالإنسان مخاطر عدم الوصول وبلوغ الأهداف، فهذا الإحساس بحد ذاته يمثل حافزاً مهماً في المسير.

يقول جون اتكينسون في نظرية (الحافز): (مع أن الكثير من الناس يثابرون من أجل الوصول للنجاح، لكن الحافز لدى البعض غير مؤثر في الوصول للنجاح، بل هناك منحنى آخر يدعى (منحنى اجتناب الهزيمة والانكسار).

(Tehdency to avoid failure)

يدفع بهم نحو التطور وتقلد المواقع العالية).

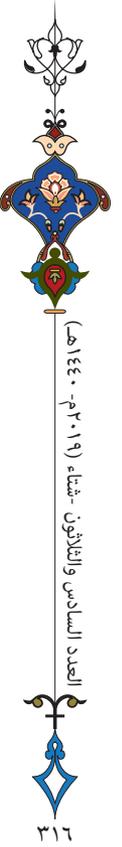
٥. الإعراض عن المنافسة للهدف: إذا كان الشخص يحمل جميع ما ذكرنا فيما تقدم، يعني له هدف محدد ولهذا الهدف قيمة في نظره وله شوق وحب لهدفه؛ لكن في نفس الوقت يجب أشياء تتنافى وهدفه، ففي هذه الحالة لا يمكن تحمل الصعاب التي تلاقيه في مسير تحقيق الهدف، فهكذا شخص مثله مثل الذي يعرف مدى قيمة النجاح في الامتحان، وله رغبة في ذلك،

الهدف الواقعية؛ فمن الممكن أن يكون في الهدف قيمة واقعية لكن الشخص لا يحمل في داخله شوقاً للوصول إليه، فتكون نتيجة ذلك هي عدم تحمل مشاق الوصول إلى الهدف؛ لذا فقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أن الشوق هو أحد أركان الصبر، فقال عليه السلام: ((والصبر على أربع شعب على الشوق... فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات)) (نهج البلاغة، الحكمة، ٣١).

٤. الخوف من الانكسار والهزيمة:

من خلال تتبع الوصايا والتعاليم الإسلامية تتضح لدينا هذه الفكرة وهي: أن الشوق لوحده لا يمكنه أن يدفع الفرد نحو الهدف المراد؛ بل إن هذه الحركة تحتاج إلى الخوف أيضاً، لذا فإن علاقة الإنسان بالله سبحانه يجب ملاحظة التعادل والتوازن فيها بين الخوف والرجاء، فالخوف المطلق من الله يؤدي إلى اليأس وترك العمل.

وكذلك الأمل المطلق بالله يؤدي إلى عدم الاكتراث وترك الأعمال، أن تحمل المشاكل والصبر تيسر للإنسان ليس بأمل



لكنه يجب اللهو واللعب أكثر ولا يمكنه حبس نفسه عن شهواته، فبسبب هذا لا يتمكن من الصبر أمام صعوبة الدرس.

في حديث للإمام الصادق عليه السلام يصف فيه صبر يوسف بأنه ناشئ من حرية النفس وعدم تعلقه بشيء، حيث يقول عليه السلام: ((إن الحر حر على جميع أحواله أن نابتة نائبة صبر لها... كما كان يوسف الصديق الأمين لم يضرر حره أنه استعبد وقهر واسر ولم تضره ظلمه الحب ووحشته وما ناله... وكذلك الصبر يعقب خيراً (فاصبروا)) (الكافي ٢: ١٩).

### استنتاج:

الطرق الاعتقادية الموصلة للصبر في رؤية قرآنية تتضمن أموراً اعتقادية مثل: الإيمان بالله تعالى، والتوكل على الله، وطاعة الله سبحانه، والاعتقاد بالأجر الإلهي، الإيمان بالقضاء والقدر، والاعتقاد بعدالة الله سبحانه.

وذكرت الآيات القرآنية طرقاً عبادية تحقق الصبر للإنسان وهي:

الاستعانة بالعبادة، وذكر الله تعالى، وطلب العون من الله، ومعرفة النفس،

والدعاء والمناجاة، وكذلك ذكر القرآن أموراً أخلاقية تورث الصبر وهي: الإرادة والعزة، التواضع، والعفو والصفح، التحمل والتقوى.

ويشير القرآن إلى أن الصبر يكون ذا قيمة عند من يرجى منه التقرب ونيل رضا الله سبحانه.

فمن الطرق المؤدية للصبر التي يذكرها القرآن هو، وجود واعز وحافز عن طريق معرفة طبيعة الحياة الدنيا، والأمل بتعويض الحرمان، والأمل القوي بالفرج، الإحاطة والمعرفة بالموضوع، تذكروا واستحضروا عظمة الصبر.

ومن وجهة نظر علم النفس، الطرق السلوكية التي تثمر الصبر عبارة عن: التفكير، قبول الواقع، البكاء العلاجي، الإفضاء عما في الداخل، تلقين النفس الصبر، الابتعاد عن الأمور التي تضعف الصبر، الرؤية الايجابية القناعة والإعراض عن الدنيا.

وقد ذكر علماء النفس طرقاً معرفية في مجال الصبر وهي: تعلم المعرفة، تعلم الصبر بواسطة القدوة، الاعتقاد

- بأن النصح والاستعداد يأتي من خلال مواجهة المشاكل، الرؤية الواقعية، المقارنة التنزلية للماديات.
- وطرق تقوية الصبر عن طريق معرفة الهدف هي: الالتفات إلى الهدف من الصبر، قيمة الصبر، شوق الوصول إلى الهدف، فوق الانكسار، الإعراض عما ينافي الهدف.
- وأخيراً، فإن الإنسان الصبور يصفح ويتجاوز عن أخطاء وظلم الآخرين، وهو من أهل العفو.
- وإذا كان واثقاً بصحة علمه، فهو لا يعبأ بما يقوله الآخرين، ويواجه المشاكل بالمنطق والحكمة.
- فهرست المصادر:**
- القرآن كريم.
١. أمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، قم، مكتب الإعلام الإسلامية، ١٤١٣ق.
  ٢. باقربور، ایرج، عقدهاي رواني، آسيا، تهران، ١٣٦٢ش.
  ٣. البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، قم، بنياد بعثت، ١٤٢٠ق.
  ٤. التميمي المغربي، نعمان بن محمد، دعائم الإسلام، بيروت، دار الأضواء، ١٤١١ق.
  ٥. الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٩ق.
  ٦. خداپناهي، محمد كريم، انگيزش، وهيجان، سازمان مطالعة وتدوين كتب دانشكاهي، قم، ١٣٧٦ش.
  ٧. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بي تا.
  ٨. كارنگي، ديل، آئين زندگي، تهران، معرفت، ١٣٢٧.
  ٩. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، قم، انتشارات أسوه، ١٣٩٧ش.
  ١٠. مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، تهران، ١٣٦٠ش.
  ١١. النراقي، ملا أحمد، معراج السعادة، انتشارات إسلامية، تهران، بي تا.

# دلالة التّركيب المنتظم لسيقاتِ النَّصرِ في التّعبيرِ القرآنيِّ

أ.م. د عبد الجواد عبد الحسن علي البيضاني  
كلية الآداب - جامعة أهل البيت

## فحوى البحث

وصف القرآن الكريم كثيراً من حوادث الحرب التي دارت بين المسلمين والمشركين وبَيَّنَّ في مواضع كثيرة مضامين النصر وأسبابه وموجباته ونتائجه. وقد حاول السيد الباحث استقراء طائفة من آيات النصر الواردة في القرآن سواءً بلفظ (النصر) أم بألفاظ أخرى دالة على معناه.

وقد قُسم البحث على قسمين:

أولهما: يبحث في لفظ (النصر) وهيأته الواردة في النصوص القرآنية.

وثانيهما: الألفاظ الدالة على معاني النصر في التنزيل العزيز.

وقد استغنى البحث عن مسرد بالمصادر، إذ أعطى مصادره هويتها

كاملة في حواشي البحث.

## • دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَاح)

منه، والقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، الذي نزل بلسان عربي مبين، لينشر مبادئ ذلك الدين الحنيف، وقد اصطفى الباري عز وجل النبي العربي محمداً بن عبد الله ﷺ رسولاً بهذا الدين وناطقاً بالقرآن الكريم ليكون رحمة للعالمين.

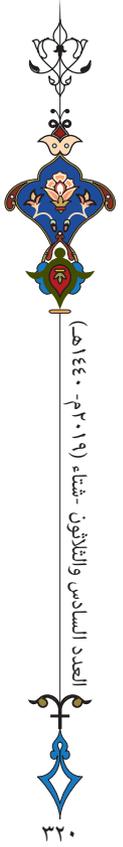
وقد وصف القرآن الكريم كثيراً من حوادث الحرب التي دارت بين المسلمين والمشركين، وبيّن في مواضع كثيرة مضامين النصر، وأسبابه وموجباته، ونتائجه، وقد حاولت استقراء طائفة من آيات النصر الواردة في التنزيل العزيز، سواء بلفظ النصر وهيآته الصريح، أم بالألفاظ أخر دالة على معنى النصر، وكان الغرض من ذلك بيان مضامين عامة للنصر، أو وضاحتها الآيات الكريمة.

وقد اقتضت مادة البحث التي بين يديّ أن أقسمها على قسمين، تناول القسم الأول منها: لفظ النصر وهيآته الواردة في النصوص القرآنية. وتناول الثاني: الألفاظ الدالة على معنى النصر في النصوص القرآنية.

### توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله وأصحابه المنتجبين،

أما بعد: فقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يتدافع الحق والباطل، وأن يتصارع الإيمان والكفر، والناظر في تاريخ الرسالات السماوية يجد ما يعضد ذلك ويؤيده، فما من نبي من الأنبياء إلا اعترضه قومه وخاصموه، وأظهروا له العداء، لكن الله تعالى كان في كل جولة من جولات الصراع يقف مع رسله وأوليائه الصالحين ويدحر الباطل وأهله، وهذا الصراع أزلي يتداول بتداول صراع الخير والشر. وما إن وصلت النبوة إلى الرسالة الإسلامية المحمدية حتى واجهت الدعوة الإسلامية منذ بزوغ فجرها تحديات مختلفة نهض بها أقوام وجدوا في هذه الرسالة تعارضاً وميولهم الشخصية ورغباتهم، فقاوموا تلك الدعوة بإعلان مقاطعة المسلمين الأوائل وإيذائهم وإخراجهم من مكة المكرمة ومن ثم شن الحرب عليهم. مع أن الإسلام هو دين السلام، واسمه مشتق



## القسم الأول:

### النصر وهيأته الواردة في النصوص

#### القرآنية:

النصر في اللغة يدلّ على: إتيان خير وإيتائه أو هو إعانة المظلوم، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على أعدائهم، والنصر أيضاً: العطاء، والاسم: النُصرة وهي حسن المعونة، واستنصره على عدوه: سأله أن ينصره عليه، وتناصروا نصرَ بعضهم بعضاً. ونصره: نجّاه وخلّصه. والنصر: العطاء. ونُصرت الأرض، أي: أمطرت. والاستنصار: استمداد النصر. والتناصر: التعاون على النصر، والانتصار<sup>(١)</sup>. وذهب بعضهم إلى أن ((النصر أخص من المعونة، لاختصاصه بدفع الضر، وتعديّة النصر بمن لتضمّنه معنى الحفظ، وبعلى لتضمّنه

معنى الغلبة))<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه المعاني اللغوية يلحظ أن النصر إذا تحقّق فهو خير عام يتضمّن كل هذه المعاني، فالعون الإلهي ضروري لتحقيق النصر، والتأييد المعنوي عامل مهم من عوامل النصر، والنصر عطاء فهو منحة ونعمة إلهية، والنجاة والخلاص نتيجتان من نتائج النصر وآثاره، فالمؤمنون إذا انتصروا على عدوهم فقد نجوا منه، وتخلصوا من ظلمه وقهره، وهكذا.

#### النصر في الاصطلاح:

لم يكثر المفسرون الخوض في تعريف معنى النصر من الناحية الاصطلاحية، ومعظمهم اكتفى بذكر أحد المعاني اللغوية، أو الإشارة إلى معنى النصر بشكل مقتضب ومن ذلك مثلاً: ((النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم))<sup>(٣)</sup> وفي كتب

(١) ينظر: مقاييس اللغة (نصر) ٤ / ٥٠٨ (ابن فارس، أحمد بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م). وينظر: لسان العرب (نصر) ١١ / ٥٢٤ (ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م).

(٢) الكليات ٩٠٩ (أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى ت ١٠٩٤هـ، تحقيق عدنان الدرويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣م).

(٣) فتح القدير ٥ / ٥٠٩ (الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ت ١٢٠٥هـ، دار الفكر، بيروت، ط، د.ت).

## دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَاب)

القرآن الكريم هذه المادة وما إليها باشتقاقات وصيغ متعددة في (١٤) موضعاً<sup>(٦)</sup>، وُفسرت على أوجه تمثلت في<sup>(٧)</sup>:

- المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٩٣].
- بمعنى العون، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴾ [سورة الحج: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُوتِلُوا لَأَيُّصِرُونَهُمْ ﴾ [سورة الحشر: ١٢].

- الظفر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٠].

(٦) ينظر: المعجم المفهرس (نصر)، (محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م).

(٧) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ٢٣٩- ٢٤١ (مقاتل بن سليمان، ت ١٥٠هـ، تحقيق عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م). والوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٢٥٠- ٢٥١ (هارون بن موسى، ت ١٧٠هـ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م).

القانون: ((النصر تعبير لاتيني مستخدم للدلالة على انتهاء الحرب، من دون وجود أي اتفاق شكلي أو ضمني، بتلاشي الدولة المهزومة، التي تختفي كدولة، وتحل محلها سلطة ذات سيادة أو أكثر))<sup>(٤)</sup>.  
وقيل أيضاً: النصر ((الفوز والغلبة على الأعداء، أو على المرض أو على الفقر أو الأهواء))<sup>(٥)</sup>.

### النصر في القرآن الكريم:

تحدد معنى النصر في الإسلام بالنتيجة المباشرة للجهاد في سبيل الله، وتقيد هذا المفهوم الديني لاتباعه الفتح بإذن العزيز الجبار من أجل نشر الإسلام وجعل كلمة الله هي العليا فالذي ينصره الله لا احد يغلبه، قال عز وجل: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠].

وقد ارتبط معنى النصر في الإسلام بمفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى، وذكر

(٤) معجم المصطلحات القانونية ٢ / ١٠٧٣ (جيرار، ترجمة: منصور القاضي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م).  
(٥) القاموس القانوني الثلاثي ١٦٦٩ (مويس نخلة وآخرون، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م).



- بمعنى الانتقام، ومنه قوله تعالى:

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرُ﴾ [سورة القمر:

١٠].

ولعل هذا الإكثار من ذكر النصر، بصيغ متعددة، له دلالة على أهمية هذا المفهوم في القرآن، وأن له ارتباطات متنوعة، فكل صيغة تتناول أمراً يتعلق بالنصر من جهة بحسب السياق القرآني.

### موجبات النصر:

من الأسباب التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لتحقيق النصر ما يأتي:

#### الأول: الابتلاء:

من الحقائق القرآنية الثابتة التي تناوها القرآن الكريم في مثل هذه النصوص وغيرها أنه لا نصر دون ابتلاء، ولا تمكين بلا ابتلاء، ومن يقف على حركة التاريخ، ويستقري حركة الصراع يصل إلى هذه الحقيقة، ورب قائل يقول: لماذا لا يكون النصر دون ابتلاء؟. وهل بالضرورة أن نبتل حتى نتصر؟. ونجيب أن النصر لا بد له من ثمن، والنصر بلا ثمن قد يستهان به، ويفرط به، من هنا كان الابتلاء ضرورة وثنماً للنصر كي لا يكون النصر رخيصاً

فيستهان بالرسالات السماوية.

لذا اقتضت سنة الله تعالى أنه لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة، وفي اللحظة التي يستحکم فيها الكرب، ويأخذ فيها بمخاتق الرسل، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة يجيء النصر من عند الله نصرًا حاسمًا، فينجو الذين يستحقون النجاة ويحل بأس الله بالمجرمين، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤] وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ١١٠]

ولربما يسأل سائل هنا: أليس في مثل هذا السؤال شكاً أو ارتياباً؟. ولربما تكون الإجابة: إن قول الرسول متى نصر الله ليس على سبيل الشك، إنما هو على سبيل



وما ذلك إلا لأن المتسرع والمتعجل لا يحسن قراءة النصر، ولا يمكنه التوقع له. والبشر بطبيعتهم القاصرة يرجون النصر السريع، ويتوقعونه كلما لاحت إشارات، فإذا لم يحصل النصر كما توقعوا فإنهم يصابون باليأس والقنوط، وقد ينحرف بعضهم، وفي كثير من الأحيان وعند اشتداد الأزمات يسأل الناس: لماذا يتأخر النصر؟. لماذا أبطأ النصر؟. لماذا تحول نصرنا إلى هزيمة؟. لكن الذي يقرأ سنة النصر بالميزان الرباني لا يفاجأ مهما رأى، لأنه يعلم أن تأخر النصر وإبطاءه جزء من قدر الله الذي يخضع لحكم ربانية نجمها فيما يأتي<sup>(٩)</sup>:

- قد يتأخر النصر لأن الأمة لم تنضج لنيل النصر، ولو نالت النصر حيثذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته.

- قد يتأخر النصر، لأن الأمة لم تصل إلى قناعة أن قوى الدنيا كلها مجتمعة لا تكفل لها النصر دون سند الله تعالى، فلا بد أن تذوق الأمة مرارة تأخر النصر حتى ترسخ هذه القناعة.

(٩) المصدر نفسه ٤ / ٢٤٢٦.

الدعاء باستعجال النصر، وتفسير ذلك أن سؤالهم متى نصر الله؟. جاء ليصور مدى المحنة التي تنزل هذه القلوب، وهي محنة فوق الوصف جاءت لتلقي بظلالها على تلك القلوب فتبعث السؤال المكروب، وعندما تثبت القلوب على هذه المحنة المزلزلة تتم كلمة الله ويجيء النصر من الله ألا إن نصر الله قريب. من هنا وصف سبحانه النصر بأنه قريب لما فيه من بشارة للمؤمنين بعد طول انتظار<sup>(٨)</sup>.

#### الثاني: قانون الأسباب والمسببات:

إن هذا الأمر له ارتباط بما ذكر قبل، فالنصر يخضع لقانون الأسباب والنتائج، فهو لا يأتي صدفة، ولا عشوائية، إنما يخضع لسنة وقانون، لذا فإن عملية توقع النصر والحساب له، ينبغي أن تكون مبنية على دراسة أسبابه ومقدماته، فإن تحققت شروط النصر وأسبابه كاملة تحقق النصر، وإلا فلا، غير أنه في كثير من الأحيان يترأى للمتعجل أن النصر قد غدا وشيكاً، وأنه في متناول اليد، ثم يفاجأ بالهزيمة،

(٨) في ظلال القرآن ١ / ٢١٩ (سيد قطب، ط ٢،

دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩ م).

- قد يتأخر النصر حتى توثق الأمة صلته بالله، وتعلم أن هذه الصلة هي الضمانة الوحيدة لاستقامتها بعد تحقق النصر.

- قد يتأخر النصر حتى تتجرد الأمة من كل شائبة قاتلت لأجلها كالمغنم أو الحمية.

الثالث: صحة الاعتقاد بأسباب النصر:

عرض القرآن مواقف ظن فيها بعضهم أن النصر قد أصبح في متناول اليد، لكن النصر تأخر لخلل، من ذلك يوم حنين حين اعتقد أصحاب رسول

الله ﷺ أنهم منصورون لكثرتهم، وأنهم لن يغلبوا من قلة، لكن العدو باغتهم وفرق جمعهم، لولا ثبات رسول الله ﷺ، وثلة

من أصحابه المخلصين، ولولا رحمة الله بهم لهُزِمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مَدِيرِينَ

﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا

وَعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ [سورة التوبة: ٢٥-٢٦].

وفي هذه الآيات ((تذكير للمؤمنين بنصر الله لهم، وابتلاؤه إياهم بالتولي والهزيمة يوم حنين على عجبهم بكثرتهم ورضاهم عنها، ونصرهم من بعد ذلك ليتذكروا أن عنايته تعالى وتأيبه لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنوية أعظم شأنًا من القوى المادية... وأن نصر الله لهم لم يكن بقوتهم، أو عصبية أحد منهم، أو قوة ما لهم إنما كان ذلك بفضل الله تعالى عليهم، وما أنزله عليهم من السكينة، وما أمدهم به من جنود)) (١٠).

وقد عرض القرآن صورة من صور الابتلاء الذي تعرض له المؤمنون، قبل تحقق النصر، وقد تجلى ذلك يوم

الأحزاب، قال سبحانه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٠﴾ [سورة الأحزاب: ١٠]

(١٠) المنار ١٠/ ٢١٦-٢١٧ (محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).

هو دين الله؟. أليس الله قادراً على كل شيء؟. فلماذا لا ينصرنا دائماً؟. ولماذا ينصر عدونا علينا؟.

ولعل هذا الخطأ يرجع إلى الجهل بهذا الدين وطريقته في العمل وآيته في تحقيق النصر، إن هذا الدين منهيح إلهي للحياة البشرية، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم، في حدود طاقتهم البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية. إن هذا الدين لا يتحقق في الأرض بكلمة (كُنْ) الإلهية، ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس، ولا يتحقق بالقهر الإلهي، إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر، فتؤمن به إيماناً تاماً، وتستقيم عليه، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين، ثم تنتصر هذه الجماعة على نفسها أولاً، ثم تنتصر على غيرها. وقد أولى القرآن هذه المسألة اهتماماً بالغاً وأشار إليها في مواقع عدة من كتابه العزيز، فبين سبحانه في نصوص قرآنية متعددة أن الجهد البشري له دور بارز في تحقيق النصر والتغيير والهداية، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى:

ففي هذا الموقف كان الابتلاء شديداً على المؤمنين، فقد أطبق الكفر عليهم من كل حذب وصوب، حتى زاغت الأبصار، فمالت عن سداد القصد، وبلغت القلوب الحناجر، لشدة الرعب والخفقان<sup>(١١)</sup>.

#### الرابع: الاستعداد للنصر:

إن فكر التواكل والهزيمة أفرز لدى المسلمين مفاهيم وتصورات خاطئة كثيرة، ومن هذه الأوهام أن البعض ينتظر من هذا الدين أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب، دون اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقتهم البشرية. وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة فإنهم يصابون بخيبة أمل، وتضعف ثقتهم بجدية هذه المنهاج للحياة، وقد يصابون بالشك في الدين إطلاقاً<sup>(١٢)</sup>، من هنا نسمع بين الحين والآخر أسئلة مشككة: أليس

(١١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن / ٤ / ٢٨٨ (الطبري)، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م).

(١٢) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٣٧٤ (أبو حيان)، محمد بن يوسف، ت ٧٤٥هـ، مطابع النصر الحديثة، الرياض).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٥٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقْوَمُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١] وتشير الآيات إلى أن المنهج الإلهي للنصر يقتضي تغييرية: التغيير الأول هو تغيير الله تعالى، والتغير الثاني هو تغيير البشر. وأن التغيير الأول وهو التغيير الإلهي يأتي بعد التغيير البشري.

إذن، لا بد من الجهد البشري حتى يتبعه التغيير الإلهي بتحقيق النصر، وما يتبعه من تغيير، فإذا لم يتحقق التغيير الأول فلن يحدث التغيير الثاني ((وفي الآية إيباء إلى أن نعم الله على الأمم والأفراد منوطة ابتداء ودواماً بأخلاق وصفات وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الشؤون ثابتة لهم متمكنة منهم، كانت تلك النعم ثابتة لهم، والله لا ينتزعها منهم بغير ظلم منهم ولا جرم، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق، غير الله حالهم وسلب نعمتهم منهم... وقد جرت سنة الله تعالى ألا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال التي استحقوا بها

تلك النعمة))<sup>(١٣)</sup>.

ومن الأمثلة على الهيآت التي وردت فيها مادة (نصر) في القرآن الكريم، واختلاف دلالاتها، ما نلمحه في آيتين كريمتين ورد فيها لفظ النصر، هما قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

[سورة الحديد: ٢٥] ففي الآية الكريمة الأولى ورد لفظ النصر مؤكداً بـ (إِنَّ) و (اللام)، وفي الآية الثانية ورد لفظ النصر من دون توكيد، وإنما أكد اللفظ في الأولى، لأن الكلام هو في سياق الإذن للمؤمنين في الجهاد وقتال الأعداء بعدما أخرجوا من ديارهم وقوتلوا ظلماً، وقد ذكر أن الله قادر على نصرهم، وقد وعدهم بالنصر، فقال مؤكداً ذلك: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [سورة الحديد: ٢٥] ولا شك في أن النصر يحتاج إلى قوة فأكد قوته وعزته

(١٣) تفسير المراغي ١٠ / ١٧ (أحمد مصطفى، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٤م).

## دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... **الصَّبَاحُ** .

الأخذ في اللغة: حوز الشيء وجبيه وجمعه، وهو خلاف العطاء، يقال: أخذت الشيء أخذه أخذا: تناولته<sup>(١٦)</sup> وقد جاء لفظ (الأخذ) وما اشتق منه في (٢٧١) موضعاً من القرآن الكريم<sup>(١٧)</sup>. وللأخذ خمسة أوجه ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر<sup>(١٨)</sup> وهي:

- أ. الحبس: في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ﴾ [سورة يوسف: ٧٦].
- ب. القبول: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩].
- ج. العذاب: في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [سورة النساء: ١٥٣].
- د. القتل: في قوله تعالى: ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ [سورة غافر: ٥].

(١٦) ينظر: مقاييس اللغة / ١ / ٦٨، والصحاح / ٢ / ٥٥٩ (الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت في حدود ٤٠٠ هـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر).  
(١٧) ينظر: المعجم المفهرس (أخذ).  
(١٨) ينظر: الأشباه والنظائر م ٢٥٠ والوجوه والنظائر ٢٦٤.

ب (إن واللام)، وقد ناسب تأكيد النصر تأكيد القوة، وليس السياق كذلك في الآية الثانية، لأنها ليست في سياق الجهاد والقتال، ولا في سياق نصر الله المؤمنين، بل في سياق نصر المؤمنين لدعوة الله<sup>(١٤)</sup>.

ووردت لفظة النصر في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم: ٤٧] وإنما قدم المسند إليه، ليفيد التوكيد، فمن التعجيل بذكر لفظ (حقاً) ((يشعر السامع بمبالغة في تكريم المؤمنين الذين يُظهرون سابقة الفضيلة والإيمان والجهاد في سبيل الله، فجعلهم مستحقين للظفر والنصر))<sup>(١٥)</sup> أي: إن تقديم الخبر (حقاً) على الاسم (نصر) جاء منبئاً بالامتنان على المؤمنين، مشجعاً لهم، مشعراً بالتوكيد والاطمئنان في نفوسهم.

### القسم الثاني:

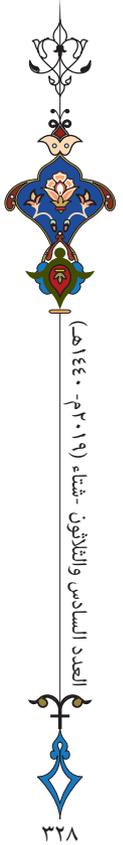
#### الالفاظ الدالة على معنى النصر:

ما استطعت أن استقره منها ما يأتي:

#### ١. الأخذ:

(١٤) ينظر: التعبير القرآني ١٥٥ (د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٦).

(١٥) البحر المحيط ٧ / ١٧٨.



هـ. الأسر: في قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥].

وقد استعملت هذه المادة من ألفاظ النصر مقرونة بالقتل، دالة على هزيمة المنافقين في اغلب مواضعها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِزْ لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [سورة النساء: ٩١].

وقد يكون الفرق بين الآيتين أن (الثقف) هو الوجود على وجه الغلبة، أي: إذا قدرتم على المشركين، وتمكنتم من الظفر بهم فاقتلوهم، واحتاطوا لهذا الشرط في قتلهم، لأنكم عند المسجد الحرام، الذي لا يحل القتال فيه إلا برخصة من الله، أما (الوجدان) فأعم من ذلك، أي: فاقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه وفي أي وقت، فالفرق بينهما بلحاظ الحل والحرم.

ولا يخفى ما في دلالة الفعل (خذوهم) من تجسيد للصورة العنيفة

لأخذ المشركين، إذ توحى بأن لا تأخذ المسلمين رحمة ولا رأفة بأعداء الله. وهذا ما لخصته الآية الكريمة: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا نَفَعُوا أُخْذُوا وَفُتِلُوا نَفْتِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦١] وفي سياق الآية ما يغني عن وصف سوء حال أصحابها، واستحقاقهم غضب الله تعالى في الدنيا، وإظهار خبث سرائرهم ونفاقهم ولعنهم في الآخرة بما أعده الله لهم من عذاب أليم. و(التقتيل): تفعيل من القتل بمعنى كثرة القتل أو شدته<sup>(١٩)</sup>، ويدل على ذلك المصدر المشتق من لفظ فعله المنصوب على المفعولية المطلقة (تقتيلاً).

## ٢. الأمر:

الأمر بالفتح: نقيض النهي، وأما الأمر بالكسر فهو العجب، وأما الأمر بالضم: فجمع أمور، من قولهم: فلان أمور بالمعروف والأمر أيضا: الحادثة، وتأمروا على الأمر وائتمروا: اجمعوا آراءهم وتشاوروا<sup>(٢٠)</sup>.

(١٩) ينظر: الكشاف ٣/ ٥٦١ (الزنجشري، محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت).

(٢٠) ينظر: المثلث ١/ ٣١٢-٣١٤ (البطليوسي،

## دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَاب)

**يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴿[سورة آل عمران: ١٥٤]، وفي توجيه الخطاب للرسول الكريم، بيان لهم بأنه واسطة الفيض والمبلغ الوحيد عن ربه وانه وضع ثقته وتشريقه. والاستفهام بـ (هل) في الآية استنكاري، بمعنى النفي بقريظة زيادة (من) قبل النكرة، وهي من خصائص النفي. وهو تبرئة لأنفسهم من أن يكونوا سببا في مقابلة العدو، وتعريض بأن الخروج للقتال يوم أحد كان خطأ كبيرا، فهم يظنون أن محمدا ﷺ ليس برسول، إذ لو كان رسولا لكان مؤيدا بالنصر<sup>(٢٣)</sup>.

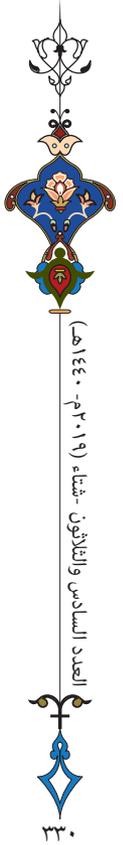
ويبدو أن السرّ في جمال أسلوب الاستفهام هنا والعدول إليه عن أسلوب النفي هو ((أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، وكما أن المسؤول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من

(٢٣) ينظر: التحرير والتنوير / ٤ / ٢٦ (محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر).

وقد ذكرت لفظة الأمر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وتوسع معناها كثيرا عما عرفت به سابقاً. وقد فسرت على وجوه متعددة منها: (الدين، والقول، والعذاب، وعيسى، والقتل ببدر، وفتح مكة، والقيامة، والقضاء، والوحي، والنصر، والدين، والموت، والشدة، والمشورة، والحذر، والخصب)<sup>(٢١)</sup>.

ومما ورد منها دالاً على النصر، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٨] أي: غلب شرعه<sup>(٢٢)</sup> ومن إضافة (الأمر) إلى (الله) يستفاد أن النصر وإعلاء كلمة الدين وظهور الإسلام على الأديان الأخرى معقود بإرادته سبحانه وتعالى، لا دخل لأحد غيره فيه. وقد ورد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى مخاطباً المسلمين يوم أحد: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ

عبد الله بن محمد، ت ٥٢١هـ، تحقيق د. صلاح الفرطوسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٢م)، ولسان العرب / ١ / ١٢٧.  
(٢١) ينظر: الأشباه والنظائر ١٩٢-١٩٥.  
(٢٢) ينظر: الكشاف / ٢ / ١٩٤.



النفي ابتداءً)) (٢٤).

٣. البشرى:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ): ((الباءُ والشين والراء: أصلٌ صحيح يدلُّ على ظهور الشيء مع حسنٍ وجمال، فالبشرةُ: ظاهرُ جلد الإنسان، وُسمي البشرُ بشراً، لظهورهم. والبشيرةُ: الحسن الوجه. والبشارة: الجمال. ويقال: بشرت فلانا ابشره تبشيراً وذلك يكون في الخير، وربما حُمِّل عليه غيره من الشر، وقد يراد به التبكيث)) (٢٥).

والبشارة عند الراغب (٥٠٢هـ): ((أول ما يصلُّ إليك من الخبر السارِّ، فإذا وصل إليك ثانياً لم يسمَّ بشارة)) (٢٦) وذكر الزمخشري (٥٣٨هـ): ((أنَّ استعارةَ البشير للعذاب، الذي يُقصد به: الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزئ

(٢٤) من بلاغة القرآن ١٦٤ (د. أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ٣، ١٩٥٠م).

(٢٥) مقاييس اللغة ١/ ٢٥١-٢٥٢.

(٢٦) المفردات في غريب القرآن ٤- ٤٨ (الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة، بيروت).

به وتأمله واغتمامه)) (٢٧) وقد ذكرت

هذه المادة في القرآن الكريم في (٨٤)

موضعا (٢٨) واستعملت دالة على النصر،

كاشفة عما ناله المؤمنون من جزاء

دنيوي في ساحة الحرب في آيتين من آي

القرآن الكريم، بشرتا المؤمنين بإمدادهم

بالملائكة، يكونون سنداً لهم في حربهم

ضد أعدائهم قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [سورة

آل عمران: ١٢٦] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا

جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ

وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ١٠] وثمة

ملحح دلالي في الآيتين الكريميتين (٢٩) إذ

ورد لفظ (القلوب) متقدماً على الجار

والمجرور في الآية الأولى، ومتأخراً عنه

في الثانية، والضمير في (به) يعود على

(٢٧) الكشاف ١/ ١٠٤.

(٢٨) ينظر: المعجم المفهرس (بشر).

(٢٩) ينظر: ملاك التأويل ١/ ١٧٠، (الغرناطي،

أحمد بن الزبير، تحقيق محمود فاضل أحمد،

دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م). و

التعبير القرآني ٦٨.

## دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَابُ) .

التعبير القرآني، فلفظ التنكير يفيد العموم ولفظ التعريف يفيد التخصيص والتعيين، والنصر في الأولى حاصل بالطمأنة والمسح على القلوب، فقال -جَلَّ وَعَلَ-: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وأما في الثانية، فعام يشمل أنواع النصر وهياتها جميعها، لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

٤. التمكين:

التمكين في اللغة: السلطنة ونفاذ الأمر على الخلق، وفلان مكين عند فلان، أي بين المكانة، والمكانة: المنزلة عند الملك ورفع الشأن، وقولهم: إن بني فلان لذو مكانة عند السلطان، أي: تمكن، ومكَّن فلان عند الناس: أي عظم عندهم. وتمكَّن من الشيء، أي قدر عليه وظفر به، وأمكنه من الشيء: جعل له عليه سلطاناً وقدرة، وتمكَّن عند الناس: علا شأنه، والمكنة: القدرة والاستطاعة والقوة والشدة (٣٠) .

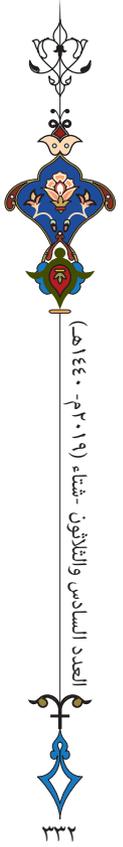
من هذه المعاني يتضح أن التمكين

(٣٠) ينظر: لسان العرب (مكن) ١٣ / ٤١٢ - ٤١٣ .

الإمداد بالملائكة. والكلام في الآيتين يصور معركة بدر، لكن الموقف مختلف، ففي الأولى ذكر معركة بدر تمهيداً لذكر معركة أحد وما أصاب المسلمين فيها من حزن وفرح، لذا اقتضى المقام أن يكون مؤخراً عن القلوب، طمأنة لها ومواساة للمسلمين، فجاء لفظ (البشرى) مخصصاً بهم بطريقتين، الأولى: الحصر ب (إلا)، والأخرى: الإتيان بالجار والمجرور (لكم)، ولما كان المقام في هذه الآية هو الطمأنة وتسكين القلوب تقدمت (البشرى) على الإمداد بالملائكة، زيادة في المواساة والمسح على القلوب.

أما في الآية الثانية، فالحديث فيها معقود لتصوير معركة بدر وحدها وانتصار المسلمين فيها وأثر الملائكة المنزليين للقتال في صف المسلمين، لذا جاء التعبير فيها مخالفاً الأولى، إذ قدم الجار والمجرور (به) على (القلوب)، لأن المقام مقام انتصار، وإبراز الإمداد الرباني بالملائكة.

ومن هنا ورد اللفظ في فاصلة الآية الأولى (العزیز الحکیم) معرفاً وفي فاصلة الثانية (عزیز حکیم) منكرأ، مراعاة لطبيعة



فيه عدة معاني، منها: السلطان والمنزلة والمكانة وعلو الشأن، والعظمة، والقوة والاستطاعة والشدة.

### التمكين في الاصطلاح:

لم يرد للتمكين اصطلاح معين، ولكن من المعنى اللغوي له يمكن أن يتضح معناه الاصطلاحي بأنه: بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة، وحياسة شيء من السلطة والسلطان وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترسخ في الأرض وعلو الشأن.

### التمكين في القرآن الكريم:

وردت مادة (م ك ن) بصيغ واشتقاقات عدة في القرآن الكريم، بلغت ثماني عشرة مرة<sup>(٣١)</sup>، ولم ترد كلمة (تمكين) صراحة في القرآن الكريم، أما (م ك ن) فقد ورد في القرآن الكريم بعدة معانٍ منها:

١. الملك والسلطان: ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة

الكهف: ٨٤]، أي: أعطيناك ملكاً

عظيماً فيه من جميع ما يعطى الملوك من

(٣١) ينظر: المعجم المفهرس (مكن).

التمكين والجنود<sup>(٣٢)</sup>.

٢. المنزلة والمكانة: ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ [سورة

يوسف: ٥٤] أي: إنك عندنا ذو

مكانة وأمانة.

٣. التهيئة: ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ

تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ [سورة

القصص: ٥٧].

٤. لظفر: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا

خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ

مِنْهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٧١]، أي:

أقدرك عليهم، فاعلم أنه سيمكنك

منهم<sup>(٣٣)</sup>.

٥. الثبوت والاستقرار: ومنه قوله

تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [سورة

المرسلات: ٢١]، أي: جعلنا الماء

المهين في رحم استقر فيها فتمكن<sup>(٣٤)</sup>.

(٣٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠٦ (ابن

كثير إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ، تقديم:

يوسف المرعشلي، ط ٣، دار المعرفة،

بيروت، لبنان، ١٩٨٩.

(٣٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٤٩.

(٣٤) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٤٤.

دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَاح)

ج. إيدال ما هم عليه من خوف إلى أمن:  
"ولبيدلتهم من بعد خوفهم أمنا".

### شروط التمكين:

وأقصد بشروط التمكين الشروط الأساسية التي شرطها الله تعالى على الأمة، فإن قامت بها حق القيام حصل لها التمكين، وإن فرطت فيها زال عنها التمكين وتملكها الخوف وتخطفها الأعداء وهذه الشروط ذكرتها الآية الكريمة، وهي:

أ. الإيمان بالله وعدم الشرك به: (الذين آمنوا منكم)، (لا يشركون بي شيئاً).

ب. العمل الصالح (وعملوا الصالحات).

ج. العبادة (يعبدونني).

٥. الظفر:

في اللغة:

الظفر بمعنى النصر، معنى معنوي مشتق من معناه الحسي فالظفر: ظفر الأصبع، وظفر الطائر، وظفر فلان في وجه فلان، غرز أظفاره في لحمه، ويُعبر به عن السلاح تشبيهاً بظفر الطائر إذ هو له بمنزلة سلاح، ومن هذا المعنى المادي

### آية التمكين:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥].

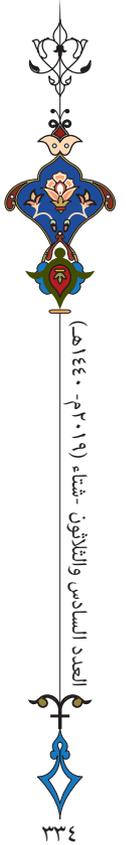
هذه الآية الكريمة جاءت جامعة لجملة قضايا تتعلق بالتمكين فقد اشتملت على الوعد بالتمكين، وشروط التمكين، وآثاره، وما يترتب على الكفر بعد هذا التمكين.

### أولاً: الوعد بالتمكين:

تضمنت الآية الكريمة وعداً إلهياً لعباده المؤمنين، إذا تحققت فيهم شروط التمكين، وقد اشتمل هذا الوعد الإلهي على ثلاثة أمور ورد ذكرها في الآية الكريمة، وهي:

أ. الاستخلاف في الأرض:  
"ليستخلفنهم في الأرض".

ب. التمكين في الأرض "وليمكنن لهم دينهم".



قيل: ظفرٌ بعده غلبه. والظفر الفوز بالمطلوب، ورجلٌ مظفرٌ صاحب دولة في الحرب لا يؤوب إلا بالظفر<sup>(٣٥)</sup>. وهو المعنى الاصطلاحي له.

في القرآن الكريم:

وردت مادة ظفر في القرآن الكريم دالة على النصر والغلبة على العدو في قوله تعالى في بيان حال المسلمين والمشركين في صلح الحديبية: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

[سورة الفتح: ٢٤] ويلحظ من سياق الآية أن الظفر هبة إلهية يمنحها الله سبحانه من يشاء من رحمته، لمن هيأ لها الأسباب، فقد بايع المسلمون رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، فرضي عنهم سبحانه ورضاه يستوجب نعمته وألطافه ومننه ونصره فشاءت قدرته أن يكتب الظفر لمن بايع بيعة الرضوان<sup>(٣٦)</sup>، فكف أيدي المندسين في صفوف المسلمين

(٣٥) ينظر: المفردات ٥٣٥، ولسان العرب (ظفر) ٤/ ٥١٩.

(٣٦) ينظر: جامع البيان ٢٢/ ٢٣٦.

ليأخذوهم غيلةً، فأخذهم أصحاب الرسول أسرى، ثم عفا عنهم الرسول الكريم بأمر الله سبحانه، وكف أيدي المسلمين عنهم لحكمة يعلمها سبحانه سيكون فيها الخير كله للمسلمين. فالظفر هنا حقق الفوز بالمطلوب والغلبة على كيد الأعداء والنصر عليهم.

٦. الغلبة:

ورد في معنى مادة (غلب) في اللغة أن: الغين واللام والباء أصلٌ صحيح يدل على قوة وقهر، وشدة، يُقال: غلبته غلباً وغلبةً، فأنا غالبٌ. وتغلب على بلد كذا أي استولى عليه قهراً، ورجل غلبته: شديد الغلبة، والمُغَلَّب من الشعراء: المحكوم له بالغلبة على قرنه، كأنه غلب عليه، قيل: وأصل غلبت: أن تتناول غَلَبَ رقبته، والأغلب: الغليظ الرقبة والغلبة: القهر<sup>(٣٧)</sup>.

ويلحظ من هذه المعاني اللغوية بأن من معاني الغلبة: القسوة والقهر والشدة والاستيلاء، والتغلب على الأقران، وكل هذا من مستلزمات النصر، ولا شك أن

(٣٧) ينظر: مقاييس اللغة (غلب) ٤/ ٢٨٨، والمفردات ٣٦٣.

دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... **الغلبة**

هذه المعاني من مستلزمات النصر وأثاره ونتائجه. والغلبة لها صورتان:

وقد وردت هذه المادة في (٣١) موضعاً في القرآن الكريم<sup>(٣٨)</sup> وذكرت لها أربعة معانٍ في القرآن، هي:

١. القهر، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ** ﴾ [سورة يوسف: ٢١] أي قاهر ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَبْصَارِهِم مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ** ﴾ [سورة الصافات: ١٧٣]، أي: القاهرون.

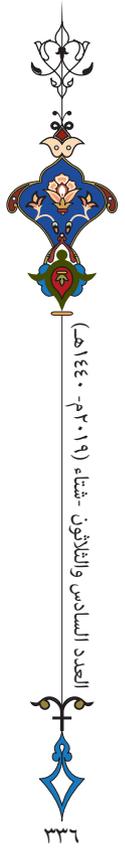
٢. القتل، ومنه قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلَّهِ الْقِتَالُ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٢].

٣. الظهور ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنصُرَنَّكُمْ لَكُم مِّنَّا** ﴾ [سورة الكهف: ٢١].

٤. الهزيمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ [سورة الروم: ٢-٣]، أي: سيهزمون الفرس، وهو إخبار منه تعالى بتحقيق

ذلك قبل أن يقع<sup>(٣٩)</sup>. والأولى: غلبة مادية بالقوة والسيف والسنان، وهي ثابتة لبعض الأنبياء الذين أمروا بالقتال. والأخرى: غلبة معنوية بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميع الرسل والأنبياء. إلا أن أغلب معاني الغلبة في القرآن يراد بها الغلبة بالسيف والسنان، كقوله سبحانه: ﴿ **غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾؛ وقوله أيضاً: ﴿ **كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩] فاللاحظ في هاتين الآيتين أن الغلبة المقصودة هي الغلبة المادية التي تكون بالسيف والسنان، ويستفاد من الآية الكريمة: ﴿ **كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾، أن كثرة الجنود ليست هي منشأ الغلبة، بل الله سبحانه يمتنُّ على عباده المؤمنين فيحقق نصرهم وغلبتهم، وفي الكلام احتجاج

(٣٨) ينظر: المعجم المفهرس (غلب). (٣٩) ينظر: جامع البيان ٢٠ / ٧٣.



على الخصم، لإقناعه ببعض المصاديق<sup>(٤٠)</sup> وهي حقيقة واقعية طالما ذكر الله بها عباده الراجين النصر في القتال، فذكر بها من هذه المادة أيضاً بصيغة المضارع المشروط بالصبر، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الانفال: ٦٥].

ولعل في تقديم خبر (كان) وهو (منكم) على اسمها (عشرون) إشعاراً بكمال العناية بشأن المؤمنين الصابرين، إذ هم يعادلون جيشاً كثير العدد. وإنما لم يذكر المميّز بالنسبة إلى المشركين في قوله تعالى: ﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ لقلة العدد وذكره سبحانه في قوله: ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لكثرة العدد.

و وردت هذه المادة بصيغة المضارع المسبوق بـ (سين الاستقبال) في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٨]

(٤٠) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ١ / ١٢٦ (النسفي، عبد الله ابن أحمد، ت ٧١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٨م).

[سورة الروم: ١-٣] وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢].

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿سَعْيَبُونَ﴾ و ﴿سُتْعَبُونَ﴾ تحقق هذا الوعد الإلهي مستقبلاً تحذيراً للكفار بأن لا يغتروا بقوتهم الظاهرية، إذ إن إرادة الله غالبية لا محالة<sup>(٤١)</sup>.

واستعملت مادة (غلب) بصيغة اسم الفاعل الدال على الاستمرار في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠] بيان لنفي الجنس بنفي أفراده جميعاً، ذاتاً وصفة، وهو أبلغ من قول (لا يغلبكم أحد)، لأنه يدل على نفي الصفة فقط<sup>(٤٢)</sup>. وقد أكد القرآن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ أَلْقَابُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٦] أي: ثبات الغلبة لهم

(٤١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٣١٩ (الفراء، يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ، تحقيق محمد علي النجار وإسماعيل شلبي وعلي النجدي، القاهرة، ١٩٥٥-١٩٧٢م).

(٤٢) صفوة البيان لمعاني القرآن ٥٠٨ (الشيخ حسين محمد مخلوف، دار الفكر، ١٩٨١م).

## دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... (الصَّبَاح)

في عاقبة أمورهم في الدنيا والآخرة (٤٣).  
٧. الفتح: منغلقاً، فإذا صار في اليد فهو فتح. وقيل:

الفتح: فتح مساكن الأعداء ودخول منازلهم (٤٥).

### الفرق بين النصر والفتح:

في سورة النصر عطف سبحانه الفتح على النصر في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١] وبهذا العطف كأنه أشار سبحانه إلى أن النصر غير الفتح، وأن بينهما فرقاً، وقد فرق العلماء بين النصر والفتح بما يأتي (٤٦):

أ. أن النصر هو الظهور على الأعداء والاستعلاء عليهم ولو لم يتم فتح بلادهم، والنصر قد يتحقق دون أن يتبعه فتح للبلاد، أما الفتح فلا يتحقق إلا بدخول بلاد الكفار كما في فتح مكة.

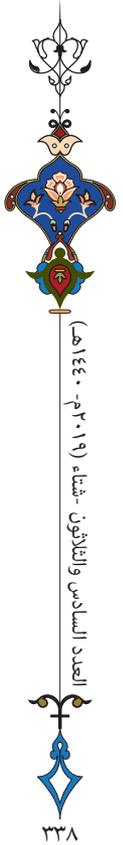
ب. أن النصر سبب للفتح، ولولا حصول النصر لما تمكن المسلمون من فتح البلاد ودخولها.

الفتح في اللغة: نقيض الإغلاق، أو هو: إزالة الإشكال والإغلاق، يُقال منه: فتحه يفتحه فتحاً، وافتتحه وفتحه فانفتح وتفتح. وفتحت الأبواب- شُدد للكثرة-ففتحت، والاستفتاح: الاستنصار واستفتحت على فلان: أي سألته النصر. والفتح أن تمتح بين قوم يختصمون إليك،. والفتح هو افتتاح دار الحرب. والفتح: النصر والظفر، لأنه يفتح باباً مغلقاً، والفتح ضروب: منها ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع، ومنها ما يدرك بالبصيرة، كفتح الهم وإزالة الهم، ومنها فتح المستغلق من العلو (٤٤).

أما الفتح في الاصطلاح: فهو الظفر بالمكان والمدينة والقرية سواء، كان بحرب أو بغير حرب، أو كان دخول عنوة أو صلح، فهو فتح، لأن الموضوع إنما يكون

(٤٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٦٥ (القرطبي، محمد بن أحمد، ت ٦٧١هـ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٨م).  
(٤٤) ينظر: مقاييس اللغة (فتح) ٤/ ٤٦٩، والصحاح (فتح) ١/ ٣٨٩.

(٤٥) ينظر: فتح القدير ٥/ ٥٠٩.  
(٤٦) التفسير الكبير ٣٣/ ١٥١ (الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، ت ٦٠٦هـ، دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢، د. ت)، و مدارك التنزيل ٢/ ٨٣٨.



ج. الفتح مرتبة أعلى من النصر، وهي تعقبه، فالفتح ليس ظهور على العدو فحسب بل هو دخول البلاد وفتحها.

### الفتح في القرآن الكريم:

ورد لفظ الفتح في (٣٨) موضعاً في القرآن الكريم، وذكرت كلمة الفتح لفظاً صريحاً ثماني مرات<sup>(٤٧)</sup>. والفتح في القرآن على أربعة أوجه<sup>(٤٨)</sup>:

أ. الفتح الذي هو ضد الاغلاق، منه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

ب. الفتح بمعنى القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٩].

ج. الفتح بمعنى الإرسال، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [سورة فاطر: ٢].

د. الفتح بمعنى النصر، ومنه قوله تعالى: (٤٧) ينظر: المعجم المفهرس (فتح).

(٤٨) ينظر: نزهة الأعين النواظر ٤٦١ - ٤٦٢ (ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ، دراسة وتحقيق محمد الراضي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م).

﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [سورة الصف: ١٣].

واستعمل (الفتح) من ألفاظ النصر في التنزيل العزيز علماً على فتح مكة، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ ﴾ [سورة الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [سورة الصف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر: ١].

وقد عُبر عن هذا النصر العظيم بصيغة (الفعل ومصدره) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح: ١]، يقول الزخشري قي الآية الكريمة: وجيء بالفعل ماضياً (على عادة رب العزة سبحانه في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الضخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى)<sup>(٤٩)</sup>.

وذكر هذا الفتح بصيغة الترجي في (٤٩) الكشاف ٤ / ٣٣٢.

دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني..... **الصَّبَاغ**

قوله تعالى: ﴿ **فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ**

**أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ** ﴾ [سورة المائدة: ٥٢]

وفي سياق الآية تتضح حقيقة واقعية هي ظهور الحق وغلبته على الباطل، وأن كل ظلم وباطل لا بد أن تظهر فضيحتها، فينقطع رجاء كل طامع بالباطل، متوسل إليه بوسائل صورها بصورة الحق، وفي المقام بين سبحانه وتعالى وعده للمؤمنين بالفتح والغلبة على الكافرين، فالآية وعد محتوم منه سبحانه من جهة أن (عسى) منه تعالى جزم وحتم (٥٠).

وورد (الفتح) مسنداً إلى المشركين

تهكما في قوله تعالى: ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ**

**جَاءَكُمْ الْفَتْحُ** ﴾ [سورة الانفال:

١٩] أي: إن تطلبوا أيها المشركون النصر

لأعلى الجندين وأهدى الفتتين فقد جاءكم

النصر، إذ نصر الله الأعلى والأهدى، وفي

قوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ** ﴾

تأكيد لمجيء هذا النصر، ولم يرد مثلا

(جاء لكم النصر) إشعاراً بأن هذا النصر

سيكون بغتة عليهم يفاجئهم من حيث لا

يخشون، وأنه واقع عليهم قريبا (٥١).

٨. الفوز:

لفوز في اللغة معانٍ متعددة، منها: الظفر بالأمنية والظفر بالخير مع حصول السلامة، والنجاة من الشر، يُقال: فاز سهُمُهُ: إذا غلب، وفاز بفائزة، أي شيء يصيب به الفوز. والمفازة المهلكة سميت بذلك تفاؤلاً للفوز (٥٢).

ويستخدم الناس لفظة الفوز فيما

بينهم للدلالة على صور مختلفة من النجاح

الذي يحصلون عليه في ميادين التنافس

المادية والدينيوية، كالتنافس في المناصب

الدينيوية والتنافس الرياضي، أما القرآن

فلم يستخدم لفظة الفوز لهذا المعنى.

### الفوز في القرآن:

وردت كلمة الفوز بصيغ واشتاقات

عدة، ومن استقصاء مواضعها في القرآن

الكريم نجدها استعملت في أحد المعاني

الآتية:

أ. النجاة من النار ودخول الجنة، ومن

ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ**

(٥١) ينظر: صفوة البيان ٢٩٨.

(٥٢) ينظر: لسان العرب (فوز) ٥ / ٣٩٢.

(٥٠) ينظر: مدارك التنزيل ١ / ٤٠٤.



النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿

[سورة آل عمران: ١٨٥] ومنه أيضاً:

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[سورة النساء: ١٣].

ب. طاعة الله ورسوله، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿

[سورة الأحزاب: ٧١].

ج. رضوان الله تعالى، ومنه قوله تعالى:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[سورة المائدة: ١١٩].

د. الجهاد في سبيل الله، ومنه قوله تعالى:

﴿ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[سورة التوبة: ١١١].

هـ. الوقاية من السيئات: ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

[سورة غافر: ٩] ومنه أيضاً:

﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿

[سورة الفتح: ٥].

و. خشية الله وتقواه: ومنه قوله تعالى:

﴿ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لَهُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

و. خشية الله وتقواه: ومنه قوله تعالى:

﴿ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَضِيهِمُ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لَهُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿

الْفَائِزُونَ ﴿ [سورة النور: ٥٢].

فالفوز بالمعنى القرآني محصور في طاعة

الله تعالى والبعد عن السيئات، وهو نفسه

تقوى الله وخشيته، وما يترتب على ذلك

من النجاة من النار ودخول الجنة.

وعلاقة الفوز بالنصر ظاهرة، ذلك أن

انتصار المسلمين على أعدائهم وتفوقهم

عليهم يمثل شكلاً من أشكال الفوز

عليهم بحسب المقاييس البشرية، ومن

ناحية أخرى إن قتال المسلمين لعدوهم

فيه أجر وثواب، وفوز برضوان الله في

الآخرة.

### خلاصة البحث وخاتمته:

تبين من دراسة هذا الموضوع

المضامين الآتية:

أ. إن قضية النصر قد غدت قضية جدلية

ملحة على الصعيد النظري والفكري

والواقعي.

ب. ما يجول في أذهان ملايين المسلمين من

سؤالات عن غياب النصر عن واقع

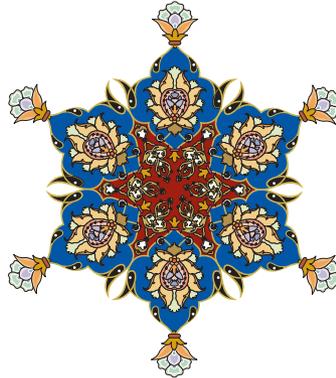
المسلمين، حتى كأن الهزائم أصبحت

قدراً علينا، فهل لهذا القدر من نهاية!.

وهل لهذا الليل من آخر!؟.

## • دلالة التركيب المنتظم لسياقات النصر في التعبير القرآني.....**النصبتاج**

- ج. ما يتداوله كثير من الناس من مغالطات وأفكار خاطئة تتعلق بالنصر، فيها التشكيك والاستغراب والتخذيل.
- د. تسليط الضوء على عوامل النصر وإبرازها.
- هـ. إثبات أن النصر يخضع لسنة إلهية وقانون رباني، وأن الأمر ليس من باب الصدفة والعشوائية.
- و. إيصال فكرة أن النصر لا يصنع نفسه، وأن الجهد البشري مع عوامل النصر الأخرى هي أبرز مقومات النصر.
- ز. كشف البحث عن طائفة من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم، للدلالة على النصر في ساحة المعركة، سواء بلفظ النصر الصريح، أو بما يدل عليه من ألفاظ وظفها القرآن الكريم للدلالة على النصر، وهذه الألفاظ هي: (النصر، والأخذ، والأمر، والبشرى، والتمكين، والظفر، والغلبة، والفتح، والفوز). وحاول الباحث التفريق بين معاني بعض من المفردات الدالة على النصر ومقابلاتها من المفردات اللغوية، اعتماداً على سياق الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ.



# (قُرْبَ) وَ(عَزَلَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ وَفِقَ مَنْظُورِ الْإِيْتِمُولُوجِيَا

م.د. مجيب سعد أبو كطيفة  
كلية العلوم الاسلامية- جامعة كربلاء

## فحوى البحث

تنماز اللغة العربية عن اللغات الأخرى بالثراء وكثرة الألفاظ والصيغ والاوزان التي تعسر الاحاطة بها احاطة تامة. وقد تردُ بعض الألفاظ بمعنى واحد ولكن ذلك لايعني أن كل لفظ منها يوافق الآخر في الدلالة موافقة تامة. وقد اختار السيد الباحث لفظتين من ألفاظ القرآن الكريم وهما: (قُرْبَ) و (عزَلَ) فدرسهما على وفق مفهوم (الايتمولوجيا) Etymology أي دراسة الألفاظ دراسة تكشف عن المعنى الحقيقي للكلمة.

وقد قسّم الباحث بحثه على محورين، تناول في الأول مفردة (قُرْبَ) و موارد استعمالها في القرآن الكريم وفي الثاني مفردة (عَزَلَ) في المقصد نفسه.

### الملخص:

هذه الألفاظ بالموقف الذي وردت فيه، فصارت تبعث في النفس عند التلطف بها حالة من النفور أو الاشمئزاز أو التقزز. فتصبح هذه الألفاظ ذات دلالات إيجابية. وتبرز هذه الألفاظ بصورة أكثر في الكلمات ذات المعاني المحظورة مثل الكلمات المرتبطة بالجنس أو موضع قضاء الحاجة أو الموت.

وفي أمثال هذه الحالات ينبغي استعمال التلطف في التعبير الذي هو الإشارة إلى شيء مكروه أو معنى غير مستحب بطريقة تجعله أكثر قبولاً واستساغة، وهذا ما يعرف بمصطلح «اللامساس» الذي هو بأبسط تعريف: «إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة أو أكثر قبولاً».

وهذا ما وجدناه في القرآن الكريم في أثناء بيانه الأحكام الخاصة بالزواج ووصف الطريقة التي يلتقي بها الزوج بزوجته وما يترتب عليها من أحكام شرعية. فنرى القرآن الكريم يبيّن هذه الأحكام باستعمال ألفاظ تعدُّ غاية في التلطف ومراعاة الطباع ومكامن النفس وهذا ما يتناوله بحثنا الموسوم بـ «قُرْبَ

تعدُّ أساليب العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة ذخيرة لا يمكن أن يحيط بها مثل هذا البحث أو يستقصيها فيعرف المراد منها، وحسبه أن يلم بأطراف منها ويدلُّ عليها، فهي معيّنٌ ثر يفتح لذي الذوق والحس اللغوي آفاقاً في فهم الأساليب وطريقة نسجها.

فلكي يتمكن الشخص من فك العبارة القرآنية لا بدَّ له من أن يحذق في النظام الداخلي للغة، إذ أن الاقتصار على البنى التركيبية والصوتية والصرفية والمعجمية غير كافٍ للوقوف على كنه اللغة ومعرفة مرموزاتها إذ تركز اللغة على بنيتين، بنية عميقة تعد أساس التفكير وهي التي تستوعب المفاهيم، وبنى سطحية تقوم بصوغ المفاهيم على شكل جمل أصولية. من هنا برزت الحاجة إلى دراسة الجوانب التاريخية للألفاظ ومراتب تطورها وما يرافقها من تغير في الدلالة؛ إذ قد تشع من اللفظ الواحد دلالات أخرى نتيجة اقتران هذه الألفاظ بموقف معين أو تجربة خاصة أو حالة انفعالية مما يؤدي إلى اقتران دلالة

وعَزَلَ في القرآن الكريم دراسة وفق منظور الإيتمولوجيا». وهو جزء من سلسلة البحث في الألفاظ التي تصف العلاقات الزوجية.

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين... وبعد:

اللغة العربية واحدة من اللغات المكتنزة التي تمتاز بالثراء وكثرة الألفاظ والصيغ والأوزان التي يعسر على الإنسان أن يحيط بها إحاطة تامة، فإذا طالعت واحدا من المؤلفات العربية التي اهتمت بجمع الألفاظ التي تدلُّ على معنى واحد مثل كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني أو كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي أو المخصص لابن سيده أو غير ذلك من المعجمات القديمة أو الحديثة تجد أنها تذكر للمعنى الواحد أكثر من لفظ يدل عليه. من ذلك ما أورده عبد الرحمن الهمداني في باب الكذب قائلا: «يقال: جاء بالكذب، والزور، والبهتان، والأكاذيب،

والمين، والبطل، والعضيهة، والإفك،... وتخرَّص، واختلق، وتزَيَّد، وأرْبى، وافترى، وقد زحرف الكذب، ووشَّاه، وزوَّره، وموَّهه، وشبَّهه، ولبَّسه، ونمَّقه، ونمنمه، ولَفَّقَه، واخترعه»<sup>(١)</sup>. فذكر

للكذب خمسة وعشرين لفظاً. ومثل هذا نجده إذا تصفحنا المخصص لابن سيده في أي باب من أبوابه.

ومما ينبغي الإلماح إليه هنا أنَّ الألفاظ التي ترد في المعنى الواحد لا يعني أنَّ كل لفظ منها يوافق اللفظ الآخر في الدلالة موافقة تامة. وهذا ما سنلاحظه في الألفاظ التي تدل على العلاقات الزوجية وتصف الطريقة التي يلتقي بها الزوج بزوجه كـ «زواج، ونكاح، ورفث، وقرب، وعزل، ومباشرة، ومسّ، ولمس، تغشى، مجامعة ومباضعة...» فهذه الألفاظ وإن اشتركت في الدلالة على وصف الطريقة التي يلتقي بها الزوج بزوجه إلا أن لكل لفظ دلالة خاصة به، وهذا ما سنبينه في لفظتي «عزل وقرب» التي أفردنا لهما هذا

(١) الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى

لمن يستطيع تفجيرها فتأتي كلماته متخيرة  
وجمله متوازية وتراكيبه منسجمة وأصواته  
مع معانيه متفاعلة. ولهذا بقيت العربية  
في ذروة عطائها الذي لا ينضب، وظلت  
إضاؤها في قمة القها الذي لا يخبو، فكم  
من لغة قد تتهقرت وتعرضت لعوامل  
الانحطاط وانحسرت أصالتها لبطانة  
الدخيل المتحكم من اللغات الأخرى  
فذابت وخذ شعاعها الأ العربية فلها مددٌ  
من القرآن الكريم ورافد من بحره المتدفق  
بالحياة، تحسه وكأنك تلمسه، وتعقله  
و كأنك تبصره فهو حقيقة لا تجحد، فقد  
مسك القرآن الكريم باللسان العربي من  
الانزلاق حتى عاد هذا اللسان متمرساً  
على الإبداع.

فلكي يتمكن الإنسان من التعبير عما  
يجول في خاطره لابد من أن يتقن النظام  
الداخلي للغة. فاللغة كما يقول المسدي:  
«عقد جماعي يلتزم به الفرد ضمناً بعد أن  
يحدق استخدام ما تنصُّ عليه بنوده الصوتية  
والصرفية والنحوية والدلالية»<sup>(٣)</sup>.

(٣) اللسانيات «اسسها المعرفية»، المسدي:

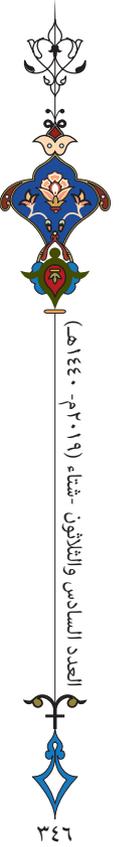
البحث؛ وذلك لكثرة المعاني التي ذكرها  
المعجميون لها ولكثرة مرات ورودها في  
القرآن الكريم.

### التمهيد:

أحدث نزول القرآن الكريم على  
قلب النبي ﷺ ثورة لغوية أذهلت العرب  
عما بأيديهم من فنون القول ونبهتهم إلى  
فراة هذا النص القرآني وجمالية الأداء  
الكامنة وراء تلك التراكيب والأصوات  
المكونة لها. فأقيمت على هذا الصرح  
دراسات عديدة انتظمت مستوياتها  
الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية  
فأثمرت نتاجات تشهد بإعجاز القرآن  
الكريم، وبالقدرة على تمكن هذه اللغة  
من استيعاب العلوم والمعارف الإنسانية،  
وتعكس قوة العقل العربي ورسوخه في  
الأداء والعطاء. وفي هذا ردُّ على رأي من  
يرى أن «اللغة عاجزة عن الإمام بكل ما  
يريد أن يفصح عنه الإنسان من أفكار  
ومشاعر»<sup>(٢)</sup>.

إذ أن طاقات اللغة العربية غير محدودة

(٢) دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة



والى هذا المعنى أشار تشومسكي في سياق حديثه عن البنية السطحية والعميقة للغة محدداً مسألة الأداء الكلامي والكفاية اللغوية التي تتيح للفرد التوصل إلى نسج جمل كثيرة بواسطة ما يحمل ذهنه من قواعد وسنن لغوية، وقد شرحها الدكتور ريمون طحان بكيفية مفصلة في قوله: «إن البنى السطحية نتيجة آلية وميكانيكية لبنى كانت في الأعماق ودفعتها اللغة إلى سطحها. ويبدو أن البنى العميقة هي أسس التفكير، وهي التي تستوعب المفاهيم، وأن البنى السطحية تقوم فقط بصوغ المفاهيم على شكل جمل أصولية»<sup>(٤)</sup>. ويرى الدكتور ريمون طحان «أنَّ هناك تماثلاً بين هياكل اللغة وهياكل الذهن، وتصبح البنى الفكرية الخفية قوالب لغوية بارزة، واللسان المرآة الصافية تعكس صورة الذهن»<sup>(٥)</sup>.

### الإيتيمولوجيا ودورها في كشف المعنى:

لو أخذنا أي لفظة من الألفاظ وبحثنا عن معناها نجد أنَّ المعجم العربي يذكر

(٤) اللسانية العربية «ريمون طحان»: ١٤٤.

(٥) المرجع نفسه: ١٤٤.

لها أكثر من دلالة وهذا ما وجدناه في لفظة «قرب» التي نجد لها في المعجمات اللغوية أكثر من الدلالة فـ «قرب» تعني دنا، فالقرب نقيض البعد، والتقرب التدني والتوصل إلى الشيء، وقرب الشيء بالضم يقرب قرباً فهو قريب منك في المكان. و«قرب» تأتي بمعنى النسب و«قربت» أقرب قرابة إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة. وغير ذلك من الدلالات التي سنقف على جانب منها في دراستنا للدلالة المعجمية لللفظة «قرب»، فهل بين هذه الألفاظ علاقة وشيجة ومعنى عام يربطها جميعاً أم لا توجد بينها علاقة رابطة وأن لكل دلالاته وبهذا تكون لفظة «قرب» من المشترك اللفظي.

وما ذكر في لفظة «قرب» يجري على لفظة «عزل» التي ذكر اللغويون لها معاني تبدو متباينة لحد ما، منها: عزل الشيء: نَحَّاه جانباً فتنحى، واعتزل الشيء: تنحى عنه، واعتزلت القوم: قارقتهم، وعزله عن العمل أي: نحاه عنه، والأعزل: الجندي الذي لا سلاح معه، والأعزل أيضاً: سحاب لا مطر فيه وغير ذلك كما

فقد جاءت أول مناقشة جادة لهذه المسألة في كتاب كراتلس «cratylus» لافلاطون<sup>(٧)</sup>. غير أن البحث عن المعنى الأصيل للفظ لا يخلو من صعوبة إذ «أن جزءاً من الصعوبة التي يواجهها الرجل العادي يعود إلى ان الكلمات غالباً ليست كما تبدو عملياً»<sup>(٨)</sup>.

فإذا اعتمدنا في دراستنا على هذه المنهجية قد يمكن أن نجد حلاً لمشكلة اللفظ والمعنى «المدال والمدلول» الذي تعدد دلالاته وتتطور بتطور الزمن. وهذا ما سنحاول اتباعه في دراستنا لهذه الألفاظ من خلال البحث عن الأصل الذي ترجع إليه جميع معاني لفظتي «قرب، عزل» كما سيتضح في سطور هذا البحث.

وبعد.. فإن هذا البحث موضوعه متشعب الأطراف متعدّد الجوانب وليس في ظننا أنه يخلو من الأخطاء فحسبنا أننا بذلنا فيه ما وفقنا الله له فإن وُفِّقنا فما التوفيق إلا من عند الله وهو ما نصبوا إليه، وإن أخطأنا فمن عندنا، وهذا دليل

سنرى في دراستنا للدلالة المعجمية للفظه «عزل».

فالنظرة السطحية لهذه المعاني تقودنا إلى القول إن لفظه «عزل» تعدد من المشترك اللفظي إذ لا علاقة بين الأعزل التي تعني جندي لا سلاح معه وبين الأعزل التي تعني سحاب لا مطر فيه.

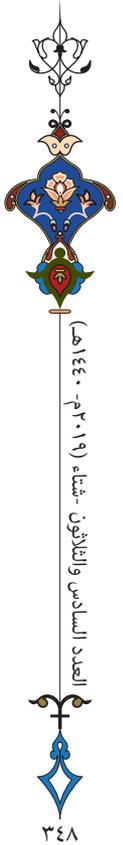
من هنا برزت الحاجة إلى دراسة الألفاظ دراسة تأصيلية وهي الدراسة التي تعرف بـ «الايتمولوجيا» أي: الكشف عن المعنى الحقيقي للكلمة، وهذا ما نادى به أكثر من عالم إذ قال اف. آر. بالمر: «إن الناس مهتمون بالايتمولوجيا «التأصيل» أي: اكتشاف المعاني السابقة للكلمات، أو إذا التزمنا بالمعنى الأصيل لكلمة «ايتمولوجيا» اكتشاف المعاني الحقيقية باقتباس أحدث أصل لكل كلمة»<sup>(٦)</sup>. ويرجع الاهتمام به كما ذكر بالمر إلى قرون عديدة، وهذا ما أكده في قوله: «ويرجع الاهتمام بالايتمولوجيا لقرون عديدة.

(٧) المرجع نفسه: ١٤.

(٨) المرجع نفسه: ١٤.

(٦) علم الدلالة، اف. آر. بالمر: ترجمة: مجيد

الماشطة: ١٤.



على نقصان المخلوق واحتياجه إلى كمال الخالق.

توطئة:

قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

نزلت هذه الآية كما ذكر المفسرون لتوضيح كيفية التعامل مع المرأة في أثناء مدة حيضها وحكمه الشرعي وما يترتب عليه من أضرار وأذى على المرأة وعلى من يقترب منها.

وإنَّ نظرة سريعة في كتب التفسير تكشف لنا عن اضطراب الطوائف البشرية في التعامل مع الحائض فمنهم من يظلمها أشد الظلم بأن يجسها بمكان بعيد عن الناس فلا يجالسها ولا يأكل من طبخها ولا يأخذ من يدها ولا يفعل معها ما يفعله الزوج مع زوجته من حسن المعاشرة والمداعبة ولين الجانب كما لو كانت تحمل وباءاً شديداً العدوى مثلها كان اليهود والمجوس يفعلون، إذ «أن اليهود

كانوا إذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت»<sup>(٩)</sup>. ومثل هذا كان يفعل العرب في الجاهلية، قال الثعلبي: «كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل المجوس واليهود»<sup>(١٠)</sup>.

والباعث على السؤال أن أهل يثرب قد امتزجوا باليهود واستنوا بسنتهم في كثير من الأشياء، وكان اليهود يتباعدون عن الحائض أشد التباعد بحكم التوراة ففي الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين «إذا كانت امرأة لها سيل دمًا في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء وكل ما تضطجع عليه يكون نجسًا وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسًا سبعة أيام».

(٩) روح المعاني، للآلوسي: ٢ / ١٢١، والدر المثور، للسيوطي: ٢ / ٥٧٢.  
(١٠) الكشف والبيان، للثعلبي: ٢ / ١٥٦.

لها من مساوئ وأضرار على كلا الطرفين ثم يُبيِّن المواضع التي تُجْتَنَّبُ والمواضع التي لا تُجْتَنَّبُ ويوضح هل إنَّ الحائض تترك بمعزل عن البشر لتقاسي آلام الطمث والفراق والعزل كما لو كانت قد ارتكبت جرماً تستحق العقاب عليه، أو تُعامل كما لو كانت طاهرة، ولتوضيح المراد من هذه الآية لا بُدَّ من تسليط الضوء على لفظتي «قرب» و«عزل» واستكناه دالتيهما والوقوف على معنيهما وذلك بتقسيمهما على محورين وعلى النحو الآتي:

المحور الأول: صيغة «لا تقرب»:

أولاً: الدلالة المعجمية للفظ «قرب»: لكي تتمكن من الكشف عن الحكم الشرعي لصيغة «لا تقرب» التي ذكرت في القرآن الكريم في أكثر من مورد لا بُدَّ من معرفة دلالة لفظ «تَقَرَّبَ» التي وردت في المعجمات العربية تحت الجذر «قرب». ومن الملاحظ أنَّ اللغويين قد ذكروا أكثر من معنى لهذا الجذر منها أنَّ «قرب» تعني دنا، فالقرب نقيض البعد، والتقرب التدني والتوصل إلى الشيء، وقرب الشيء بالضم يقرب قربا

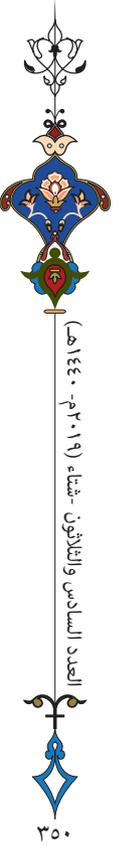
وإن من قبائل العرب من كانت الحائض عندهم مبعوضة فقد كان بنو سليح أهل بلد الحَضْر، وهم من قضاة نصارى إن حاضت المرأة أخرجوها من المدينة إلى الربض حتى تطهر وفعلوا ذلك بنصرة ابنة الضيزن ملك الحَضْر، فكانت الحال مظنة حيرة المسلمين في هذا الأمر تبعث على السؤال عنه<sup>(١١)</sup>.

وإذا كان اليهود والمجوس والعرب في الجاهلية يتعاملون مع الحائض بهذا الظلم فإنَّ النصارى كانوا على العكس تماماً فكانوا يتعاملون معها كما لو كانت طاهرة من حيث المجامعة والمداعبة فضلاً عن كونهم يجالسونها ويواكلونها ويأخذون من يدها، قال ابو حيان التوحيدي: «وقيل: كانت النصارى يجامعون الحَيْض ولا يبالون بالحَيْض، واليهود يعتزلونهنَّ في كل شيء»<sup>(١٢)</sup>.

فجاء الإسلام ليهذب العلاقة بين الرجل والمرأة ويُبيِّن حكمها الشرعي وما

(١١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٨ / ١٦٣.

(١٢) البحر المحيط، لابي حيان التوحيدي: ٢ / ١٧٦.



فهو قريب منك في المكان<sup>(١٣)</sup>. و«قرب» تأتي بمعنى النسب، تقول: هو قرابتي، وهي قريبتني إذا كانت تخصك في رحم أو من عشيرتك<sup>(١٤)</sup>. و«قربت» أقرب قرابة إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة، والاسم منه القرب<sup>(١٥)</sup>. ويبدو أن من هذا سُمي الإناء الذي يُجَلَّب به الماء «قربة». و«القربان» تأتي بمعنى الذبائح التي كانوا يذبحونها تقرباً إلى الله تعالى<sup>(١٦)</sup>، وتأتي بمعنى جلساء الملك وخاصته<sup>(١٧)</sup>. و«القرب» رفع الرجل للجماح ومنه «قرب فلان أهله أي غشيها»<sup>(١٨)</sup>.

ولم يبين لنا المعجميون هل إنَّ لفظة «قرب» تعد من المشترك اللفظي، إذ النظرة السطحية توهم القارئ أنه لا

(١٣) ينظر: العين، للخليل «قرب»: ١/ ٣٧٠.

(١٤) ينظر: تهذيب اللغة، للازهري «قرب»: ٩/ ١٢٢.

(١٥) ينظر: المحكم والمحيط الاعظم، لابن سيده «قرب»: ٣/ ٤٨.

(١٦) ينظر: المحيط في اللغة، لصاحب بن عباد «قرب»: ١/ ٤٧٤.

(١٧) ينظر: الصحاح، للجوهري «قرب»: ١/ ٢١٩.

(١٨) ينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي «قرب»: ١/ ١٥٢.

توجد علاقة بين «قرب» التي بمعنى «دنا» و«قرب» التي بمعنى «النسب»، ولا توجد علاقة بين «القربان» التي تعني «الذبائح» وبين «قربان» التي تعني «خاصة الملك» أو أن جميع معاني لفظة «قرب» ترجع إلى أصل واحد يجمعها في معنى عام ومن ثمَّ فهي لا تعدُّ من المشترك اللفظي؟. وسيظهر لنا بيان ذلك بعد ما نورد دلالة «قرب» عند المفسرين.

ثانياً: دلالة «قرب» عند المفسرين:

لم يتفق المفسرون على معنى محدد لللفظة «قرب» التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من تسعين مورداً منها ما جاءت فيه مفردة ومنها ما جاءت فيه مضافة إلى ضمير الغائب أو المخاطب أو ضمير الجمع أو نون النسوة، وبصيغ مختلفة، فنجد أن المفسرين قد اعتمدوا في تحديد دلالة «قرب» على المورد الذي ترد فيه، فلما وردت في سياق النهي عن الاقتراب من الشجرة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥] ذهب



ووافقه على هذا الرأي الطبرسي بقوله: «ولا تقربوا أماكن الصلاة»<sup>(٢١)</sup>. فالقرآن يقول ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾ والمفسرون يقولون: لا تقربوا أماكن الصلاة!!!.

ولما وردت في سياق النهي عن الاقتراب من الفواحش في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَكُمْ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١٥١] فهم المفسرون أن

المراد منها النهي عن الاقتراب من مقدمات الشيء، فقالوا: «وقد نهى عن القرب

منها، وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملابستها»<sup>(٢٢)</sup> وهذا ما أكده البقاعي في

قوله: «أتبعه النهي عن مطلق الفواحش، وهي ما غلظت قباحتها، وعظم أمرها

بالنهي عن القربان فضلاً عن الغشيان فقال: ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾<sup>(٢٣)</sup>.

ولما وردت في سياق النهي عن

(٢١) مجمع البيان في تفسير القرآن، لطبرسي: ٦ / ٢٤٦.

(٢٢) التحرير والتنوير: ٨، ١٦٨.

(٢٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣ / ١٥٨.

بها المفسرون إلى القرب الجغرافي بمعنى عدم الاقتراب من المكان الذي توجد فيه الشجرة وهذا ما صرح به ابن عطية الأندلسي في قوله: «إن الله لما أراد النهي

عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب»<sup>(١٩)</sup>،

ولما وردت في سياق النهي عن الاقتراب من الصلاة في حالة السكر في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا

جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ

الغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [سورة

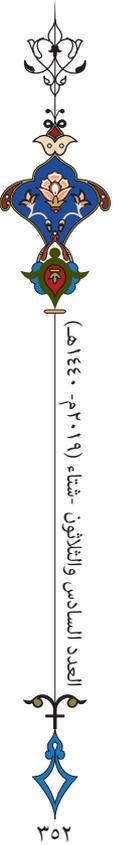
النساء: ٤٣] ذهب بعض المفسرين إلى أن صيغة «لا تقربوا» في هذه الآية من

باب عدم الاقتراب من أماكن الصلاة أو مواضعها وهذه ما ذكره الزمخشري بقوله:

«لا تقربوا مواضعها وهي المساجد»<sup>(٢٠)</sup>.

(١٩) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ١ / ١٧٩.

(٢٠) الكشاف: ١ / ٥٤٥.



الاقتراب من مال اليتيم في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤].

رأى بعض المفسرين أن النهي عن الاقتراب كان من باب المبالغة لإفادة إشداد الحرمة<sup>(٢٤)</sup> ولا أدري ما سيقول المفسرون في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ أيذهبون بها إلى القرب الجغرافي أم يقولون إنها من باب الاقتراب من مقدمات الشيء؟؟؟؟!

ثالثاً: الدلالة القرآنية للفظ «قرب»: قدمنا آنفاً أن المفسرين اعتمدوا في بيان دلالة الألفاظ على التبادر وعلى المورد الذي ترد فيه اللفظة.

يحاول بحثنا هذا الابتعاد عن هذه المنهجية في كشف المعنى ويتعد عن التبادر في تفسير المفردات القرآنية، ويعتمد منهجية الاستقراء للاقتراءات اللفظية

(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٩ / ١٠٠، و: الميزان في تفسير القرآن، لطباطبائي: ١٣ / ٤٩.

للمفردة القرآنية فيكشف عن مدلول تلك اللفظة بمتابعة السياقات اللفظية للمفردة القرآنية الواحدة للخروج بمعنى عام لتلك اللفظة.

والذي يبدو أن جميع الدلالات التي ذكرها المفسرون واللغويون للفظ «قرب» ترجع إلى أصل واحد يجمعها في معنى عام ترجع إليه معاني هذه اللفظة جميعها وهو: التوجه والاندفاع نحو هدف مقصود وبكل الجهود وبشكل متكرر، وهذا الاندفاع ظاهر بشكل واضح وحققي.

وإنَّ وجود حرف «الياء» في بداية الفعل «يقرب» وحرف التاء بعد القاف تشكل فعلاً مضارعاً مستمراً، فالفعل لم ينته بعد؛ بسبب الاستمرار المضاف في بداية الفعل. فالفاعل هنا في حالة اقتراب وبصورة مستمرة وبخطة مدروسة وقد أعدَّ كلَّ المستلزمات لبلوغ الهدف. وعلى هذا يمكن تفسير كل الصيغ الأخرى ك«قرب، مقرب، قربان، قربي...».

وهذا يبين لنا أن المراد من «التقرب» في الحديث القدسي «من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً و من تقرب إلى ذراعاً

فيها فهو من أضعف المصاديق، وما يؤيد ذلك استعمالها في القرآن الكريم، إذ أنها ارتبطت بـ «الله تعالى» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [سورة هود: ٦١] وبالأجل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَبْطَهُمُ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥] وبالحساب كما في قوله تعالى: [الأنبياء: ١]، وبالساعة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [سورة الشورى: ١٧] وبالفتح كما في قوله تعالى: ﴿وَفَنَحْ قَرِيبٌ﴾ [سورة الصف: ١٣]. وقد اقترنت لفظه «قرب» في القرآن الكريم بـ «لا» في أكثر من مورد مكونة صيغة «لا تقرب» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]، و ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، و ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤]، و ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [سورة النساء: ٤٣]، و ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

وقد حملها بعض المفسرين كما قدمنا

تقربت إليه باعًا»<sup>(٢٥)</sup> معناه -والله أعلم - التوجه والاندفاع نحوه جلَّ جلاله وبكل الجهود وبصورة مستمرة عن طريق الذكر والعمل الصالح والابتعاد عن المحرمات لا قرب الذات والمكان؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس. والمراد بتقرب الله تعالى منه: توالي نعمه وألطافه وبرِّه وإحسانه إلى العبد بصورة مستمرة وبلا انقطاع.

والمعنى نفسه ينطبق على القربى في الرحم والنسب. والقربان التي تعني جلساء الملك وخاصته؛ لأنهم يتوجهون إليه قاصدين من دون غيره، وتوجههم هذا بصورة مستمرة ومتكررة. وقل مثل هذا في القربان إلى الله فهي ذبائح أو ما شابهها يذبحها العبد قاصدًا بها التوجه إلى الله تعالى لنيل رضاه وجعلها وسيلة لحل ما يواجهه من مصاعب الحياة.

ولفظه «قرب» لا تخص المكان وحده بل هي حركة عامة أمَّا إطلاقها على النسبة الجغرافية وجعلها مختصة

(٢٥) مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول، للعلامة المجلسي: ٣١١ / ١٢.

أنفاً على أنها من باب عدم الاقتراب من مقدمات الشيء أو أماكنه أو من باب المبالغة في النهي<sup>(٢٦)</sup>.

وقد لاحظ الباحث أن السياق الذي وردت فيه هذه الصيغة واقترانها مع مورد الشجرة والصلاة ومال اليتيم والفواحش وغيرها من الموارد لا يتوافق مع ما ذكره المفسرون، وهذا ما دفعنا الى أن نتناول الموارد التي وردت فيها هذه اللفظة بشيء من التحليل والتوضيح ليسهل لنا الوصول الى الحكم الشرعي المنشود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهِنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]. لنثبت أن صيغة «لا تقربوا» لاتعني ما ذهبوا اليه وإنما تعني شيئاً آخر سيتضح في تضافيف هذا البحث.

واعتمادنا هذا المفهوم في صيغة «لا تقربوا» يبين لنا السبب في دخول نبينا آدم عليه السلام وزوجته في مجموعة الظالمين لما اقتربا من الشجرة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا

(٢٦) نظر: الكشاف، الزمخشري: ١ / ٥٤٥، و: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦ / ٢٤٦، و: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للآلوسي: ٥ / ٣٨.

يَتَّادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥].

إذ أن مجرد الوقوف بجوار الشجرة لا يعدُّ مسوغاً لدرجة الدخول في مجموعة الظالمين وتأكيد هذا الأمر في سورة الأعراف يثبت لنا ذلك إذ قال تعالى: ﴿وَيَتَّادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩].

ف نجد أنه تعالى أباح لنبينا آدم عليه السلام وزوجته السكن والأكل في عموم الجنة ونهاهما عن الاقتراب من الشجرة. ثم انه عليه السلام لو اقترب من الشجرة أو أكل منها سهواً أو اشتباهاً أو عن عدم قصد لما ترتب عليه الظلم والإخراج من الجنة وكان ذنباً مثل شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير ففيه ظلم النفس. ومن ثم فهذا لا يعدُّ تقرباً وفق المعنى الذي قدمناه.

فنبينا آدم عليه السلام توصل إلى الشجرة بعد التأمل والتفكير مع نفسه من جهة ومع إبليس الذي دلاهما بغرور من جهة أخرى، فوصله عليه السلام إلى الشجرة كان



بعد التفكير والمدارسة، وكان القصد منه الوصول إلى ذات الشجرة - التي لا مجال لنا لتوضيح المراد منها في هذا البحث - والتأثير فيها وهذا هو المراد - والله أعلم - من صيغة «لا تقرب» لا مجرد الاقتراب من الشجرة بالمعنى الجغرافي.

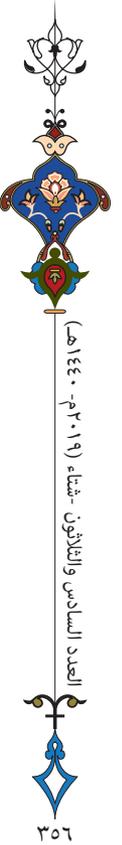
ومثل هذا نجد في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [سورة النساء: ٤٣].

إذ ذهب بعض المفسرين إلى أن صيغة «لا تقربوا» في هذه الآية من باب عدم الاقتراب من مقدمات الشيء أو بمعنى عدم الاقتراب من أماكن الصلاة أو مواضعها كما ذكرنا آنفاً في المعنى الذي قدمه الزمخشري ووافق عليه الطبرسي. أو إنها تأتي بمعنى المبالغة في النهي وهذا ما صرح به الآلوسي في قوله: «نهي عن

القرب مبالغة» (٢٧).

أقول: لو رجعنا إلى النص القرآني وجدنا أن الآية لا تتحدث عن مقدمات الصلاة وأهمها الطهارة التي تكفل القسم الثاني من الآية بإيضاحها وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ ففي هذه الآية نجد أن الحديث صرح في ذكر بعض مقدمات الصلاة أمّا في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾ فان المقصود من قرب الصلاة - والله أعلم - الخوض فيها ومقدماتها وأركانها وهذا ما أكده ابن عجيبة بقوله: «﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾: لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من خمر أو غلبة نوم أو شدة غفلة» (٢٨). ومثل هذا قول الآخر: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي لا تغشوها ولا تقوموا إليها» (٢٩). وبهذا صرح الزمخشري بقوله: «﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾: أي لا تصلوا وانتم سكارى» (٣٠).

وهذا ما ينجلي للبحث ويتضح من (٢٧) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، للآلوسي: ٣٨ / ٥.  
(٢٨) البحر المديد، لابن عجيبة: ١ / ٢٢٢.  
(٢٩) الكشاف: ١ / ٥٤٥.  
(٣٠) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣ / ٧٩.



هذه الآية، فالصلاة ليست تمريناً يومياً من حركات وكلمات يرددها الشخص فتبرأ ذمته بل هي التوجه والاندفاع المطلق إلى الله تعالى وصرف النظر عما سواه بحيث تكون صلاته بحق «معراج إلى الله» وبهذا يتضح المراد من الحديث الشريف: «الصلاة قربان كل تقي» فمن خلاها يصل المؤمن إلى درجة الفلاح قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢]، ويتضح من هذا أن المراد من لفظة «قرب» التوجه والاندفاع نحو الله تعالى بشكل مطلق بحيث يكون العبد على صلة تامة بخالقه فتكون الصلاة بحق وسيلة لصلة العبد بربه.

ومن الموارد التي وردت بها لفظة «قرب» للدلالة على التوجه والاندفاع نحو هدف مقصود وفق دراسة مسبقة وإصرار واضح على مزاولته ما يصبوا إليه ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَبِّنَا فَاتَّبِعُوا آيَاتِنَا لِنَحْيَكُم مِّنَ الشِّرْكِ وَتَكُونَ لَهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ أَقْرَبَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩]، ويتضح من الآية أن التوجه والاندفاع المطلق إلى الله تعالى وصرف النظر عما سواه بحيث تكون صلاته بحق «معراج إلى الله» وبهذا يتضح المراد من الحديث الشريف: «الصلاة قربان كل تقي» فمن خلاها يصل المؤمن إلى درجة الفلاح قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢]، ويتضح من هذا أن المراد من لفظة «قرب» التوجه والاندفاع نحو الله تعالى بشكل مطلق بحيث يكون العبد على صلة تامة بخالقه فتكون الصلاة بحق وسيلة لصلة العبد بربه.

وَأَيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْنَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

إذ تصدر الآية الإعلان عن جملة أمور محرمة جمعت أمراً ونهياً وفعلاً وتركاً وتعدُّ هذه الأمور أصول المحرمات في الإسلام وذكرت الذنوب الرئيسة الكبيرة في عشرة أقسام بيان مقتضب عميق وفريد، منها النهي عن الإشراف بالله الذي يعدُّ أعلى مرتبة من الانحراف بعدها انتقل إلى الإحسان إلى الوالدين، وفي المقطع الثالث أصبح التعاطف بين الأفعال فتوجب وجود «لا» الناهية لعدم الالتباس إذ أن قتل الأولاد خشية الإملاق هو من جملة المحرمات؛ ولأن فيه ظلماً للآخرين فقد صُنِّفَ ضمن المرتبة الثالثة من الكبائر في حين صُنِّفَ قتل النفس في المرتبة الخامسة و يبدو - والله أعلم - أن قتل الأولاد يختلف عن قتل النفس؛ فهناك مواطن يحل فيها قتل النفس كالجهاد في سبيل الله أو الدفاع عن العرض أو المال أما قتل الأولاد فلا يوجد له مبرر.

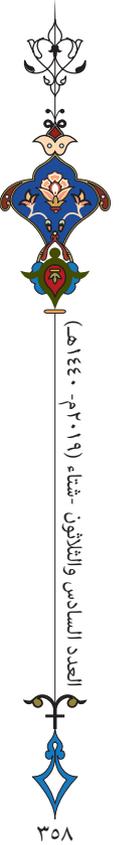
فابن عاشور يرى كما ذكرت في أول البحث أن لفظة «قرب» متعلقة بالقرب المكاني والبعد الجغرافي فقط وإذا وردت في شيء أو مع مورد ليس فيه بعد مكاني حملت على المجاز أو الكناية متناسيا ورودها في كثير من الموارد القرآنية مع غير المكان مما يستبعد حمل جميع هذه الموارد على المجاز والاستعارة والكناية. ومثله قول آلوسي: إِنَّ «تعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها»<sup>(٣٢)</sup>.

إذ أن السياق الذي ووردت فيه هذه الجملة وتسلسلها في المرتبة الرابعة من بين المحرمات التي تعدُّ أصول المحرمات الرئيسة في الإسلام كما ذكرت آنفاً يبعدها عن هذه الدلالة ويثبت أن صيغة ﴿لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ هي صيغة تحريم مطلق وهذا ما صرح به قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

(٣٢) روح المعني في تفسير القرآن والسبع المثاني:

بعد تصدر الآية الإعلان عن المحرمات وتصنيف جملة ﴿لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ ضمن المرتبة الرابعة من الكبائر يتضح أن صيغة ﴿لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ تدل على حرمة التوجه والاندفاع نحو الفواحش وفق تخطيط مسبق وإصرار واضح على اقرار الموبقات ويستبعد أن تكون دلالتها على «حمل التأديب»، أو المبالغة في النهي عن القرب من الفواحش كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، كما في قول ابن عاشور: «وقد نهى عن القرب منها، وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملابتها؛ لأن القرب من الشيء مظنة الوقوع فيه، ولما لم يكن للإثم قرب وبعد كان القرب مراداً به الكناية عن ملابسة الإثم أقل ملابسة؛ لأنه من المتعارف أن يقال ذلك في الأمور المستقرة في الأمكنة إذا قيل لا تقرب منها فهم النهي عن القرب منها ليكون النهي عن ملابتها بالأحرى، فلما تعذر المعنى المطابق هنا تعيّن إرادة المعنى الالتزامي بأبلغ وجه»<sup>(٣١)</sup>.

(٣١) التحرير والتنوير: ٨ / ١٦٣ .



وبهذا يتضح أن صيغة ﴿ لَا تَقْرُبُوا ﴾ الفَوَاحِشُ ﴿ تَعُدُّ صِيغَةً شَرْعِيَّةً تَدْخُلُ ضَمْنَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ إِمَّا حَرَامٌ أَوْ حَلَالٌ وَتَكُونُ دَلَالَةً الْاِقْتِرَابِ مِنَ الْفَاحِشَةِ تَعْنِي فِعْلَ الْفَاحِشَةِ مَعَ سَبْقِ الْإِصْرَارِ وَالتَّرْصُدِ وَفَقِ خِطَّةِ مَدْرُوسَةٍ وَعَمَلِ مَدْبَّرٍ لَا بِسَبَبِ السَّهْوِ أَوْ الشَّبْهَةِ أَوْ عَنِ عَدَمِ الْقَصْدِ إِذْ أَنْ لِكُلِّ حَكْمِهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -

ومثل هذا نجده في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤].

إذ ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ النهي عن الاقتراب كان من باب المبالغة لإفادة اشتداد الحرمة (٣٣) في حين أن هذا الحكم ذكر بعد ذكر سلسلة من الوصايا يفهم منها التحريم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا لَكُرٌّ إِنَّا قَنَلَهُمْ كَانِ خَطَأًا كَبِيرًا ﴾ (٣١) وَلَا تَقْرُبُوا

(٣٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩ / ١٠٠، و: الميزان في تفسير القرآن، لطباطباتي: ١٣ / ٤٩.

الزِّيْفِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

[سورة الإسراء: ٣١-٣٦].

إذ أن الاستثناء الوارد في الآية يدل على أن الاقتراب هو الاندفاع نحو مال اليتيم بشكل مقصود ومدروس ومخطط له مسبقاً والتصرف به وفق ما خطط له إن كان هذا التصرف ليس في مصلحة اليتيم فهو محرم وإذا كانت فيه مصلحة مشتركة فيها مرود ايجابي لليتيم فلا بأس فليس من الحكمة ترك مال اليتيم حين بلوغ اليتيم أشده فالعملات ذات قيمة متغيرة مع الزمن ومن ثم فلا مندوحة من استغلالها في مشروع يعود بالنفع على الطرفين وما يؤيد هذا قول الطوسي: «المراد بالقرب

نخلص من هذا أن المراد من لفظه «قرب» الدلالة على التوجه والاندفاع نحو هدف مقصود وبكل الجهود وبشكل متكرر، وهذا الاندفاع ظاهر بشكل واضح وبحركة حقيقية. والهدف المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ في هذه الآية -موضع البحث- هو فرج المرأة لا غيره -والله أعلم - ومعنى هذا أن سائر الجسد غير معني في عدم الوصول وأنه يحق للرجل الاستمتاع به كيفما شاء وأنى شاء حتى وإن كانت المرأة في مدة الحيض.

غير أن هذا وحده لا يكفي للوصول إلى مراد الآية إذ لا بد من الوقوف على دلالة لفظه «عزل» واستكناه دلالتها واستجلاء معناها ليتبين لنا هل إن لفظه عزل تعطي دلالة «قرب» كما ذهب إلى ذلك ابن عجيبة في قوله: ﴿فَاعْتَرَلُوا﴾ مجامعة النساء في زمن الحيض ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع» (٣٦).

فتكون جملة ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ قد جاءت لتوكيد جملة ﴿فَاعْتَرَلُوا النساء﴾

(٣٦) البحر المديد: ١ / ٢٢٢.

التصرف فيه، وإنما خص اليتيم بذلك وان كان واجبا في كل أحد؛ لان اليتيم لما كان لا يدفع عن نفسه ولا له والد يدفع عنه، فكان الطمع في ماله أقوى تأكد النهي في التصرف في ماله» (٣٤). وما يؤكد ذلك ما ذُكر في سبب نزول هذه الآية أنه «لما أنزل الله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء: ٣٤] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٠] الآيتين انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعام اليتيم وشرابه من شراب اليتيم، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيجلس له حتى يأكله أو يفسد فيرمي به، واشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَآخِضُوا لَهُمْ نَجْمًا مِمَّا يَأْكُلُونَ﴾ فخالطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم» (٣٥).

(٣٤) التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطوسي: ٤٢٨ / ٤، و: مجمع البيان: ١٧٤ / ٤.

(٣٥) ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي: ٣٤ / ٥، و: التبيان في تفسير القرآن، ١٠٢ / ٣، وجمع البيان: ٧١ / ٢.

كما ذكر ذلك ابو حيان في قوله: «وقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾ هو كناية عن الجماع، ومؤكّد لقوله: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾» (٣٧).

على الرغم من أن أبا حيان يرى أن لكل من اللفظتين دلالة تختلف عن الأخرى وأنها لا يتماسان إلا في هذه الآية، وهذا ما نلاحظه في قوله: «وظاهر الاعتزال والقربان أنها لا يتماسان، ولكن بيّنت السنة أنه اعتزال وقربان خاص» (٣٨).

ويبدو أن الفيصل في حلّ هذا الإشكال هو الولوج في المعجمات العربية والكتب التي تعنى بدراسة الألفاظ واستكناه دلالاتها من مظانها اللغوية لاستجلاء دلالة لفظة «عزل» وهذا ما سيظهره المحور الثاني من هذا البحث.

المحور الثاني: «اعتزلوا»:

أولاً: الدلالة المعجمية لفظة «عزل»: ذكرت سالفاً أن الآية الشريفة تدور حول محورين الأول «عدم الاقتراب» والثاني «الاعتزال» وقد سلطنا الضوء

(٣٧) البحر المحيط: ٢ / ٣٦٤.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢ / ٣٦٤.

في المحور الأول على دلالة لفظة «لا تقربوهن» وبقي أن نعرف المراد من جملة «اعتزلوا النساء»، وجرياً على عادتنا في التحليل فلا بدّ من التوصل إلى دلالة لفظة «اعتزلوا» المشتقة من الفعل «عزل».

وحرى بالذكر أن اللغويين ذكروا أكثر من معنى للفظ «عزل» فقالوا: «عزل الشيء يعزله يعزله عزلا فاعتزل وانعزل، نحاه جانباً فتنحى» (٣٩)، واعتزل الشيء تنحى عنه، واعتزلت القوم: فارقتهم، وعزله عن العمل أي نحاه عنه (٤٠)، والأعزل: الجندي الذي لا سلاح معه (٤١)، والأعزل أيضاً: سحاب لا مطر فيه، والعزل: أن يعزل الرجل الماء عن جاريته إذا جامعها لئلا تحمل (٤٢).

وهنا يتساءل البحث من العلاقة الرابطة بين هذه الدلالات التي ذُكرت للفظ «عزل» وأهناك معنى عام ترجع إليه جميع هذه الدلالات أم إنَّها من

(٣٩) العين «عزل»: ١ / ٨٢.

(٤٠) جمهرة اللغة «عزل»: لابن دريد: ١ / ٤٥٣.

(٤١) تهذيب اللغة «عزل»: ١ / ٩٥.

(٤٢) المحيط في اللغة «عزل»: لصاحب بن عباد:

١ / ٦٧.

المشترك اللفظي ومن ثمّ فلا رابط بين هذه الدلالات. وهذا ما سيبينه البحث بعد معرفة دلالة «عزل» عند المفسرين وفي الاستعمال القرآني.

ثانياً: دلالة «عزل» عند المفسرين:

قدمنا آنفاً أنّ المفسرين يعتمدون منهجية التبادر ويتخذون من المورد الذي ترد فيه اللفظة أساساً لاستكناه دلالة تلك اللفظة وهذا ما وجدناه في لفظة «عزل» التي وردت في القرآن الكريم في عشرة موارد بصيغ مختلفة فنجد أنه لما وردت في سياق الحديث عن الفتية أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [سورة الكهف: ١٦]، ذهب بها المفسرون إلى دلالة المفارقة البدنية، وهذا ما ذكره ابن عجيبة في قوله: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: فارقتموهم، وفارقتم ما يعبدون» (٤٣)، وهو الرأي الذي ذكره ابو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآية إذ

يقول: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ خطاب من

(٤٣) تفسير ابن عجيبة: ٣ / ٣٨٣.

بعضهم لبعض، والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي» (٤٤) وذهب السمرقندي إلى أنّ عزل في هذه الآية تدل على الترك إذ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ يقول بعضهم لبعض: لو تركتموهم وما يعبدون إلا الله يعني: لو تركتم ما يعبدون» (٤٥). ولما وردت في سياق الحرب والقتال في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ فَأَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء من الآية ٩٠ صارت تدل على وضع السلاح وإنهاء الحرب، وهذا ما ذكره الثعالبي في قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: إذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم» (٤٦) وهو الرأي الذي اختاره البغوي (٤٧).

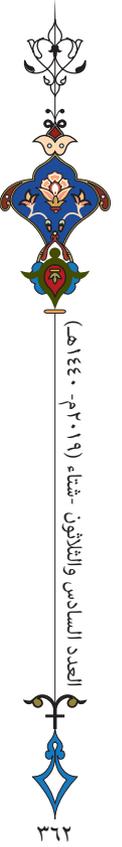
ولما وردت في سياق حديث نبي الله ابراهيم مع أبيه وأبناء قومه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

(٤٤) البحر المحيط: ٧ / ٤٢٥.

(٤٥) بحر العلوم، السمرقندي: ٣ / ٤٠.

(٤٦) الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

(٤٧) ينظر: معالم التنزيل، البغوي: ٢ / ٢٦١.



مريم من الآية ٤٩ ذهب بها المفسرون إلى دلالة الهجرة ومفارقة الوطن وهذا ما ذكره الزمخشري في قوله: «أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام»<sup>(٤٨)</sup>، ومثل هذا قول ابن عطية في قوله: «﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ ﴾ أي: رحل عن بلد أبيه وقومه»<sup>(٤٩)</sup>.

ويجري الأمر نفسه على موارد «عزل» واشتقاقاتها الأخرى فنجد المفسرين يعتمدون التبادر، والمورد الذي ترد فيه اللفظة فيفسرون اللفظة على أساسه وهو المنهج الذي يحاول بحثنا الابتعاد عنه في بحثه عن دلالة اللفظة وبيان المراد منها.

ثالثاً: الدلالة القرآنية للفظ «عزل»: يبدو لأول وهلة أن لا صلة ولا رابط بين المعاني التي ذكرها المعجميون والمفسرون للفظ «عزل» ومن ثمَّ فإن لفظ «عزل» تعدُّ من المشترك اللفظي، إذ لا علاقة بين الأعزل التي تعني الجندي الذي لا سلاح معه وبين الأعزل التي تعني سحاب لا مطر فيه، وبين عزله عن العمل أي نحاه، وبين اعتزلت القوم أي:

(٤٨) الكشاف: ٥ / ٩٠.

(٤٩) المحرر الوجيز: ٤ / ٣٦٩.

فارتقتهم، غير أن التأمل في هذه المعاني والنظر في بنيتها العميقة يوصلنا إلى حقيقة مفادها أن جميع هذه المعاني ترجع إلى أصل واحد وتنحصر في دلالة عامة واحدة وهي: «عملية فصل الأجزاء التي من طبيعتها الالتحام والتواصل».

فالسلاح يعد أحد أهم الأجزاء المشترط توافرها في الجندي، فبين الجندي والسلاح لحمة واشتراك فإذا ما فصل بينهما بأن يسلب السلاح منه فإن هذه العملية تدعى «عزل» ويقال: جندي أعزل، ويصدق الأمر نفسه على العامل، فالشخص لا يسمى عاملاً إلا إذا تواصل مع العمل وارتبط فيه، فإذا ما نُحِيَ عن العمل لسبب ما أُطلق عليه لفظ «معزول»، ويصدق هذا أيضاً على السحاب الذي يعد المطر أحد مكوناته لذا أُطلق على السحاب الذي لا مطر فيه اسم: «أعزل».

وقل مثل هذا عن الإنسان الذي من طبيعته الاختلاط والتواصل مع أبناء المجتمع والأنس بهم فإذا ما انفرد هذا الشخص لسبب ما عن التواصل مع أبناء

مجتمعه فقد اعتزلهم، وإن نبذه أبناء مجتمعه فهم الذين اعتزلوه.

ثم إن التواصل وعدمه لا يشترط فيه التواجد والاختلاط فالتواصل قد يكون فكريا أو في السلوك العقائدي أو ما شابه ذلك.

وفي القرآن الكريم أكثر من مورد يؤكد هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [سورة الكهف: ١٦].

فالفقهاء في هذه الأثناء كانوا على اختلاط وتواصل مع أبناء قومهم ولكنهم لا يدينون بدينهم ومن ثم فلا اختلاط فكري أو ديني بينهم فاستمرار تواصلهم مع أبناء جلدتهم مستمر بيد أن تدينهم بدين جديد جعلهم في عزلة عنهم، لذا لما أحس بهم الملك ورام سجنهم أو قتلهم أمرهم سيدهم بالخروج وأن يأووا إلى الكهف قال تعالى: ﴿فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [سورة الكهف: ١٦].

فالأمر بالإيواء إلى الكهف كان بعد الاعتزال. ومثل هذا أيضا نجده في قوله

تعالى: ﴿وَأَعَزَّلْتُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿فَلَمَّا أَعَزَّلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة مريم: ٤٨ - ٤٩]

فنبى الله ابراهيم عليه السلام كان على اختلاط مع أبناء قبيلته بيد أنه أصبح بدينه الجديد في عزلة عنهم، فعدم تواصله بالفكر والعبادة والمعتقد الديني مع أبناء قومه أثر في العلاقة بينهم وبينه بشكل عام، فأصبح بدينه الجديد أمة وقومه أمة قال تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠]

فصرح نبي الله ابراهيم عليه السلام بأنه لا يدين بدينهم وانه على خلاف عقيدتهم ومن ثم فهو معتزلهم على الرغم من وجوده بينهم بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعَزَّلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة مريم: ٤٩] وعلى هذا فالعزلة لا تستوجب البعد الجغرافي فقد يكون الشخص بعيدا ولكنه على اتصال دائم مع أبناء قومه فهذه لا تسمى عزلة.

وهذا يبين لنا ما ذكره اللغويون في أحد معاني لفظة «عزل» انها تعني أن «يعزل الرجل الماء عن جاريته إذا جامعها لئلا

تجبل»<sup>(٥٠)</sup>. نجد أن ما ذكرناه ينطبق عليه فإن المكان الطبيعي لماء الرجل أن يستقر في رحم المرأة عند المجامعة، فإذا منع الرجل هذا الماء أن يصل إلى الرحم أطلق على هذه العملية مصطلح «عزل». وعليه فقولنا: عزل الرجل زوجته أو عليك أن تعتزل الزوجة لا يعني أن يتعد عنها، فلا يداعبها ولا يلامسها ولا يأكل معها أو يأخذ من يدها فيحبسها كما كان اليهود والمجوس يفعلون.

وانما يفعل معها كل شيء فيجالسها ويأخذ من يدها ويؤاكلها بل ويداعبها ويفعل معها كل شيء الا الوصول إلى الفرج وقصده فعليا فهو المنهي من القرب منه وفق المعنى الذي قدمناه في لفظة «قرب». وما يؤكد هذا ما ذكره الزمخشري في قوله: إنَّ «أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس، فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن

من بيوتهن، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت؛ وإن استأثرنا بها هلكت الحيضُ: فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت»<sup>(٥١)</sup>. وهذا يبين لنا المراد من قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْبَيْتَ الْمَحْضُ فِي الْمَحْضِ﴾ إذ اختلف المفسرون في المراد بالاعتزال على ثلاثة أقوال<sup>(٥٢)</sup>:

أحدها: اعتزل جميع بدنها أن يباشره بشيء من بدنه، وهذا قول عبدة السلماني. والثاني: ما بين السرة والركبة، وهذا قول شريح.

الثالث: الفرج وهذا قول العترة المطهرة وجمهور المفسرين. وهو الرأي الذي يميل إليه البحث ويتبناه، ولو رجعنا إلى ما ورد عن النبي ﷺ وأهل البيت  لوجدنا ما يؤيد ما نميل إليه.

(٥١) الكشاف: ١ / ٢٩٢.

(٥٢) ينظر: النكت والعيون، للهاوردي: ١ /

٢٨٣، و: الكشاف: ١ / ٢٩٣.

(٥٠) العين «عزل»: ١ / ١٤٧، وينظر:

الصحيح «عزل»، لجواهرى: ٦ / ٤٢.



المحور الثالث: مقارنة المرأة في السنة النبوية:

وردت نصوص كثيرة عن النبي الأكرم ﷺ وعن أئمة الهدى الاطهار ﷺ تبين حكم اقتراب الزوج من زوجته في مدة حيضها وتظهر أن المراد منه عدم الوصول للفرج فقط وتحلل سائر الجسد منها: عن عيسى بن عبد الله قال: قال أبو عبد الله ﷺ: المرأة تحيض يحرم على زوجها أن يأتيها في فرجها لقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ فيستقيم للرجل أن يأتي امرأته وهي حائض فيما دون الفرج»<sup>(٥٣)</sup>.

وعن أحمد بن محمد بسنده، عن البرقي، عن إسماعيل -يعني ابن مهران- عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: ما للرجل من الحائض؟ قال: ما بين الفخذين»<sup>(٥٤)</sup>. وبهذا الاسناد عن علي بن الحسن عن محمد بن عبد الله بن زرارة

(٥٣) وسائل الشيعة كتاب الطهارة باب جواز وطئ الحائض، للحر العاملي: ٢ / ٥٧٠.

(٥٤) الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، للشيخ الطوسي: ١ / ٧٤.

عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ في الرجل يأتي المرأة فيما دون الفرج وهي حائض؟ قال: لا بأس إذا اجتنب ذلك الموضع»<sup>(٥٥)</sup>. ومن ذلك أيضاً ما أخبر به الشيخ أيده الله بالإسناد المتقدم عن علي بن الحسن عن محمد وأحمد ابني الحسن عن أبيهما عن عبد الله بن بكير عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إذا حاضت المرأة فليأتها زوجها حيث شاء ما اتقى موضع الدم»<sup>(٥٦)</sup>. وبهذا الإسناد عن علي بن الحسن عن محمد بن علي عن محمد بن اسماعيل عن منصور بن بزرج عن اسحاق بن عمار عن عبد الملك بن عمرو قال: «سألت أبا عبد الله ﷺ: عما لصاحب المرأة الحائض منها؟ قال: كل شيء ما عدا القبل بعينه»<sup>(٥٧)</sup>. وعن محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن علي بن الحسن، عن محمد بن زياد، عن

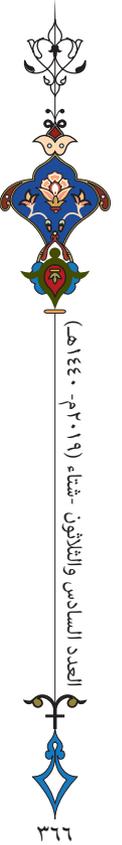
(٥٥) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي: ١ / ٨٥.

و: الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: ١ / ٧٤.

(٥٦) تهذيب الأحكام: ٨٥.

(٥٧) الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: ٨٠ / ١.

١. والكافي، للكليني: ٥ / ٧٨١.



أبان بن عثمان، والحسين بن أبي يوسف، عن عبد الملك بن عمرو قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام ما يحل للرجل من المرأة وهي حائض؟ قال: كل شيء غير الفرج، قال: ثم قال: إنما المرأة لعبة الرجل» (٥٨).

فهذه الأحاديث تظهر أنه يحل للرجل جميع جسد المرأة في مدة حيضها باستثناء اللوج في الفرج وهذا المفهوم يتوافق مع ما ذهب إليه البحث في دلالة لا تقرب التي تعني عدم التخطيط المسبق واتخاذ القرار بالوصول الى الفرج ويتوافق مع دلالة «عزل» وفق المعنى الذي قدمناه لهذه اللفظة - والله أعلم.

### الخاتمة:

بعد هذه الاطافة والتقلب بين كتب التفسير والحديث واللغة والمعجمات اللغوية تبين لنا أنه كي يتمكن الانسان من التواصل مع أبناء جلدته ومخالطتهم لابد أن يتقن النظام الداخلي للغة؛ لأن البنية السطحية للغة هي نتيجة آية لبنى كانت في الأعماق. ومعنى هذا أن الاقتصار على البنية السطحية غير كافٍ للوقوف على كنه

اللغة ومعرفة مدلولاتها ومن ثم فك عبارة النص القرآني ومعرفة مرادها وإدراك الحكم المرجو منها. وقد تمخض البحث عن أكثر من نتيجة يمكن منها:

١. يوافق البحث المحدثين فيما دعوا إليه من ضرورة دراسة البنية العميقة للغة بغية التوصل إلى فهم البنية السطحية لها.

٢. إن لفظه «قرب» ترد في الموارد التي تتطلب أعمال العقل والتفكير قبل الشروع في الفعل، فالرجل لا يستطيع أن يتصرف بهال اليتيم ما لم يتفكر مسبقاً كيف سيستثمر هذا المال، وما هو المشروع الذي سينصرف فيه هذا المال، ويجري الأمر نفسه على ارتكاب الفواحش، فالشخص إن ارتكب الفاحشة لا عن قصد وقبل أن يتفكر في كيفية ارتكابها، ولم يعد المستلزمات الضرورية لارتكابها فهذا يعني أنها حدثت سهواً. فهل يخلد في النار على ارتكاب فاحشة سهواً ولا عن قصد ومن دون تفكير وإصرار على ارتكاب فاحشة؟؟؟.

٣. إِنَّ لَفْظَةَ «قرب» أثارها تكاملية ذات أبعاد زمانية، فهي ليست حركة مفاجئة بل حركة بطيئة مع الزمن نسبياً، فإن كانت مع الصلاة فالخشوع في الصلاة لا يكون مباشرة بل يحتاج إلى مقدمات من التفكير في الله وفي الخلق والحساب والثواب والعقاب والموت وما سيؤول إليه الانسان بعد الموت، فالصلاة تستلزم حضوراً ذهنياً متكاملًا؛ لذلك نهى القرآن عن إتيان الصلاة في حالة السكر. وإن كانت مع الزنى فهي تحتاج أيضاً إلى مقدمات وتستلزم ضروريات، ويجري الأمر نفسه في التصرف بهال اليتيم الذي يستلزم التفكير وإعداد خطة مسبقة ووصول تدريجي إلى المال ويجري الأمر نفسه على موارد لفظة «قرب» الأخرى.
٤. إِنَّ لَفْظَةَ «قرب» ذات طابع مزدوج فهي عنيفة من الداخل وهادئة من الخارج، فهي من الداخل تحاول مواجهة كل العقبات لإتمام الحركة على أحسن وجه، والبعد الزمني يعطي
٥. إِنَّ مَجَاوِرَةَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ أَوْ الْوَقُوفَ بِجَانِبِهَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ قَارِبُهَا وَفَقِ الْمَعْنَى الَّذِي قَدِمْنَاهُ لِلْفِظَةِ «قرب».
٦. إِنْ لَمَسَ الْمَرْأَةُ سَهْوًا أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَا يُعَدُّ تَقَرُّبًا وَفَقِ الْمَعْنَى الَّذِي قَدِمْنَاهُ لِلْفِظَةِ «قرب».
٧. لَمْ تَقْتَصِرْ لَفْظَةُ «قرب» لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَصْفِ الْعَمَلِيَةِ الْجَنَسِيَّةِ فَحَسَبَ إِذْ إِنَّ هُنَاكَ لَفْظًا خَاصًّا وَضَعُ لَوْصَفِ هَذِهِ الْعَمَلِيَةِ.
٨. إِنَّ لَفْظَةَ «قرب» إِذَا وُظِّفَتْ لَوْصَفِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى تَفَكُّرٍ مُسَبِّقٍ، وَعَقْدِ نِيَّةٍ، وَإِصْرَارٍ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا فَكَّرَ فِيهِ.
٩. إِنْ لَفْظَةَ «عزل» اسْتَعْمَلَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى فَصْلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ طَبِيعَتِهَا التَّلَاحِمِ.
١٠. إِنَّ الْآيَةَ «٢٢٢» مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا عَنِ الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرُبُوهِنَّ حَتَّى

يَطْهَرْنَ فَإِذَا نَطَّهَرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ  
أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ  
الْمُتَّطَهِّرِينَ ﴿١١﴾

قد نزلت لتَهذب طبيعة تعامل الرجل  
مع المرأة في مدة حيضها وتبين حكمه  
الشرعي.

١١. إِنَّ صِيغَةَ ﴿لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾

تعدُّ صيغةً شرعيةً تدخل ضمن  
الحدود الشرعية التي لا تقبل التأويل  
إما حرام أو حلال وتكون دلالة  
الاقتراب من الفاحشة تعني فعل  
الفاحشة مع سبق الإصرار والترصد  
وفق خطة مدروسة وعمل مدبّر لا  
بسبب السهو أو عن عدم القصد إذ  
أن لكلِّ حكمه.

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة، لمحمود بن عمر  
الزنجشيري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد  
باسل عيون السود، منشورات محمد  
علي بيضون/ بيروت، ١٤٣١هـ.
- الاستبصار فيما اختلف فيه من  
الأخبار، للشيخ محمد بن الحسن

الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، بيروت، ط:  
١ / ١٤٢٩هـ.

• الألسنية العربية، لريمون طحان، دار  
الكتاب اللبناني، ط: ٢ / ١٩٨١م.

• الألفاظ الكتابية، لعبد الرحمن بن  
عيسى بن حماد الهمذاني (ت ٣٢٠هـ)،  
تحقيق: أميل بديع يعقوب، مط:  
دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط:  
الأولى / ١٩٩١م.

• بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمّد  
بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)،  
تحقيق: الشيخ علي محمّد معوض  
وآخرين، دار الكتب العلميّة،  
بيروت-لبنان، ط: ١، ١٩٩٣م.

• البحر المحيط، لمحمّد بن يوسف  
ابو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)،  
تح: الشيخ عادل احمد، والشيخ  
علي عوض، ود. زكريا النوقي، ود.  
احمد النجولي، دار الكتب العلمية/  
بيروت، ١٤٢٢هـ.

• البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،  
للعلامة احمد بن محمد بن عجيبة (ت  
١٢٢٤هـ)، تح: عمر احمد الرواي،

- دار الكتب العلمية/ بيروت، ط: ٢ / ٢٠٠٥ م.
- التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي «ت ٤٦٠ هـ»، تح: احمد حبيب العاملي، بيروت، ط: ١ / ١٤٣١ هـ.
- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية لكتاب، ط: ١ / ١٩٨١.
- تهذيب الأحكام، لمحمد بن الحسن الطوسي، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت / ط: / ١٤٢٩ هـ.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن احمد الازهري «ت ٣٧٠ هـ»، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
- جهرة اللغة، لمحمد بن دريد «ت ٣٢١ هـ»، تح: ابراهيم شمس الدين عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١ / ٢٠٠٥ م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٦ هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل احمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط: ١ / ١٤١٨ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي «ت ٩١١ هـ»، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، ط: ١ / ١٤٢٤ هـ.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو المصرية، ط: ٣ / ١٩٧٢ م.
- الدلالة الإيجائية في الصيغة الافرادية، د. صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق / ٢٠٠٢ م.
- دور الكلمة في اللغة، لستيفن اولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب / ١٩٨٨ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.

- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي الجوزي «ت ٥٧٩هـ»، دار المكتب الإسلامي، بيروت/ ١٤٠٤هـ.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، لمنقور عبد الجليل، مكتبة الاسد/ دمشق - ٢٠٠١م.
- علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: ٥ / ١٩٩٨م.
- علم الدلالة، أف. آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية/ بغداد/ ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، بيار جيرو، ترجمة: د. منذر العياشي، دار طلاس/ دمشق، ط: ١١٩٨٨م.
- العين، للخليل بن احمد الفراهيدي «ت ١٧٥هـ»، د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط: ٢ / ٢٠٠١م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الفكر - بيروت.
- الكافي، لثقة الاسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني «ت ٣٢٩هـ»،
- تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٥هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.
- الكشف والبيان، لاحمد بن محمد الثعلبي «ت ٤٢٧هـ»، تح: ابي محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي/ بيروت/ ١٤٢٢هـ.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، د. عبد السلام المسدي، المطبعة العربية/ تونس، ١٩٨٦م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨هـ أو ٥٥٢هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط: الأولى/ ١٩٩٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)،

- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، مط: دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى / ٢٠٠١ م.
- المحكم والمحيط العظم، لابن سيدة «ت٤٥٨هـ»، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١.
- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد «ت٣٨٥هـ» تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط: ١ / ١٤١٤هـ.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي «ت١١١١هـ»، إخراج ومقابلة السيد جعفر الحسيني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط: ٢ / ١٣٨٤هـ.
- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك مط: دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الثالثة / ١٩٨٩ م.
- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي «ت١١٠٤هـ»، تح: الشيخ عبد الرحيم الشيرازي، دار احياء التراث - بيروت، بلا.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: ١ / ١٤٠٠هـ.
- النكت والعيون «تفسير الماوردي»، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي «ت٤٥٠هـ»، راجعه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢ / ١٤٢٨هـ.
- نظم الدرر في تناسب الايات والسور، لابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي «ت٨٨٥هـ»، ط: ١ / ١٣٩١هـ..

# الدلالة الصوتية في سورة نوح عليه السلام

قيصر حسن قاسم

كلية الاداب - جامعة البصرة

## فحوى البحث

إنَّ أغلب الدراسات والكتب اللغوية تقر بأن الصوت الإنساني يشكل المادة الأولى، وتعد الدراسات الصوتية قديماً من أصل العلوم عند العرب؛ لأنها اتصلت مباشرة بتلاوة القرآن الكريم ولضبط أدائه؛ لذا جاءت هذه الدراسة مسلّطة الضوء على دلالة الصوت اللغوي في النص القرآني آخذة سورة نوح أمودجا بوصفها سورة من السور المكية التي تنماز بالقرع والشدة؛ لأنها تخاطب قوماً كافرين لاسيما إذا علمنا تأثير الصوت في نفوس هؤلاء.

وقد كان الهدف من هذه الدراسة، معرفة وتثبيت دور الأصوات اللغوية في ابراز الدلالة الصوتية، وأن القرآن قاصد حين وضع صوتا من دون آخر المعنى الذي يريده- سبحانه-.

### ملخص البحث:

لما كان القرآن كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما فيه صادر من الله تعالى، فهو مقصود وموجه لهداية البشرية جمعاء، وسورة نوح من السور المكية فهي متضمنة لموضوعات تعنى بها هذه السور، ومن هذه الموضوعات: الإلهية، والوحدانية، والأحكام.

إنَّ أغلب الدراسات والكتب اللغوية تقر بأن الصوت الإنساني يشكل المادة الأولى، وتعد الدراسات الصوتية قديماً من أصل العلوم عند العرب؛ لأنها اتصلت مباشرة بتلاوة القرآن الكريم ولضبط أدائه؛ لذا جاءت هذه الدراسة مسلطة الضوء على دلالة الصوت اللغوي في النص القرآني آخذة سورة نوح أنموذجاً بوصفها سورة من السور المكية التي تمتاز بالقرع والشدة؛ لأنها تخاطب قومًا كافرين لاسيما إذا علمنا تأثير الصوت في نفوس هؤلاء.

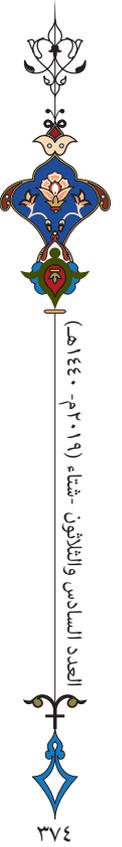
والمستوى الصوتي من أهم المستويات اللغوية في نفس المتلقي؛ لذا لاقى اهتماماً خاصاً من المشتغلين باللغة، وقد اتضح لي

أنَّ الباث عليه أن يتتقى الأصوات المناسبة ليكون مؤثراً في المتلقي، ومن هنا كان الفرق واضحاً بين باث وآخر، وهذا ما وُضح جلياً في النص القرآني، حيث القائل هو الله تعالى فهو يختار الصوت المناسب في المكان المناسب.

### المقدمة:

#### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على عباده الذين اصطفى وبعد: فإنَّ الدرس الصوتي من الدروس التي تناولها السلف الصالح، وأعطوها أهمية واضحة وذلك من خلال تناولهم ذلك الدرس بالشرح والتوضيح؛ لما له من الدور الواضح في إبراز الجوانب الدلالية في إي نص، ولاسيما النص القرآني، فقد أجمع اللغويون على أن النص القرآني قاصد لما يقول سواء أكان من الناحية التركيبية أم الناحية الصرفية أو من الناحية الصوتية موضوع البحث، فالدلالة الصوتية لها دور واضح في بيان المقصد القرآني؛ وذلك من خلال توظيف الأصوات اللغوية، وقد كان الهدف من دراستي والتي أسميتها (الدلالة الصوتية



في سورة نوح) هو معرفة وتثبيت دور الأصوات اللغوية في إبراز الدلالة الصوتية وأن القرآن قاصد عندما يضع صوتاً ولا يضع صوتاً آخر بحسب السياق والموقف الذي وضع من أجل توصيل فكرة معينة إلى ذهن المتلقي الواعي الفاهم للنص القرآني، ومن أجل ذلك فقد قسمت بحثي إلى فقرات فبدأ الباحث بالجانب النظري والذي تمثل في إعطاء فكرة عن الدلالة من تعريف لغوي واصطلاحي، وتناول لفظ الدلالة في القرآن الكريم، ثم عرف الباحث الصوت لغة واصطلاحاً، ومن بعد ذلك ذهب إلى الجانب التطبيقي والذي كان عن الدلالة الصوتية لسورة نوح المباركة فبين الباحث بعض الظواهر الصوتية ودورها في إبراز الدلالة الصوتية، فبدأت بدلالة التنغيم في السورة، ومن ثم دلالة الفواصل الصوتية، وبعد ذلك دلالة التكرار، ومن ثم دلالة الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، ودلالة النبر، وقد ختم الباحث تلك الدلالات بدلالة المقطع الصوتي، وقد أتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدلالة لغةً: من خلال مراجعة المعاجم اللغوية لمعرفة المعنى اللغوي للدلالة تبين أن معنى الدلالة يتراوح بين الإبانة، والاضطراب، والتدلُّل، والدليل، والانبساط، والهداية، وغيرها من المعاني ففي معجم مقاييس اللغة: ((دَلَّ: الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلَّمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمانة في الشيء، وهو بينُ الدلالة، والدلالة (بفتح الدال وكسرهما) والأصل الآخر قولهم: تدلَّدل الشيء، إذا اضطرب... ومن الباب دلال المرأة وهو جرأتها في تغنجٍ وشكلٍ، كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون إلا بتحايل واضطراب، ومن هذه الكلمة: فلان يدلُّ على أقرانه في الحرب، كالبازي يدلُّ على صيده، ومن الباب الأول قول الفراء عن العرب: أدلُّ يدلُّ إذا قرب بقرابة))<sup>(١)</sup>.

• الدلالة اصطلاحاً: حيث وردت عدة تعريفات لعلم الدلالة منها ((يتناول

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن منظور، باب الدال فصل دل.

وهذا التعريف يبيّن ما للكلمة ومعناه من علاقة، فمتى ما تطلق الكلمة تتبادر إلى الذهن دلالتها، ولم يكتب الدكتور محمد السعران بأن جعل علم الدلالة تابعاً وفرعاً من فروع علم اللغة العام، بل عدّه غاية الفروع الأخرى قائلاً في كتابه: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ((أنه غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنه قمة هذه الدراسات))<sup>(٥)</sup> إلا أن علماء المعاجم قصره على مجال واحد، فهم يعرفون علم الدلالة بأنه ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي))<sup>(٦)</sup>.

أما الباحث فيذهب مع رأي الدكتور السعران بأن علم الدلالة هو غاية الدراسات اللغوية.

• لفظ الدلالة في القرآن الكريم: فقد ورد لفظ الدلالة (دلّ) ومشتقاته في القرآن الكريم ((ثماني مرات في مواضع مختلفة

علم الدلالة العام بالشرح والتفسير، مع الاهتمام بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى خاصاً لغوياً كان ذلك أم غير لغوي مثل الحركات، والإشارات، والهيئات، والصور، والألوان، والأصوات غير اللغوية وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي))<sup>(٢)</sup>. والواضح من هذا التعريف أنه ((تعريف عام وشامل لكل رمز ثم الاصطلاح على دلالته لدى بيئة اجتماعية ما، وبناءً عليه فإن علم الدلالة العام يأخذ على عاتقه دراسة العلاقة بين أي رمز ومعناه))<sup>(٣)</sup>.

وهناك تعريف آخر لعلم الدلالة، ذلك التعريف الذي يقابل المصطلح الإنكليزي "semantics" فهو ((يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس معاني الكلمات تاريخياً، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة))<sup>(٤)</sup>.

(٢) الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص ٤-٥.

(٣) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، د. ماجد النجار، ص ٢٥.

(٤) معجم علم اللغة النظرية، محمد علي الخولي، ص ٢٥١.

(٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمد السعران، ص ٢٦١.

(٦) الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، ص ١٢٩.

وبصيغ متباينة<sup>(٧)</sup>. فقد ورد مرة واحدة بصيغة الاسم في قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٥].

وفي صيغة الفعل الماضي مرتين، مرة في سورة سبأ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِمْ. فَلَمَّا خَرَ تَيَنَنْتَ لِحُجْنٍ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سورة سبأ: ١٤]، ومرة في سورة الأعراف ﴿فَدَلَّهِمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢]، وخمس مرات بصيغة

الفعل المضارع في كل من الآيات في قوله تعالى ﴿إِذ تَمْشِي أُنْحَاكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فَتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسُونَ﴾ [سورة طه: ٧].

(٧) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، ص ٢١.

[٤٠]، وقوله تعالى ﴿فَوَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبِعُكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٠]، وقوله تعالى ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ [سورة القصص: ١٢]، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَغِيكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ فِيكُمْ لِنَفْسِنَا لَهُمْ جَدِيدًا﴾ [سورة سبأ: ٧]، وقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُبَدِّلُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف: ١٠].

• الصوت لغةً: ((الجرس، والجمع أصوات))، وقال ابن السكيت: صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيت: أي شديد الصوت<sup>(٨)</sup>.

• والصوت اصطلاحاً: ((كيفية للهواء يحملها إلى الصياخ))<sup>(٩)</sup>، وعرفه ابن جني في كتابه الخصائص: ((عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصللاً حتى يعرض له في الحلق والفم والتنفس مقاطع تشبه

(٨) لسان العرب، مادة الصوت.

(٩) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص ١٤٠.



مثل وضع صوت مكان آخر))<sup>(١٢)</sup>.  
فالباحث عليه أن ينتقي الصوت المناسب والمتناسق؛ ليكون أكثر تأثيراً في المتلقي، ومن هنا يكون الفرق بين باث وآخر.

### الدلالة الصوتية في سورة نوح:

بعد أن انتهيتُ من الجانب النظري لموضوع الدلالة الصوتية أتيْتُ إلى الجانب التطبيقي، ولما كانت الدراسة تحليلاً صوتياً في كتاب الله العظيم، ذلك الكتاب المقصود بمعانيه وكل شيء فيه بما في ذلك الأصوات، حيث يضع الله تعالى فيه كل صوت تبعاً للموقف والسياق، فلكل صوت دلالة خاصة تماشياً مع الموقف، حيث تكون الأصوات الواردة في هذا الموضوع أو ذاك من السورة المباركة تدل على المراد فمثلاً في موقف الإنذار يستعمل الباري عز وجل أصواتاً تنسجم وحالة عدم الرضا تجاه القوم نتيجة عدم إيمانهم بما يأتي به نبيهم من النصيحة، فالصوت القرآني قاصد وموظف توظيفاً ينسجم والسياق الذي وجد فيه، حيث ((أن

(١٢) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ٦٣.

عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها))<sup>(١٠)</sup>، وكذلك عرفه إبراهيم أنيس بقوله ((الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها))<sup>(١١)</sup>.

والصوت الذي ندرسه له قسمان:

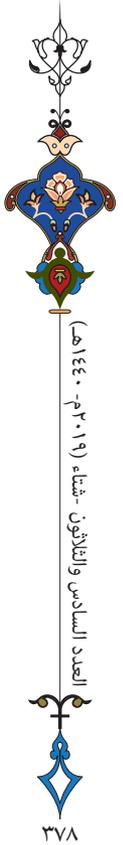
١. الدراسة العلمية للصوت من ناحية وصف مخارجه.

٢. يعني بدراسة صفة الأصوات في المعنى اللغوي، أي الدور الذي يؤديه الصوت داخل التركيب والسياق، ويطلق عليه علم الأصوات الوظيفي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تركز على ما يسمى بالإيقاع والموسيقى الداخلية من نبر وتنغيم ووقف وغيرها.

وما يعيننا من هذا الدراسة (الدلالة الصوتية في سورة نوح) هي ((الدلالة الصوتية حيث يتم فيها البحث عن الدور الذي تقوم به الأصوات لتحديد الدلالة

(١٠) الخصائص، ابن جني، ج ١ ص ٣٣.

(١١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٥.



الصوت القرآني قد تم توظيفه -بجميع مستوياته وبشكل دقيق -لخدمة المعنى الذي أفرغ فيه<sup>(١٣)</sup>، وقبل الذهاب إلى معرفة دلالة الأصوات في السورة المباركة، لابد من معرفة أن لكل صوت من الأصوات اللغوية صفاته الخاصة به وملاحظته التي تميزه عن غيره من الأصوات الأخرى، تلك الصفات والملامح التي تكمن في الأصوات اللغوية كي تكسبها مميزات صوتية قد تكون عوامل قوة أو ضعف في تلك الأصوات الداخلة، وهذه تسمى عوامل داخلية في النص ف ((هذه الملامح التي تكمن في الصوت اللغوي ذاته الخارجة على إرادة الكاتب واختياره، تكمن قوة الصوت أو ضعفه))<sup>(١٤)</sup>، وهذا العوامل هي «الجهر والهمس، والتكرار، والتفخيم والترقيق، والأصوات الانفجارية والاحتكاكية.

وهناك عوامل أخرى يجب توافرها في النص حتى يمتلك عناصر القوة

(١٣) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، ص ٩.

(١٤) التحليل الصوتي للنص بعض قصار سور

القرآن الكريم أنموذجاً، مهدي عناد قبها

ص ٩.

وهي العوامل الخارجية والتي بتوافرها إلى جانب العوامل الداخلية المؤثرة في الصوت داخل النص سيخرج النص متكاملًا، ولعل ابرز تلك العوامل الخارجية تلك القوالب والتشكيلات التي يضع فيها الباحث دلالاته؛ وذلك من خلال مؤثرات خارجية يطلق عليها الفونيمات غير التركيبية، والتي لها دور مهم في التشكيل الصوتي للنص على اعتبارها ((ملامح صوتية إضافية، تؤثر في الأصوات الكلامية، أو مجموعاتها))<sup>(١٥)</sup>، ولعل أبرزها: التنغيم، الفواصل الصوتية، النبر، المقطع، فلو جئنا إلى سورة نوح المباركة وتناولنا بعض الظواهر الصوتية ولنبدأ بما يلي:

• التنغيم: يعد التنغيم من الملامح المميزة التي لها الأثر في قوة الصوت داخل النص والتنغيم اصطلاحاً ((هو موسيقى الكلام... التي تصنع كلاً متنغماً الوحدات والجنبات))<sup>(١٦)</sup>، وقد عدّه الدكتور كمال بشر ((قمة الظواهر الصوتية

(١٥) اسس علم اللغة، ماريو باي ص، ٩٢.

(١٦) علم الأصوات د كمال بشر ص، ٥٣٣.

والوعيد الذي سيحصل نتيجة عدم انصياع القوم لما أراه نوح عليه السلام وكذلك التنعيم واضح في قوله تعالى على لسان نوح ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة نوح: ٢] فالتنعيم جاء على لسان نوح بصورة المنذر من نزول العذاب، فدلالة التنعيم في بيان المعاني المرادة والمعبرة عن حالة الإنذار واضحة جداً في أغلب مفاصل السورة المباركة.

وفي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ [سورة نوح: ٨] فحالة التنعيم حاضرة في قول نوح عليه السلام كأنه يصور حالة الدعوة وتكرارها وقد بينه التنعيم في الآية المباركة، هذه انموذجات لظاهرة التنعيم البارزة في السورة المباركة، مع ملاحظة أمر مهم، نحن كمحللين لانجزم بقصد الباث ولاسيما إذا كان النص صادراً من الباري عز وجل فنحن نعمل بمبدأ الفرضية التي تحتل الأخذ والرد، لكن نحلل وفق منهج خاص بكل مستوى بما في ذلك المستوى الصوتي والله العالم.

دلالة الفواصل الصوتية: الفاصلة هي ((الوقف والاستراحة وأخذ

التي تكسو المنطوق كله))<sup>(١٧)</sup> فلو تتبعنا السورة المباركة لوجدنا التنعيم واضحاً فيها، وقد أعطى قوة داخل النص المبارك ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة نوح: ١] نرى الوعد والوعيد واضحاً من خلال ظاهرة التنعيم، مثلما يقول لك شخص يا هذا أو يا فلان يجب أن تلتزم بالصلاة والعبادة فأن عدم الالتزام سيؤدي بك إلى الهاوية ونزول العذاب، حيث تكشف لنا ((أن مواقفها وأحداثها تحوم على (إنذار) مباشر، وعلى (عقاب) متوقع: في حالة عدم جدوى الإنذار))<sup>(١٨)</sup> فلو تتبعنا السورة المباركة لوجدنا ظاهرة التنعيم منتشرة ومتواترة حيث بلغ التواتر في التنعيم ما يقرب ٧٠ بالمئة أو أكثر، فالجملة الواحدة قد يتنوع معناها بتنوع صور نطقها وموسيقاها وطرق تنعيمها، فمن خلال تنعيم الآيات المباركات تتضح معانٍ تتناسب وحالة الإنذار وعدم الرضا

(١٧) المصدر نفسه، ص ٥٣١.

(١٨) دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٧٠٨.

النفس))<sup>(١٩)</sup> أو هي ((عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع... بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر))<sup>(٢٠)</sup> فمن خلال هذه التعريفات يتبين أن الفاصلة تفصل آية عن أخرى أو مقطوعاً عن آخر لغرض التنفس أو الاستراحة وبالتالي يحقق دلالة، وإن الغرض من هذه السكتة الخفيفة هو أن ((تضبط الحركة الصوتية في النص وتنظمها؛ محققة بذلك عمل انتقال الإصبع من وتر إلى وتر))<sup>(٢١)</sup>، فلو تتبعنا الفواصل الصوتية في سورة نوح لوجدنا تناغماً واضحاً ومعبراً بين طولها وطول الدعوة والإنذار من نوح، وكثرة الإصرار والاستكبار والعناد من جانب قومه، حيث وجدنا أن السكتة أو الوقفة بين الآيات أدّى غرضاً دلاليّاً فالملاحظ في السورة المباركة أن فواصلها جاءت طويلة وأن هذا الطول جاء مناسباً لطول فترة النبي نوح مع قومه، وكذلك لطول

فترة الدعوة، فضلاً عن طول أناة الله وطول حلمه على القوم العصاة المذنبين، فدلالة الفاصلة الصوتية واضحة من خلال جميع آيات السورة المباركة فكلها فواصل طويلة إلا آيتين تقريباً وهما قوله تعالى ﴿لَسْتَلْكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [سورة نوح: ٢٠] وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة نوح: ٢٢] فقد جاءت قصيرة، وقصرها جاء مناسباً لقصر مكر القوم الظالمين تجاه مكر الله تعالى، والله العالم.

• دلالة التكرار: ومن العوامل الصوتية المؤثرة داخل النص هو التكرار وهو من الملامح الصوتية التي أمتاز بها الصوت العربي ((وصوته العربي المتفرد به، هو الراء؛ لأنّ التقاء طرف اللسان وحافة الحنك، مما يلي الثنانيا العليا، يتكرر في النطق بها كأنها يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرفاً لثناً يسيراً، مرتين أو ثلاثاً، لتتكون الراء العربية))<sup>(٢٢)</sup>، وقد أجريت مسحاً للتكرار في السورة المباركة، فوجدت أن الراء قد تواترت في نهاية الآيات حوالي

(٢٢) الأصوات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٢٢.

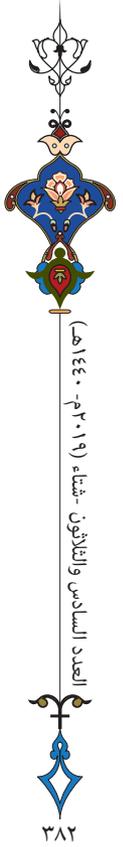
(١٩) علم الأصوات، ص ٥٥٣.

(٢٠) أسس علم اللغة، ص ٩٥.

(٢١) التحليل الصوتي للنص، ص ٢٤.

قبول الدعوة الموجهة من نوح، وكذلك تكرار الاستكبار من القوم، فجاء تكرار الرءاء منسجماً مع حالة تكرار الإصرار والاستكبار، ثم جاءت الآية التالية في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا** ﴾ [سورة نوح: ٨] فقد أعطى تكرار الرءاء انسجاماً وحالة دعوة نوح ﷺ مع قومه حيث كان يدعوهم مرارا جهاراً، فلم يزداهم دعاءه إلا فراراً، وكذلك الآيات ﴿ **ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾ ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾ ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا** ﴾ ﴿ **وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾ ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ [سورة نوح: ٩-١٤] فهي تصور حالات متعددة من التكرار وقد أعطى صوت الرءاء انسجاماً مع الحالات كلها مثل تكرار المغفرة من الله تعالى على الرغم من إصرار العبد على المعصية، وإرسال الله تعالى السماء مدراراً ليصور حالة نزول المطر بصورة متكررة ومتواصلة، إمداد الباري لعباده بالأموال والجنات والأنهار، وقد صورت أيضاً حالة خلق المخلوقات بصورة أطوار دليل على

سبعة عشر مرة، ففي قوله تعالى ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾ [سورة نوح: ٥] وأن تكرار الرءاء جاء مناسباً لحالة تكرار الدعوة المباركة من نوح ﷺ لقومه، وان هذه الدعوة ليل نهار متكرر فجاء صوت الرءاء منسجماً وحالة الدعوة في الليل والنهار ولكن دون جدوى، وفي قوله تعالى ﴿ **فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا** ﴾ [سورة نوح: ٦] وكذلك هذه الآية المباركة صورت حالة التكرار الذي استخدمه قوم نوح من دعوته وهو الفرار المتكرر فكلما دعاهم نوح وأكثر من الدعوة وكررها قابله فرار متكرر فنلاحظ حالة من الانسجام بين هذه الآية والآية التي قبلها، وهي تكرار الدعوة وتكرار الفرار، وفي الآية اللاحقة أيضاً نجد التكرار وهذه المرة ورد ثلاث مرات متتابعة، حيث يقول الله تعالى ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَسْمِعُوا نِسَابَهُمْ وَأَصْرُوا** ﴾ [سورة نوح: ٧] فمن ملاحظة هذه الآية نجد تكرار كلمات (وأصروا، واستكبروا، واستكبروا)، وهذا يصور لنا حالة الإصرار المتكرر عن



تكرار الخلق، أما بخصوص تواتر الراء في جميع السورة فقد ورد صوت الراء حوالي أربع وأربعون مرة وهذا جاء منسجماً مع جميع الحالات من تكرار الدعوة وتكرار الفرار وتكرار نزول الخير وكثرة قبول المغفرة وغيرها من الحالات التي وردت في السورة المباركة، فهذه السورة كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه ((وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية))<sup>(٢٣)</sup> وكان لصوت الراء الدور البارز لعملية التكرار، والتكرار يولد لنا إيقاعاً صوتياً واضحاً والله العالم.

• دلالة الأصوات الانفجارية والاحتكاكية: وهنا سأتكلم عن ميزة أخرى موجودة في الأصوات العربية، حيث تُعد إحدى عوامل القوة الداخلية في الصوت داخل النص، فالصوت الانفجاري يتكون ((بأن يجس مجرى الهواء الخارج من الرئتين، حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس، أو الوقف أن يُضغَط الهواء ثم

(٢٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٣٧٠٦.

يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً))<sup>(٢٤)</sup> والسبب في قوة هذا الملمح ان الهواء يطلق بصورة مباشرة بعد حبسه وضغطه مما يولد صوتاً جهورياً حيث ((تعتمدُ جهازُ الصوتِ على الشدَّةِ (كميَّةِ الطاقة)، التي تحملها الأمواجُ الصوتيَّة))<sup>(٢٥)</sup>، والأصوات الانفجارية في اللغة العربية هي: الهمزة، والباء، والتاء، والذال، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف))<sup>(٢٦)</sup>، وقد أجريت إحصائية بعدد الأصوات الانفجارية فقد كان تواترها مائة وثلاث وستين مرة وهي كمية صوتية تتطلب صوتاً عالياً ونفساً طويلاً لنطقها، والسبب في هذا التواتر الكبير في الأصوات الانفجارية، هو أن الموضوعات الكبرى للسورة تستوجب هذه الأصوات ولاسيما في المقامات التي تذكر بعاقبة المنذرين وتحقيق وقوع العذاب نتيجة عدم الانصياع للدعوة الموجهة من الأنبياء تجاه أقوامهم، فهذه المادة

(٢٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ١٥٣.

(٢٥) التحليل الصوتي للنص، ص ١٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٦.

ثم الانفتاح السريع للأوتار الصوتية وقد بدأ صوت الهمزة واضحاً في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَفْؤَمِرْ إِيَّيْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [سورة نوح: ١-٤] إذ بلغ تكراره اثنتي عشرة مرة، وهذا التكرار جاء مناسباً لحال الدعوة وبيان الإنذار، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعْوَتَهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعِمٌ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْصَمُوا شِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [سورة نوح: ٧]، فقد ورد صوت الهمزة أربع مرات ليناسب حالة الدعوة من نوح من جهة وحالة الإصرار والاستكبار من جهة قومه، إذن فدلالة الأصوات الانفجارية واضحة ولاسيما الهمزة فإنها يمكن ان تكون أم الأصوات الانفجارية أن صح التعبير، فهذه السورة ((تعرض صورة من صور الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل - صلوات الله

الصوتية مناسبة لهذا السياق الذي يتطلب حبس الصوت ووقفه، مع ملاحظة طغيان صوت الهمزة مقارنة ببقية الأصوات الانفجارية، حيث بلغ تواتره حوالي سبع وأربعين مرة، وجاء مناسباً لأغراض الآيات أن هذا الانتشار جاء ضرورياً لسياق وصف الدعوة المتكررة من نوح عليه السلام وكذلك لوصف النعم التي أنعمها الله تعالى على قوم نوح، إذ نجد أن الهمزة حرف شديد يحدث هذا الصوت، بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين؛ وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة فيضغط الهواء فيها دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً<sup>(٢٧)</sup>، وتعد الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجاً، وذلك بسبب ما يتطلبه نطقها من جهد عضلي يسببه الوتران الصوتيان وانطباقهما على بعضهما بإحكام إلى جانب الاحتقان والتوتر الناشئين عن قطع النفس فترة من الزمن إلى جانب ضغط الرئتين على الهواء

(٢٧) ينظر علم الأصوات، ص ٢٤٧.

عليهم - هداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجاحمة)) (٢٨) وهذا ما جاء بواسطة الأصوات الانفجارية والهمزة بوجه الخصوص، وأن استثمار معنى الانفجار يوضح سياق الآيات وظلالها، والله العالم. أما الصوت الاحتكاكي في اللغة العربية فيحدث ((عن طريق تضيق المجري، إلى درجة تسمح بمرور الهواء، ولكن مع احتكاكه بجانب المجري محدثاً صوتاً مسموعاً)) (٢٩).

إن التضيق بمجرى الصوت يعمل على ((زيادة تردد الأمواج الصوتية؛ وذلك بالتقليل من طولها من جهة، وبزيادة كمية طاقة الهواء الحركية الذي يحملها، لما يحدثه من ضغط واقع عليه، من جهة أخرى، وبهذا يكون ملمح الاحتكاك في الأصوات اللغوية ملمح قوة، يحفل به الصوت الذي يحمله)) (٣٠) حيث بلغ عدد انتشار الأصوات الاحتكاكية في السورة حوالي اثنتين وتسعين مرة، وكانت الهاء

أكثر الأصوات الاحتكاكية وروداً، إذ بلغ تواترها أربع وعشرين مرة، وجاء بعدها من حيث كثرة الانتشار صوت العين ثم السين، مع ملاحظة انتشار الأصوات الانفجارية والاحتكاكية تؤدي بصورة مباشرة إلى تقوية الصوت داخل النص اللغوي أو إضعافه دون تدخل الباث في ذلك؛ لأنها من العوامل الخارجة عن إرادته.

• دلالة النبر: ((النبر عند العرب ارتفاع الصوت. يقال: نبر الرجل نبرةً إذا تكلم بكلمة فيها علوً)) (٣١) ومن معانيه اللغوية الظهور والبروز أيضاً.

إن من أجمل خصائص هذه اللغة أن أصواتها دلالية فالدلالة الصوتية وظيفتها الإفهام من خلال نظام صوتي يقوم على ثلاثة أمور مهمة: الحرف والنبر والتنغيم. فالنبر هو ((قوة التلطف وعلو الصوت ووضوحه نتيجة نشاط أعضاء النطق في وقت آخر، ينتقل النبر من مقطع إلى مقطع آخر من الكلمة على حسب تصريفها، وسوابقها ودواخلها ولواحقها

(٢٨) في ظلال القرآن، ص ٣٧٠٦.

(٢٩) أسس علم اللغة، ص ٧٨.

(٣٠) التحليل الصوتي للنص، ص ١٦.

(٣١) لسان العرب، ص ٥٥٦٤.



الأنبياء وكذلك التأكيد على أن هذا الإرسال محصوراً به تعالى لا غير، وأيضاً جاء الضغط على مقطع "أن أنذر قومك" للتأكيد منه سبحانه على أهمية الإنذار فأن بعد هذا الإنذار أن لم يستجب القوم لما يريد نبيهم سيأتي العذاب لا محالة، وهذا ما حصل في المقطع التالي وهو "من قبل أن يأتيهم عذاب أليم" وكذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة نوح: ٢] فالنبر قد أفاد بأن نوح عليه السلام نذير مبين بقوله «إني لكم نذير مبين» وكذلك الآية التي بعدها ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة نوح: ٣] فجاء النبر ليؤكد ان العبادة محصورة ومختصة به تعالى وكذلك الطاعة له، إذن فالنبر قد حقق كثيراً من الضغط أو العلو ليعطينا اهتماما ببعض المقاطع او الكلمات لأهميتها في إبراز المعنى المراد والذي يريد الباث إيصاله، فكل آيات سورة نوح عليه السلام تحمل هذا الأمر لمناسبتها موقف الإنذار والدعوة ونزول العذاب من الله تعالى من جهة، وموقف العناد والإصرار على المعصية، والاستكبار والمكر من قوم نوح

التصريفية)) (٣٢).

وللنبر قيم صوتية (نطقية) وأخرى فنولوجية (وظيفية). فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعاً من آخر أو كلمة من كلمة أخرى.

أمّا من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعرف التابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوع درجات نبرها ومواقعه؛ بسبب ما يلحقها من تصريفات مختلفة (٣٣).

ويقول عنه تمام حسان: ((وهو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا ما قورن ببقية الأصوات)) (٣٤)، وإذا ما أتينا وطبقنا النبر على سورة نوح المباركة لوجدناه واضحاً ومناسباً للسياق والموقف، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة نوح: ١] ففي قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ نجد التأكيد على هذا المقطع لأهمية إرسال

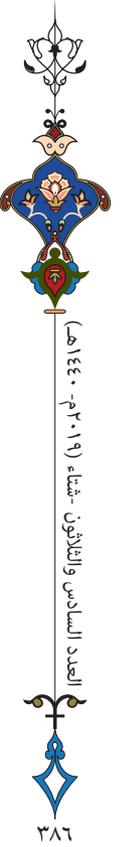
(٣٢) دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د.

عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان ص ٧٠.

(٣٣) ينظر علم الأصوات، كمال بشر، ص ٥١٤.

(٣٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان،

ص ١٦٠.



من جهة أخرى.

«الخاتمة»:

إنَّ الأصوات علم تعرف به خفايا الكلمات، فمن خلال دراستي للدلالة الصوتية لسورة نوح المباركة، ومن دلالة بعض الظواهر الصوتية من قبيل النبر، والتنغيم، والفاصلة اتضح لي أنَّ هذه الظواهر لها دور رئيس في فهم المعنى المستور، فالنبر مثلاً يكشف عن اهتمام الباث بذلك المقطع المنبور من اجل توجيه المتلقي حتى يصب تركيزه عليه، وكذلك في التنغيم تتضح خفايا ذلك القول ومعرفة أكثر من خيار نتيجة التحليل الصوتي لأي كلمة أو جملة أو خطاب.

وقد اتضح لي أنَّ الباث عليه أن يتتقى الأصوات المناسبة ليكون مؤثراً في المتلقي، ومن هنا كان الفرق واضحاً بين باث وآخر، وهذا ما وُضح جلياً في النص القرآني، حيث القائل هو الله تعالى فهو يختار الصوت المناسب في المكان المناسب.

والمقطع الصوتي من حيث قوته وضعفه تتحكم به العوامل الخارجية والداخلية، فعندما نرى مقاطع قصيرة، فهذا يعني أنَّ الباث أراد الشدة، أما إذا

وهناك ظواهر صوتية أخرى قد أضفت على السورة المباركة جمالية واضحة، ودلالة مثل دلالة المقاطع الصوتية ((فكلما كان السياق مصوراً أو متحدثاً عن فعل شديد أو حركة سريعة، وجدنا مقاطع سريعة، أما إذا كان السياق يتحدث عن شيء عظيم وجدنا مساحة التفخيم من خلال مقاطع صوتية طويلة))<sup>(٣٥)</sup>، والملاحظ على سورة نوح المباركة أنها تتحدث عن شيء عظيم؛ ولهذا وجدنا مساحة التفخيم من خلال المقاطع الصوتية الطويلة، ومن الظواهر الأخرى في سورة نوح هي ظاهرة المدّ، فالمدُّ يعطي مجالاً واسعاً للصوت وقد جاء في السورة مناسباً لطول فترة الدعوة التي كان قد تمتع بها نوح عليه السلام في قومه، هذه بعض الظواهر الصوتية البارزة في السورة المباركة أمل أن أكون قد وُفِّقتُ في تحليل الدلالة الصوتية لهذه السورة والله العالم.

(٣٥) سورة الفيل - دراسة صوتية، د رافع عبد الله مالو و د. عدنان أحمد عزة.

رأينا أن الباث قد استخدم مقاطع متوسطة وطويلة فهذا يعني انه أراد أن ينبه لأمر عظيم وهذا ما قد رأينا واضحاً في آيات سورة نوح المباركة.

والله الموفق ...

### قائمة بأهم المصادر والمراجع:

١. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر وتعليقه، ط ٨، القاهرة، عالم الكتب، (د.ت).
٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ط ٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
٣. التحليل الصوتي للنص بعض سور القرآن الكريم أنموذجاً، مهدي عناد قبها، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١١م.
٤. التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٥. دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، د. محمود البستاني، ط ١، دار البلاغة، بيروت، لبنان، (د.ت).
٦. دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، [www.angelfire.com/tx4/lisan/master\\_doct/sawtiyat/fawzan.pdf](http://www.angelfire.com/tx4/lisan/master_doct/sawtiyat/fawzan.pdf)
٧. الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، د. ماجد النجار، [www.aqaedalshia.com/books/najjaryan/](http://www.aqaedalshia.com/books/najjaryan/)
٨. الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٩. سورة الفيل - دراسة صوتية، د. رافع عبدالله و د. عدنان أحمد عزة، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، ع ١٣، مج ٧، ٢٠١٣م.
١٠. الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م.
١١. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، ٢٠٠٠م.
١٢. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط ٥، عالم الكتب، (د.ت).



# الفهم القرآني عند أهل البيت عليهم السلام

(سيدنا علي كرم الله وجهه أنموذجاً)

مصطفى خالد جهاد حسن العزاوي  
كلية التربية- جامعة سامراء  
جمهورية العراق

## فحوى البحث

من باب (أهل مكة أدرى بشعابها) ينطلق السيد الباحث في بسط فهم أهل بيت الرسول ﷺ للقرآن الكريم بوصفهم مَنْ نزل القرآن في أبياتهم وعلى صدر جدهم الرسول الأكرم.

والامام علي عليه السلام القائل: ما من آية في القرآن، الا وانا اعلم أين نزلت وفيما نزلت ومتى، أفي ليل ام نهار، حريّ بنا أن نأخذ تفسير القرآن عنه، تلبية لقوله ﷺ: ((سلوني عن طرق السماوات فاني أعلم بيها من طرق الارض)) وقوله ﷺ ضاربا على صدره الشريف: ((هذا سبط العلم، هذا ما زُفنيهِ رسول الله ﷺ زقا)).

يجري البحث في هذا السياق ويضرب لنا أمثلة من فهمه ﷺ للقرآن الكريم، في ثلاثة مباحث وخاتمة.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين المكرمين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجه واقتفى آثاره إلى يوم الدين رضوان الله عليهم أجمعين.

فمن دواعي السرور والبهجة أن أقف وأكتب عن خير البشر من اصطفاهم الله تعالى ليكونوا المصابيح المنيرة الذين ينيرون لنا الطريق إذا أظلم، ويفتحون عقولنا إن أغلقت، الا وهم آل بيت النبي الكرام الذين حملوا هم هذا الدين بعد وفاة النبي ﷺ ولاقوا ما لقوا من أنواع المصائب والشدائد والمحن في سبيل إيصال هذا الدين إلى المسلمين.

وكما أن حب أهل البيت ﷺ فُرِضَ على المسلمين، ويتجلى ذلك في بيتين من الشعر للإمام الشافعي حين قال:

يا أهل بيتِ رسولِ اللهِ حَبِّكُمْ...

فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم...

من لم يُصَلِّ عليكم لا صلاة له<sup>(١)</sup>.

فكان لزاماً عليّ أن أقف على جزء يسير ممن جاءوا به إلينا، وأعلم أنني لست أهلاً لذلك لأني مهما كتبت عنهم فلا أوفي شيئاً من حقهم علينا، ولعلي أن أنال بهم القربة والمحبة.

فمن الأمور المهمة التي تخص مجتمعنا بوصفه مجتمعاً مسلماً أن نقف على مسألة (الفهم القرآني عند أهل البيت ﷺ) لما له من أهمية في واقعنا الحالي.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعالج كثيراً من القضايا المهمة التي تخص الفرد والمجتمع لأن أهل البيت ﷺ كانوا يفهمون القرآن ثم يطبقونه على الواقع وهذا سيجعل مجتمعنا يسير على ما ساروا عليه فنصبح ونحن نعيش بأمان وسعادة إذا ما طبقنا ما طبقه أهل البيت ﷺ.

وإن ما تشهده الأمة الإسلامية من فتن، ومحن، وضياع للقيم والمبادئ يجعلنا

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١/ ٢١.

من الذين يركزون كل جهودهم على الاقتداء بآل النبي ﷺ ومنهم أمير المؤمنين سيدنا علي (كرم الله وجهه).

فمن أراد النجاة في الدنيا ومن أراد أن يكون سعيداً في حياته عليه اتباع هذه الشخصية العظيمة التي تعجز الكلمات عن إيفاء حقها، وتعجز الأقلام عن كتابة شيء عن هذه الشخصية العظيمة.

ولقد جعلت عنوان بحثي موسوماً بـ (الفهم القرآني عند أهل البيت ﷺ) - سيدنا علي (كرم الله وجهه) إنموذجاً -.

وقسمتُ بحثي على مقدمة أذكر فيها شرحاً مبسطاً للموضوع، وإلى عدة مباحث ومطالب وإلى خاتمة أذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

### المبحث الأول:

#### التعريف بمصطلح الفهم:

الفهم لغةً: تأتي كلمة الفهم بعدة معانٍ منها:

قال في لسان العرب: الفهم معرفتك الشيء، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته<sup>(٢)</sup>.

(٢) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور

وفهم الشيء أي علمه<sup>(٣)</sup>.

وفهم الأمر أو الكلام أو نحو ذلك: بمعنى أدركه، وأحسن تصويره، واستوعبه ويُقال فهم الموقف، وفهم الدرس، وفهم القضية غيرها<sup>(٤)</sup>.

الفهم اصطلاحاً: هو الفهم من مراد المتكلم عند كلامه<sup>(٥)</sup>.

أما الفهم القرآني: وهو المراد بالفهم عن الله ورسوله أي العلم والمعرفة بمعاني

الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤هـ، ١٢ / ٤٥٩.

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢٤٤.

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٣ / ١٧٤٨.

(٥) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١ / ١٦٧.

## الفهم القرآني عند أهل البيت (عليهم السلام).....**الصَّحَابَةُ** •

وقال بعضهم: كل من حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم فهو من أهل البيت رضوان الله عليهم<sup>(٨)</sup>.

أو هم الذين ذكرهم القرآن في آية التطهير وبينهم الرسول ﷺ في حديث الكساء فأهل البيت هم الذين ورثوا العصمة والتطهير وهم أهل السنة النبوية وهم من يجب اتباعهم ليس غيرهم<sup>(٩)</sup>.

### المبحث الثاني:

### نماذج مختارة من فهم سيدنا علي عليه السلام للنصوص القرآنية.

يختلف فهم أهل البيت ﷺ للآيات القرآنية عن فهم غيرهم؛ لأنهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وسأحدث في هذا المبحث عن بعض من نماذج فهم سيدنا علي عليه السلام للنصوص القرآنية.

١. روي عن سيدنا الحسين عليه السلام علي بن

(٨) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢١٨.

(٩) كتاب أهل البيت في آية التطهير للسيد جعفر مرتضى العاملي، ص ١-٢٨.

كلام الله وكلام رسوله ﷺ والفقهاء أخص من الفهم.

### التعريف بأهل البيت عليه السلام

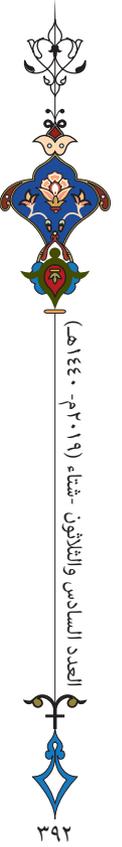
قبل أن نبدأ بتعريف أهل البيت عليه السلام هنا، لا بد أن نقف على تعريف الأهل قبلها.

فالأهل: هم أهل الرجل عشيرته وذوو قريباه، والجمع أهلون وأهال، وأهل القرآن حفظته والعاملون به، وأهل المذهب من يدين به، وأهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به<sup>(٦)</sup>.

### من هم أهل البيت رضوان الله عليهم:

هم سيدنا محمد ﷺ وسيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وسيدنا الحسن عليه السلام، وسيدنا الحسين عليه السلام لقول الرسول ﷺ فيهم فقط في حديث الكساء: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق))<sup>(٧)</sup>.

(٦) ينظر: لسان العرب، ١١ / ٢٨.  
(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٢٨ / ١٩٥، رقم الحديث (١٦٩٨٨).



أبي طالب عليه السلام قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وعنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: ما الفائدة في حروف الهجاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أجبه، وقال اللهم وفقه وسدده، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما من حرف الا وهو أسم من أسماء الله عز وجل. ثم قال: أما الألف فالله لا إله إلا هو الحي القيوم وأما الباء فالباقي بعد فناء خلقه، وأما التاء فالتوابع يقبل التوبة عن عباده، وأما الثاء فالثابت الكائن، وأما الجيم فجل ثناؤه وتقدّست أسماؤه، وأما الحاء فحقّ حليم، وأما الخاء فخبير بما يعمل لعباد، وأما الدال فديان يوم الدين، وأما الذال فذو الجلال والإكرام، وأما الراء فرءوف بعباده وأما الزاي فزين المعبودين. أما السين فالسميع البصير، وأما الشين فالشاعر لعباده المؤمنين، وأما الصاد فصادق في وعده ووعيده، وأما الضاد فالضار النافع، وأما الطاء فالطاهر المطهر، وأما الظاء فالظاهر المظهر لآياته،

وأما العين فعالم بعباده، وأما الغين فغياث المستغيثين من جميع خلقه، وأما الفاء ففالتق الحب والنوى، وأما القاف فقادر على جميع خلقه، وأما اللام فلطيف بعباده. أما الميم فمالك الملك، وأما النون فنور السموات من نور عرشه، وأما الواو فواحد أحد صمد لم يلد ولم يولد، وأما الهاء فهاد لخلقه، وأما اللام ألف لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأما الياء فيد الله باسطة على خلقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا هو القول الذي رضي الله عز وجل لنفسه من جميع خلقه، فأسلم اليهودي<sup>(١٠)</sup>.

٢. عن الحسين بن علي عن علي عليه السلام قال: (من قرأ فاتحة الكتاب فقال الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، صرف الله عنه سبعين نوعاً من

(١٠) التوحيد، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى: ٣٨١هـ) صححه وعلق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ص ٤٣١.

في خلقها وإتقانها.

﴿ **فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ ولعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كلما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم (١٣).

٥. قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

روي عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: (الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ما ظهر: نكاح امرأة الأب، وما بطن: الزنى) (١٤).

٦. قوله تعالى: ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ [سورة البروج: ٣].

عن علي بن أبي طالب في قوله: {وشاهد ومشهود} قال: الشاهد يوم

(١٣) عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى: ٣٨١هـ) منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ١/ ٢٣.

(١٤) الاصول من الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (المتوفى: ٣٢٩هـ) دار الكتب الاسلامية، ١٥/ ١٠٩.

البلاء أهونها (١١).

٣. وروي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال في قوله تعالى: بسم الله قال: اسمه شفاء من كل داء، وعون على كل دواء. وأما الرحمن فهو عون لمن آمن به، وهو اسم لم يسم به غيره. وأما «الرحيم» فلمن تاب وآمن وعمل صالحاً (١٢).

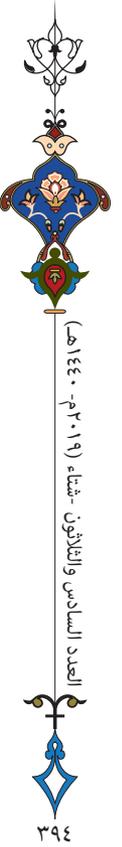
٤. وروي عن سيدنا علي (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٩].

قال ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ لتعتبروا ولتتوصلوا به إلى رضوانه وتتوقوا به من عذاب نيرانه.

قال ﴿ **ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ أخذ

(١١) مسند الإمام زيد بن علي، للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين ابن علي بنابي طالب (عليه السلام)، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، ٢/ ١٨٩.

(١٢) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، ١/ ١٤.



الجمعة والمشهد يوم عرفة<sup>(١٥)</sup>.

٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿

[سورة البقرة: ١٥٨].

قال سيدنا علي عليه السلام كان عليها أصنام

فتحرج المسلمون من الطواف بينهما

لأجل الأصنام، فأنزل الله عز وجل لثلا

يكون عليهم حرج في الطواف من أجل

الأصنام<sup>(١٦)</sup>.

٨. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿

[سورة البقرة: ٢٣٧].

عن علي بن أبي طالب، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليأتين على الناس زمان

عضوض، يعرض المؤمن على ما في يديه

وينسى الفضل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا

تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴿ شرار يبائعون كل

مضطر، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع

(١٥) ينظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر،

جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)

دار الفكر - بيروت، ٨ / ٤٦٤.

(١٦) مسند الإمام زيد بن علي، ١ / ٣٨٠.

المضطر، وعن بيع الغرر، فإن كان عندك

خير فعد به على أخيك، ولا تزده هلاكاً إلى

هلاكه، فإن المسلم أخو المسلم لا يخرجه،

ولا يجرمه<sup>(١٧)</sup>.

٩. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ

تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴿

[سورة النساء: ١٢٩].

روي عن سيدنا علي عليه السلام أنه قال: هذا

في الحب والجماع، وأما النفقة والكسوة

والبيتوتة فلا بد من العدل في ذلك، ولا

حظ للسراري في ذلك<sup>(١٨)</sup>.

### المبحث الثالث:

التطبيقات العملية من خلال فهم سيدنا

علي عليه السلام للنصوص القرآنية.

إن الروايات التي رويت عن سيدنا

علي فيها يخص تفسيره، وفهمه للقرآن

الكريم كثيرة، وكلها في غاية الأهمية، وقد

بذل سيدنا علي عليه السلام الجهد في ذلك من

(١٧) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل

بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم

الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي

بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،

٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١ / ٦٤٥.

(١٨) مسند الإمام زيد بن علي، ٢ / ٤٢.

في غاية الروعة، وفي غاية الأهمية وذكر مسائل كثيرة منها توحيد الله وصفاته، ومنها الشكر لله وهذه من الأمور المهمة أن نشكر الله في السراء والضراء، وذكر مسألة التوبة إليه والرجوع إليه، وهذا ما يفتقده كثير من المسلمين بعدم التوبة إلى الله من كل ذنب نقع فيه.

## ٢. دفع وصرف البلاء عن الإنسان:

ذكر سيدنا علي (عليه السلام) مسألة دفع البلاء وصرفه، والتي يقع فيها كل الناس بدون استثناء، فالبلاء أمرٌ عظيم كلنا نخشى أن نقع فيه، ولكن سيدنا علي (عليه السلام) وجد لنا حلاً لذلك، وهو قراءة سورة الفاتحة فإن من قرأها صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء.

## ٣. الشفاء من كل داء:

ذكر سيدنا علي (عليه السلام) كلمة تنجي الإنسان من أي مرض إن قالها في صدق وفي تمنع وهي كلمة (الله) فهي شفاء من كل داء، فكلنا يصيبه المرض ويبدل كل ماله من أجل أن يتشافى منه، ولكننا لم نذهب إلى المشافي الأول وهو الله سبحانه وتعالى، فهذه من الأمور التي نبهنا عليها

ناحية الدقة والأمانة في النقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك بذل كل جهده في تفسيره التي أعتمد فيه على فهمه للنصوص القرآنية التي عايش نزولها وعرف الغاية منها.

وإن الذي يهمني في هذا المبحث أن أذكر التطبيقات العملية لفهم سيدنا علي (عليه السلام) للنصوص القرآنية، والتي أقصد بها الأمور التي تخص واقعنا الحالي والتي تقف على بعض المشاكل التي تواجهنا الآن، والتي ذكرها سيدنا علي من ذلك الوقت لما له الأثر من ذكرها هنا، والأستفادة منها، وجعلها منهاجاً نسير عليه في أمورنا اليومية، لأنها تغنينا عن كثير من الدروس، والمحاضرات، إذا ما سيرناها على ما أراد أمير المؤمنين (عليه السلام).

وسأقف على هذه الأمور من خلال الروايات التي ذكرتها في المبحث السابق، وأجعلها على شكل نقاط نطبقها في واقعنا، ونسير عليها ومنها ما يأتي:

## ١. الشكر لله والتوبة والرجوع إليه:

ذكر سيدنا علي (عليه السلام) وخرج على مسألة مهمة حينما فسر حروف الهجاء تفسيراً

سيدنا علي عليه السلام.

٤. التفكير والتدبر في خلق الله:

عندما فسر سيدنا علي عليه السلام قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أراد بذلك الاتصال بالله وحده، لان الاتصال به والتفكر فيما خلق من مخلوقات في الأرض، يجعل العبد يفكر في قدرة الله وحده وعظمته، وهذا سيجعلنا نطلب العون منه ويبعدنا عن التفكير بمشاغل الدنيا التي لا تنجينا من عذاب النار.

٥. ترك الفواحش والأبتعاد عنها:

نرى مجتمعنا الحالي يعمل كثيراً من شبابه ونسائه الفواحش كلها دون أن ينظر إلى عواقبه الوخيمة في الدنيا من الفضيحة وهذا ما نراه من مشاكل تحدث بين الناس والعوائل بسبب تلك الفواحش ومن الأمراض الخبيثة كالإيدز وغيره والعياذ بالله، ومن دون النظر إلى العواقب التي تترتب يوم القيامة وهي عذاب الله تعالى على من فعل تلك الفواحش.

فدلنا سيدنا علي عليه السلام بأن الفواحش كلها محرمة عند ربنا، وهو بذلك يرشد

الشاب المسلم الذي يلتزم بكتاب ربه وسنة نبيه وآله إلى الابتعاد عن تلك الفواحش.

٦. التمسك بشعائر الإسلام:

ذكر سيدنا علي عليه السلام حينما فسر قوله تعالى ﴿وَشَاهِدْ وَمَسْجُودٍ﴾ بأنه يوم الجمعة ويوم عرفة، لأن في هذا اليومين يكون المسلمون مجتمعين جميعهم دون فرق بين أبيض وأسود، بين غني وفقير، مجتمعين كلهم متحابين على طاعة الله، نابذين بذلك الفرقة والتناحر فيما بينهم.

٧. التنبيه على بعض الأمور التي ستقع في هذا الزمان:

ذكر سيدنا علي عليه السلام مسألة نسيان الفضل بين الناس وهذا ما نراه اليوم أن كثيراً من الناس إذا فعل له أنسان فضلاً وخيراً نسيه وأنكره، وكذلك ذكر مسألة البيوع المحرمة وهو بيع الغرر وبيع المضطر، وهذا مايفعله الناس في مجتمعاتنا المسلمة فعندما نشاهد شخصاً يريد أن يبيع شيئاً وهو مضطر في بيع ذلك الشيء فإننا نحاول قدر الإمكان أن نقلل من سعر هذا الشيء حتى نستحصله بسعر

## الفهم القرآني عند أهل البيت (عليهم السلام)..... (الصبياح)

وسيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام،  
وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وسيدنا  
الحسن عليه السلام، وسيدنا الحسين عليه السلام  
لقول الرسول صلى الله عليه وآله فيهم فقط في  
حديث الكساء: ((اللهم هؤلاء أهل  
بيتي، وأهل بيتي أحق)).

٢. أن أهل البيت عليهم السلام، كانوا الرؤوفين،  
والمعلمين والقدوة الحسنة في تربية  
الأطفال، وتعليمهم.  
٣. يُعتبر سيدنا علي عليه السلام القدوة الحسنة والمعلم  
الذي يُرشد الناس من خلال فهمه  
للنصوص القرآنية.

٤. بذل سيدنا علي عليه السلام كل جهده في  
الدقة وسُغّل العقل في إيصال الأمور  
العملية التي تخدم المجتمع المسلم.  
٥. نجح سيدنا علي عليه السلام في تعليم الناس  
أمور دينهم، والحرص على توصيل  
أفضل المفاهيم إليهم بأبسط الوسائل  
وأقومها.

٦. نبه سيدنا علي عليه السلام الشباب على عدم  
الوقوع في الخطأ ومنها الفواحش،  
ومساعدتهم في الوصول إلى الأمور  
الصحيحة التي تخدمهم في المستقبل.

ضئيل وهذا ما حرمه شرعنا ونبهنا عليه  
سيدنا علي عليه السلام بأنه ما يقع في زمانا.

### ٨. العدل بين النساء:

ذكر سيدنا علي عليه السلام مسألة مهمة تقع  
بسببها المشاكل في مجتمعنا الحالي، الأ وهي  
عدل الرجل بين زوجاته.

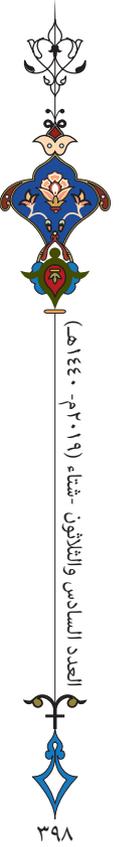
فترى كثيراً من الأزواج ممن لديه  
أكثر من زوجة ينسى بأن العدل بينهما من  
الأمور التي أوجبها الشريعة الإسلامية  
فنراه يعامل أحدها بن إحسان ونفقة يومية  
وحب وحنان، ونراه يعامل الثانية ببغض  
وغلظة وشده.

وفي الختام أسأل الله أن يكون بحشي  
هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلني  
ممن أتقرب به إلى آل بيت النبي الكرام،  
وأن يكون به فائدة للمسلمين ويصب  
في صالحهم، وصلى الله على سيدنا محمد  
وعلى آله وسلم.

### الخاتمة:

فبعد أن يسر الله لي كتابة هذا البحث  
المتواضع أقف على أهم النتائج التي  
توصلت إليها:

١. أهل البيت عليهم السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله،



أهم المصادر والمراجع:

١. بعد القرآن الكريم.  
الاصول من الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (المتوفى: ٣٢٩هـ) دار الكتب الاسلامية.
٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥. التوحيد، للشيخ الجليل الاقدم الصدوق ابي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى: ٣٨١هـ) صححه وعلق عليه المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٧. جمع البيان في تفسير القرآن، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.
٨. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.
٩. عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر



أبو الحسن نور الدين الملا الهروي  
القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) دار  
الفكر، بيروت - لبنان، ط ١،  
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد  
الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال  
بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)  
تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل  
مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة،  
ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

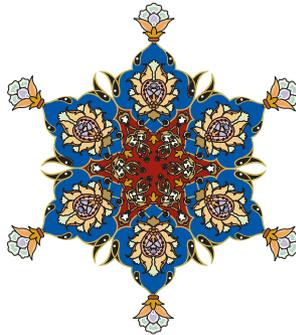
١٤. مسند الإمام زيد بن علي، للإمام  
الشهيد زيد بن علي بن الحسين ابن  
علي بنابي طالب عليه السلام، منشورات دار  
مكتبة الحياة بيروت لبنان.

الصدوق محمد بن علي بن الحسين  
بن بابويه القمي (المتوفى: ٣٨١هـ)  
منشورات مؤسسة الاعلمي  
للمطبوعات بيروت - لبنان.

١٠. كتاب أهل البيت في آية التطهير  
للسيد جعفر مرتضى العاملي.

١١. كشف الأسرار شرح أصول  
البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن  
محمد، علاء الدين البخاري الحنفي  
(المتوفى: ٧٣٠هـ) دار الكتاب  
الإسلامي.

١٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة  
المصابيح، علي بن (سلطان) محمد،



نافذة

# المكسبات

العرض والنقد والتعريف

المختصر

رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن  
تطبيقاً على نظرية العلامة الطباطبائي

علي أحمد الكربابادي  
ص ٤٠٢

من جديد الدراسات القرآنية

م.م. مقدم محمد جاسم البياتي  
ص ٤٢٩  
الاستاذ المتمرس الدكتور  
محمد كريم ابراهيم الشمري

(تعقيب وتعليق)  
على الدراسات القرآنية في المجلات النجفية  
(العدد الثاني)

ص ٤٣٨

# رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن نظيفة على نظرية العلامة الطباطبائي

علي أحمد الكربابادي

## مقدمة:

بسمه تعالى، هذا البحث يتناول نظرية تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي، لينتج حدودها ومن ثم يحاول الاستدلال على مفاصلها بالروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كما يناقش الإشكالات التي قد تعترض هذه النظرية، ويخلص إلى تقديم فهم روائي قادر على الجمع بين الروايات والتوفيق بينها، ليسلم المنهج المدعى من إشكالات التفسير بالرأي لاسيما وأن هناك روايات شديدة في النهي عنه وعن ضرب القرآن بعضه ببعض.

## منشأ اصطلاح التفسير:

مصطلح «التفسير» كما هو مستعمل في اصطلاح علماء القرآن، فكذلك هو مصطلح متداول في ألسنة الروايات الشريفة، وهذا المصطلح سواء كان اعتبارا روايا أو علميا فإنه لا مشاحة في ذلك ما دامت الأحكام والنتائج التي ترتبها على هذه الدائرة من التفسير أحكاما صحيحة وخالية من التجاوز، سواء اتسعت دائرة التفسير أو ضاقت، إذ المعيار هو محاكمة النتائج والفتاوى سواء أدرجناها في علم التفسير أو في علم آخر.

ثم إنه قد اختلفت التعاريف المفترضة لمفهوم «التفسير»، فمنها أن التفسير هو بيان الغامض من كتاب الله، أو هو بيان معاني الآيات القرآنية أعم من الغامض والظاهر، ومنها

أن التفسير هو بيان المراد الاستعمالي والمراد الجدي للآيات القرآنية<sup>(١)</sup>، ومنها أنه (التفسير) هو التبيين وهو أعم من بيان المفاهيم والمصايق وما يحف بهما من أحكام<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من معاني يمكن افتراضها لمصطلح «التفسير».

### تحرير محل النزاع:

لكي يصح الحكم على أية نظرية لا بد أولاً من تحرير محل النزاع، ولكي يصح منا الحكم على نظرية العلامة الطباطبائي في تفسير القرآن بالقرآن من خلال النظرة الروائية لا بد لنا كذلك من معرفة مراد العلامة من «التفسير»، فهو تساؤل بديهي وموضوعي لا يصح الدخول إلى البحث من دونه، وهو على بدايته محل ابتلاء لدى كثير ممن تصدى لنقد نظرية تفسير القرآن بالقرآن، وإن أغلب المشكلات الدائرة في جدلية القبول بمنهج العلامة تترك راجعة إلى تجاوز مرحلة تحرير موضع النزاع، ولو أردنا أن نكون نحن والروايات الشريفة لأمكننا الجمع بينها والخلوص إلى نتيجة واضحة، ولكننا مع هذا نحتاج إلى عناء المقدمات البحثية، سنتخلص من المباحث اللغوية ونقتصر على الجهد الاصطلاحي المباشر، لذلك نقترح في مقام تحرير محل النزاع مجموعة من العناوين في كل منها عدة احتمالات، فنحدد المعنى المراد بحثه فيها وفق نظرية تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي<sup>تذت</sup>:

### أولاً: المصطلحات المفترضة في هذا المنهج:

نشير إلى مجموعة من المصطلحات التي تم استعمالها في النصوص الشريفة، لتبين أن هناك أكثر من مستوى وأكثر من استعمال، فمن الطبيعي أن لا تكون كل هذه المصطلحات على اختلاف مراتبها ومعانيها مرادة للعلامة في نظرية تفسير القرآن بالقرآن، وهي كما يلي:

١. التفسير.

٢. علم الكتاب.

(١) راجع تعاريف التفسير في كتاب «مقدمة في التفسير التربوي، الأصول التفسيرية»، د. هاشم أبو خمسين، ص ٦٠-٦٧.

(٢) راجع «منهج أهل البيت في التفسير» دورة في مرحلة الدكتوراه، الدور التبييني، الدكتور طلال الحسن، ص ١٦-٢١.

٣. العلم من الكتاب.

٤. كنه معنى حقيقة التفسير.

٥. تفسير ظهر القرآن

٦. تفسير بطن القرآن

ثانيا: حدود دعوى العلامة في وضوح المعاني:

لا شك أن علماء الأصول قد اتخذوا موقفا هاما من دعوى علمائنا المحدثين المنسوب

لبعضهم أحد هذين الأمرين:

أ. القرآن لا ظهور لآياته.

ب. ظاهر الآيات غير حجة.

إلا أن هذا لم يحسم النزاع في نظرية تفسير القرآن بالقرآن، فبقي مجال للأخذ والرد قبل

تحديد الدائرة التي يدعيها العلامة الطباطبائي من الوضوح في الآيات الشريفة. فنقول بأن

الاحتمالات في هذا الشأن تدور حول ثلاثة أمور:

غموض تام	وضوح شأني	وضوح فعلي
----------	-----------	-----------

ندعي أن دائرة ادعاء العلامة هي في المعنى المتوسط، ويمكن أن نستشهد له بكلمة من

كلماته: ((ليس في القرآن آية أريد فيها ما يخالف ظاهرها، و ما يوهم ذلك من الآيات إنما

أريد بها معان يعطيها لها آيات أخر محكمة، و القرآن يفسر بعضه بعضا، و من المعلوم أن

المعنى الذي تعطيه القرائن متصلة أو منفصلة للفظ ليس بخارج عن ظهوره و بالخصوص

في كلام نص متكلمه على أن ديدنه أن يتكلم بما يتصل بعضه ببعض، و يشهد بعضه على

بعض و يرتفع كل اختلاف و تناف مترائي بالتدبر فيه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢] (٣)، وسنين دلالة

(٣) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج٣، ص٣٨.

الروايات الشريفة بوضوح على هذا المعنى في البحث الروائي.

ثالثا: دائرة المفهوم والمصداق:

كما ندعي أن حديث العلامة الطباطبائي رحمته الله لا يتعدى افتراض إمكانية توضيح كل آيات القرآن الكريم الغامضة بآيات أخرى واضحة من كتاب الله؛ والمراد بتوضيح الآيات هو توضيح المفاهيم؛ سواء:

١. المفاهيم الإفرادية.

٢. المفاهيم التركيبية.

ولا يدعي العلامة أن نظريته تتكفل ببيان المصداق وتوضيحها من خلال الآيات الشريفة. وعلى هذا فلا معنى للنقض عليه بأن مصطلح التفسير يعني التفصيل والتوضيح والجري وبيان المصداق و..، فإنه لم يتعهد ابتداء باختيار هذا المعنى من التفسير، بل ادعى إمكان فهم الظواهر القرآنية والتراكيب المفاهيمية من خلال الآيات الشريفة. نعم هذا لا يعني سد باب التطوير وجمع كل هذه الاهتمامات في علم واحد، كما لا مانع من كون حقيقة التفسير جامعة لها في نفسها أيضا، ولا مانع أيضا من التوسعة والتضييق في اسم هذا العلم، كل ذلك ممكن لكن العلامة لم يتعهد في نظريته بكل ذلك.

يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله: ((و لازم ذلك (كما أو مانا إليه في أوائل الكلام) أن يكون القرآن الذي يعرف نفسه (بأنه هدى للعالمين و نور مبين و تبيان لكل شيء) مهديا إليه بغيره و مستنيرا بغيره و مبينا بغيره، فما هذا الغير! و ما شأنه! و بما ذا يهدي إليه! و ما هو المرجع و الملجأ إذا اختلف فيه! و قد اختلف و اشتد الخلاف. و كيف كان فهذا الاختلاف لم يولده اختلاف النظر في مفهوم (مفهوم اللفظ المفرد أو الجملة بحسب اللغة و العرف العربي) الكلمات أو الآيات، فإنما هو كلام عربي مبين لا يتوقف في فهمه عربي و لا غيره ممن هو عارف باللغة و أساليب الكلام العربي.

و ليس بين آيات القرآن (و هي بضع آلاف آية) آية واحدة ذات إغلاق و تعقيد في مفهومها بحيث يتحير الذهن في فهم معناها، و كيف! و هو أفصح الكلام و من شرط

## رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن.....**الصَّبَاح**

الفصاحة خلو الكلام عن الإغلاق و التعقيد، حتى أن الآيات المعدودة من متشابه القرآن كالأيات المنسوخة وغيرها، في غاية الوضوح من جهة المفهوم، وإنما التشابه في المراد منها وهو ظاهر. وإنما الاختلاف كل الاختلاف في المصداق الذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفرداتها ومركبها، وفي المدلول التصوري والتصديقي<sup>(٤)</sup>.

من خلال هذه العبارة يتبين لنا:

أن العلامة يدعي إمكان توضيح القرآن لمفاهيمه المفردة والمركبة، ولا يدعي توضيح المصاديق وما يرتبط بعالم التأويل.

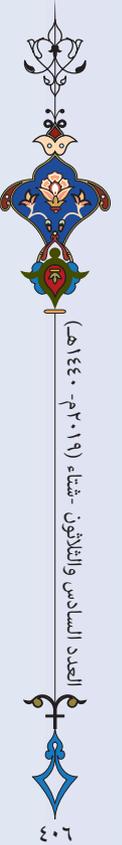
أنه يدعي توضيح المفاهيم دون بيان المراد الجدي، فلذلك تراه في عين ادعاء وضوح القرآن وكونه هدى ونورا وأنه لا يمكن للهدى أن يستهدي بغيره، تراه في عين ذلك يقول بأن المراد من بعضها غير واضح: ((الآيات المعدودة من متشابه القرآن...، في غاية الوضوح من جهة المفهوم، وإنما التشابه في المراد منها))، هذا يعني أن الوضوح في المفهوم والغموض في المصداق أو المراد الجدي. يقول **تَمَّتْ** في موضع آخر: ((وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ و سرد الجمل و إعمال الصناعات اللفظية فإنما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يراعى في كلام عربي و قد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤]، و قال تعالى: ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل: ١٠٣]، و قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٣]. وإنما الاختلاف من جهة المراد و المصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام<sup>(٥)</sup>.

إشكال:

كيف يدعي العلامة الطباطبائي **تَمَّتْ** وضوح المفاهيم القرآنية ثم ينكر في ذيل كلامه وضوح الدلالة التصورية؟. أليست الدلالة التصورية هي عين الدلالة المفهومية؟. فوضوح

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ٨-٩.

(٥) الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٧٨.



المفهوم يعني في أقل مراتبه وضوح الدلالة التصورية، فكأن قوله متهافت إذ يقول فيه: ((و إنما الاختلاف كل الاختلاف في المصداق الذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفرداها و مركبها، و في المدلول التصوري و التصديقي))!!.

الجواب:

أما أصل تبني الوضوح المفهومي والدلالة التصورية في نظرية تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي فمن الواضحات، وإنما الإشكال في التعبير الذي سيق أخيراً، والمتأمل في عبارته هذه يجد أن مراده من عدم وضوح الدلالة التصورية أي الوقوع في أسر أحكام المادة التي قد تؤثر في صحة التصورات، بقريئة حديثه بعد هذه العبارة عن جملة من المفاهيم التي يتبادر إلى الذهن تصور مادي محدود لها عند استحضارها: كالميزان فإنه يتبادر إلى التصور ميزان ذو كفتين، مع أن الموازين تعددت وتنوعت وصار منها ميزان للحرارة وغير ذلك، وكالسراج فتصور السراج ذا الفتيلة ولا يتبادر إلى أذهننا أنواع السرج الحديثة والمتطورة، وكالسلاح وغيره من أمثلة.. فكأنه أراد أن يقول: إن التأثير الاجتماعي والحياتي المادي قد يضع بصمته على تصوراتنا فنكون حال تصورنا للمفاهيم أسرى تلك الاستعمالات المحدودة والمادية والمرتبطة بأغراضنا اليومية، وإلا فإن أصل المفاهيم القرآنية من الأمور الواضحة والبيّنة أو المبيّنة بالآيات القرآنية، لكن كل ذلك لو تخلصنا من الرواسب والمسبقات الذهنية المادية التي نحملها معنا، أي أن الدلالة التصورية المفهومية واضحة لمن لا ينطلق من رؤى وأحكام مسبقة يحملها على المفاهيم والدلالات.

ما معنى وضوح الآيات المتشابهة؟.

تكلم القرآن الكريم عن قسمين من الآيات: الآيات المحكمة، والآيات المتشابهة:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران ٧]، فهل أن

## رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن..... (الاصباح)

مصصح ابتغاء الفتنة من خلال المتشابهات دون المحكمات هو وجود ترديد في ذات دلالة المتشابهات على المعاني؟! فعلى هذا لن يكون كل القرآن بينا واضحا على مستوى المفاهيم!. يمكننا الحصول على جواب هذا التساؤل من كلمات العلامة الطباطبائي تُدَوِّ في ميزانه: ((الذي يظهر من الآية على ظهورها و سطوع نورها خلاف ذلك كله، و أن الذي تعطيه الآية في معنى المتشابه: أن تكون الآية مع حفظ كونها آية دالة على معنى مريب مردد لا من جهة اللفظ بحيث يعالجه الطرق المألوفة عند أهل اللسان كإرجاع العام و المطلق إلى المخصص و المقيد و نحو ذلك بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى آية أخرى محكمة لا ريب فيه تبين حال المتشابهة))<sup>(٦)</sup>.

رابعا: تحديد المرتبة المدعاة من المعاني:

لاشك أن للقرآن معاني جليلة و بطوناً متعددة، وفيه الإشارة و اللطائف كما تبين الروايات الشريفة، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: ((كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَ الْإِشَارَةِ وَ اللَّطَائِفِ وَ الْحَقَائِقِ فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ وَ الْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ وَ اللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَ الْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ))<sup>(٧)</sup>. فأى مرتبة من هذه المراتب هي ما تدعيها نظرية تفسير القرآن بالقرآن؟.



(٦) الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١.

(٧) بحار الأنوار (ط - بيروت) ج ٨٩، العلامة المجلسي، ص ١٠٣.

أقول: لا شبهة أن نظرية العلامة تدعي إثبات الظاهر من كتاب الله من خلال الآيات القرآنية في نفس كتاب الله\*، دون التعهد ببيان الباطن، أو الإشارة، أو اللطائف.. هذا لا يعني أنه لن يفسر بالباطن، أو لن يتكلم عن الإشارة أو اللطائف.

الكثير ممن يعارض فكرة تفسير الآيات بالآيات يعترض بمثل رواية ذريح المحاربي قال: ((قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِأَمْرٍ فَأَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَهُ قَالَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَيُوفُوا نُذُورَهُمْ قَالَ: لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ لِقَى الْإِمَامِ وَ يُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمُنَاسِكُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَيُوفُوا نُذُورَهُمْ قَالَ أَخَذُ الشَّارِبِ وَقَصُّ الْأَطْفَارِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَإِنَّ دَرِيحًا الْمُحَارِبِيَّ حَدَّثَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ لَهُ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ لِقَى الْإِمَامِ وَيُوفُوا نُذُورَهُمْ تِلْكَ الْمُنَاسِكُ فَقَالَ صَدَقَ دَرِيحٌ وَصَدَقَتْ إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا يَحْتَمِلُ دَرِيحٌ))<sup>(٨)</sup>، بدعوى أن المفسر مهما علا شأنه فأنى له والوصول إلى هذه المعاني؟! وقد يعضد إشكاله ببعض الروايات المانعة للتفسير من دون الرجوع إلى المعصوم عليه السلام، والتي قد تحكي عن معنى آخر للتفسير لم يدعه صاحب النظرية؛ من قبيل حقيقة التفسير، ومن قبيل تفسير بطن القرآن، وعلم الكتاب، وهكذا، وخلاصة القول أن دائرة النزاع هنا لا تتجاوز الحديث عن ظاهر الآيات القرآنية، فلا يصح النقض عليها بروايات الإشارات وما مثلها.

### الاستغناء عن المعصوم في التفسير بالقرآن:

واحدة من أهم الإشكالات التي تواجه نظرية العلامة في تفسير القرآن بالقرآن، أن هذه النظرية تعني الاستغناء عن الإمام المعصوم عليه السلام، وقد نهت الروايات عن التفسير من دون المعصوم، كما بينت أن أحدا لا يعرف القرآن غيرهم عليه السلام، وهذا من أهم الإشكالات التي ووجهت بها نظرية تفسير القرآن بالقرآن، يقول آية الله السيد جعفر سيدان في نقد نظرية العلامة عليه السلام: ((حاصل كلامه أن القرآن والعترة كلاهما حجة استقلالاً ولا يحتاج

(٨) بحار الأنوار (ط-بيروت)؛ ج ٨٩؛ ص ٨٣-٨٤.

أحدهما إلى الآخر. إلا أننا نقول: أن هذا الحديث الشريف أوصى بالتمسك بالقرآن والعترة معاً، وأوجب الرجوع إليهما معاً، وأن هناك الكثير من الروايات غير حديث الثقلين تنص على التلازم بين القرآن والعترة أيضاً<sup>(٩)</sup>. ولذلك ولوجود مثل هذه الإشكالات لا بد لنا من تحديد معنى الاستغناء عن المعصوم في نظرية تفسير القرآن بالقرآن، منعا من انجرار البحث العلمي إلى الحالة الوجدانية التي تخرج بنا عن محل النزاع، وقد تقود إلى الاتهام في الإيمان والنسبة إلى الاكتفاء بالكتاب وحده دون السنة على قاعدة: «كفانا كتاب الله»!!.

معنى الاستغناء<sup>(١٠)</sup> عن المعصوم عليه السلام يمكن أن يفرض كواحدة من الصور التالية:

١. الاستغناء عن المعصوم في الأمور الوجودية التكوينية.  
ولا شك في بطلان هذا المعنى، إذ لولا المعصوم لما نزل الوحي، ولما أمكن الفهم ولا الهداية، ولا التشريع المترتب على خلق الخلق، كما هو منقح في محله. ولكن هذا المعنى خارج عن دعوى النظرية.

٢. الاستغناء عن تعليم المعصوم عليه السلام، بأي نحو كان التعليم، وفي أي مجال ورتبة، فيشمل:

أ. تعليم المحكم والمتشابه والخاص والعام.. إلخ.

ب. تعليم كيفية التفسير وآليات الجمع بين الآيات.

ج. تعليم ضوابط الفهم.

ولا شك أن هذه المعاني وأمثالها مما هي خارجة كذلك عن مجال بحث النظرية، فالنظرية لا تمنع من الاستفادة من تعليم المعصوم عليه السلام كيفية الجمع بين الآيات وتفسير الآية من خلال آية أخرى، بل تستدل بأن هذا الأسلوب من تفسير القرآن بالقرآن هو الأسلوب الأقدم والأكثر رواجاً وهو ما كان المعصومون عليهم السلام يستعملونه ويضربون له الضوابط، ويقولون

(٩) التحقيق في منهجية تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الميزان، آية الله السيد جعفر سيدان، ص ٢٥-

(١٠) هذا التعبير إنما جئنا به على لسان المشككين على النظرية، لا أنه جزء من أدبيات النظرية نفسها، والمتأمل في كلمات العلامة يجد تأدبا بالغاً في التعامل مع المعصوم عليه السلام حتى على مستوى مفردات نظريته.

بأن مثله يعرف من كتاب الله، يقول العلامة الطباطبائي تذ: ((وسيطع الباحث المتدبر في الروايات المنقولة عنهم عليه السلام)، أن هذه الطريقة الحديثة التي بنيت عليها بيانات هذا الكتاب، أقدم الطرق الماثورة في التفسير التي سلكها معلموه سلام الله عليهم))<sup>(١١)</sup>.

٣. الاستغناء عن تفسير الألفاظ القرآنية بالألفاظ الروائية.

وهذا هو المعنى المراد عند أصحاب هذه النظرية؛ أي أن ألفاظ الرواية يمكن الاستغناء عنها في مقام بيان (ظاهر المفاهيم القرآنية)، لا الاستغناء عن ألفاظ الرواية مطلقاً، بل يؤخذ بها هي كذلك، فهي حجة مطلقاً، وقد تتضمن من التفصيل ما لا تفيده الآيات القرآنية. ولكن المراد أن عدم الاعتماد عليها لا يصير القرآن مبهماً غامضاً، وهذا ما ستأتي الإشارة إليه في الروايات الشريفة فارتقب.

والخلاصة: تدعي نظرية تفسير القرآن بالقرآن أن بيان المفاهيم القرآنية يمكن أن يتم من خلال نصب القرائن القرآنية من داخل القرآن نفسه، من دون توقف على الاستدلال بالقرائن الروائية، كل ذلك في ضمن الحدود التي تعهدت بها النظرية في تحديد محل النزاع، لا أكثر من ذلك.

ومن هنا يتضح الجواب على إشكال السيد سيدان المتقدم آنفاً؛ إذ إن كون كل واحد من القرآن والرواية حجة استقلالاً لا يعني الاستغناء عن العترة! كيف؟! وهم الذين علمونا كيفية نصب القرينة القرآنية على الآية المستوضح معناها، كما أنه لا ينافي التمسك بهما معاً، فنبقى في دائرة التمسكين بحديث الثقلين دون الاكتفاء بأحدهما، إذ الكفاية في أحدهما تغاير الاكتفاء عن أحدهما، فالعلامة الطباطبائي يدعي الاكتفاء في أحدهما في تبين مفاهيمه من خلال ما يمتلكه من مقومات الحجية والظهور والهداية والوضوح، وهذا لا يعني أن الهداية الإلهية المشار إليها بحديث الثقلين تتحقق بأحدهما من دون الآخر.

### أدلة النظرية على صحة تفسير القرآن بالقرآن:

يمكن تصنيف أدلة هذه النظرية إلى مجموعة أدلة عقلية، وأدلة نقلية؛ قرآنية كانت أم

- روائية، ونحن نشير إليها على الإجمال:
١. الآيات القرآنية الدالة على كون القرآن هدى ونوراً.
  ٢. الآيات الشريفة الداعية لاتباع القرآن والعمل على وفق آياته.
  ٣. الآيات التي جاءت للتحدي واستشارة المشركين.
  ٤. الآيات الداعية للتدبر في معاني آيات القرآن وتعقلها.
  ٥. روايات العرض التي نصبت لنا معياراً لقبول الرواية وردها، وهو موافقتها للكتاب.
  ٦. الروايات الخاصة التي تتناول التفسير والمعاني بشكل مباشر.
  ٧. الاستقراء للآيات الشريفة والوقوف على عدم وجود المبهم فيها من ناحية فهم دلالة الألفاظ<sup>(١٢)</sup>.

### وقفة مع الروايات الشريفة:

بعد كل ما تقدم يهمننا بشكل أساسي أن نستنتج الروايات الشريفة نفسها، لنفهم موقفها من تفسير القرآن بالقرآن، وهل أن هذا الأسلوب مما يمكن قبوله وتصحيحه بنظر الروايات أم لا؟. لذلك نعدد أولاً إلى تقسيم الروايات في هذا الشأن إلى قسمين:

١. الروايات المانعة من تفسير القرآن بالقرآن.
  ٢. الروايات المصححة لتفسير القرآن بالقرآن.
- والتصنيف هذا إنما هو بلحاظ النظرة البدوية في روايات هذين القسمين، وإلا فإن المناقشة في دلالة بعض هذه الطوائف ستضيق دائرة المنع من تفسير الآيات بالآيات، والمدعى أن هذه الروايات بعد استعراضها يمكن التوفيق بينها وجمعها جمعاً عرفياً مقبولاً.

(١٢) قد يشكل على الاستدلال بالاستقراء: فمن قال أن هذا المعنى الذي فهمه مثل العلامة هو مراد الآية؟. فهذا أول الكلام.. إضافة إلى مجموعة من الإشكالات الأخرى التي يمكن توجيهها بدواً إلى آحاد الأدلة التي سقنا عناوينها، لذلك فلن ندخل في جدلية هذه الاستدلالات ولا في إجابات العلامة عليها، وإنما سنقتصر على تصحيح نظرية العلامة من خلال الروايات الشريفة وحسب.

## القسم الأول: الروايات المانعة من تفسير القرآن بالقرآن.

وهذه فهرسة إجمالية لروايات هذا القسم، كالتالي:

١. روايات الظاهر والباطن.
  ٢. أهل البيت هم الذين أوتوا علم التفسير.
  ٣. أهل البيت هم الذين أوتوا علم الكتاب.
  ٤. التفسير أبعد الأشياء عن عقول الرجال.
  ٥. كنه معنى حقيقة التفسير.
  ٦. عدم الاستغناء عن سؤال الأوصياء في تفسير المتشابه.
  ٧. إذا احتجنا للتفسير فالاهتداء بهم عليهم السلام.
  ٨. لا يجوز تفسير القرآن إلا بالأثر والنص.
  ٩. معرفة الناسخ والمنسوخ.
- وأما نصوص هذه الروايات فكالآتي:

### الرواية الأولى:

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ((مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ غَيْرَ الْأَوْصِيَاءِ)) (١٣).

أقول: تقدم في تنقيح محل النزاع عدم تعهد النظرية ببيان باطن القرآن.

### الرواية الثانية:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ مَحْرِزٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: ((إِنَّ مِنْ عِلْمٍ مَا أُوتِينَا تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَ أَحْكَامَهُ الْحَدِيثِ)) (١٤).

أقول: لا شك أن أهل البيت عليهم السلام قد أوتوا علم التفسير بحقيقته ودرجته العليا، كما أنهم أوتوا علم أحكامه لا يشذ عما أوتوا حكم منها، لكن الرواية لم تمنع من الدرجات الدنيا من

(١٣) بحار الأنوار (ط-بيروت)؛ ج ٨٩؛ ص ٨٨.

(١٤) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ الحر العاملي، ص ١٨١.

التفسير ومعرفة الظواهر ودلالات المفاهيم. وبعبارة أخرى: إثبات شيء لا يعني نفي ما عداه، فالرواية تثبت علم التفسير لهم ﷺ، ولا تنفيه عن غيرهم. نعم لنا أن ننفي عن غيرهم تلك الدرجة العليا من التفسير من دون شك ولا تردد.

### الرواية الثالثة:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى أَنْ قَالَ وَ عِنْدَنَا وَ اللَّهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلِّهِ)) (١٥).

أقول: علم الكتاب كله خارج عن محل البحث والادعاء.

### الرواية الرابعة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: ((سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ فَأَجَابَنِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ فَقُلْتُ كُنْتَ أَجَبْتَنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا فَقَالَ يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنًا [وَوَلِيبًا] وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ لِلظَّهْرِ ظَهْرٌ يَا جَابِرُ - وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوْلَاهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَ هُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُتَّصِرٌ عَلَى وَجْهِهِ)) (١٦).

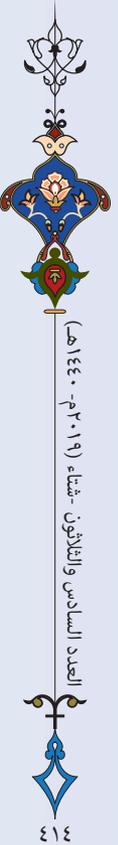
أقول: أما الكلام عن بطن القرآن فقد تقدم أنفا. وأما كون التفسير أبعد الأشياء من عقول الرجال فهو راجع إلى البطون كذلك بقريئة العطف عليه والتمهيد به إليه (١٧)، كما يحتمل جدا أن الحديث عن المرادات الواقعية الجدلية في الآيات بقريئة الآيات الداعية إلى التدبر، وآيات الاحتجاج والتحدي وروايات العرض وهكذا، وإلا عادت الدعوة إلى التفكير لغوا!. لأنها دعوة إلى غير المقدور (البعيد عن عقول الرجال).

قد تقول: هذه القرائن إنما تتحدث عن معاني إجمالية ومرتبة دانية، فلا ينافي هذا الوضوح الإجمالي عدم إحاطة عقول الرجال بالآيات الشريفة.

(١٥) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ ص ١٨١.

(١٦) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ ص ١٩٢-١٩٣.

(١٧) أي التمهيد بالحديث عن البطون إلى الحكم بأبعدية التفسير عن عقول الرجال.



والجواب: هذا هو ما نريد إثباته، غاية الأمر: لا نقول بأن المعنى المفهوم من الآيات معنى إجمالي، بل هو معنى واضح وظاهر مطلقاً، لكنه محدود بحدود مرتبة الظاهر، ولا يتعدى إلى بيان المراد الجدي ولا التأويل وبيان المصاديق، فضلاً عن البطون وما بعد البطون.

### الرواية الخامسة:

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا - فَخَتَمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ قَالَ فَجَعَلَهُ النَّبِيُّ عليه السلام عِلْمًا بَاقِيًا فِي أَوْصِيَائِهِ فَتَرَكَهُمُ النَّاسُ وَ هُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ حَتَّى عَانَدُوا مَنْ أَظْهَرَ وَايَةَ وَايَةَ الْأَمْرِ وَ طَلَبَ عُلُومَهُمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ صَرَبُوا الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَ احْتَجُّوا بِالْمُنْسُوخِ وَ هُمْ يَطْنُونَ أَنَّهُ النَّاسِخُ وَ احْتَجُّوا بِالْخَاصِّ وَ هُمْ يُقَدِّرُونَ أَنَّهُ الْعَامُّ وَ احْتَجُّوا بِأَوَّلِ الْآيَةِ وَ تَرَكُوا السُّنَّةَ فِي تَأْوِيلِهَا وَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا يَفْتَحُ الْكَلَامَ وَ إِلَى مَا يَحْتِمُهُ وَ لَمْ يَعْرِفُوا مَوَارِدَهُ وَ مَصَادِرَهُ إِذْ لَمْ يَأْخُذُوهُ عَنْ أَهْلِهِ فَضَلُّوا وَ أَضَلُّوا ثُمَّ ذَكَرَ عليه السلام كَلَامًا طَوِيلًا فِي تَقْسِيمِ الْقُرْآنِ إِلَى أَقْسَامٍ وَ فُنُونٍ وَ وُجُوهِ تَزِيدُ عَلَى مِائَةٍ وَ عَشْرَةٍ إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام وَ هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ كَلَامَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْخَلْقِ كَمَا لَا تُشْبِهُ أَفْعَالُهُ أَفْعَالَهُمْ وَ هَذِهِ الْعِلَّةُ وَ أَشْبَاهُهَا لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ كُنْهَ مَعْنَى حَقِيقَةِ تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا نَبِيُّهُ وَ أَوْصِيَاؤُهُ عليهم السلام إِلَى أَنْ قَالَ ثُمَّ سَأَلُوهُ عليه السلام عَنْ تَفْسِيرِ الْمُحْكَمِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - فَقَالَ أَمَّا الْمُحْكَمُ الَّذِي لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ - مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتُ الْآيَةِ وَ إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ وَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ فَوَضَعُوا لَهُ تَأْوِيلًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِأَرَائِهِمْ وَ اسْتَعْنَوْا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ وَ نَبَدُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَ رَأَى ظُهُورَهُمْ الْحَدِيثَ)) (١٨).

أقول: الكلام عن كنه معنى حقيقة التفسير خارج عن نطاق الدعوى، ولا ريب أن معرفة الظواهر القرآنية لا تغني عن الاستهداء بهم عليهم السلام، فمرتبة الظاهر لا تغني عن مرتبة كنه معنى حقيقة التفسير، وإنما ينال الناس بقدر ما يتعلموا منهم عليهم السلام، وإنما السؤال: هل يجب

تعلم كنه حقيقة التفسير؟. وهل يجرم التفسير بمعنى بيان ظواهر الآيات القرآنية ولو بنحو ضم القرائن المنفصلة في بقية القرآن؟!.

### الرواية السادسة:

عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حَدِيثٍ كَلَامِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: ((وَ أَمَّا قَوْلُهُ وَ مَنْ يَجْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى فِائْتًا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَقْرَءُوا الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلَ فَإِذَا احتَجَّجُوا إِلَى تَفْسِيرِهِ فَالاهْتِدَاءُ بِنَا وَ إِلَيْنَا يَا عَمْرُو)) (١٩).

أقول: يمكن النقاش في استفادة المنع عن تفسير القرآن بالقرآن في هذه الرواية، في قوله عليه السلام: (فإذا احتججوا إلى تفسيره) هذه العبارة ليست أكثر بيانا ووضوحا من ظاهر الآيات التي تحدثت عن كون القرآن هدى ونورا وتبيانا لكل شيء، فإذا لم يمكن التمسك بتبيان القرآن لكل شيء، فإن الكلام في الرواية هذه من باب أولى، لأنها مجملة؛ من جهة دوران قوله: ((فإذا احتججوا إلى تفسيره)) بين أمرين:

١. فهل أنها من قبيل تحقيق الموضوع على غرار: إذا رزقت ولدا فاختنه؟. فتؤول إلى الأمر بالختان من دون تعليق على أي شرط آخر؟. وفي بحثنا يؤول معنى الشرطية إلى الأمر بالرجوع لهم عليهم السلام والاستهداء بهم ليفسروا لنا القرآن من دون أي شرط أو تعليق؟.
٢. أم أنها من قبيل القضايا الشرطية التي يوجد فيها فوق الموضوع شرط يزيد على أصل الموضوع فيثبت لها مفهوم سلبي: "إن لم تحتججوا إلى التفسير فلا داعي للاستيضاح منهم عليهم السلام؟!".

وهذا هو موضع النزاع، فمن عرّف التفسير بأنه كشف الغامض من كتاب الله، فإنه لن يحتاج في قسم من الآيات إلى عملية التفسير من رأس، فضلا عن منهج التفسير وكونه قرآنيا أو روائيا!. ومن زعم أن التفسير هو تحصيل المرادات بواسطة آيات القرآن دون النصوص الروائية فإنه لا يدعي الحاجة إلى إقامة آية على كل تفسير، بل يكفي بالآيات الواضحة بيانا لنفسها. فمن كل ذلك لا أقل من وجود التنافي بين آيات القرآن الصريحة في كون

القرآن تبياناً لكل شيء مع هذه الرواية لإجمالها، وحينئذ فالمرجع هو إطلاقات أدلة الجواز؛ كالمستفاد من روايات العرض وأمثالها.

### الرواية السابعة:

ما قيل بأنه صح عن النبي ﷺ وَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِالْأَثَرِ الصَّحِيحِ وَالنَّصِّ الصَّرِيحِ (٢٠).

أقول: هل ينحصر النص الصريح في الرواية؟ أم يعم الرواية والآية المفسرة؟. فلو جعلنا الرواية الصريحة صالحة للتفسير وجعلنا الآية الصريحة غير صالحة للتفسير لكانت الرواية أشرف من الآية، وكان كلام الهادي والعاصم أعجز من كلام المهدي والمعصوم في بيان المرادات؟! وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، فإذا افترضنا أن لأحد المثليين «النص» قابلية دون المثل الآخر فهذا يعني الحط من قدر المثل الآخر (الآيات الصريحة). نعم قد يبتني استدلالنا على الفراغ عن أن القرآن لم يأت على وجه التعمية، وهذا ما ندعيه في رتبة من رتب القرآن على أقل التقادير، ولا شك في الاحتياج لبيان المعصوم متى ما افترضنا إجمال القرآن وأنه لا يفهم القرآن إلا من خوطب به، وأما مع افتراض تساوي القرآن والرواية في النصية والوضوح والصراحة فلا حرج من جعل القرآن الصريح والنص دليلاً على القرآن المجمل.

### الرواية الثامنة:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ عَلَى قَاضٍ فَقَالَ: ((هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمُنْسُوخِ فَقَالَ لَا فَقَالَ هَلَكْتَ وَ أَهْلَكْتَ تَأْوِيلُ كُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى وُجُوهِ)) (٢١).

أقول: ذكروا المفردة «التأويل» عدة معان قد تربو على العشرة معاني (٢٢)، ولو افترضنا أن

(٢٠) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ ص ٢٠٤.

(٢١) بحار الأنوار (ط-بيروت)؛ ج ٨٩؛ ص ٩٥.

(٢٢) ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان أربعة أقوال أساسية في معنى التفسير، ثم شعب من القول الأول أقوالاً آخر وناقشها، ثم بين معنى التأويل بنظره الشريف، ومجمل الكلام أنهم اختلفوا في معاني التأويل بما يزيد على العشرة معاني، لعل أوجهها هو أن التأويل بيان المصاديق [راجع تفسير

المراد من التأويل هو التفسير نفسه فإن الواضح جدا عدم النهي عن تفسير المعاني الظاهرية، لاسيما وهذا التعبير ((كل حرف من القرآن على وجوه))، فإما أن يراد به كل حرف حرف إرادة جدية! وهذا ينسجم مع عالم الإشارة والبطون دون عالم المفاهيم وظواهر الألفاظ، وإما أن لا يكون المراد ذلك، بل معنى يرتبط بالمرادات الواقعية وراء الدلالات المركبة للجمل القرآنية «الآيات» بقريئة الحديث عن الناسخ والمنسوخ، فإن أريد هذا المعنى فهو من عالم المراد الجدي الذي لم يتعهد به صاحب النظرية كما أشرنا إلى ذلك في كلماته رحمته، والاستشهاد بالناسخ والمنسوخ يبعد الرواية عن قضية المعاني الظاهرية، بل قد تتضمن الإشارة إلى أن الآيات الظاهرة مما يمكن فهمه والعلم به، لأنه لا يحسن الاستدلال بالمانع مع فقدان المقتضي، فالمانع من تحصيل النتيجة النهائية والحكم الواضح في القرآن هو عدم معرفة الناسخ والمنسوخ؛ أي المتقدم والمتأخر، وهذا يتضمن عرفا بالإقرار بالفهم من جهة معرفة الظواهر في نفسها، وهذا ما يدعيه العلامة من أن الآيات واضحة على مستوى المعنى الظاهري؛ أي أنها ليست من جنس الغامضات والطلاسم.

وبهذا يتبين لنا أن جميع روايات هذا القسم مما لا يمكن الاستفادة منها في دعوى إبطال التفسير بالقرآن وفق منهج العلامة الطباطبائي، وهذا لا يعني إسقاطنا للروايات، وإنما قصرنا البحث فيها على إفادة الدعوى وعدم إفادتها.

### القسم الثاني: الروايات المجوزة لتفسير القرآن بالقرآن:

وهذه عناوين مقترحة لهذا القسم من الروايات وبعدها نذكر نصوص الروايات:

١. كل شيء في كتاب الله عليه دليل في كتاب الله.

٢. روايات العرض.

٣. كل شيء يطلب فهو في القرآن.

٤. العبارة للعوام.

الميزان للعلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٤٤-٤٩]. وعلى هذا فإن التأويل ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل من الأمور العينية.

وأما نصوص هذه الروايات فالكالتالي:

### الرواية الأولى:

عَنْ خَثِيمَةَ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُعْفِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو لَيْبِدٍ الْبَحْرَانِيُّ الْمُرَاءِ الْهَجْرِيْنَ قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام بِمَكَّةَ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا مَعْرُوفٌ قَالَ لَيْسَ هَكَذَا قُلْتُ وَ لَكِنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا عَلَيْهِ دَلِيلٌ نَاطِقٌ عَنِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ قَالَ فَأَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ لَيْسَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَالنَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ وَ لَا حَرْفٌ وَاحِدٌ فَقَالَ لَهُ فَمَا الْمَصْرُ قَالَ أَبُو لَيْبِدٍ فَأَجَابَهُ بِجَوَابٍ نَسِيْتُهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام هَذَا تَفْسِيرُهَا فِي ظَهْرِ الْقُرْآنِ أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِهَا فِي بَطْنِ الْقُرْآنِ قُلْتُ وَ لِلْقُرْآنِ بَطْنٌ وَ ظَهْرٌ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ لِكِتَابِ اللَّهِ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا وَ مُعَايِنًا وَ نَاسِخًا وَ مَنْسُوخًا وَ مُحْكَمًا وَ مُتَشَابِهًا وَ سُنَنًا وَ أَمْثَالًا وَ فَضْلًا وَ وَصْلًا وَ أَحْرَفًا وَ تَصْرِيْفًا فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ مُبْهَمٌ فَقَدْ هَلَكَ وَ أَهْلَكَ ثُمَّ قَالَ أَمْسِكْ الْأَلْفَ وَاحِدًا وَ اللَّامَ ثَلَاثُونَ وَ الْمِيمُ أَرْبَعُونَ وَ الصَّادُ تِسْعُونَ فَقُلْتُ فَهَذِهِ مِائَةٌ وَ إِحْدَى وَ سِتُونَ فَقَالَ يَا لَيْبِدُ إِذَا دَخَلْتَ سَنَةَ إِحْدَى وَ سِتِّينَ وَ مِائَةَ سَلَبَ اللَّهُ قَوْمًا سُلْطَانَهُمْ)) (٢٣).

وقال الحر العاملي رحمته الله في وسائله في ذيل الرواية: ((أقول: المراد من آخره أنه ليس بمبهم على كلِّ أحد بل يعلمه الإمام و من علمه إياه و إلا لناقص آخره أوله)) (٢٤).

أقول: لا مانع وفق ما أسلفنا من بيان لنظرية العلامة من تعليم الأئمة عليهم السلام كيفية التفسير، فلا يستغني عنهم عليهم السلام مفسرٌ، كما لم يدع العلامة الطباطبائي ذلك. وبعبارة مبسطة فإن قول صاحب الوسائل: ((يعلمه الإمام و من علمه إياه)) لا ينافي كون القرآن يفسر بعضه بعضا، فإن هذه العبارة تحتل مرادين:

الأول: أن تعليم الإمام عليه السلام يكون بنحو بيان مراد الآيات بشكل مباشر، أي أنه تفسير لآية بالرواية.

(٢٣) المحاسن ج ١؛ البرقي، ص ٢٧٠.

(٢٤) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ ص ١٩٢.



الثاني: أن تعليم الإمام عليه السلام يكون بنحو بيان مراد الآيات اعتمادا على آيات قرآنية أخرى، فالتفسير حينئذ قرآني لا روائي، أي أنه تفسير للقرآن بالقرآن، وإنما الجهد في استكشاف قرينية الآية على الآية بمعونة الإمام المعصوم عليه السلام وتعليمه.

وحينئذ نقول: نظرية العلامة الطباطبائي تتنافى مع الاحتمال الأول، لصراحته في الحاجة إلى الرواية في تفسير الآية، ولكنها لا تتنافى مع الاحتمال الثاني الذي يكون دور الإمام فيه هو مباشرة التفسير وتعليم التفسير من خلال نصب الآية قرينة على الآية "تفسير القرآن بالقرآن"، فالسؤال كل السؤال: ما هو الاحتمال المتعين في الرواية بغض النظر عما يميل إليه صاحب الوسائل؟.

الجواب: ظاهر الرواية إرادة الاحتمال الثاني الذي لا ينافي نظرية تفسير القرآن بالقرآن، وذلك لأنها تكلمت عن توضيح القرآن من خلال القرآن نفسه، أي بالاستفادة من القرائن الداخلية الموجودة في نفس القرآن: ((ليس شيء من كتاب الله إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه)) فالتعبير عن القرينة بقوله عليه السلام: ((دليل ناطق عن الله في كتابه)) يشير إلى أن القرينة داخلية قرآنية، لا خارجية روائية، وإن كانت نفس ممارسة عملية التفسير وكذا تعليمه بمعونة الإمام المعصوم عليه السلام. هذا مع أهمية التركيز على ما في ذيل الرواية: ((فَمَنْ رَعَمَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ مَبْهُمٌ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ)).

### الرواية الثانية

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ((كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ - فَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرَفٌ)) (٢٥).

وهذا ما يمكن التعبير عنه بالعرض وروايات العرض (٢٦)، فالعرض في هذه الرواية

(٢٥) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، ص ١٥٢.

(٢٦) نحن وإن لم نول البحث السندي أهمية بعد أصل جواز توضيح الآية بالآية، وبعد معالجة الإشكالات الثبوتية، وبعد رد الإشكالات في الروايات الناهية من جهة المناقشة الدلالية، مع ذلك فإن بعض أقسام الروايات المؤيدة لفكرة جواز تفسير القرآن بالقرآن تتوفر على مقومات الصحة أو الاعتبار السندي، وإليك بعضها منها:

على نوعين:

أ. عرض الرواية على القرآن.

ب. عرض الرواية على السنة القطعية.

كما أن بعضهم أضاف وجوها أخرى للعرض؛ كعدم مخالفة الضرورات والبدييات، وكالعرض على العقل القطعي، والتاريخ القطعي.. وهكذا. وما يهمننا في المقام هو عرض الرواية على القرآن، فهذا العرض يشير إلى ميزانٍ تُقبَلُ الروايةُ أو تُردُّ على أساسه، فمن ذلك يظهر أن القرآن بما هو قرآن ليس غامضاً مبهماً، وإلا لما أمكن الإرجاع إليه والإحالة عليه. نعم قد يشكل بأن وضوح كثير من القرآن لا يعني وضوح كل القرآن، ولكن يجاب عنه بأن المراد:

١. إن كان هو وضوح الحقيقة والتفسير الواقعي فالعرض للرواية حينئذ يكفي فيه الوضوح المجموعي للقرآن، أي أن المعنى الصحيح للآية لا يمكن أن يخالف القرآن مخالفة صريحة؛ فلا يشترط في تحقيق المخالفة إلا المخالفة على نحو القضية الجزئية،

[١] عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ.

[٢] مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبَانَ بْنِ عُمَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ أَنَّهُ حَضَرَ ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ يَرَوِيهِ مَنْ نَثَقَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَثِقُ بِهِ قَالَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِدًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَإِلَّا فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ.

[٣] عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ.

[٤] مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى عَنِ ابْنِ فَضَالٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ.

[٥] مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَادَانَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِمَعْنَى فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ وَمَا جَاءَكُمْ يَخَالَفُ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلْهُ. [كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ١، ص ٦٩].



والمخالفة بهذا النحو تتحقق ولو مع الإجمال في بعض المرادات الواقعية للقرآن، إذ يكفي إحراز مخالفة بعض المرادات الواقعية المعلومة، فتتم فكرة العرض على المجموع، ولنعبر عنه بالعرض على «روح القرآن».

٢. وأما إن كان المراد من الوضوح هو وضوح الدلالات في مرتبة الظاهر، فلا شك حيثند في إمكانية العرض على جميع آيات القرآن الكريم، لأنه في هذه المرتبة من الكلام العربي البليغ الذي لا يحمل شيئاً من التعقيد والإغلاق، وبتعبير آخر: يمكن إدراك المخالفات البدوية للقرآن الكريم لوضوح آياته ووضوح كلام الروايات في مرتبة الظاهر، وأما في مرحلة الجمع بين المرادات الجدلية فسينفتح باب التأويل للروايات المخالفة للقرآن، كما في تأويل الآيات المخالفة للعقل.

قد تعود للسؤال: إذا كان الكلام متقصر على الظاهر من دون فهم المراد الجدلي فهذا لا طائل من ورائه ولا معنى لتسميته بالتفسير من رأس!!.

الجواب: التفسير في مرتبة الظاهر لا يعني مجرد مطالعة الآيات القرآنية من دون استنباط واستنتاج، بل يمكن الجمع بين ظاهر الآيات القرآنية واستنباط الكثير من المرادات وحتى الأحكام والرؤى القرآنية، وحينما يكون المفسر متضلعا في الجمع بين الآيات وكثير الأانس بها سترى تفسيره كثير الاستنباطات الظاهرة والبينة بعد الجمع، ولكن المشكلة هي في القدرة على إحضار هذه الآيات واستنطاقها في موارد الحاجة، ومنشأ هذه القدرة في الكثير من الأحيان هو التربية التفسيرية على مائدة الروايات الشريفة، حتى شاع في التعبير قول بعضهم بعد النظر إلى الآيات المستدل ببعضها على البعض الآخر: ((كأني لم أقرأ هذه الآية من قبل))، وهو ما يرمي إليه قول الأمير عليه السلام: ((ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض))<sup>(٢٧)</sup>. نعم إنما عبرنا عنه بالتفسير في مرتبة الظاهر لأنه لا يمانع من أن تكون المرادات الواقعية مرادات أخرى، أو تتضمن مرادات أخرى.

### الرواية الثالثة:

عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ)) (٢٨).

والرواية واضحة، وهي على غرار الآية الشريفة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، وأما سؤال الإمام فيها فهو عن معناها المفسر بقرينة داخلية من القرآن، يقيمها الإمام ويوضح أن هذا التفسير يستند إليها، وهذا عين ما تقدم منا من "الوضوح الشأني" فنحن لا ندعي الوضوح الفعلي للآيات، وإنما ندعي - في مقام بيان نظرية العلامة - أن هناك جهداً جهيداً لا يمكن الاستغناء فيه عن أهل البيت عليهم السلام وتعليمهم لكيفية التفسير ومعرفة القرائن القرآنية، إضافة إلى ضرورة التمرس والتمتع بقدرة ذهنية على الاستنطاق والربط المدلل بين الآيات القرآنية (٢٩). يقول العلامة الطباطبائي: ((وقد تبين أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورد، والله الهادي)) (٣٠). فمثلاً: لا يمكننا أن نستغني عن المعصوم في بيان أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة، لأن القرآن لم ينص على ذلك، فمعرفة القرائن القرآنية لا شك ولا ريب سيمرُّ عبر قناة الرواية والتاريخ وقول الإمام عليه السلام، لكننا في المحصلة سنجعل الآية الناسخة قرينة تنضم إلى الآية المنسوخة، وكذا الحال في موارد التقييد والتخصيص وغير ذلك إن كان ما نطلبه من قبيل معاني الألفاظ، وكانت روايتنا هذه تتكلم عن رتبة الألفاظ.

(٢٨) وسائل الشيعة؛ ج ٢٧؛ ص ١٨٣.

(٢٩) وهذا ما ميز العلامة الطباطبائي رحمته الله من توفره على الملكات الخاصة والقدرة الفريدة على الاستنباط والاستنطاق وربط الآيات واستحضار الروايات، وكل ذلك طبعاً قد احتاج منه إلى التفرغ والعكوف على الروايات الشريفة ليصقل تلك الملكات وينمي الجانب النظري ويوفر له نظرة روائية وقرآنية منظومية متضحة المعالم يستعين بها على فهم الآيات القرآنية والحركة فيما بينها. وقد كان شيخنا الجواد رحمته الله يقول في دروسه في مقام الحديث عن أستاذه العلامة رحمته الله أنه كان عند التفسير ينظر بعين إلى الآية وبالأخرى إلى الرواية.

(٣٠) تفسير الميزان، ج ٣، ص ٨٧.

وأما إن كانت الرواية تتكلم عن رتبة المرادات الجديدة والحقائق وما إلى ذلك، فهي تثبت لنا قدرا إضافيا هاما من المعارف والمعاني، ولكنها خارجة عن محل النزاع.

### الرواية الرابعة:

روي عن الصادق عليه السلام: ((كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ وَاللَّطَائِفِ وَالْحَقَائِقِ فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ وَاللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ)) (٣١).

وبالنظر إلى هذه الرواية فلا نشك أن مرتبة من مراتب فهم القرآن ستكون مُيسرةً للعوام، ألا وهي مرتبة العبارة، وهذا كاف في المقام للاستدلال على وضوح الظواهر القرآنية (العبائر)، وبذلك تكون هذه الرواية مصححة لنظرية تفسير القرآن بالقرآن، أعم من وضوح بعض القرآن واتضح البعض الآخر بالآيات الأخر، كما عبرنا عن مفاد نظرية العلامة بالوضوح الشأني.

### تطبيق نظرية العلامة:

لابد من الإشارة إلى شيء من التطبيق لنظرية العلامة الطباطبائي لبيان كيفية تفسير القرآن بالقرآن، وهنا تطبيقان:

#### التطبيق الأول: الصراط المستقيم:

عبر في سورة الفاتحة عن الصراط المستقيم ببعض المواصفات الخاصة: ﴿ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ [سورة الفاتحة: ٦ - ٧]، فوصف هذا الصراط مثلا بأنه صراط قسم خاص من الناس {الذين أنعمت عليهم}، في هذه الآية توجد مجموعة غنية من الخصوصيات والمطالب المرتبطة بالصراط، أشار العلامة الطباطبائي إليها من خلال الجمع بين هاتين الآيتين وبين آية أخرى ليجيب من خلالها على هذا التساؤل: من هم الذين أنعم الله عليهم؟. يقول تفتُّ: ((ثم إنه تعالى عرف هؤلاء المنعم عليهم الذين نسب صراط المستقيم إليهم بقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ**



الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٨﴾ [سورة النساء: ٦٨]. وقد وصف هذا الإيمان والإطاعة قبل هذه الآية بقوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (٦٥) وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ [سورة النساء: ٦٦]. فوصفهم بالثبات التام قولاً وفعلاً وظاهراً وباطناً على العبودية لا يشذ منهم شاذ من هذه الجهة ومع ذلك جعل هؤلاء المؤمنين تبعاً لأولئك المنعم عليهم وفي صف دون صفهم لمكان مع ولمكان قوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ولم يقل: فأولئك (من الذين) (٣٢).

من خلال هذا الجمع بين الآيات يضيف العلامة مجموعة من الخصائص والمعارف المستفادة من الآيات الشريفة، فيذكر خصوصيات هؤلاء المنعم عليهم، كما يشير إلى خصوصيات هذا الصراط المستقيم وكونه يهدي إلى الحق البتة، تبعاً لكونه هو صراط هذا القسم الخاص من الناس، وكونه هو صراط الله المنسوب إليه وحسب، لم يتعد إلا إلى خصوص هذا القسم من الناس دون غيرهم، فليس الصراط كالسبيل المنسوب في القرآن إليه) وإلى غيره، فالقرآن في حديثه عن السبل يشير إلى أن جملة منها ﴿فَنَفَّرَ بِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]، بخلاف الصراط فإنه لا يهدي إلا إلى الحق (٣٣).

### التطبيق الثاني: ذرية آدم:

مثال بارز يستوقفنا من تفسير الميزان في سورة النساء، فإن الكلام في الآية الأولى بعد البسملة يدور حول ذرية آدم (عليه السلام) وكيفية خلق هذه الذرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

(٣٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٠.

(٣٣) راجع الميزان في تفسير القرآن ج ١، ص ٣١-٣٧.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيَّكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [سورة النساء: ١]، فيواجهنا في المسألة رأيان:

أ. أن أبناء آدم في الطبقة الأولى قد تزوجوا بأخواتهم وحصل من ذلك تكاثر النسل البشري.

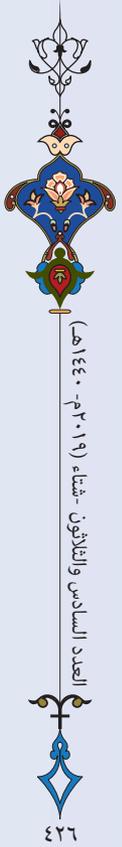
ب. أن الله+ قد أنزل لهم زوجات من السماء من الحور والجان وتزوجوا بهن، وحصل من ذلك تكاثر النسل البشري.

هذان الاحتمالان يوجد على كل منهما رواية أو أكثر يمكن الاستناد إليها، فيصير البحث حينئذ إلى الإشكالات الثبوتية التي قد تعترض الاحتمال الأول والطائفة الأولى «الزواج بالأخوات» كإشكال تحريم ذلك، ومنافاته للفطرة.. ، وهنا يقوم العلامة تتمة بمناقشة تلك المحاذير ويبين خلو هذا الاحتمال من أي إشكال ثبوتي. ثم يصير في مقام الإثبات إلى ترجيح روايات هذه الطائفة على روايات الطائفة الثانية وذلك اعتماداً منه على ظهور الآية الشريفة: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، ويقول بأنه لو صح الاحتمال الثاني لكان التعبير هكذا: "بث منها ومن غيرها" فالتمسك بظهور الآية جعله يرجح الرأي الأول<sup>(٣٤)</sup>.

هذا التفسير وإن لم يكن من قبيل إقامة الآية على الآية لكنه هو نفس منهج التفسير بالقرآن، أي الوضوح أو الاتضاح من خلال القرآن من دون حاجة إلى غيره.

### الخاتمة:

إن أهم ما خلصنا إليه في هذا البحث هو دفع المحاذير الثبوتية على فكرة تفسير القرآن بالقرآن، كما أننا استطعنا إقامة الشواهد من كلمات العلامة الطباطبائي تتمة على هذه النظرية ولم نتبرع له بهذا التصوير، استطعنا كذلك تقديم التصوير - بعد تحرير محل النزاع بشكله المفصل - بنحو يمكن الاستدلال على مقبوليته وفق الروايات الشريفة، والنتيجة من كل ذلك أن هذه الطريقة القديمة بقدوم تفسير أهل البيت عليهم السلام، والمستحدثة في عمل مثل العلامة الطباطبائي تتمة طريقة جديدة بالاستفادة، كما أنها طريقة غنية تتفتح منها أبواب المعارف



القرآنية وفق ما تولده الآيات عند جمعها والتدليل ببعضها على الآخر. لا ننكر أن لمؤهلات المفسر وقدراته الذاتية دورا هاما في تفعيل هذه الاستفادة، وقد كان للعلامة فرادته في هذا المجال لاسيما وأنه تربى على مائدة الآية والرواية.

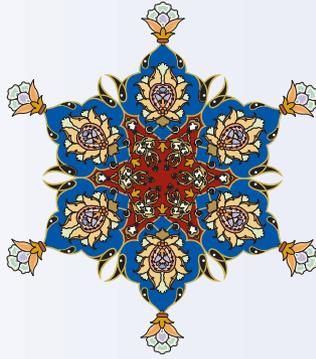
### المصادر:

القرآن الكريم.

١. أبو خمسين، هاشم عبد النبي: مقدمة في التفسير التربوي، الأصول التفسيرية، تحقيق: رهيف، أحمد عبد الحسين، نشر باقيات، ط ١، ١٤٣٦ هـ ق، قم المقدسة.
٢. البحراني، ميثم بن علي بن ميثم: شرح نهج البلاغة ج ٣، دفتر نشر الكتاب، ط ٢، ١٤٠٤ هـ ق.
٣. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ج ١، تحقيق جلال الدين، دار الكتب الإسلامية، ط ٢، ١٣٧١ هـ، قم المقدسة.
٤. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ٨٩، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار إحياء التراث العربي، نشر مؤسسة الوفاء، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، بيروت، لبنان.
٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ج ٢٧، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ط ١، ١٤٠٩ هـ. ق، قم المقدسة.
٦. سيدان، جعفر: التحقيق في منهجية تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الميزان حوار مع آية الله السيد جعفر سيدان، ترجمة: الرضوي، فاضل، دار الولاية للنشر، ط ١، ١٤٣٥ هـ، مشهد.
٧. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ج ١، نشر مؤسسة إسماعيليان، ط ٥، ١٤١٢ هـ، ١٣٧١ هـ ش، قم المقدسة.
٨. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ج ٣، نشر مؤسسة إسماعيليان، ط ٥، ١٤١٢ هـ، ١٣٧١ هـ ش، قم المقدسة.

رؤية روائية في تفسير القرآن بالقرآن..... (المصباح)

٩. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ج ٤، نشر مؤسسة إسماعيليان، ط ٥، ١٤١٢هـ، ١٣٧١هـ ش، قم المقدسة.
١٠. الطبرسي، علي بن الحسن: مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، المكتبة الحيدرية، ط ٢، ١٣٨٥هـ، النجف الأشرف.
١١. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ج ١، تحقيق: غفاري، علي أكبر، وآخوندي، محمد، نشر دار الكتب الإسلامية، ط ٤، ١٤٠٧هـ ق، طهران.



# مِنْ جَدِيدِ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

م.م. مقدم محمد جاسم البياتي  
المديرية العامة للتربية في محافظة ميسان

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المتتجين.  
أمّا بعدُ:

فهذا ثبت ببعض ما جدّد من الدراسات القرآنية، التي صدرت من معاهد البحث العلمية، في العراق وخارجه، وتضمّن دراسات محكمة تناولت النصّ القرآني الكريم، أو بعض تفاسيره، بالدراسة والتحليل، وتنوعت هذه الدراسات بين رسالة أو أطروحة علمية، وبين كتاب، وكان لتحقيق النصوص التراثية نصيب وافر منها، وقد حظيت هذه الدراسات بإجازة أهل الخبرة والاختصاص لتأخذ موقعها في خارطة البحث القرآني.

إنّني إذ أقدم هذا الثبت بين يدي القراء الكرام، أرجو به رضا الله جلّ وعلا من خلال خدمة كتابه المعظم، وأتوخّى به الفائدة للباحثين ممن يهتمّ بالدراسات القرآنية أو يرغب بالكتابة فيها، بإطلاعهم على الجديد في هذا الميدان، وما توفّقي إلا بالله، وهو من وراء القصد.

- **أولاً: الكتب والدراسات:**
- الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري:  
فواز منصور الشاوش، ط ١، مركز تفسير للدراسات القرآنية - الرياض، ٢٠١٥ م.  
وأصل الكتاب رسالة علمية قدّمها المؤلف لنيل درجة الماجستير.
- تاريخ القرآن عند الاثني عشرية:  
عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ط ١، مركز تكوين للأبحاث والدراسات ببريطانيا بالتعاون مع الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، د. ت.  
وأصل الكتاب رسالة علمية قدّمها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه.
- التفاسير المختصرة: اتجاهاتها ومناهجها:  
محمد بن راشد بن محمد البركة، ط ١، كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٣٦ هـ.
- جوامع الجامع:  
تأليف أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق جواد السيد كاظم الحكيم، ط ١، راجعه واعتنى بنشره قسم شؤون المعارف الإسلامية في العتبة العباسية المقدّسة - كربلاء المقدّسة، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ٦ مج.
- خلاصة البيان في حلّ مشكلات القرآن:  
تأليف محمد تقّي بن حسين علي الهروي الحائري (ت ١٢٩٩ هـ)، تحقيق حيدر عبد الرسول عوض، ط ١، مجمع الإمام الحسن (عليه السلام) العلمي لتحقيق تراث أهل البيت، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ٣ مج.
- الدرس المصطلحي للقرآن الكريم بين التأصيل والتطوير:  
فريدة زمرد، ط ٢، مركز الدراسات والأبحاث - الرابطة المحمدية في المملكة المغربية، ٢٠١٨.



- الرسم القرآني بين التوقيف والاصطلاح:  
خالد إبراهيم المحجوبي، معهد المخطوطات العربية - القاهرة، ٢٠١٨.
- الطارئ على زلّة القارئ:  
تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد الصالحي الدمشقي الشهير بابن طولون (٨٨٠-٩٥٣هـ / ١٤٧٥ - ١٥٤٦م)، يليه: زلّة القارئ لأحمد بن محمد بن إسماعيل المصري الشهير بالطهطاوي (ت ١٢٣١هـ / ١٨١٦م)، تقديم وتحقيق عمر يوسف عبد الغني حمدان، ط١، دار ابن حزم بيروت - لبنان، ٢٠١٨.
- علوم القرآن من خلال مقدّمات التفاسير من بداية القرن التاسع حتى العصر الحالي:  
نادية بنت إبراهيم بن سليمان النفيسة، ط١، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان) بالرياض، ودار التفسير للنشر والتوزيع بجدة، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.  
وأصل الكتاب رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن الكريم وعلومه.
- علوم القرآن من منظّم حداثي (دراسة تحليلية نقدية لأراء الحداثيين في القرآن الكريم):  
أحمد بوعود، ط١، دار الكتاب المغربي ودار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.
- ليّدبروا آياته - حصاد سبع سنوات من التدبّر -:  
اللجنة العلمية في مركز تدبّر، ط١، مركز تدبّر للدراسات والاستشارات بالتعاون مع دار الصميعي للطباعة والنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م، ٧مج.
- محطات في تاريخ القرآن الكريم مبررات الإيمان بسلامة النصّ القرآني:  
مرتضى فرج، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٥م.
- المشوّق إلى القرآن:  
عمرو الشرقاوي، ط١، مركز تفكّر للبحوث والدراسات في القاهرة، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.



وأصل الكتاب مقالات متفرقة كتبها المؤلف في أزمنة مختلفة ثم رأى جمعها ونشرها في هذا الكتاب.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

• الآلة في تحرير الإمامة لبرهان الدين بن موسى الكركي الشافعي (٨٥٣هـ) دراسة وتحقيق:

محمد الشيخ محمد الفكي، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية، دكتوراه، ١٤٣٩هـ.

• الآلة في معرفة الإمامة لبرهان الدين الكركي (ت ٨٥٣هـ) دراسة وتحقيق:

ضاري حميد رجه، كلية الآداب - الجامعة الإسلامية، دكتوراه، ٢٠١٥.

• آيات الأحكام في تفسير الإمام الرسعني الحنبلي (رُمُوزُ الكُنُوزِ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ) دراسة مقارنة:

إبراهيم محمد إبراهيم سلطان، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، دكتوراه، ١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ.

• الآيات التي اقترحها الكفار على الأنبياء ﷺ في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية: نورة بنت عيسى النخيش، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ماجستير، ١٤٣٩هـ.

• آيات العقود في القرآن الكريم / دراسة تحليلية:

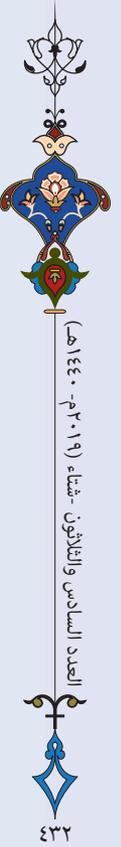
قيس عبد الله أحمد، كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، دكتوراه، ٢٠١٨.

• أثر اختلاف القراءات القرآنية في قصة موسى ﷺ:

رشا بنت محمد الناخبي، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ماجستير، ١٤٣٩هـ.

• أثر التصريف في التفسير:

عبد الله بن محمد الأنصاري، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى،



دكتوراه، ١٤٣٩هـ.

- اختيارات أبي الحسن ابن الحصار في علوم القرآن جمعاً ودراسةً:  
إسلام حريدي، كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر ٠١ بن يوسف بن خدة،  
ماجستير، ٢٠١٨.

- الإذن الإلهي في القرآن الكريم دراسة موضوعية:  
أمني صالح بامرحول، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ماجستير،  
١٤٣٩هـ.

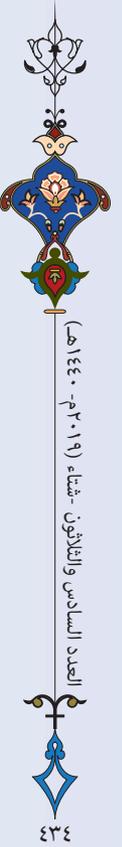
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي  
(ت ٩٨٢هـ) من بداية تفسير سورة الحجّ إلى نهاية تفسير سورة الفرقان دراسةً وتحقيقاً:  
عبد الله بن محمد بن عبد الله المحيسن، كلية القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية بالمدينة  
المنورة، دكتوراه، ١٤٣٩هـ.

- استدراقات ابن عرفة على ابن عطية في التفسير جمعاً ودراسةً:  
يوسف بن علي الحربي، كلية التربية - جامعة الملك سعود، ماجستير، ١٤٣٩هـ.
- الاستدلال بالقرآن لترجيح التوجيه النحوي في كتب معاني القرآن وإعرابه حتى نهاية  
القرن السادس من الهجرة:  
صادق كاظم محمد علي الصفار، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بابل، دكتوراه،  
٢٠١٨.

- الاستفهامات الإلهية في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية:  
فهد بن سعد القويفل، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،  
دكتوراه، ١٤٣٩هـ.

- التأويل اللغوي في بيئة المفسرين - الكشاف للزمخشري أنموذجاً -:  
سماح رواق، كلية الآداب واللغات - جامعة محمد خيضر - بسكرة -، دكتوراه،  
٢٠١٧.

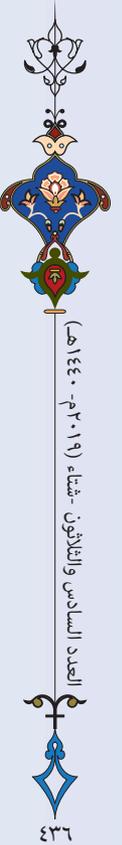
- تفاسير آيات الأحكام في اليمن اتجاهاتها ومناهجها:  
بدر بن علي محسن، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،  
دكتوراه، ١٤٣٩هـ.
- التماسك النصي في سورة هود وأخواتها:  
سعيد عكاب عبد العالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء، دكتوراه،  
٢٠١٨.
- التناسب في سورة الزمر دراسة موضوعية:  
الهونف بنت صنهات الشيباني، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية، ماجستير، ١٤٣٩هـ.
- توجيه القراءات في تفسير الإمام أبي المظفر السمعاني (رحمه الله) جمعًا ودراسةً:  
زكريا أيوب دولا، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ماجستير، ١٤٣٩هـ.
- حاشية الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى ١٠٣٠هـ على تفسير البيضاوي المتوفى ٦٩١هـ  
دراسة وتحقيق:  
وسام محمد طالب العويدي، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.
- الحذف والتقدير في كتاب كشف المشكلات وإيضاح العضلات لجامع العلوم الباقولي  
(ت ٥٤٣هـ) دراسة نقدية:  
هند مناضل عباس، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٧.
- الحكم بالاقضاء للمعنى في القرآن الكريم:  
محمد حشيش عداي الجوذري، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بابل، دكتوراه،  
٢٠١٨.
- خصائص الخطاب في الربع الأول من القرآن الكريم من منظور تداولي:  
أسماء زروقي، كلية الآداب واللغات - جامعة محمد خيضر - بسكرة -، دكتوراه،  
٢٠١٧.



- خطاب التذكير والذكرى في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية):  
انتظار خضير بوهان القرشي، كلية الفقه - جامعة الكوفة، دكتوراه، ٢٠١٥.
- رسم كلمات القرآن على ترتيب السور لعماد الدين علي بن عماد الدين الأسترابادي (كان حياً سنة ٩٥٥هـ) دراسةً وتحقيقاً:  
داخل بن علي الجدعاني، كلية القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دكتوراه، ١٤٣٩هـ.
- رفض الوجه النحوي في القرآن الكريم:  
مصطفى طالب خليف عبيد اليساري، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، دكتوراه، ٢٠١٨.
- دلالة الاكتفاء في سورة الشعراء:  
ضحى صادق رسول المحنا، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.
- الشاهد القرآني في كتاب البسيط لركن الدين الأسترابادي ت ٧١٥هـ / دراسة نحوية:  
فاطمة عبد العباس الدليمي، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.
- شرح القصيدة الطاهرة في القراءات العشر الزاهرة للإمام الحافظ طاهر بن عرب بن إبراهيم الأصفهاني (كان حياً سنة ٨٧٥هـ) دراسةً وتحقيقاً:  
أمّنة جمعة سعيد قحاف، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أمّ القرى، دكتوراه، ١٤٣٩هـ.
- صناعة المصطلح الصوتي عند علماء التجويد:  
سرمد عادل صاحب حربي، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء، دكتوراه، ٢٠١٨.
- علوم القرآن عند مكّي بن أبي طالب في تفسير الهداية جمع ودراسة:  
هيفاء بنت محمد آل فهيد، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ماجستير، ١٤٣٩هـ.

• من جديد الدراسات القرآنية..... (الاصحاح)

- علوم القرآن في مؤلفات علم القراءات من القرن السادس وحتى القرن العاشر الهجري: عبد الإله بن داود الهديب، كلية التربية - جامعة الملك سعود، ماجستير، ١٤٣٩هـ.
- العمل للأخرة في القرآن الكريم دراسة موضوعية: مشاعل بنت عبد الله بن شافي العصيمي، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ماجستير، ١٤٣٩هـ.
- الغيب المطلق والغيب النسبي دراسة موضوعية تفسير الميزان أنموذجاً: ورود أحمد عبد الكريم، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية - جامعة بغداد، ماجستير، ٢٠١٨.
- (فعل) و(عمل) ودلالاتهما في النظم القرآني: ليلى بنت شارين منصور أبو شقاف، جامعة الإمام محمد بن سعود، ماجستير، ٢٠١٥.
- كتاب عدد آي القرآن على مذهب أهل البصرة لأبي العباس محمد بن يعقوب بن الحجاج البصري المعروف بالمعدل (ت ٣٣٠هـ) دراسةً وتحقيقاً: الحسن بن إبراهيم رفاعي، كلية القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دكتوراه، ١٤٣٩هـ.
- الكلمة المحورية في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء التكرار: ندى وهّاب كاظم لفته، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.
- مرجعية القرآن في فكر الشيخ محمد مهدي الأصفي: نور حسن جبار، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.
- معجم الأفعال المفسرة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج السبع الطوال إطاراً: أسماء مشعل يونس الطائي، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة الموصل، دكتوراه، ٢٠١٨.
- مناهج أصول النشر في القراءات العشر (عرض وتحليل):

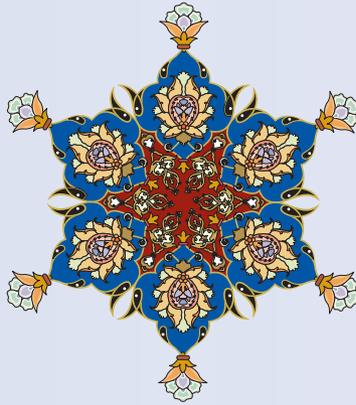


محمد أحمد محمد إسماعيل، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها - جامعة الأزهر،

الدكتوراه، ٢٠١٨.

• نقد المقاربات التداولية في ضوء تفسير التبيان للطوسي (ت ٥٤٦٠هـ):

• علي محمد نور، كلية الدراسات القرآنية - جامعة بابل، ماجستير، ٢٠١٨.



(تعقيب وتعليق)

## على الدراسات القرآنية في المجلدات النجفية

١٣٥٦-١٤٣٦هـ / ١٩٣٨-٢٠١٥م

الذي أعده الشيخ حيدر الجبوري

(العدد الثاني)

الاستاذ المتمرس الدكتور  
محمد كريم ابراهيم الشمري  
عضو الهيئة الاستشارية

كانت المجلة قد نشرت القسم الأول من هذا التعقيب في عددها الرابع والثلاثين وها هي ذي تكتملة ما نشر آنفاً استكمالاً للقائده. التحرير

أدناه الملاحظات التي سجلتها على: الدراسات القرآنية في المجلدات النجفية، صنعة: حيدر كاظم الجبوري، والمنشورة في مجلة (المصباح) الغراء، بدءاً من القسم الأول، في العدد (٢٦)، السنة السابعة، صيف ٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ ص ٣٨٧-٣٩٥.

١. ص ٣٨٧ (حرف الالف)، ابتدأ الباحث الكريم بترتيب البحوث التي تبدأ بحرف الألف وبعده مباشرة حرف الياء (آيات، آية)، ولعل عذر الباحث في هذا الترتيب انه عدّ المدّة (آ) بمثابة همزة قبل حرف الألف، هكذا (آيات، آية) ولا اعتراض على ذلك، لكنه لم يوفق في الاستمرار بتسلسل وترتيب هذه الطريقة، فكان التسلسل رقم (١) بعنوان: آيات الدعاء في القرآن الكريم، وبعده تسلسل رقم (٢) آيات استكناه

الدلالة في القراءان... التي يفترض أن تكون هي التسلسل رقم (١)؛ لأن حرف اللام قبل حرف الياء في تسلسل الحروف العربية، لذلك يفترض ان يكون التسلسل رقم (٢) هو التسلسل رقم (١)، وبعده التسلسل رقم (٣) تسلسل رقم (٢)، وتسلسل رقم (١) تسلسل رقم (٣).

٢. يعاد ترتيب التسلسلات ذات الأرقام (٥، ٦، ٧) التي تبدأ بكلمة (ء اية) مع تجريد أي كلمة بعدها من (أل) التعريف؛ لذا تتقدم الدراسة رقم (٧) المعنونة. ء اية سفينة نوح، على الدراسة رقم (٥): ء اية السيف... أي تصبح الدراسة: ء اية سفينة نوح بالتسلسل رقم (٥)، والدراسة: ء اية السيف... يصبح رقم تسلسلها (٦)، أما الدراسة المعنونة: ء اية القوامة بين اللغة والمجتمع والتي كان تسلسلها رقم (٦)، فيعاد ترتيب تسلسلها بعد الدراسة: ء اية السيف، ليصبح ترتيب تسلسلها رقم (٧)، وفق تسلسل الحروف العربية الصحيحة. (راجع ص ٣٨٧).

٣. ص ٣٨٨-٣٨٩، يعاد ترتيب تسلسل الدراسات: (١٨-٢٧)، التي تبدأ بكلمة (أثر) مع مراعاة حذف (أل) التعريف في الكلمات التي ترد بعدها مباشرة، لذلك تنقل الدراسة رقم (٢٢) ص ٣٨٩، المعنونة (الأثر الحر في...) الى مابعد الدراسة رقم (١٧) ص ٣٨٨، المعنونة... (إتهام يوسف)، وتنقل الدراسة رقم (٢٠) ص ٣٨٩، المعنونة. (أثر الأخلاق...) إلى مابعد الدراسة رقم (١٨) ص ٣٨٨، المعنونة، أثر اختلاف القراءات...، وتنقل الدراسة رقم (٢١) ص ٣٨٩، الى مابعد الدراسة رقم (٢٥)، المعنونة: (أثر الرواية الموضوعية) ص ٣٨٩، كما تنقل الدراسة رقم (١٩)، المعنونة: (أثر إغفال السياق) ص ٣٨٨، الى مابعد الدراسة رقم (٢٧)، المعنونة: (الأثر الصرفي)، ص ٣٨٩.

٤. ص ٣٩٠، تنقل الدراسة رقم (٣٤)، المعنونة: (أثر القراءان الكريم في خطبة الحوراء...)، الى مابعد الدراسة رقم (٣١): (أثر القراءان الكريم في الحفاظ...)، وقبل الدراسة رقم (٣٢): (أثر القراءان الكريم في الشعر العربي الحديث).

٥. ص ٣٩٠-٣٩١، تنقل الدراسة رقم (٤٠) ص ٣٩٠، (أثر القرآن الكريم والحديث النبوي...)، الى مابعد الدراسة رقم (٤٤) ص ٣٩١، (أثر القرآن في نهج البلاغة).
٦. ص ٣٩٢، تنقل الدراسة رقم (٥٥)، المعنونة: (أثر بناء الجملة...) الى ص ٣٨٩، بعد الدراسة رقم (٢١)، المعنونة: (أثر الاستقامة...)!.
٧. ص ٣٩٥، تنقل الدراسة رقم (٨٠)، المعنونة: (الاستدلال على اصطفاء السيدة خديجة...)، الى ص ٣٩٤، بعد الدراسة رقم (٧٧)، (الاستدلال الجدلي...) وقبل الدراسة رقم (٧٨)، المعنونة: (الاستدلال القرآني...)، لأن حرف العين قبل حرف القاف.
- ((مجلة المصباح، العدد (٢٧)، السنة السابعة، خريف ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م)).
١. ص ٤١٣ (حرف الباء)، تقدم الدراسة رقم (٦): (بحث في إعجاز القرآن الكريم)، على الدراسة رقم (٥): (البحث اللغوي في كتاب...).
٢. ص ٤١٥-٤١٦، تنقل الدراسة رقم (٢٩): (تأسيس أئمة أهل البيت...).
- ص ٤١٦، الى ص ٤١٥، قبل الدراسة رقم (٢٨): (التأسيس الفلسفي لفهم النص القرآني...).
٣. ص ٤١٦، نقل الدراسة رقم (٣٤)، (التأويل التعسفي...)، قبل الدراسة رقم (٣٢): (تأويل تعليق شبه الجملة...).
٤. ص ٤١٧، تقديم الدراسة رقم (٤٠): (التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيويه...)، على الدراسة رقم (٣٩): (التأويل النحوي في كتاب النكت في القرآن...).
٥. نقل الدراستين: (٤٢)، بعنوان: (التأويل بين ثنوية النص...)، والدراسة رقم (٤٣): بعنوان: (التأويل بين نحو اللهجات...)، على (٤١٧) الى مابعد الدراسة رقم (٣١)، بعنوان: (تأصيل فكرة إعجاز القرآن)، وقبل الدراسة رقم (٣٢)، بعنوان: تأويل تعليق شبه الجملة...، ص ٤١٦.
٦. ص ٤٢٠، تنقل الدراسة رقم (٧٩)، بعنوان: (تعدد دلالة الأداء...)، بعد الدراسة رقم

(٧٧): (التعجب وصوره...)، وقبل الدراسة رقم (٧٨)، (تعدد الدلالة في القراءة القرآنية).

٧. ص ٤٢٢، تقديم الدراسة رقم (٩٣)، على الدراسة رقم (٩٢).

٨. تقديم الدراسة رقم (٩٧) على الدراستين رقم: (٩٥، ٩٦).

٩. تقديم الدراستين رقم: ٩٨- ٩٩، على الدراسات (٩٥- ٩٧).

١٠. نقل الدراسة رقم، (١٠٣)، ص ٤٢٣، المعنونة: (تفسير جامع البيان...)، بعد الدراسة

رقم (٨٨) ص ٤٢١، المعنونة: (التفسير الترابطي...).

١١. نقل الدراستين: ١٠٤، ١٠٥، ص ٤٢٣، (تفسير سورة التوحيد، تفسير سورة

الضحى) على التوالي، الى ص ٤٢١، بعد الدراسة رقم (٩٠)، المعنونة: (التفسير

الروائي...).

١٢. ص ٤٢٣، نقل الدراسة رقم (١٠٦)، المعنونة: (تفسير مقتنيات الدرر...)، بعد

الدراسة رقم (١٠٠) ص ٤٢٢، المعنونة: (التفسير المعجمي للمفردة القرآنية...).

١٣. ص ٤٢٤، نقل الدراسة رقم (١٢٢)، المعنونة: (التناص القرآني)، قبل الدراسة رقم

(١٢٠)، المعنونة: (التناص القرآني في شعر احمد شوقي).

١٤. ص ٤٢٨، تقديم الدراسة رقم (١٦٠)، المعنونة: (جهود الأئمة... ) وكذلك

الدراستين رقم: ١٦١: (جهود التبريزي... )، ورقم (١٦٢): (جهود الدكتور زهير

غازي زاهد...)، على الدراسة رقم (١٥٩)، المعنونة: (الجهود اللغوية لابن نايقا

البغدادى...).

((مجلة المصباح، العدد (٢٨)، السنة السابعة، شتاء ٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ))

١. ص ٤٤٨، تقديم الدراسة رقم (٢٢)، المعنونة: (الحوار بين الدين الاسلامي...)، على

الدراسة رقم (٢١)، المعنونة: (الحوار القصصي...).

٢. تقديم الدراسة رقم (٢٣)، المعنونة: (الحوار في القران الكريم...)، على الدراسة رقم

(٢١): (الحوار القصصي...)

٣. ص ٤٥٢، نقل الدراسة رقم (٥٧)، المعنونة: (الدلالات المجازية...)، بعد الدراسة رقم (٦٠)، المعنونة: (دلالات لفظة قضى...).

٤. ص ٤٥٢- ٤٥٤، إعادة ترتيب تسلسل الدراسات (٦١- ٧٣)، التي تبدأ بكلمة (دلالة)، بدءاً من الدراستين (٦١، ٦٢)، المعنوتين: (دلالة (في) الجارة)، (دلالة (الحج) في...). على التوالي، فضلاً عن دراسات أخرى غير مرتبة ترتيباً صحيحاً، وتصحيح عنوان الدراسة رقم (٦٣): (دلالة أسلوب العقيب...، والتصحيح: التعقيب، ص ٤٥٣، وتصحيح اسم (د. نجاح)، والتصحيح: (د. نجاح) في الدراسة رقم (٧٥) ص ٤٥٤.

٥. إعادة ترتيب الدراسات (٩٢- ١٠٠)، ص ٤٥٦ بدءاً من الدراسة رقم (٩٢)، المعنونة (دلالة آية النبأ... التي يفترض ان يكون ترتيب تسلسلها رقم (٦١)، ص ٤٥٢، لأنها تبدأ بالهمزة (ء) قبل حرف الألف.

٦. ص ٤٥٩، تقديم الدراسة رقم (١٢٥)، المعنونة: (الزمن في القرآن الكريم)، على الدراسة رقم (١٢٤)، المعنونة: (الزمن في (ليس) ونظيرتها...)، وواضح جداً أن حرف القاف قبل حرف اللام.

٧. ص ٤٥٩، التسلسل رقم (١٢٦)، بعنوان: (حرف السين)!. ربما ورد سهواً وخطأً مطبعياً، ولا يجوز تخصيص رقم تسلسل له أسوة بتسلسل أرقام الدراسات القرآنية موضوع البحث.

((مجلة المصباح، العدد (٢٩)، السنة الثامنة، ربيع ٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ)).

١. ص ٤١٢، تكرار تسلسل الدراستين: ٥، ٦، بعنوان: (السياق اللغوي في النص القرآني) للباحث: خليل خلف بشير (في الدراسة رقم (٥))، و: خليل خلف بشير العامري، (في الدراسة رقم: ٦)!!، وهو بحث واحد للباحث نفسه، ولا أدري كيف فات السيد المفهرس هذا الامر، فجعل لكل بحث تسلسلاً خاصاً مستقلاً، ويفترض أن يلغي التسلسل رقم (٦)، ويضع بعده شارحة، هكذا: (-)، ويذكر عبارة: أعيد

نشره في: مجلة (مآب)، ٧٤...!!.

٢. ص ٤١٦، تقديم الدراسة رقم (٤٢)، المعنونة: (الإطلاق وعناصر الحكمة...)، على

الدراسة رقم (٤١)، المعنونة: (الطب في القراءان...); لاننا نجرد كلمة الاطلاق من (أل) التعريف، عند الفهرسة الصحيحة، فتكون كلمة (إطلاق) بدايتها حرف الألف وبعده حرف الطاء، أسبق من كلمة (طب) التي بدايتها حرف الطاء ثم بعده حرف الباء، وحرف الألف في كلمة (إطلاق) قبل حرف الطاء في كلمة (طب).

٣. ص ٤١٦- ٤١٧ (حرف الطاء)، نقل الدراسة رقم (٤٩) ص ١٧٤، المعنونة: (ظاهرة

تعاور المفردات...)، بعد الدراسة رقم (٤٦)، المعنونة: (ظاهرة التضاد...)، ص ٤١٦، بعدها تنقل الدراسة رقم (٥٠)، ص ١٧٤، المعنونة: (ظاهرة تقسيمات الجملة...)، ثم بعدها ترتب الدراسة رقم (٤٧) ص ٤١٦، المعنونة، (ظاهرة التكذيب...)، وبعدها تنقل الدراسة رقم (٤٨)، المعنونة: (ظاهرة الوحي...)، التي ورد ترتيب تسلسلها خطأً ص ٤١٧، قبل الدراسة المعنونة: (ظاهرة تعاور المفردات...)، رقم (٤٩)!

٤. ص ٤١٧، تنقل الدراسة رقم (٥٢)، المعنونة: (الظواهر اللغوية في...). الى ما بعد

الدراسة رقم (٥٥)، المعنونة: (ظواهر لغوية فنية...)، وسبب تقديم الدراسة رقم (٥٢) على الدراسات: ٥٣، ٥٤، ٥٥، أن الباحث الكريم اعتمد (أل) التعريف مسبقاً في تسلسل الدراسات القرائية وهذا خطأ منهجي، إذ يفترض أن يجرد كلمة (الظواهر) من (أل) التعريف.

٥. ص ٤١٨، تتقدم الدراسة رقم (٦٠)، المعنونة: (العدالة بين القراءان الكريم...)، على

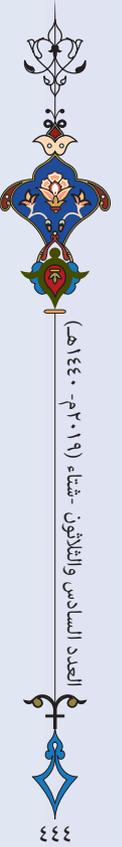
الدراسة رقم (٥٩)، المعنونة (عدالة الصحابة...)، للسبب نفسه أعلاه بتجريد كلمة العدالة من (أل) التعريف.

٦. ص ٤٢٠- ٤٢١، تتقدم الدراسة رقم (٨٩)، ص ٤٢١، المعنونة: (فاطمة الزهراء عليها السلام)

في النص القرائي...)، على الدراسة رقم (٨٨)، ص ٤٢٠، المعنونة: (فاطمة الزهراء عليها السلام ومصحفها...) لأن حرف (الفاء) بعد اسم فاطمة الزهراء قبل حرف (الواو) بعد

اسمها في الدراسة الأخيرة.

٧. ص ٤٢٢ (ملاحظات منهجية ولغوية)، في الدراسة رقم (١٠١)، ورد خطأ في الطباعة بعنوان الدراسة، بكلمة مدمجة هكذا: (ومعنيين)، الصحيح: (ومعنى بين)، وفي الدراسة رقم (١٠٣)، عدم ذكر أرقام صفحات الدراسة المنشورة في مجلة (المبين)، وفي الدراسة رقم (١٠٤) عدم ذكر سنة إصدار مجلة (حولية المتدى) بعد ذكر رقم العدد.
٨. ص ٤٢٣، تتقدم الدراسة رقم (١١٢)، المعنونة: (في التعبير القرآني...) على الدراسة (١١١)، المعنونة: (في القرآن...); لأن حرف التاء بعد (في) في الدراسة (١١٢) قبل حرف الفاء في: (في)...
٩. تنقل الدراسة رقم (١١٣) ص ٤٢٣، المعنونة: (في القرآن الكريم)، بعد الدراسة رقم (١١٥)، المعنونة: (في شواذ القراءات...); لأن حرف (الشين)، قبل حرف القاف بدون أدنى شك!
١٠. ص ٤٢٤، تتقدم الدراسة رقم (١٢٤)، المعنونة (القراءات القرآنية في تلخيص البيان)، على الدراسة رقم (١٢٣)، المعنونة: (القراءات القرآنية في الميزان)، لأن حرف (التاء) في الدراسة (١٢٤) قبل حرف (الميم) في الدراسة رقم (١٢٣).
١١. ص ٤٢٤، تتقدم الدراسة رقم (١٢٦)، المعنونة: (قراءات في آفاق الدرس القرآني...)، على الدراسة رقم (١٢٣)، المعنونة: (القراءات القرآنية في الميزان).
١٢. ص ٤٢٥، تنقل الدراسة رقم (١٣١)، المعنونة: (قراءة بيانية في سورة المسد)، الى ص ٤٢٤، بعد الدراسة رقم (١٢٨) مباشرة، المعنونة: (دراسة اسلوبية...)، ويتم تغيير ترتيب تسلسل الدراسات (١٢٩-١٣٩) ص ٤٢٤-٤٢٥، بنقل الدراسة رقم (١٢٩)، ص ٤٢٤، المعنونة: (القراءة الحدائية...)، الى مابعد الدراسة رقم (١٣٣)، ص ٤٢٥، المعنونة: (قراءة تفسيرية...)، وننقل الدراسة رقم (١٣٠)، ص ٤٢٤-٤٢٥، المعنونة: (القراءة اللغوية للنص القرآني)، الى مابعد الدراسة رقم (١٤٥)، ص ٤٢٦.



١٣. ص ٤٢٥، تنقل الدراسة رقم (١٣٩)، المعنونة: (قراءة في آيات من...) الى ما بعد الدراسة رقم (١٣٦)، المعنونة: (دراسة دلالية...)، وقبل الدراسة رقم (١٣٧)، المعنونة: (قراءة في البعد التاريخي...).

١٤. ص ٤٢٥، دمج الدراستين (١٣٤، ١٣٥) في تسلسل واحد فقط، بعنوان واحد، هو: (قراءة دلالية في محذوف سورة الضحى...)، للدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي، ويلاحظ عدم تسلسل تاريخ النشر المكرر للبحث، فقدم الباحث في التسلسل رقم (١٣٤) تاريخ النشر سنة ٢٠٠٩م، على تاريخ النشر في التسلسل رقم (١٣٥)، تاريخ النشر سنة ٢٠٠٥!!، ويفترض أن يقدم تسلسل الدراسة رقم (١٣٥)، على التسلسل رقم (١٣٤)، وعدم تسجيل رقم تسلسل (١٣٥)، بل يكتفى بوضع شارحة هكذا(-) ويكتفى الباحث بذكر اسم مجلة (حولية المنتدى)، متبوعة بالمعلومات الخاصة برقم العدد وسنة الاصدار، وقبله مكان الاصدار، وأرقام الصفحات، وقد تكرر هذا الخطأ بتكرار تسلسل رقمين لدراسة واحدة فقط، راجع: ملاحظتنا على العدد (٢٩) من مجلة المصباح نفسه، في الفقرة رقم (١)، سالفه الذكر!!.

١٥. ص ٤٢٦، تتقدم الدراسة رقم (١٤٨)، المعنونة (قراءة نقدية في تفسير آية...)، على الدراسة رقم (١٤٧)، المعنونة: (قراءة نقدية في الرؤية...)؛ لأن (آية) تبدأ بالهمزة قبل الألف، وقبل حرف (راء) في الدراسة رقم (١٤٧) بكلمة: (الرؤية).

١٦. ص ٤٢٧- ٤٢٨، تتقدم الدراسات (١٥٧- ١٦٩)، التي تبدأ بكلمة (القرءان) على الدراسات (١٥١- ١٥٦)، ص ٤٢٦- ٤٢٧، والتي تبدأ بعبارة: (القرءان الكريم)، ويعاد ترتيب الدراسات ضمن كل مجموعة بصورة صحيحة وفق تسلسل الحروف الهجائية العربية بدقة، مثل تقديم الدراسة رقم (١٥٤) ص ٤٢٧، المعنونة: (القرءان الكريم وتفسيره...)، على الدراسة رقم (١٥٣)، المعنونة: (القرءان الكريم والحضارة...)؛ لأن حرف (التاء) في الدراسة رقم (١٥٤) أسبق من حرف (الحاء) في الدراسة رقم (١٥٣)، بعد عبارة: (القرءان الكريم)!. بعد حذف (أل) التعريف



في كلمة: (الحضارة).

١٧. ص ٤٢٨، تتقدم الدراسة رقم (١٦٧)، المعنونة: (القرءان وبعض الظواهر الاجتماعية)، على الدراسة رقم (١٦٦)، المعنونة: (القرءان والنبى محمد ﷺ...); لأن حرف (الباء) بعد كلمة (القرءان) في كلمة (وبعض) في الدراسة رقم (١٦٧)، أسبق وقبل حرف (النون) في كلمة (والنبى) في الدراسة رقم (١٦٦)، التي تنقل بعد الدراسة رقم (١٦٨)، المعنونة: (القرءان وفلسفة الحدائة).

((مجلة المصباح، العدد (٣٠) السنة الثامنة، صيف ٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ)).

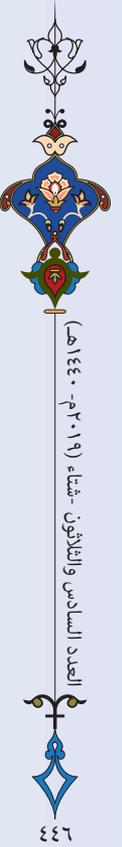
أنهى السيد حيدر كاظم الجبوري موضوعه: (الدراسات القرءانية في المجالات النجفية، في العدد (٣٠) من مجلة المصباح العراء، بالجزء الخامس (الأخير) على الصفحات: ٤٦١-٤٨١.

وسنواصل عرض توثيق ملاحظاتنا عن ترتيب وتسلسل ودقة عمل الباحث الكريم خدمة للعلم والمعرفة وتوثيق تراثنا العربي والاسلامي، ومن الله العون والسداد، أنه نعم المولى ونعم النصير، وأدناه ملاحظاتنا عن الجزء الخامس والأخير هذا:

١. ص ٤٦٢، (حرف اللام)، تتقدم الدراسة رقم (١٦)، المعنونة: (لغة تميم...)، على الدراسة رقم (١٥)، المعنونة (لغة القرءان).

٢. ص ٤٦٣، تتقدم الدراسة رقم (١٩)، المعنونة: (لفظة (كذلك) في القرءان الكريم)، على الدراسة رقم (١٨) المعنونة: (لفظة (الملائكة) في القرءان الكريم)، بتجريد لفظة (الملائكة)) من (أل) التعريف، وسبق حرف الكاف في لفظة (كذلك) على حرف الميم، وكذلك تقديم الدراسة رقم (٢١)، المعنونة: (لفظة (مثنائي) في القرءان الكريم...)، على الدراسة رقم (٢٠)، المعنونة: (لفظة (الهدى) في القرءان الكريم...)، بعد تجريد لفظة (الهدى) من (أل) التعريف.

٣. ص ٤٦٣، (حرف الميم)، عدم ذكر سنة النشر (الطبع) في الدراسة رقم (٢٦) بخصوص مجلة (ءافاق نجفية)، وفي الدراسة رقم (٣٢)، ص ٤٦٤، عدم ذكر سنة



صدر أعداد مجلة (مآب): ٧، ٦، ١٢، ١٣، وعلى ص ٤٦٥، في الدراسة رقم (٤١)،  
عدم ذكر سنة صدور مجلة الايمان وعدم ذكر سنة صدور مجلة (اللغة العربية وآدابها)  
في الدراسة رقم (٤٢).

٤. ص ٤٧٠، الدراسة رقم (٩٦)، المعنونة: (المقتضى البياتي...)، الصحيح: (المقتضى  
البياتي...)، والمرجح أنه خطأ طباعي.

٥. دمج الدراستين رقم (٩٨)، المعنونة: (مقدمات منهجية في تحليل النص القرآني آيات  
الأحكام - انموذجاً للأستاذ الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد، المنشور في مجلة الكلية  
الاسلامية الجامعة (دون ذكر سنة صدور المجلة)، ومكان طباعتها (في النجف)،  
والدراسة رقم (١٠١)، ص ٤٧٠ - ٤٧١، المعنونة: (مقدمة منهجية في تحليل النص  
القرآني - آيات الأحكام أنموذجاً، للأستاذ الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد [نفسه  
أيضاً]، ماعدا الاختلاف في كلمة واحدة لبداية دراسته المكررة، في الدراسة رقم  
(٩٨): مقدمات منهجية...، وفي الدراسة رقم (١٠١): مقدمة منهجية...، ويلاحظ  
أن الدراسة الأخيرة رقم (١٠١)، لم يذكر السيد الباحث اسم المجلة التي نُشر فيها  
بحث أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد، بل ورد ذكر العدد ورقمه (٩) وسنة صدور المجلة  
(المجهولة والغائبة) في ٢٠٠٩م، وأرقام صفحات البحث فقط!!.

هذه هي الحالة الثالثة التي لم ينتبه اليها الباحث الكريم في تكرار دراستين لبحث  
واحد، وقد سبق أن أشرنا الى دراستين سابقتين تم نشرهما في مجلة المصباح، العدد: (٢٩)  
هما الدراستين، رقم: ٥، ٦، ص ٤١٢، (وهما لبحث واحد مكرر مرتين)، والدراستين  
رقم: ١٣٤، ١٣٥، ص ٤٢٥ (راجع مجلة المصباح، العدد: ٢٩ بخصوصهما)!!.. وهذا خلل  
منهجي وعلمي واضح جداً، بعدم توخي الدقة والضبط في التوثيق الصحيح.

٦. ص ٤٧١، تتقدم الدراسة رقم (١٠٧)، المعنونة: (ملامح لغوية في سورة الأعلى)، على  
الدراسة رقم (١٠٦)، المعنونة: (الملامح اللغوية في القراءة...)، لان كلمة (ملامح) في  
الدراسة رقم (١٠٧) مجردة من (آل) التعريف، في حين أن كلمة (الملامح) في الدراسة

- رقم (١٠٦) فيها (أل) التعريف ومابعدھا: في القراءة، بينما الدراسة رقم (١٠٧)، مابعدھا كان: في سورة الأعلى، وحرف السين أسبق من حرف القاف.
٧. ص ٤٧٢، الدراسة رقم (١٢١)، المعنونة: (من تفسير القرآن الكريم)، يلاحظ عدم توثيق أعداد مجلة (الإيمان)، بأعدادها المزدوجة في المجلدات: ١، ٢، ٣، وذلك بعدم ذكر مكان صدورھا والسنوات التي صدرت فيها، وكذلك الحال في الدراسة رقم (١٢٢) بخصوص مجلة (الإيمان) نفسها.
٨. ص ٤٧٣، الدراسة رقم (١٢٥) عدم توثيق المعلومات عن مكان وسنوات صدور مجلة (الإيمان)، باستثناء العدد (٥) الصادر سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، وعدم توثيق الأعداد: ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٢، وكذلك الحال في الدراسة رقم (١٢٦)، ويلاحظ أن الباحث: أحمد أمين، ورد ذكر بحث له بنفس العنوان: (من حقائق القرآن) في مجلة (دراسات إسلامية)، العدد (٢)، الصادر سنة ١٣٨٤هـ، راجع الدراسة رقم (١٢٧)، فهل وزع الباحث: أحمد أمين دراسته على مجلتي: الإيمان ودراسات إسلامية؟!.
- وعلى أية حال، فإن الدراسات: (١٢٣- ١٢٧)، ص ٤٧٢- ٤٧٣، المعنونة: (من حقائق القرآن)، بحاجة على إعادة نظر وترتيب وتسلسل دقيق وصحيح وتوثيق كامل لكل عدد من أعداد مجلة (الإيمان). التي نشرت فيها تلك الدراسات، فضلاً عن تدقيق علاقة مجلة (دراسات إسلامية) في الدراسة رقم (١٢٧) بعديھا: ٢، ٣، حول نشرھا الدراسة نفسها (من حقائق القرآن)، التي كتبھا السيد أحمد أمين في مجلة الإيمان بصورة خاصة.
٩. ص ٤٧٤، الدراسة رقم (١٣٥)، المعنونة: (من هدى القرآن)، وثق الباحث فقط العدد الاول من مجلة الأضواء، السنة الاولى، الصادرة سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م، وترك بقية الأعداد، الصادرة بعدها، وهي: ٢، ٣، ٤، كما لم يوثق أعداد السنة الثانية، وهي: ١، ٤، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٤، وكرر

في السطرين ٥ - ٦، معلومات سبق أن ذكرها، حول مجلة الأضواء نفسها، العدد الاول، السنة الثانية، ص ٧٤-٧٨، العدد (٤)، السنة (٢)، ص ٢١٠-٢١٢، العدد (٥)، ص ٢٧١-٢٨٦، وذكر بعد ذلك العدد (٦)، السنة (٣)، ص ٢٤٩-٤٥٢، ولم يوثق تاريخ ومكان صدور العدد (٦) الأخير هذا.

١٠. ص ٤٧٤، الدراسة رقم (١٤٠)، المعنونة: (من، بين الاستعمال القرءاني...)، يفترض نقلها الى ص ٤٧٢، بعد الدراسة رقم (١١٩)، المعنونة: (من بصائر القرءان الجغرافية: السحب).

١١. ص ٤٧٤، تكررت الدراستان: (١٤٢-١٤٣)، المعنونتين: (منطلقات الحسد في نص القرءان الكريم)، للباحث نفسه: الشيخ عبد الرزاق فرج الله، ويلاحظ أن الدراسة في التسلسل رقم (١٤٢) غير موثقة بأرقام الصفحات، بينما توثقت أرقام الصفحات في الدراسة رقم (١٤٣)!! وهذه الحالة تكررت الآن للمرة الرابعة، راجع عن الحالات الثلاث السابقة: مجلة المصباح ملاحظة رقم (١)، بالدراستين ٥، ٦ من العدد (٢٩)، ص ٤١٢، والمشار إليها في تعقيبنا هذا، ثم الدراستين: ١٣٤، ١٣٥، مجلة المصباح، العدد (٢٩)، ص ٤٢٥، وبعدهما الدراستين: ٩٨، ١٠١، مجلة المصباح، العدد (٣٠)، ص ٤٧٠-٤٧١، وهذه هي الحالة الرابعة بتكرار البحث الواحد مرتين وتخصيص رقمي تسلسل ضمن الدراسات القرءانية لكل واحد منهما، وهما في الحقيقة: بحث واحد فقط!!

١٢. ص ٤٧٥، الدراسة رقم (١٥٢)، المعنونة (منهج السيد في السبزواري في تفسير القرءان...)، ترفع: (في) الاولى التي وردت خطأً او سهواً، ويكون عنوان الدراسة الصحيح: (منهج السيد السبزواري في تفسير القرءان...). ويلاحظ أن الدراسة منشورة في مجلة (آفاق نجفية)، دون توثيق مكان وسنة صدور عددها (١٤).

١٣. ص ٤٧٦، الدراسة رقم (١٥٥)، المعنونة: (منهج بناء الشخصية...)، تنقل الى ص ٤٧٥، بعد الدراسة رقم (١٤٨)، المعنونة: (منهج الإمامية في فهم النص

- القرءاني)، وبعد هذه الدراسة مُباشرة تنقل كذلك الدراسة رقم (١٥٦)، المعنونة: (منهج تفسير الامام علي عليه السلام...) من ص ٤٧٦ إلى ص ٤٧٥.
١٤. ص ٤٧٦، الدراسة رقم (١٥٧)، المعنونة: (منهج تفسير القرءان بالقرءان...)، تنقل الى ص ٤٧٥، بعد الدراسة رقم (١٤٩)، المعنونة: (منهج التفسير البنائي...)..
١٥. ص ٤٧٧، الدراسة رقم (١٦٨)، عدم توثيق مكان وسنة صدور مجلة: (حولية المنتدى).
١٦. ص ٤٧٧، الدراسة رقم (١٧١)، المعنونة: (المولاة الصوتية في قصة يوسف عليه السلام)، الصحيح (المولاة الصوتية...).
١٧. ص ٤٧٧- ٤٧٨ (حرف النون)، الدراسة رقم (١٧٣)، المعنونة: (النبأ العظيم اختلف فيه قريش واختلف في المفسرون)، والعنوان الصحيح: (النبأ العظيم اختلفت فيه قريش واختلف في المفسرون)، ولعل ما حصل خطأ طباعي، وكذلك في كلمة (المولاة) في الفقرة (١٦) أعلاه، وكذلك ماورد في الدراسة رقم (١٧٦) ص ٤٧٨، المعنونة: (النثر في ثورت التوايين...)، والصواب: ثورة التوايين، ولعله خطأ طباعي، فضلاً عن خطأ طباعي في الدراسة رقم (١٧٧)، السطر (٣): س ١، ١٤٣هـ، والصواب: ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
١٨. ص ٤٧٨، تتقدم الدراسة رقم (١٨٣)، المعنونة: (النسخ في القرءان)، على الدراسة رقم (١٨٢)، المعنونة: (النسخ في القرءان الكريم والقول بالتحريف).
١٩. ص ٤٨٠، الدراسة رقم (٢٠٠)، يدقق عنوان الدراسة المعنونة: (نولدكه: الشيعة والقرءان الشيعة جمع القرءان وتدوينه نموذجاً)، ولعل العنوان الصحيح إما: (الشيعة والقرءان/ جمع القرءان وتدوينه نموذجاً) أو: أنموذجاً، أو: (نولدكه: الشيعة جمع القرءان وتدوينه نموذجاً)، أو: أنموذجاً، فضلاً عن عدم توثيق الباحث مكان وسنة صدور مجلة (حولية المنتدى).

ونقترح تدقيق العنوان لهذه الدراسة بالرجوع الى مجلة (حولية المنتدى)، التي ذكر

الباحث عددها رقم (٢٢) فقط!.

ولاندرى من كتب هذه الدراسة، هل هي دراسة مشتركة، إذ ورد بعد العنوان اسمي:  
د. أحمد فاضل السعدي، و: نعمة خوش حالي!!؟. هل هو: نعمة خوش عالي؟. ولانعلم  
مادورهما في هذه الدراسة!.

٢٠. ص ٤٨٠، الدراسة رقم (٢٠٢)، عدم توثيق صفحات مجلة (الدليل)، التي نشرت  
الدراسة المعنونة: (هدف شريعة القراءان)، للشيخ عبد الهادي الأسدي، ولم يوثق  
الباحث أين تصدر تلك المجلة.

٢١. الدراسة رقم (٢٠٥)، المعنونة: (الوحي الإلهي... بقى رقم تسلسلها ضمن  
الدراسات في حرف (الماء) في حين هي ضمن حرف الواو، الذي بدأ ترتيب دراساته  
في بداية ص ٤٨١، لذا يفترض أن يكون موقع هذه الدراسة في بداية حرف الماء  
(بداية ص ٤٨١)، وليس في نهاية ص ٤٨٠، ولعله خطأ طباعي.

٢٢. ص ٤٨١، تتقدم الدراسة رقم (٢٠٨)، المعنونة: (الوحي عند الصوفية)، على الدراسة  
رقم (٢٠٧)، المعنونة (الوحي المحمدي في المنظور الاستشراقي)، بعد تجريد كلمة  
(المحمدي) من (أل) التعريف، فضلاً عن سبق حرف (العين) بعد كلمة الوحي ثم  
بعده حرف (الميم) في كلمة (المحمدي)، الوحي عند الصوفية قبل: الوحي المحمدي.  
ويعاد ترتيب الدراسات في حرف (الواو) التي تكون بدايتها كلمة (الوحي) كالاتي:  
٢١٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٠٦، ٢٠٧ (راجع: ص ٤٨٠ - ٤٨١).

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد  
وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.